تأويلات القرآن

١٤٢٥

لأبي منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي

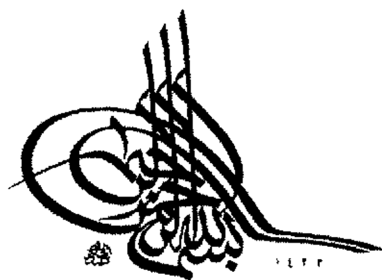
تحقيق
محمد معصوم مروانلي اوغلي

مراجعة
الاستاذ الدكتور بكر طوپال اوغلي

الجزء الخامس عشر

المجادلة - الملك

دار الميزان



ISBN 978-975-9048-01-3 (Tk.)
ISBN 978-975-9048-10-5

الكتابة والتنسيق

علي حيدر أولوصوي
عيسى يوجل

دار الميزان
MİZAN YAYINEVİ

استانبول ٢٠٠٧

تأويلات القرآن

١٤٢٥

لابي منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي

٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م

تحقيق

الدكتور خليل إبراهيم قجار

مراجعة

الاستاذ الدكتور بكر طوبال اوغلي

استانبول ٢٠٠٧

دار الميزان
MİZAN YAYINEVİ

النسخ الخطية لكتاب *تأويلات القرآن* التي التزمنا بها في التحقيق

ر: نسخة راشد أفندي – مكتبة راشد أفندي بمحافظة قيصري، تحت رقم ٤٧.

ن: نسخة نور عثمانية – مكتبة نور عثمانية، تحت رقم ١٢٤.

ث: نسخة نور عثمانية – مكتبة نور عثمانية، تحت رقم ١٢٣.

م: نسخة مهرشاه – مكتبة سليمانية، قسم مهرشاه، تحت رقم ٨.

شرح تأويلات القرآن: لأبي بكر علاء الدين محمد بن أحمد السمرقندي، نسخة ولي الدين – مكتبة بايزيد، قسم ولي الدين أفندي، تحت رقم ٤٢٦.

الاختصارات:

صح ه: ورد التصحيح بهامش النسخة الخطية.

ر ه: هامش النسخة الخطية بمكتبة راشد أفندي الخ.

و: وجه الورقة لنسخة مهرشاه التي اتخذت أصلا للتحقيق.

ظ: ظهر الورقة لها.

– : إشارة إلى الكلمة أو العبارة الناقصة في النسخة.

+ : إشارة إلى الكلمة أو العبارة الزائدة في النسخة.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المجادلة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[١]

قوله[2] عز وجل: **قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله.** قال جماعة من أهل[3] التفسير: إنها نزلت في أوس بن الصامت أخي عُبادة بن الصامت وامرأته. غير أنهم اختلفوا في اسم امرأته، قال[4] ابن عباس رضي الله عنه: كان اسمها خَوْلَة، وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت جميلة، وقال بعضهم بأنها كانت تُسمي خُوَيلة، على تصغير خولة. وروي في بعض الروايات بأنه كان سببُ هذا القول من أوس لزوجته لمّا دعاها ليلة إلى فراشه، وكانت امرأته بحيث لا يحل[5] له التمتع بها، فأبت عليه وأرادت أن تخرج من البيت، فقال لها: إن خرجتِ من البيت فأنتِ عليّ كظَهر أمي، فخرجت. فلما أصبحت قال لها زوجها: ما أراكِ إلا قد حَرُمتِ عليّ، قالت: والله ما ذكرت لي طلاقا. قال: فَأْتِي رسول الله صلى الله عليه وسلم واسْأَلِيه فإني أستحيي أن أسأله عن هذا. فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرته، فنزلت فيهما هذه الآية.[6]

---

[1] ر – سورة المجادلة؛ ث + وهي اثنتان وعشرون آيات؛ ن م + وهي مدنية.

[2] ر: وقوله.

[3] ن ث: جماعة أهل.

[4] جميع النسخ: وقال. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠١و.

[5] جميع النسخ: لا تحل. والتصحيح من المرجع السابق.

[6] انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٨/٧٤.

وروي في بعض الأخبار أن أول من ظاهر عن امرأته[١] أوس، قال: وكان به[٢] لَمَم فقال في بعض ضَجَراته ذلك القول. وهذا يرويه محمد بن كعب القُرَظِيُّ.[٣] لكنه لا يحتمل أن يكون أراد باللمم الجنونَ،[٤] لأن المجنون لو طلّق[٥] امرأته لا يقع الطلاق فضلا أن يكون ظهاره ظِهارا. وتأويل قوله: كان به لمم، أي فضل غضب وشدة، فكأنه لم يكن به حِلْم.

ثم اختلفت الروايات في شأنها وشأن زوجها. منهم من روى، وهو محمد بن كعب، أنها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت: إن أوسا أبا ولدي وابن عمي وأحبَّ الناس إليّ قال[٦] كُلَيْمة والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقا، قال: أنتِ عليّ كظهر أمي. فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم:«ما أراك إلا وقد حرمت عليه». قالت: يا رسول الله لا تقل ذاك ما ذَكَر طلاقا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أُراكِ إلا وقد حَرُمْتِ عليه». فكررت[٧] المرأة ذلك ويردّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذلك.[٨] ثم قالت: اللهم إني أشكو إليك شدة وَجدي به وما يشق علي[٩] من فراقه، اللهم أنزل على نبيك. فأنزل الله تعالى: **قد سمع الله**[١٠] -إلى قوله تعالى- فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا.[١١]

وفي بعض الأخبار رواها الكلبي أنها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، إن زوجي أوس بن الصامت تَزَوَّجني يوم تزوجني، وأنا شابة ذات أهل كثير ومال كثير فأكل [مالي وأفنى][١٢] شبابي، حتى إذا كَبُرتْ عنده سنّي وذهب أهلي وتفرق مالي وضَعُفْتُ جعلني عليه كظهر أمه[١٣] ثم تركني إلى غير شيء،[١٤] وقد ندِم وندِمتُ، فهل من شيء

---

[١] ر ث م: ظاهر امرأته.
[٢] ر ث م – به.
[٣] انظر: *تفسير الطبري*، ٢٨/٦-٧.
[٤] ن: الحيوان.
[٥] ر: أطلق.
[٦] جميع النسخ: وقال. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠١و.
[٧] ر ث م: وكررت.
[٨] ر م – ذلك.
[٩] ن: عليه.
[١٠] م – تعالى قد سمع الله.
[١١] الآية ٤ من هذه السورة.
[١٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٠١ظ.
[١٣] ر: أمة.
[١٤] ن: ثم تركني تركني إلى غير ذلك.

يجمعني وإياه يا رسول الله؟ فقال عليه السلام لها: «أَطَلَّقَكِ؟»، قالت: لا، قال: «ما أُمِرتُ في شأنكِ من شيء فإن يَنزل[1] عليّ في شأنكِ شيء أُبَيِّنه[2] لكِ». فرفعتْ يديها إلى السماء تدعوه[3] وتتضرع إليه أن يُنزل إليه بيان أمرهما، ثم خرجت من عنده وأتت زوجها. فنزل[4] جبريل عليه الصلاة والسلام بهذه الآية. وروي في بعض الأخبار أنها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إن زوجي أوس بن الصامت تزوجني، وإني شابة[5] ذات مال وأهل، حتى إذا أكل مالي وأفنى[6] شبابي وكبرت سني ورقَّ عَظْمي وباد أهلي جعلني عليه كظهر أمه؛ ولي منه صبيان إن أنا وكَلْتُهم إليه ضاعوا، وإن ضممتُهم إلى نفسي جاعوا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أُعْزِبِي[7] فلعلكِ الظالمةُ لزوجكِ»، فقالت: يا أمين الله في أرضه إنه لظالم لي، فقال: «اذهبي،[8] فإنَّ فِيكُنَّ[9] الضعف والعجزَ». قال: فجعلت تجادله، فلما رأت أنه لا يرفع بها رأسا ولا تجد[10] عنده مخرجا خرجت فرفعت طَرْفها إلى السماء تشكو إلى الله صنع زوجها بها، وقالت:[11] اللهم / إني أتيت أمينك في أرضك، فلم يرفع بي رأسا، فتَولَّ اليومَ حاجتي وارحم ضعفي وقلة حيلتي. [٧٨٤ظ] فلم تصل إلى منزلها حتى هبط[12] جبريل صلوات الله عليه بالوحي: **قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله**، فدعا أوسا زوجها فقال: «ما الذي حملك على ما صنعت بخَوْلَةَ،[13] وقد أنزل الله فيها ما أنزل»؟ وبعث إليها ورحّب[14] بها. فقال: يا رسول الله، عملُ الشيطان، فهل من أمر يجمعني الله وإياها؟ قال: «نعم»، ثم تلا عليهم آية الكفّارة إلى آخرها.[15]

---

[1] ر ث م: نزل.
[2] ن: أتينه.
[3] ر م: ندعوه.
[4] جميع النسخ: فنزلت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠١ظ.
[5] م: وأنا شابة.
[6] ر: أفتى.
[7] ر: اغزبي؛ ن ث: اعربي.
[8] ر: اذهبي.
[9] ن: فإن فيك.
[10] ر م: ولا يجد.
[11] جميع النسخ: وقال. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ر ث م: يهبط؛ ن: نزل. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ن: نحو قوله.
[14] ن: ورحت.
[15] انظر: *تفسير الطبري*، ٣/٢٨-١٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٨/٦٩-٧٥.

ثم بين هذه الروايات اختلاف، ذكر في رواية القُرَظِيّ أنه قال عليه السلام: «ما أُراكِ إلا وقد حَرُمْتِ عليه»، وفي رواية قال لها: «ما أُمرت في شأنكِ من شيء». لكنه يمكن التوفيق[1] بين الخبرين، وهو أن قوله: «ما أُراكِ إلا وقد حَرُمتِ عليه» على ما كان أهل الجاهلية يرونه محرَما، وقال: «ما أُراكِ إلا وقد حَرُمتِ عليه[2] من ذا الوجه، لكنه لم ينزل عليّ شيء في بيان هذا، فإن ينزل شيء في بيان هذا أبينه[3] لكِ». والثاني أن ليس في قوله: «ما أُراكِ» إثبات حرمة، بل هو قول على الظن بما قد كان الناس يعرفون بينهم ذلك[4] حرمة. فيجوز أن يرد[5] التقرير على ذلك أو يَرِدَ لهذه الحادثة الحرمةُ بالوحي، فتوقف في الجواب مع الإشارة لها بالامتناع من الزوج احتياطا لباب الحرمة. *والله أعلم*.

ثم إن بعض الفقهاء[6] ذكر الاختلاف بين السلف في حكم الظهار قبل نزول الآية. عن عكرمة أنه[7] قال: كانت النساء تُحَرَّم بالظهار حتى أنزل الله تعالى هذه الآية، وكان طلاقا قبل نزول الآية، فجعله الله تعالى بهذه الآية ظهارا.[8] وعن أبي قِلابة وغيره: كان طلاقهم في الجاهلية الإيلاء والظهارَ.[9] [فلما جاء الإسلام جعل الله في الظهار ما جعل فيه وجعل في الإيلاء ما جعل فيه. وعن الزهري كان طلاق أهل الجاهلية الظهار].[10] وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: إنما كان طلاق أهل[11] الجاهلية الظهارَ، ثم جَعل[ه] لهذه الأمة حرمة ترتفع[12] وتزول[13] بالكفارة التي أوجب. وعن الحسن أنه قال:[14] كان الظهار أشد الطلاق وأحرمَ الحرامِ، إذا ظاهر[15] من امرأته لم يرجع إليه أبدا.

---

[1] ن + يمكن التوفيق.
[2] ن – على ما كان أهل الجاهلية يرونه محرما وقال ما أراك إلا وقد حرمت عليه.
[3] ن: أتيه.
[4] ر م: لذلك.
[5] ر ث م: أن يراد.
[6] ن ث: لفقهاء.
[7] ن: أنها.
[8] *تفسير ابن كثير*، ٨/٦٣.
[9] *تفسير الطبري*، ٢٨/١٠.
[10] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٠١ظ.
[11] م: طلاقا لأهل.
[12] ن: ويرتفع.
[13] جميع النسخ: ويزول. والتصحيح من المرجع السابق.
[14] جميع النسخ – قال. والتصحيح من المرجع السابق.
[15] ن: إذا ظاهرا.

والأشبه أنه لا يكون طلاقا في الإسلام لو كان يكون في الجاهلية وأنه [لا] يكون موجبا حرمة لا ترتفع أبدا، كما قال الحسن فإنه ذَكَر في حديث خولة أن زوجها لما قال لها: "ما أُراكِ إلا وقد حُرمت علي، قالت: والله ما ذكرتَ لي طلاقا"، ولو كان الظهار طلاقا لَعَرَفْته. وكذلك لما أخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنه قال لي: أنتِ عليَّ كظهر أمي"، فقال عليه السلام: «ما أُراكِ[1] إلا وقد حُرمت عليه»، قالت: يا رسول الله! لا تقل ذاك ما ذكر طلاقا، ولم يَرُدَّ عليها اعتقادَها في أن الظهار طلاق. وكذلك ما روي في رواية أخرى في حديث طويل: جعلني عليه كظهر أمه ثم تركني إلى غير شيء، فهل من شيء يجمعني وإياه يا رسول الله؟ فقال عليه السلام: «أَطَلَّقَكِ؟» قالت: لا، قال: «ما أمرت في شأنك من شيء». ولو كان الظهار طلاقا بعد الإسلام قبل نزول هذه الآية[2] لما قال لها: «أَطَلَّقَكِ؟» بعد ما قالت: جعلني عليه كظهر أمه ولَمَا قال: «ما أمرت في شأنك من شيء» وحكم شريعته أنه طلاق مزيل للملك؛ دل أنه[3] الأشبه. هذا يقرر ما قلنا: إنه ذَكَر في حديث خولة وأوس أنه أول من ظاهر في الإسلام، فكيف يكون طلاقا؟

فإن قيل: أليس النبي صلى الله عليه وسلم قال:[4] «ما أُراكِ[5] إلا وقد حُرمتِ عليه»، والحرمة التي لا ترفع[6] النكاح بالظهار إنما ثبتت[7] بعد نزول الآية؛ والآيةُ نزلت بعد هذا القول في أوس بن الصامت، فدل أن مراده[8] تحريم الطلاق. فهذا يدل على[9] أن هذا الحكم كان ثابتا في شريعته قبل نزول آية الظهار بوحي غير متلوّ، وإن كان قبل ذلك في حكم الجاهلية. فكذلك ذلك الزوج قال للمرأة أيضا: ما أراك إلا وقد حرمت علي، دل على[10] أنه كان طلاقا قبل نزول الآية.

---

[1] ر ث م: ما أريك.
[2] ن: الآيات.
[3] ن: أن.
[4] ث – قال.
[5] ر م: ما أريك.
[6] ن: لا يرفع.
[7] ر ث م: إنما تثبت؛ ن: إنما ثبت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٢و.
[8] ن ث: أن مراد.
[9] ن – على.
[10] ن – على.

قيل:[1] هذا حجة عليكم، فإنه لو كان المراد بقوله[2] عليه السلام: «ما أراك[3] إلا وقد حرمت عليه» إثباتَ الحرمة[4] فيها بالظهار لكونه طلاقا فكيف يَحكم عليها بالحرمة بالظهار بعد حكمه بالطلاق بذلك القول بعينه في شخص بعينه؟ وقد صح في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا أوسا وأمره[5] بالكفارة وأبقى النكاح بينهما. ولو كان[6] ذلك طلاقا وأُثبت حكمُه إنما ينتسخ[7] بالآية حكمُه إلى حكمٍ آخرَ، فيظهر[8] ذلك في المستقبل لا في الماضي. فدل أن هذا حجة عليه، ولكن إنما قال: «ما أُراكِ[9] إلا وقد حُرمتِ عليه» للوجهين اللذين ذكرنا هما. ***والله أعلم***.

فإن قيل: إن[10] النبي صلى الله عليه وسلم لم يحكم بالطلاق في حقها مع أن الظهار كان طلاقا بطريق القطع، بل قال: «ما أراك[11] إلا وقد حرمت عليه» على طريق الظن، لأنه جائز أن يكون الله تعالى قد أعلمه أنه سينسخ[12] حكم هذا القول وينقله من الطلاق إلى تحريم المتعة، فلم يقطع القول فيه حتى نزلت الآية.

قيل: لو كان ذلك حكما ثابتا مقررا في شريعته، لم يمتنع النبي صلى الله عليه وسلم عن العمل به والحكم بذلك ما لم ينزل عليه الناسخ وإن أعلم[13] أنه سينسخ، لأنه يجب عليه العمل بما أُنزل عليه لقوله: وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ،[14] وقوله: بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ.[15] وإذا ورد الناسخ بخلافه يكون عمله في المستقبل لا فيما مضى. وإنما يستقيم هذا / على ما قلنا: [٧٨٥و]

[1] ر م – قيل.
[2] م: من قوله.
[3] ر ن م: ما أريك.
[4] ر م: للحرمة.
[5] جميع النسخ: وامرأته. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٢و.
[6] جميع النسخ: لو كان. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] جميع النسخ: إنما ينسخ. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ر ث م: فظهر.
[9] ر م: ما أريك.
[10] ن – إن.
[11] ر م: ما أريك.
[12] ن: سينتسخ؛ م: ينسخ.
[13] ن: فإن أعلم.
[14] ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك﴾ (سورة المائدة، ٤٩/٥).
[15] ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ (سورة المائدة، ٦٧/٥).

إن الظهار قبل نزول الآية لا حكم له في الإسلام، وكان محرّما[1] في الجاهلية. فمتى وُجد هذا السبب ووقعت هذه الحادثة أَمَرها[2] بالاجتناب عن الزوج احتياطا حتى تنزل[3] الآية فيَظهرَ[4] أن حكمه ما هو من حين وجوده؛ إذ يجوز[5] أن يريد الله تعالى بهذا هذا الحكم -وإن كان لا علم للمباشر به- إذا كان بحيث يمكنه الوصول إلى العلم به عند الحاجة إلى العمل به. والحكم كالنص الذي ورد مجملا في إيجاب حكم ثم ورد البيان متأخرا والنصِّ العام[6] الذي يتأخر بيانه على خلاف ظاهره، فعلى ذلك هذا. ***والله أعلم.***

ثم قوله عز وجل: **قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها**، أي سمع قولها ومجادلتها في زوجها ومجادلتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سؤالها إياه عما ابتُليتْ بقول زوجها لها: أنتِ عليّ كظهر أمي. المجادلة هي المخاصمة وهي المحاورة، وكان مجادلتها في زوجها أن قالت: والله ما ذكرتَ طلاقا، حين قال لها بعد ما قال لها: إن خرجتِ من الدار فأنتِ عليّ كظهر أمي، وخرجت: ما أُراكِ إلا وقد حرمت عليّ. وأما مجادلتها مع النبي صلى الله عليه وسلم ومحاورتها هي قولها: "لا تقل ذلك"، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أراك إلا وقد حرمت عليه» فهذه محاورتهما. ومن الناس من يقول: المحاورة هي المراجعة في الكلام، وهما يُرَدِّدَان الكلامَ ويراجعانه، ويكرِّرَانه؛ وهو ما ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم يكرر قوله: «ما أراك إلا وقد حرمت عليه» وهي تُرَدِّدُ وتُكَرِّرُ قولها: لا تقل ذلك يا رسول الله فإنه ما ذكر طلاقا، ولكن هذا قريب من الأول.*

وقوله عز وجل: **وتشتكي إلى الله**،[8] قيل فيه بوجهين. أحدهما أن تشتكي[9] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن الله أضاف إلى نفسه، لأن مرادها كان[10] أن تَنزل[11] آية من الله تعالى

[1] جميع النسخ: تحريما.
[2] ن ث: أمرهما.
[3] ر ن م: نزل؛ ث: ينزل.
[4] ن: فنزل.
[5] ر: أن يجوز؛ ث - إذ يجوز.
[6] م - العام.
* وقع هنا مقطع متأخرا عن موضعه فنقلناه إلى هنالك. انظر: ورقة ٧٨٥و/ سطر ١٣.
[8] جميع النسخ + والله يسمع تحاوركما. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٢ظ.
[9] ن: أن يشتكي.
[10] ر ن م - كان.
[11] ن: أن ينزل.

على رسوله بالفرَج عنها. والثاني أنَّ شكواها إلى الله تعالى وتضرعَها قد كان بحيث[1] لم تجد الفَرَجَ والمخرج في ما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أُراكِ إلا وقد حُرمتِ عليه» فاشتَكَتْ إلى الله تعالى ودعت وتضرعت حتى أنزل الله تعالى على رسوله الآية فيها، وجاءت الرخصة لها بالاجتماع بعد التكفير على ما ذكر في الخبر. *والله أعلم*.

ثم قوله[2] عز وجل: **والله يسمع تحاوركما**، أي سمع لها بما أجاب وأغاث بالفَرَج والمخرج عما اشتكت إليه، وسمع لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما أبان ما ظهر له من الحكم في الحادثة التي اشتبهت عليه، وأشكل وجهُ الحكم في ذلك. *وقال بعض أهل اللغة: **تَحَاوُرَكما**، أي كلامكما، والتحاور الكلام بين اثنين.*

ثم اختلفت الأخبار في أمرهما أيضا حيث دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بالآية التي نزلت في أمرهما. ذكر في حديث القُرَظِيِّ[4] لما نزلت الآية دعا زوجها أوسا فقال له: «أَعْتِق رقبة»، قال: ما عندي رقبة أُعتِقُها. قال: «فصم شهرين متتابعين»، قال: ما أستطيع يا رسول الله، إني لأصومُ[5] يوما واحدا فيَشُقّ عليَّ، فكيف صومُ[6] شهرين متتابعين؟ قال: «فأطعم ستين مسكينا»، قال: أما هذا فَنَعَمْ، قال: فأطعم ستين مسكينا فأمسكها.[7] وفي رواية أخرى ذكرها الكلبي: لما نزلت رخصتهما أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زوجها أوسِ بنِ الصامت، فأتاه، فقال: «وَيْحَكَ ما حملك على ما صنعت وقلت؟» قال: الشيطان يا رسول الله، فهل من رخصة تجمعني وإياها؟ قال: «نعم» وقرأ عليه هذه الآياتِ الأربعَ، وقال له: «هل تستطيع أن تُعتق رقبة؟» قال: لا، واللهِ يا رسول الله، إن المال لقليل وإن العيال لكثير[8] وإن الرقاب لغالية. قال: «فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟» قال: لا، والله يا رسول الله، لولا أني آكُل في اليوم مرة أو مرتين لَكَلَّ بصري، ولظننتُ أني سأموت. قال: «فهل تستطيع أن تطعم ستين مسكينا»؟ قال: لا، والله يا رسول الله، إلا أن تُعينَني بصدقة.

---

[1] ر ن ث: حيث.

[2] ر – ثم قوله.

* وقع ما بين النجمتين متقدما عن موضعه، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٧٨٥و/ سطر ١٣.

[4] ر ن م: القرطبي

[5] ن: إن أصوم.

[6] ن – صوم.

[7] ن: فأطعم ستين وأمسكها.

[8] ن: إن المال القليل وإن العيال الكثير.

فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسةَ عشرَ صاعا، وأخرج أوسٌ من عنده خمسة عشر صاعا فتصدق به[١] على ستين مسكينا فجمع الله بينه وبين أهله.[٢]

وذُكِرَ في خبر آخر أن رجلا كان ظاهر من امرأته وكان هو يصوم عنه، فواقع امرأته في وقت الصوم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك. فعابه[٣] رسول الله صلى الله عليه وسلم على فعله ثم أمره بأن يكفِّر بما وصفنا من الكفّارات، فقال كلَّ واحدة منها: لا أستطيع. قال: فأمره[٤] رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي موضع كذا إلى أبي زُرَيْقٍ، ويأخذَ منه وَسْقا من التمر فيعطيَ ستين مسكينا كلَّ مسكين صاعا، والباقي ينفقه على عياله. ذُكِرَ في الإطعام في خبر: لا أستطيع، وفي خبر أنه قال: أَمَا هذا فنعم. وفي حديث آخر: لا إلا أن تعينني بصدقة. فيشبه أن يكون هذا القول منه: "أما هذا فنعم" بعد ما وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإعانة[٥] أو بإعطاء الكل؛ فتخرج[٦] الأخبار على الوفاق. ***والله أعلم.***

وفي هذه الأخبار دليل على أن الكفارة إذا لزم فيها طعام، فمن الحنطة نصف صاع. وفيه دليل أن نصف صاع من الحنطة طعام مسكين وأنه يجوز من صدقة الفطر. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **إن الله سميع بصير**، أي سميع لمقالتكما، بصير في أمركما وفي الحكم فيكما.[٧]

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **الذين يظاهرون منكم من نسائهم**، قرئ يظَّهَّرون،[٨] مشددة الظاء بغير ألف، وهو في الأصل: / يتظهرون، فأدغمت التاء في الظاء وشُدّدت.[٩] وقرئ يَظَّاهَرون [٧٨٥ظ] بفتح الياء وتشديد الظاء بألف، وهو في الأصل: يتظاهرون[١٠] فأدغمت التاء في الظاء، وشددت.

---

[١] ر م: تصدق به.

[٢] انظر: *تفسير الطبري*، ٢٨/٥-٦؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٨/٧٢.

[٣] ن: فعاتبه.

[٤] ن: وأمره.

[٥] جميع النسخ: في الإعانة.

[٦] ن ث: فيخرج.

[٧] ر م - وقوله عز وجل إن الله سميع بصير أي سميع لمقالتكما بصير في أمركما وفي الحكم فيكما.

[٨] ن: يظهر.

[٩] ن ث + شددت؛ م - وشددت.

[١٠] ر م: يتظاهر.

وقرئ أيضا **يُظاهِرون** بضم الياء وتخفيف الظاء بألف من ظاهر يظاهر مظاهرة. والمعنى واحد فيما اختلف من قراءاتهم. يقال: ظاهر الرجل من امرأته، وتظاهر منها واظّاهر[1] واظَّهَر[2] وتَظَهَّر منها، بمعنى واحد، وهو أن يقول لها: أنتِ عليّ كظَهر أمي. وقال القُتَبِي:[3] **يظاهرون**، أي يُحَرِّمُون[4] تحريمَ ظهورِ الأمهاتِ،[5] وقال أبو عَوْسَجَة:[6] **يظاهرون**، هذه يمينٌ أن يقول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي. وأما يَظَّاهَرون من التظاهر، وهو التعاون. يقال: تظاهر القوم أي تعاونوا. ولكن هو خلاف ما تضمنته[7] الآية. ***والله أعلم***.

ثم الظهار كان عند ذلك القوم ظاهرا وهو ما رُوينا في الأخبار أن امرأة أوس لما همت أن تخرج من الدار قال لها: إن خرجت من الدار فأنت علي كظهر أمي. وكذلك هذه الدلالة في قوله: **الذين يظاهرون**، والظهار أُخِذ اسمه[8] من الظَّهْر. وكذلك فيما عرفه المسلمون فيما بينهم هذا اللفظَ، وهو قوله: أنتِ عليّ كظهر أمي. أما ظاهر الآية: [ف]يوجب أن يكون الظهار فيما يقول: أنتِ عليّ كأمي. وهو قوله: **ما هن أمهاتِهم إن أمهاتُهم إلا اللائي وَلَدْنَهم**، ذكر الأمهات، ولم يذكر ظهر الأمهات فصار ظاهر الآية يوجب هذا. وبهذا احتج محمد بن[9] الحسن لمذهبه فيمن قال لامرأته: أنتِ عليّ كأمي، قال: يكون ظهارا من غير نية. وأما أبو حنيفة رحمه الله فإنه قال: لا يكون مظاهرا إلا أن ينوي بذلك الحرمةَ، فإن نوى به كان. وذهب في ذلك إلى ما روي في الأخبار ذلك الحرف أعني قولَه: أنتِ عليّ كظهر أمي. وإنما نزلت الآية فيمن قال ذلك القول فلا يحل لنا أن نصرفه[10] إلى غيره إلا بدليل.

---

[1] جميع النسخ: وتظاهر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٣و.
[2] ر ث م – واظهر.
[3] هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبة الدِّينَوَري الكاتب اللغوي، سكن بغداد، وله مصنفات كثيرة جدا في أنواع العلوم، من كتبه *غريب القرآن*، و*مشكل القرآن*، يقال له القتبي نسبة إلى جده (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م). انظر: *تهذيب الأسماء واللغات* للنووي، ٢/٢٨١؛ و*سير أعلام النبلاء* للذهبي، ١٣/٢٩٦–٣٠٠.
[4] ر ن م: تحرمون.
[5] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٥٦.
[6] «هو أبو عوسجة توبة بن قتيبة الهُجَيمي النحويّ الأعرابي، دخل سمرقند وأقام بها، وكان يذهب مذهب أبي عبيدة معمر بن المثنى في باب الأدب، كان أستاذ الشيخ الإمام أبي منصور الماتُريدي في الأدب، روى عنه سَيحان بن الحسين بن حازم المؤدب من محلة أشتابديزة» (*القند في ذكر علماء سمرقند* لأحمد النسفي، ١١٥).
[7] ر م: ما تضمنه.
[8] ر: اسم.
[9] ن – محمد بن.
[10] ن: ولا يحل لنا أن يصرفه.

ثم قوله تعالى: **الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتِهم**، أي ما هن لهم كأمهاتهم؛ لأنه تعالى قال: **ما هن أمهاتهم**، على سبيل الرد لما أخبر عنهم بقوله: **الذين يظاهرون منكم من نسائهم**، أي قالوا لنسائهم: أنتنّ[1] علينا كظهور أمهاتنا. وقوله عز وجل: **ما هن أمهاتهم**، في الظاهر يكون[2] ردا لقول من قالوا لنسائهم: إنهن أمهاتنا. لا لمن قالوا: إنهن كأمهاتنا أو كظهور أمهاتنا؛[3] فيحتمل بذلك القول أن مراد الله تعالى بقوله: **ما هن أمهاتهم**، أي كأمهاتهم. ولكنَّ الإشكالَ أنه إذا صار تقدير الآية: ما هن كأمهاتهم[4] فما معنى قوله: **إنْ أمهاتُهم إلا اللائي ولدنهم**، لأنهم كانوا يدّعون التشبيه بالأمهات. والله تعالى نفى ما ادعوا من التشبيه[5] فما معنى لبيان حقيقة الأمهات وهي اللائي ولدنهم وهم يعرفون ذلك ولا ينكرونه ولا يدعون في نسائهم أنهن أمهاتهم حقيقة حتى يرُدّ عليهم[6] دعواهم بقوله: **إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم**.

وإشكال آخر: أنه قال: **وإنهم لَيقولون منكرا من القول وزورا**، وظاهر هذا القول منهم ليس بقول الزور ولا المنكر، إذ ليس في قولهم:[7] ظهركِ كظهر أمي، أو أنتِ علي كظهر أمي أو[8] كأمي إلا التشبيهَ، وهي لعلها كذلك،[9] فإنَّ ظهرها كظهر أمهات في الهيئة والخلقة، والتشبيه لا يقتضي العموم. فما معنى تسميتهم تشبيهَ المرأة بالأم منكرا وزورا.

وإشكال آخر أنه قد سمى الله تعالى غير الأمهات اللائي ولدنهم أمهاتٍ لهم، فإنه قال في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن: وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ،[10] وقال في النساء اللاتي يُرضعن أولاد الغير: وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ،[11] وإن لم يلدنهم.[12]

---

[1] ن: أنتن.

[2] م - يكون.

[3] ر - أو كظهور أمهاتنا.

[4] ن: كأمهاتهن.

[5] ن - بالأمهات والله تعالى نفى ما ادعوا من التشبيه.

[6] جميع النسخ: عليه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٣و.

[7] ن: في قلوبهم.

[8] ن - أنت علي كظهر أمي أو.

[9] ر ث - كذلك.

[10] ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم﴾ (سورة الأحزاب، ٦/٣٣).

[11] ﴿حُرمتْ عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم﴾ (سورة النساء، ٢٣/٤).

[12] ر: وإن لم يلدنهم.

فنقول وبالله التوفيق: إنهم كانوا يريدون أن يوجبوا في نسائهم حقوقا وأحكاما كانت في أمهاتهم لم يكن لهم إيجاب ذلك، فإنهم كانوا يشبهون النساء بالأمهات و لم يريدوا بذلك التشبيهَ من حيث الصورة أو الخلقةُ، ولكن يريدون بذلك التشبيهَ في الحرمة. وحرمة النساء في الأصل غير حرمة الأمهات؛ فإن الأم حرام الاستمتاع بها على التأبد،[1] لكن يباح للرجل أن يدخل على أمه ويخدمها ويسافر بها ويباح النظر والمس والإركاب والإنزال والخلوة بها والمُقام معها. والمرأة متى حرمت بالطلاق الثلاث أو بالبينونة[2] لا يثبت شيء من هذه الحقوق. والمشابهة بين الشيئين إن كان لا تقتضي[3] التساويَ بينهما من كل وجه ولكن تقتضي[4] المساواة[5] بينهما في وجه من الوجوه على الكمال. فإن الذات في الشاهد إذا قام به العلم يسمى عالما والله تعالى يسمى عالما، ولا يوجب التشبيه لانعدام التماثل بين العلمين والتساويَ من كل وجه، فلم يُعَدَّ تشابها. تعالى الله عن ذلك. فدل أن هؤلاء بتشبيههم[6] النساء بأمهاتهم أرادوا أن يجعلوا حرمة نسائهم كحرمة أمهاتهم، ويوجبون فيهن حقوقا وأحكاما كحقوقهن وأحكامهن،[7] حتى يباح لهم المعاملةُ مع نسائهم ما يباح مع أمهاتهم ويحرم ما يَحْرُم معهن ويكون احترامهن كاحترامهن. والله تعالى لم يجعل ذلك ونهاهم عن ذلك، فقال: **ما هن أمهاتِهم**، أي كأمهاتهم في هذه الحرمة التي يريدون إثباتها، وأنه[8] لم يجعل لنسائهم حرمة أمهاتهم. ثم قال: **إنْ أمهاتُهم إلا اللائي وَلَدْنَهم**، أي إن هذه الحرمة التي يريدون إثباتها فيهن إنما جعلنا لأمهاتهم اللائي ولدنهم. فما بالهم يخترعون من أنفسهم شيئا لم أجعله ولم أَشْرَعه،[9] فرد صنيعهم بهذا.

[٧٨٦ر] وعلى هذا يخرج / تأويل قوله تعالى: **وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا**، إنما كَذَّبَهم بما قالوا من إيجاب تلك[10] الحقوق والأحكام على أنفسهم في نسائهم من غير أن جعل الله تعالى ذلك،

[1] ر م: على التأبيد.
[2] م: أو البينونة.
[3] جميع النسخ: لا يقتضي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٣و.
[4] جميع النسخ: يقتضي.
[5] م: المساوات.
[6] م: تشبيههم.
[7] ن – وأحكامهن.
[8] ن: وإنها.
[9] ن: و لم أسرعه.
[10] جميع النسخ: ذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٣ظ.

أي[1] وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا في إيجاب الحقوق فيهن كما في الأمهات وتشبيههم إياهن بالأمهات في الأحكام والحقوق والحرمة، وإن كان كلامُهم وقولُهم من حيث ظاهرُ التشبيهِ ليس بمنكر ولا بزور. وهذا كقوله تعالى في وصف المنافقين: إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ.[2] وهؤلاء المنافقون فيما قالوا في الظاهر كانوا صَدَقَةً ولكن لما كان قصدهم غير ذلك وكان في قلوبهم إيجابُ شيءٍ غيرِ ما أظهروا سماهم كَذَبَة، فكذلك هؤلاء المظاهرون[3] لما أرادوا إيجاب حكم لم يُجعَل لهم ذلك سَمَّى قولَهم منكرا وزورا. والمنكر هو الذي لا يعرَف في الشريعة، والزور هو الكذب. فنهاهم الله تعالى عن ذلك.

وأما قولهم: إن الله تعالى قد سمى غير اللائي يلدنهم[4] أمهاتٍ من نساء[5] النبي عليه السلام والمُرضِعات. منهم من قال: جائز أن تكون[6] هذه الآية متقدمة على قوله: وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ،[7] ومن قوله: وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ،[8] فلم يكن في ذلك الوقت أمهات من رضاع ثم كانت من بعد؛ فيكون الإخبار بهذا مقيدا بذلك الوقت. وهو كقوله تعالى: قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ،[9] لم يجد في ذلك الوقت، ثم وجد من بعد ذلك غيره محرّما، فعلى ذلك هذا. وقيل: يحتمل أن يكون قال ذلك في قوم خاص وقبيلة خاصة لم يكن لهم أمهات من رضاع،[10] فيكون الإخبار بأن أمهاتهم ليست إلا اللائي ولدنهم صدقا. ولكن هذا تكلف، لأن قوله: **إنْ أمهاتُهم إلا اللائي ولدنهم**، أي إن هذه الحقوق والأحكام التي يوجبون ليست تثبت[11] إلا في الأمهات اللائي يَلِدْنَهم،[12] أو من كانت في معناهن وصِرْنَ أمثالهن شرعا بجعْل الله تعالى، كأزواج النبي صلى الله عليه وسلم والأمهاتِ بسبب الرضاع، والله تعالى لم يجعل لنسائهم تلك الحقوق

---

[1] ن – أي.
[2] سورة المنافقون، ١/٦٣.
[3] جميع النسخ: المظاهرين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٣ظ.
[4] ن: تلدنهم.
[5] ر – من نساء.
[6] ن: أن يكون.
[7] سورة النساء، ٢٣/٤.
[8] سورة الأحزاب، ٦/٣٣.
[9] سورة الأنعام، ١٤٥/٦.
[10] ر م: إرضاع.
[11] جميع النسخ: ليس يثبت. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] جميع النسخ: تلدنهم.

ولا ألحقهن بالأمهات، فيكون تشبيههن بهن في هذه الحقوق منكرا من القول وزورا. *والله أعلم*.
وقوله عز وجل: **وإن الله لعفو غفور**، [ظاهر].[1]

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[٣]

وقوله تعالى: **والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا**، اختلف في حكم الظهار ما هو؟ وفي تأويل العَود عن طاوس[2] قولان. في قول قال: **ثم يعودون لما قالوا**، [هو] الوطء، فإذا حنث فعليه الكفّارة. وهذا تأويل بعيد مخالف للنص؛ لأن الله تعالى يقول: **من قبل أن يتماسّا**، وإنما الذي ذهب إليه حكم الإيلاء أنه إذا وطئ تجب الكفارة. فأما في الظهار تجب الكفارة قبل الوطء. وفي قول:[3] إنه إذا تكلم بالظهار تجب[4] عليه الكفارة ولم يَشترط معه شيئا[5] آخر. وعن مالك أنه إذا ظاهر من امرأته ثم أجمع وعزم على إمساكها وإصابتها وحَنِث عليه الكفارة، حتى إذا طلقها أو ماتت المرأة بعد العزم على الإمساك والإصابة أو بعد الإصابة بقي[6] وجوب الكفارة عليه. وإن لم يُجْمِعْ[7] على إمساكها حتى ماتت تسقط[8] الكفارة. وكذلك إذا طلقها،[9] لكنه إذا تزوجها بعد ذلك لم يمسكها حتى يكفّر فيكون العود هو إمساكَها ليطأها. وعن الحسن أن العَوْد هو العزم على الجماع، حتى إذا عزم على جماعها تجب[10] الكفارة وإن أراد تركها بعد ذلك. وقال عثمان البَتّي[11] فيمن ظاهر من امرأته

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٠٣ظ.
[2] طاوس بن كيسان الخَوْلاني الهَمَداني، بالولاء، أبو عبد الرحمن: من أكابر التابعين، تفقهًا في الدين ورواية للحديث، وتقشفًا في العيش، وجرأة على وعظ الخلفاء والملوك. أصله من الفرس، ومولده ومنشأه في اليمن. توفي سنة ١٠٦هـ/٧٢٤م حاجا بالمزدلفة أو بمنى. (*الأعلام* للزركلي، ٣/٢٢٤).
[3] جميع النسخ: وفي قوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٣ظ.
[4] جميع النسخ: يجب.
[5] جميع النسخ: شيء.
[6] ن: نفي.
[7] م: وأن لا يجمع.
[8] جميع النسخ: يسقط. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ن: إذا طلق.
[10] ن: يجب.
[11] عثمان البتي الفقيه البصري. بياع البتوت. توفي في حدود المائة والأربعين. وروى له الأربعة. (*الوافي بالوفيات*. ١٩/٣١٠).

ثم طلقها قبل أن يطأها، قال: أَرَى عليه الكفّارة رَاجَعَها أو لم يراجعها، وإن ماتت لم يرتفع الظهار والكفارة ولا يَرث حتى يكفِّر. وقال الشافعي: العود هو الإمساك والكفارة تجب به.

وحكم الظهار هو تحريم المتعة، حتى إذا أمكنه أن يطلقها بعد الظهار و لم يطلق وأمسكها ساعة ليطأها فقد وجبت عليه الكفارة عاشت أو ماتت، وإذا عاشت طلقها أو لم يطلقها راجعها أو لا. وإذا طلقها عقيب الظهار بلا فصل يبطل الظهار ولا تجب[1] الكفارة بعزم إمساك المرأة. وقال بعض المتأخرين في تأويل قوله تعالى: **ثم يعودون لما قالوا**، أي ثم يعودون إلى القول الأول فيكررون ذلك القول. وعندهم لا يكون الرجل مظاهرا حتى يقول: أنت علي كظهر أمي، مرتين. وأما عندنا فحكم الظهار هو تحريم مؤقت بالكفارة ولا يرفعه[2] إلا الكفارة. وهكذا[3] روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: إذا قال: "أنت علي كظهر أمي" لم تحلَّ له حتى يكفّر. وعندنا لا تجب الكفارة بنفس الظهار، وإنما الظهار يوجب الحرمة لا غير، وإنما تجب بالعود حتى إنها إذا ماتت لا تجب عليه الكفارة[4] إذا ارتفع المعنى الذي يجب وهو استباحة الوطء. وكذلك إذا طلقها بائنا أو ثلاثا لا تجب[5] الكفارة لهذا. حتى إذا عادت إليه بالتزوج وأقدم على استباحة الوطء تجب الكفارة. وهو عند بعض[6] أصحابنا أن يجعل المرأةَ على الحالة الأولى ويحللها على نفسه على ما كان عليه ويستبيحَ وطأها. فإذا أراد أن يحللها على نفسه ويستبيحها ويُقدم عليه يجب عليه أن يكفّر. ولا تزول تلك الحرمة عندنا إلا بالكفارة، فالتكفير سبب[7] الحل. كذا ذكر القُمِّي[8] في تأويل قوله: **ثم يعودون لما قالوا**، أي يعودون / بفسخ ما قالوا ونقض ذلك. [٧٨٦ظ] واستدل بما ذكر عن الأصمعي[9] أن أعرابيا تكلم بين يديه بأنه كان يبني[10] بناء ثم يعود إليه،

---

[1] ن: ولا يجب.

[2] جميع النسخ: ولا يرفعها.

[3] ر م: هكذا.

[4] ن – وإنما تجب بالعود حتى إنها إذا ماتت لا تجب عليه الكفارة.

[5] ن: إذا طلقها ثانيا أو ثلاثا لا يجب.

[6] ر م – بعض.

[7] ن: بسبب.

[8] علي بن موسى بن داود القُمِّي أبو الحسن، الفقيه الحنفي، المتوفى سنة ٣٠٥هـ. (*الفهرست* لابن النديم، ٢٦٠؛ و*الكشف الظنون* لكاتب الجلبي، ١/٢٠؛ و*هدية العارفين* لإسماعيل باشا البغدادي، ١/٦٧٥).

[9] عبد الملك بن قُرَيب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي: راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. نسبته إلى جدّه أصمع. ومولده ووفاته في البصرة. توفي سنة ٢١٦هـ. (*الأعلام* للزركلي، ٤/١٦٢).

[10] ر م: شيء.

قال له[1] الأصمعي: ما أردت[2] به؟ فقال: أي أنقضه وأفسخه. فهذا يدل على أن المراد من قوله: **ثم يعودون**، أي يعودون إلى استحلال ما حَرَّموا وينقضون ذلك ويردون الحِلّ إلى الحالة الأولى. إلا أن ظاهره العود إلى القول، بقوله: **ثم يعودون لما قالوا**، ولكن أراد به المقول[3] به والثابت به[4] وهو الحرمة، كأنه قال: ثم يعودون لما حَرَموا بالقول فيستبيحونه. ويجوز أن يذكر الفعل ويراد به المفعول، كقوله عليه السلام: «العائِدُ في هِبَتِهِ[5] كالكلب يَعُودُ في قَيْئِهِ»،[6] وإنما هو عائد في الموهوب؛ وقال الله تعالى: وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ،[7] أي الموقَنُ به. ***والله أعلم***.

فإن قيل: العَود الذي تجب به[8] الكفارة هو العزم على استباحة الوطء والقصدُ على تحليلها على نفسه وإعادةُ الحل إلى الحالة الأولى، أم الإقدام على الوطء، أو مباشرة نفس الوطء؟ فإن كان المراد هو الأولَ يجب أن يقولوا بوجوب[9] الكفارة بنفس العزم على الاستباحة والتحليل، كما قال مالك رحمه الله والحسن. وإن كان المراد إيقاع الوطء يجب أن يقولوا: إنه لا تجب الكفارة إلا بعد الوطء كما قاله قوم، وهو خلاف الآية وخلاف قولكم.

قيل: يعني بذلك هو الإقدام على استباحة الوطء والاشتغالَ بإقامته فيقدِّم التكفير ثم يفعله، أما لا يجب بمجرد العزم ولا بعد تحقق الفعل، وهذا لأنه إذا ظاهر حَرُمت المرأة عليه بسبب فعله [ف]يجب عليه توفير[10] حقها في الجماع إن كانت بكرا في الحكم حتى يُجبَر عليه.[11] وإن كانت ثيبا وقد وطئها مرة يجب عليه فيما بينه وبين الله تعالى إيصالُ ذلك إليها. وعند بعض أصحابنا يجبر في الحكم أيضا على ذلك، فإذا أقدم على ذلك يجب عليه تحصيل الكفارة ليتوسل إلى إقامة ذلك الواجب عليه من الجماع؛ إذ لا يحل ذلك بدون الكفارة. وهذا كالوضوء في باب الصلاة، ليس بفرض مقصود بنفسه لكن يجب لإقامة الصلاة؛

---

[1] ن + قال له.
[2] ر: أرت.
[3] ر: المنقول؛ م: القول
[4] ر م – به
[5] ر: في فيئه.
[6] مسند *أحمد* بن حنبل، ١/٢١٧؛ وصحيح *البخاري*، الهبة ١٣، الجهاد والسير ١٣٧.
[7] سورة الحجر، ٩٩/١٥.
[8] ر م – به؛ ن: يجب به.
[9] ر م: يوجب.
[10] ر: توقير.
[11] ر ث م + وهذا.

إذ لا تجوز[١] الصلاة بدون الطهارة، فإذا أقدم على الصلاة يجب عليه تحصيل الوضوء ليتمكن من أداء ما عليه[٢] ولا يجب بنفس الإرادة ولا يجب بنفس الحدث؛ حتى لا يجب الوضوء ما لم يدخل وقت الصلاة ويَقُمْ[٣] إليها. وكذلك المرأة إذا حاضت بعد الوقت حتى سقط عنها الصلاة يسقط الوضوء. فعلى ذلك هذا يجب عند الإقدام على إقامة هذا الواجب وهو الوطء، والظهار شرط. ولهذا إذا ماتت المرأة[٤] تسقط الكفارة لانعدام ما هو المقصود بالإقامة وهو الوطء. وكذلك إذا طلقها ثلاثا أو بائنا،[٥] لكن إذا عادت إليه تلزم[٦] الكفارة إذا أقدم على الوطء، ولم يَبطل الظهار لاحتمال حصول الغرض. ***والله أعلم.***

ويحتمل وجها آخر وهو[٧] قوله تعالى: **والذين يظاهرون من نسائهم،** الآية،[٨] هذا خبر عن ظهار القوم الذين كانوا يظاهرون في جاهليتهم، أي ظاهروا في ذلك الوقت ثم يعودون لما قالوا، أي لو قالوا ذلك القول بعد إسلامهم فعليهم ما ذكر، إذ الظهار[٩] كان ظاهرا في الجاهلية، من عاد[١٠] إلى ذلك القول ورجع إليه وقت إسلامه فعليه ما ذكر. وهو كقوله تعالى: وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللّٰهُ مِنْهُ.[١١] فهذا يرجع إلى فعل ذلك مرة وإلى استحلال[١٢] ما حرم الله ثانيا، فإن عاد[١٣] إلى الفعل الأول لا من وجه الاستحلال فينتقم الله منه بالغرامة عليه، وإن عاد إلى الاستحلال[١٤] فينتقم الله منه بالعذاب. وكذلك مثل هذا في آية الربا حيث قال: فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّٰهِ وَمَنْ عَادَ،[١٥] أي عاد إلى ما كان يفعله قبل الإسلام.

---

[١] ن: لا يجوز.

[٢] ث – فإذا أقدم على الصلاة يجب عليه تحصيل الوضوء ليتمكن من أداء ما عليه

[٣] جميع النسخ: ويقوم.

[٤] ن ث م – المرأة.

[٥] ن: أو ثانيا.

[٦] ن: يلزمه.

[٧] ن + أن.

[٨] ن – الآية.

[٩] ث: إن الظهار.

[١٠] ر م: عادت.

[١١] ﴿عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه﴾ (سورة المائدة، ٥/٩٥).

[١٢] ر: إلى استحلال.

[١٣] ر ث م: وإن عاد.

[١٤] ر ث م: استحلال.

[١٥] ﴿... فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٧٥).

فكذلك هذا العَوْد إلى الظهار، على هذا التقرير يخرج تأويل الآية عندنا. وهو كقوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ،[1] أي كانوا يتناجون في الجاهلية فنهاهم الله تعالى عن العَود إلى ما كانوا عليه. فعلى ذلك يحتمل هذا. **والله أعلم**.

لكن على هذا التأويل [كون][2] الإقدام على الوطء سببا لوجوب الكفارة لم يثبت بهذا النص، إنما فيه أن الظهار يوجب تحريما مؤقتا بالكفارة، وكذلك الأحاديث التي ذكرنا أن النبي صلى الله عليه وسلم: أمر أَوْسًا بالكفارة حين ظاهر من زوجته.[3] وإنما يُعرَف من حيث الدلالةُ؛ فإنه لما كان التحريم مؤقتا بالكفارة وتكون رافعة له فإنما يجب الرافعُ بالإقدام عليه لا بسبب سابق موجب للتحريم، لأن رافع الحرمة لا يجب بما يوجب الحرمة كما ذكرنا في الوضوء أنه لا يجب بالحدث[4] الذي هو رافع للطهارة، ولكن لما وجب على المكلف الصلاةُ بالطهارة يجب[5] عليه الوضوء بالإقدام على الصلاة التي لا تجوز[6] بدونه، فكذلك هذا. **والله أعلم**.

وقول من جعل العود هو العزمَ على إمساك النكاح والبقاءِ عليه فاسد، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أوجب الكفّارة على أوس بن الصامت حين ظاهر من زوجته[7] ولم يسأله الإمساك والبقاء على النكاح. ولأن تفسير العود بالإمساك / لا يستقيم، لأنه لم يُعرَف في الأصل إمساك [٧٨٧و] المرأة عودا عليها ولا إمساك شيء من الأشياء يُتكلم فيه[8] بالعود إليه، فيكون هذا خلاف اللغة؛ ولما ذكرنا أن العود[9] إلى الشيء هو الرجوع إلى ما كان عليه فيقتضي انعدامه وزوالَه حتى يتحققَ العود، إذ العود[10] هو وجودٌ ثانٍ.[11] وهذا إنما يتحقق فيما قلنا من الحل[12] لأنه قد تبدل[13] بالحرمة.

[1] الآية ٧ من هذه السورة.
[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٠٤ظ.
[3] جميع النسخ: من زوجها.
[4] ر ث م: ما يحدث.
[5] ر ث م: ويجب.
[6] ن: لا يجوز.
[7] ر ن م: زوجها.
[8] ر ث م - فيه.
[9] ر م - أن العود.
[10] ن م - إذ العود.
[11] ن ث: ثاني.
[12] جميع النسخ: من الجزاء. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] جميع النسخ: قد يبدل. والتصحيح من المرجع السابق.

فأما العقد [فهو] قائم لم يزل بالظهار فكيف يعود إلى العقد؟ فلا يكون البقاء على العقد وإمساك المرأة بالنكاح عودا. ولأن الله تعالى قال: **ثم يعودون، وثم**، يقتضي[١] التراخي، ومن جعل العود هو الإمساكَ والبقاء على النكاح فقد جعله عائدا عقيب القول بلا تراخ وذلك خلاف ظاهر الآية.

وقول من جعل العود هو العزيمةَ على الوطء لا معنى له، لأن موجب الظهار هو تحريم الوطء لا تحريم العزم على الوطء وإن كان العزيمة على المحظور محظورة لكونه وسيلة إلى المحظور، فيكون العود هو الرجوعَ إلى ما يفوت به[٢] مقصودا[٣] لا وسيلة على حسب[٤] الأول؛ ولأنه لا حظَّ للعزيمة في حق تعلق الأحكام في سائر الأصول. ألا ترى أن سائر العقود والتحريم لا يتعلق بالعزيمة، فلا اعتبار بها. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى عفا عن أمتي ما حدَّثت به نفسها ما لم يتكلموا به أو يعملوا».[٥]

وقول من جعل العود هو[٦] تكرارَ القولِ الأول فاسد أيضا وإن كان ظاهر اللفظ يحتمله[٧] وهو العود إلى القول الأول، لأنه خلاف الإجماع وخلاف أصول[٨] الشرع. أما خلاف الإجماع فإن السلف والخلف أجمعوا أن هذا ليس بمراد عن الآية،[٩] فيكون قائله خارجا عن الإجماع. وأما مخالفة الأصول فلأن الحل[١٠] والحرمة إنما تعلق وجوبهما بابتداء القول لا بتكراره[١١] في جميع الأصول من البِيَاعات والنكاح والطلاق والعتاق والإجارات. فلما كان الأصل هذا في سائر الأسباب والمَظاهر موجبا[١٢] للحرمة بقوله دل أن الموجب هو القول الأولُ دون الثاني، فيكون تعليق الحرمة بتكرار السبب[١٣] الموجب مخالفة لسائر الأصول. وبهذا يبطل قول الشافعي

---

[١] ن ث: تقتضي.
[٢] ر م: يقوى به؛ ث: تقوي به.
[٣] ن – مقصودا.
[٤] ر ث م: إلى حسب.
[٥] ر م: ويعملوا. صحيح *البخاري*، الطلاق ١١؛ وسنن *النسائي*، الطلاق ٢٢.
[٦] ر م – هو.
[٧] ر م: يحتمل.
[٨] م: الأصول.
[٩] ر م: الأئمة.
[١٠] ن: الحرمة.
[١١] ر م: القول بتكراره.
[١٢] ر ن م: والمظاهر موجب؛ ث: والظاهر موجب.
[١٣] ر م – السبب.

في أنه يُعلّق[1] الحرمة بتكرار الرَّضَعات لا برَضْعة واحدة. *والله أعلم*. ولأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالكفارة في حق أوس و لم يسأله عن تكرار القول، ولما لم يسأل دل أن الحكم[2] غير متعلق بالتكرار. وما قاله[3] الشافعي: إنه إذا طلقها بعد الظهار بلا فصل فلا كفارة عليه، وإن لبث ساعة ثم طلقها كفّر راجعها أو لم يراجعها أو ماتت قولٌ تَفرَّد به؛ لأن طاوسا أوجب عليه الكفارة طلقها أو أمسكها، وسائر[4] التابعين قالوا: إن ماتت أو طلقها و لم يراجعها فلا كفارة عليه. ولم يَفصِلوا بين أن يطلقها على إثر الظهار[5] بلا فصل أو بعد ذلك بساعة. فيكون الشافعي بهذا القول مخالفا للسلف فلا يعتبر. *والله أعلم*.

ثم قوله[6] عز وجل: **فتحريرُ رقبةٍ من قبل أن يَتماسَّا**، ظاهره يقتضي أن يكون الوطء محظورا عليه قبل الكفارة؛ لأنه جعل الحرمة مؤقتة بالكفارة وإذا وَطِئَ يسقط الظهار والكفارة؛ لأن[7] كل ما تعلق بشرط أو توقَّت بوقت[8] فمتى فات[9] الوقت أو عُدم الشرط لم يجب لذلك النص واحتيج[10] إلى دلالة أخرى في إيجاب مثله في الوقت الثاني، إلا أنه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا ظاهر من امرأته فوطئها ثم سأل النبي صلى الله عليه وسلم[11] فقال له: «استغفر الله ولا تَعُدْ حتى تُكفّر».[12] فصار التحريم الذي بعد الوطء عرفناه بالسنة. *والله أعلم*.

ثم قوله:[13] **فتحرير رقبة**، يرجع إلى وجهين:[14] مرة إلى اسم الرقبة ومرةً بما يستحق حكم الرقبة. فإن كان المراد من ذكر الرقبة اسمَ الرقبة نفسِها فيجيء أن يجوز كل ما يقع عليه

---

[1] جميع النسخ: تعلق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٥و.
[2] ر: أن يحكم.
[3] ر م: وماله.
[4] م: أو سائر.
[5] جميع النسخ: على إثر الطلاق. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ر ث م: وقوله.
[7] ر: لأنه.
[8] ن: أو بوقت.
[9] ر م: فاتت.
[10] ر م: واحتج.
[11] ن + ثم.
[12] ن: حتى يكفر. *سنن ابن ماجة*، الطلاق ٢٦؛ و*سنن الترمذي*، الطلاق ١٩.
[13] ر م: وقوله.
[14] م + أحدهما.

اسم الرقبة صغيرا كان أو كبيرا كافرا [كان][1] أو مسلما، مقطوع اليدين كان أو مقطوع[2] الرجلين أو أعمى أو كيف ما كان. وبِشْرُ المَرِيسِيُّ[3] يذهب إلى هذا ويخير كيف ما كانت الرقبة. وإن كان[4] المراد من ذكر الرقبة ما يستحق حكم الرقبة فيجيء أن لا يجوز إعتاق رقبة فيها أدنى[5] نقصان، إذ الأصل في العبيد والإماء أن النقصان[6] فيما دون النفس يوجب نقصانا في كل النفس، فيجيء أن لا يجوز، إذ يصير معتِقا بعض الرقبة لا كلّها. ثم الدليل على أن النقصان الحالّ فيما دون النفس في الرِّقاب جعِل كالنقصان الحال في النفس أنَّ العبد إذا قُطعت يده أو فقئت[7] عينه يشترى بنصف ما كان يُشْتَرى وقت الصحة.[8] فصار النقصان فيما دون النفس كتلف نصف القيمة على العبد، وإن لم يكن ذلك من نفسه النصفَ. فيجيء على هذا أن لا يجوز إذا كان فيه أدنى النقصان، إذ الحكم فيما دون النفس في العبيد حكم الأنفس وحكم الجناية عليهم محمول على حكم كمال النفس. لكنْ هذان التأويلان في الآية لا يصحان. وأما الجواب عن الفصل الثاني [فهو] أن النقصان الحالّ[9] في بعض الرقبة كالحالّ في كلها، [و]أن ذلك النقصان يرتفع بالعتق وإن كان وقت قيام الرق بحكم النقصان لما يصير رقبته[10] له بحكم الكمال بالعتق، إذ[11] صار هو منتفعا بالعتق، إذ بالعتق جُبِر النقصان الذي كان به، فيَسْلم له الرقبة كاملة من حيث المعنى، فيجوز كما إذا أعتق الرقبة السليمة.

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٠٥و.

[2] ر م – اليدين كان أو مقطوع.

[3] أبو عبد الرحمن بشر بن غياث بن أبي كَريمة عبد الرحمن المريسي العدَوي بالولاء: فقيه معتزلي عارف بالفلسفة، يرمى بالزندقة. وهو رأس الطائفة "المريسية" القائلة بالإرجاء، وإليه نسبتها. أخذ الفقه عن القاضي أبي يوسف، وقال برأي الجهمية، وأوذي في دولة هارون الرشيد. وكان جده مولى لزيد بن الخطاب. وقيل: كان أبوه يهوديا. وهو من أهل بغداد ينسب إلى "درب المريس" فيها. توفي سنة ٢١٨هـ/٨٣٣م. له تصانيف (*الأعلام* للزركلي، ٥٥/٢).

[4] ن: وإن كانت.

[5] ر: أوفى.

[6] ر م – أن النقصان.

[7] ر: إذ فقئت.

[8] ر م: القيمة.

[9] ر: الحل.

[10] ر م: رقبة.

[11] ر م: إذا.

[٧٨٧ظ] / والدليل عليه أنه[١] لو جُني عليه بعد ما عُتق لم يَنقُص من ديته شيء، وإن كان ذلك النقصان في نفسه وقت العبودة[٢] والرق. وثبت بهذا[٣] أنه في حق نفسه كامل النفس وإنما كان ذلك النقص فيه لحق المولى في قيمته وقت العبودة، إذ هو لو كان منقوصا في حق نفسه لا يرتفع[٤] عنه ذلك النقصان أبدا، فلما ارتفع النقصان في حكم الرقبة دل أن[٥] اعتاقه جائز.

والأصل فيما أوجب الله تعالى من هذه الكفارة إنما أوجب ليكفّر بها ما ارتكب من المآثم ولِمَا ارتكب من الشهوات[٦] التي حُظِر عليه ارتكابُها ليتألّم بهذه الكفارة ليكون زجرا عن العود إليها. فَبِنَا أن ننظر[٧] في هذه الكفارة، فإن كفّر بشيء لا يتألم به نفسه ولا يَفجع عندها فلا يجوز ذلك عن الكفارة، وإن كان بالذي[٨] يُفجعه[٩] ويؤلمه يجوز. ثم ما يصل إليه من الألم في إعتاقه وجهان. أحدهما[١٠] أنه إذا تأمل[١١] ذهاب منافع ذلك المملوك عنه بما كان هو يَصلُح لخدمته يتألم بذلك ويَفجع. والثاني لِمَا يأمُل[١٢] منه النفعَ في العاقبة وإن لم يكن للحال ينتفع به فيتألم أيضا بذهاب تلك المنفعة المؤمّلة.[١٣] فكل من كان بسبيلٍ[١٤] مِن هذين الوجهين جاز عتقه عن الكفارة وإلا فلا. ***والله أعلم***.[١٥]

ثم لا يجوز إعتاق الأعمى والمُقْعَد ومقطوع اليدين ونحو ذلك عن الكفارة. ويُخرّج على الكلامَين. أما على الأول [ف]أنه وإن ارتفع النقص الحاصل في نفسه بسبب[١٦] العبودة عند وجود الإعتاق

---

[١] ث م: إذ.
[٢] ن ث م: العبودية.
[٣] ن: لهذا.
[٤] ر ث م: لارتفع.
[٥] م: إذا.
[٦] ر ث م: ولما ارتكب الشهوات.
[٧] جميع النسخ: أن ينظر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٥ظ.
[٨] ن: الذي.
[٩] جميع النسخ: يلحقه. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ن – أحدهما.
[١١] ر: إذا تألم.
[١٢] ر ث م: وتفجع والثاني لما تأمل.
[١٣] ر م: المؤلمة.
[١٤] ر ث م: يسأل.
[١٥] ن – والله أعلم.
[١٦] رث م: سبب.

فإنما لا يجوز لا للنقصان ولكن لأنه يصير معتِقا ببدل،[١] والإعتاق ببدل لا يجوز عن الكفارة وإن كانت الرقبة بصفة الكمال. ومعنى قولنا: إنه يصير معتِقا ببدل أنه ما دام في ملكه على تلك الحال فإن مئونته تلحقه[٢] وبالإعتاق يسقط مئونته عن نفسه وتلحق تلك المئونة[٣] المسلمين، فلم يجز[٤] عن الكفارة لهذا. وأما على الثاني فلا يلزم على الوجهين جميعا. أما على الأول فلأنه لا يَفجع ولا يتألم نفسه بإعتاق مثله لما ليس له منفعة الخدمة ليتألم بفوتها، وعلى الثاني لما ليس له منفعة تؤمل[٥] في المآل فيتألمَ بذلك أيضا. ولا يُلزم الصغيرُ على هذا العذر أنه ليس له منفعة الخدمة ونفقته[٦] عليه أيضا، ومع ذلك يجوز إعتاقه عن التكفير. لأنا نقول: إنه إنما ينفق على الصغير لما يأمل[٧] منفعته في العاقبة، والناس إنما يُرَبّون الصغار والصغائر وينفقون عليهم لينتفعوا بأثمانها[٨] وأعيانها[٩] في العواقب؛ فلم يصر عتقه عن هذا الوجه ببدل، والتألم في عتقه موجود حسب[١٠] ما كان في الكبير أو أكثر. والأعورُ ومقطوع إحدى اليدين وإحدى الرجلين يجوز عن الكفارة؛[١١] فإنه قد يمكنه[١٢] الاكتساب فيتألم مَولاه بإعتاقه لما فيه ذهاب[١٣] منفعته، فيصلح أن يكون كفارة لما ارتكب من الشهوة ولما وصفنا من جبر ذلك النقصان وارتفاعه بالعتق. *والله أعلم.*

وذكر عن الشافعي أنه لا يجيز عتق الرقبة الكافرة عن الكفارة واحتج بما ذكر الله تعالى في كفارة القتل الرقبة المؤمنة[١٤] فكذلك في كفارة الظهار، إذ هما كفارتان.

---

[١] ن: ببدك.

[٢] ن: يلقه.

[٣] ن: مؤنة.

[٤] ر ث م: فلم تجز.

[٥] ر ث م: يؤمل؛ ن: فيؤمل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٥ظ.

[٦] ر ن ث: وتعقبه.

[٧] ر ث م: لما تؤمل.

[٨] جميع النسخ: بإيمانها. والتصحيح من المرجع السابق.

[٩] ر م: وإعتاقها.

[١٠] ر م: وحسب.

[١١] ن – عن الكفارة.

[١٢] ر م: فإنه يمكنه.

[١٣] ن + ذهاب.

[١٤] يقول الله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطئا ومن قتل مؤمنا خطئا فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يَصَّدَّقُوا ...﴾ (سورة النساء، ٤/٩٢).

ولكن نحن نقول: هذا على أصل مذهبه خطأ، لأن مذهبه العمومُ، [ولفظة الرقبة][1] تعم[2] كل رقبة في دار الدنيا. والأصل في ذلك عندنا أن الله تعالى لم يذكر في كفارة الظهار الرقبة المؤمنة فلا يجوز أن يُوجَب ما ذكره في كفارة القتل هاهنا. والدليل عليه أنه ذَكَر في تلك الآية الأشياء وهو قوله تعالى: وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ [إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا]،[3] فذكر الدية؛ ثم ذكرُ الدية في آية القتل لم يوجِب على الْمُظاهِر[4] إذ ترك[5] ذكرها في آية الظهار، فكذلك ذكر الإيمان واشتراطه في كفارة القتل لا يكون كالمذكور في آية الظهار،[6] ومثله في القرآن كثير. وأيضا إن أحق ما يجوز في الكفارة إعتاق الرقبة الكافرة وذلك لما أن المسلم قد يتألم بإعتاق الرقبة الكافرة بما لا يتألم[7] بإعتاق المسلمة، لما يأبى[8] طبعه الإحسان إلى الكافر ولا يأبى[9] بمثله[10] إلى المسلم. وقد وصفنا أن الكفارة للتألم بإخراج ما أُمر بإخراجه عن ملكه. مع ما في القرآن دليل على جواز اصطناع المعروف إليهم، وهو قوله تعالى: إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ، لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ، ثم قال أيضا بعد ذلك: وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ.[11] وذكر في القصة أن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا قد امتنعوا عن الإنفاق على أقربائهم لما أبوا الإسلام، فنزلت فيهم[12] هذه الآية.[13] فهذا يبين ذلك[14] أن في الاصطناع إليهم وإعتاقهم[15] تكفيرا.[16]

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٠٥ظ.

[2] جميع النسخ: يعم. والتصحيح من المرجع السابق.

[3] سورة النساء، ٩٢/٤.

[4] ر: علي الظاهر؛ م: على الظهار.

[5] جميع النسخ: إذا ترك. والتصحيح من المرجع السابق.

[6] ر ث م – فكذلك ذكر الإيمان واشتراطه في كفارة القتل لا يكون كالمذكور في آية الظهار.

[7] ن ث: ما لا يتألم.

[8] ر: يأتي.

[9] ر: ولا يتأتى.

[10] ن م: إلى الكافرة ولا يأبى لمثله.

[11] سورة البقرة، ٢٧١/٢-٢٧٢.

[12] ر م – فيهم.

[13] *تفسير الطبري*، ١٣٠/٣-١٣١؛ و*بحر العلوم* للسمرقندي، ٢٣٣/١.

[14] ر ن ث: تبين ذلك؛ م: يبين ذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٦و.

[15] ر م + تكون؛ ن ث + يكون.

[16] ن: إعتاقا.

ثم قوله عز وجل: **من قبل أن يتماسا**، فتأويله عند أبي حنيفة رحمه الله: أي عتقا لا مَسِيسَ فيه، لأن عنده الإعتاق يحتمل التجَزّئَ فيحتمل[١] أنه يُعتق نصفه ثم النصف الآخر، فيُشترط أن يعتق النصفين جميعا قبل المسيس، حتى لو مسها فيما بين ذلك يلزمه استئناف العتق.

﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٤]

وعلى هذا التأويل[٢] قوله: **فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا**، أي صومُ شهرين لا مسيس فيه، حتى لو واقعها في وقت لم يتمَّ صومُ شهرين بعدُ يلزمه الاستئناف، وكان معناه لا مسيس في خلال الكفارة. فمتى وُجد المسيس في وقت لم تتم[٣] الكفارة بعدُ يلزمه الاستئناف.

وتأويل قوله: **من قبل أن يتماسا**، عند أبي يوسف رحمه الله: أي يعتق قبل وقت المسيس ويصوم كذلك، ويقول بأن الآية خرجت لبيان وقت التكفير فيه، حتى إذا جامع امرأته في صوم الظهار / [ف]إنه لا يستأنف الصوم بل يصوم الباقي، إذ قد فات عن وقته فصار قاضيا عما عليه. [٧٨٨و] وليس بعد الجماع وقت لذلك الصوم بل يكون ذلك على القضاء، فيجوز متفرقا ومتتابعا، كصوم شهر[٤] رمضان لَمّا تعين له وقت الأداء ثم فات الوقت لا يجب متتابعا بل يجوز متفرقا، كذا هذا. ولا يتصور المسألة في الإعتاق[٥] لأنه لا يتجزأ عنده. ولا خلاف أنه إذا جامع بعد ما أطعم ثلاثين مسكينا أنه لا يلزمه استئناف الطعام، ولا خلاف أنه إذا جامع قبل الكفارة لا يلزمه شيء سوى التوبة والاستغفار في قول عامة الفقهاء. وعند بعضهم تلزمه[٦] كفارتان -لأبي يوسف رحمه الله ما ذكرنا- ولأنه قد أدى[٧] بعضها في الوقت، [وأداء العبادة المؤقتة بعضِها في الوقت][٨] وبعضِها في غير الوقت أولى من أداء الكل بعد الوقت، ولهذا المعنى في الطعام كذلك.

---

[١] ر م - فيحتمل.
[٢] ن ث: تأويل.
[٣] جميع النسخ: لم يتم.
[٤] ر ن م: شهور.
[٥] ن ث + عنده.
[٦] جميع النسخ: يلزمه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٦و.
[٧] ر ث م: قد رأى.
[٨] الزيادة من المرجع السابق.

ولأبي حنيفة رحمه الله أن الظهار ليس يوجب الكفارة، ولكن يوجب حرمة لا ترتفع[1] إلا بالكفارة. ولا يؤمر هو بالكفارة مقصودا، لكن[2] إذا أراد الاستمتاع بها يقال له: ليس لك ذلك إلا بالكفارة. فإذا كان كذلك، فإذا أدى بعضها ثم ماسّها ثم أدى البقية لم يصر ما أدى بعد المماسّة قضاء عن[3] الوقت الذي قبل المماسة.[4] فإذا لم يصر قضاء عن ذلك جُعل النص[5] إنما جاء في هذه الحالة: أن حرّروا رقبة[6] قبل أن تُماسّوا، ثانيا صوموا[7] شهرين متتابعين إذا أردتم العود إليها. ولذلك قال عليه السلام للمظاهر الذي جامع امرأته: «استغفر الله ولا تعد حتى تكفر».[8] لكن يدخل على هذا أمر الطعام أنه إذا أطعم بعض الطعام ثم ماسّها لم يلزمه الاستقبال. والعبارة التي ذكرناها توجب[9] الاستئناف. لكن يُستحسن في الطعام لأن الطعام وقع في الأصل متفرقا؛ إذ لو أطعم بعضه للحال وبعضه بعد سنة فإنه جائز من ذي الجهة. لكن يَدخل عليه الإعتاق عند أبي حنيفة رحمه الله فإنه إذا أعتق بعضه للحال وبعضه بعد سنة يجوز أيضا، ومع ذلك إذا وجد المسيس فيما بين ذلك يلزمه الاستئناف. وما ذهب إليه أبو يوسف رحمه الله من حمل الآية على بيان الوقت لا يصح؛[10] لأنا لو حملنا تأويل الآية على الوقت نفسه[11] لكان[12] لا فائدة تقع[13] في الآية، لأن معرفة وقت ذلك ثابتة بدلالة العقل. وذلك أنا[14] قد علمنا إيجاب الحرمة بالظهار وعلمنا أن تلك الحرمة لا ترتفع[15] بالكفارة فصار وقت الحل بذكر الحرمة معلوما.

---

[1] ن: لا يرتفع.
[2] ر م: ولكن.
[3] ر ث م: فضاعف.
[4] ر م: الماسة.
[5] جميع النسخ: كالنص.
[6] ن: قيل.
[7] جميع النسخ: وصوموا.
[8] *سنن ابن ماجة*، الطلاق ٢٦؛ و*سنن الترمذي*، الطلاق ١٩.
[9] ن: يوجب.
[10] ر: لا تصح.
[11] جميع النسخ: نفسها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٦و.
[12] ر م – لكان؛ ث + تأويل الآية.
[13] ن: يقع؛ ث: يصح.
[14] ر ث م: أن.
[15] ن: لا يرتفع.

وكذلك[1] هذا في جميع الحرمات من الطلاق وغيره أنه لا يرتفع إلا بسبب رَفْعِه. فلو حمل تأويل الآية على بيان الوقت لم يفد[2] شيئا، ولو حمل على بيان إخلاء الكفارة عن المسيس وعلى نفي المسيس في خلال الكفارة يفيد فائدة جديدة، فيكون هذا التأويل أحق وأولى.

ثم في الآية دلالة بأنْ ليس ذلك على بيان الوقت وهو قوله تعالى: **فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا**، ثم ذَكَر في العتق والصوم ترك المماسة و لم يذكر ذلك في الإطعام، ولو كان ذلك على جعل الوقت له لكان يذكر فيه المماسة، إذ الكفارة إذا كانت عن شيء واحد لا يختلف فيه أوقاتها بل يكون وقتها واحدا. ولا يقال: إنما لم يذكر الوقت في الإطعام لأن ذكْرَه في العتق والصوم ذكْره في الإطعام، لأنه من أنواع هذه الكفارة، فذكر الوقت في البعض[3] يكون ذكرا[4] في الباقي. فإذا أدى بعضه في الوقت وبعضه في غير الوقت كان أولى من أن يؤدي الكل في غير الوقت. لأنا نقول: ذِكرُه في العتق والصوم لا يصلح أن يكون بيانا في الإطعام، لأن البيان على وجوه ثلاثة: بيان نهاية وبيان كفاية وبيان تفصيل. فأما بيان الكفاية وهو أن يكتفي ببيان الواحد أو القليل[5] عن الكل[6] ليعرف ذلك بالاجتهاد والقياس على نظائره، فيدل ذلك على معنى مودَع فيه وأنه محل الاجتهاد والتعليل.[7] وأما بيان النهاية هو أن يبين الكل على المبالغة حتى لا يبقى للاجتهاد فيه موضع. وأما بيان التفصيل هو الذي يبين في أكثره ولا يَبلغ به نهايته. فهو فيما يبين لا يتعدى إلى غيره، إذ لو كان فيه معنى مودَعٌ[8] يجمع الكلَّ لم يكن لذكر الزائد عليه وتركِ بعضه معنى. وهاهنا بيان تفصيل دون كفاية إذ لم يكتف[9] بذكره في واحد، ولا هو بيان نهاية إذ[10] لم يُنْهِ[11] البيان في الكل. فهو بيان التفصيل الذي ذكرنا أنه يَقِرّ في المذكور ولا يتعدى إلى آخره.[12]

---

[1] جميع النسخ: ولذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٦و.
[2] ن: لم يعد.
[3] ر م: في بعض.
[4] ر م: ذكر.
[5] ر: والقليل.
[6] ن: غير الكل.
[7] م: والقياس.
[8] جميع النسخ: مودعا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٦ظ.
[9] جميع النسخ: إذ لو لم يكتف. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] م: إن.
[11] ر م: لم يبينه.
[12] ر ث م: إلى آخر.

ولو كان ذكر ذلك لبيان[1] الوقت لاكتفى بذكره في الواحد عن الكل؛ إذ الذكر[2] في الكل على المبالغة. فلما ذكر على بيان التفصيل دل أنه ليس لبيان الوقت ولكن لنفي المسيس عن خلال الصوم والعتق المذكورَين دون الطعام الذي لم يُذكر فيه. وتبين أن إخلاء الصوم والعتق عن المسيس حكم عرفناه بالنص غيرَ معقول المعنى فلا يتعدى عنه إلى غيره. ويكون مثاله ما ذُكر في قوله تعالى: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً،[3] الآية، على ما عرف في موضعه.

والحاصل في المسألة طريقان. أحدهما بحق القياس والآخر بحق الاحتياط. أما القياس فما ذكرنا[4] أن قوله تعالى: **مِن قبلِ أن يتماسّا**، لإخلاء الصوم عن المسيس ونفي المسيس عن خلال الكفارة. لكن إنما ذكره[5] في الإعتاق والصوم / [788ظ] دون الإطعام. فدلنا ذلك على أنه بيان تفصيل فيكون دليلا على قصر الحكم على المنصوص ومَنْعِ التعدية إلى غيره لما[6] عُلِم أن العقول تَقصُر[7] عن إدراك ذلك المعنى. فجعلنا نفي المسيس عن خلال الصوم والعتق واجبا بالنص حتى لا يكون كفارةً بدونه[8] ولم نجعل[9] في باب الإطعام شرطا. وأما طريق الاحتياط وهو أنه لما احتمل أن يكون ذلك[10] لبيان الوقت أو لنفي المسيس عن خلال الصوم فأُخذ فيه بالاحتياط، وفي الإطعام أخذ بالقياس لما أنه لم يُذكَر فيه المسيس؛ وذكْره في الصوم والعتق لم يكن بيانَ كفاية حتى يكونَ ذكرُه ذكرا في الإطعام، بل هو بيان تفصيل وأن حكمه[11] القصر على المنصوص دون التعدي. *والله أعلم*.

وفي الآية دلالة لصحة[12] مذهب أبي حنيفة رحمه الله في أن العتق يحتمل التجزئة، وهو أن يُعتِق بعضه ويَبقي الباقي بحاله ثم يعتقه بأوقات بعده، إذ قال: **فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا**،

---

[1] م: البيان.
[2] جميع النسخ: إذ ذكر.
[3] سورة النساء، ٤/٩٢.
[4] جميع النسخ: ما ذكرنا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٦ظ.
[5] جميع النسخ: إنما ذكر. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] جميع النسخ + هو.
[7] ن: يقصر.
[8] ن – بدونه.
[9] جميع النسخ: ولم يجعل. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ر م – ذلك.
[11] ن: وأن حكمة.
[12] ر: الصحة.

أي تحرير رقبة لا مماسة في التكفير. ولو كان بعض العتق يوجب عتق الكل لكان لا يفيد قوله: **من قبل أن يتماسا**، إذ لا يقع العتق إلا قبل المماسة. فلما قال دل أنه أراد -والله أعلم- بأن لا تَمَسُّوهن عندما أعتقتم بعضه و لم تعتقوا الكل حتى يكمُلَ ويتم فيه الإعتاق. ولهذا قال بأنه يلزمه الاستئناف في العتق كما في الصوم. فدل[1] أن الإعتاق متجزئ. ***والله أعلم***.

ثم جَعَل الكفارة فيه ما ذكرنا ولم يجعل الكفارة فيه التوبة[2] والاستغفارَ فقط لوجهين. أحدهما أنه لو جعل توبته[3] به لكان لا يظهر ذلك وأنه أمر[4] بينه وبين المرأة فلا يُدرَى[5] أنه تاب أو لم يتب، وربما[6] يظهر التوبة بالقول وإن لم يتب حقيقة بقلبه فتَتَّهِمه[7] المرأة. فجعل التوبة فيه أمرا ظاهرا يعرف به توبته دفعا للتهمة عنه وتسكينا لقلب المرأة. ***والله أعلم***.

والثاني أن الله جعل الاستمتاع في النكاح نعمة عظيمة، فتشبيهها بالمحرَّم الذي يتأبد[8] حرمته أمر فظيع، فلم يجعل له الخروج منه بشيء[9] لا يَثْقُل عليه فيُقدمَ ثانيا وثالثا لخفة أمره عليه، بل جعل[10] ما يتألم به[11] ويشتد عليه زجرا له عن مثله في المستقبل ولغيره كما في الزنا وغيره من الأجرام. ثم لم يَجعل للأمة حظا من هذه الحرمة لأنه لم يجعل[12] ملك[13] اليمين للاستمتاع خاصة وإن أبيح لهم ذلك، ولا جَعَلَ لهن قِبَل[14] السادات حقَّ الاستمتاع، فلم يصر تشبيههن بمن ذَكر كفرانَ نعمةٍ عظيمة ولا إبطال[15] حق لهن قِبَل مواليهن، لذلك افترقا. ***والله أعلم***.

---

[1] ن: دل.
[2] ن: والتوبة.
[3] ن ث م: توبة.
[4] ر م -- أمر.
[5] ن: فلا ندري.
[6] ن: وإنما.
[7] جميع النسخ: فيتهمه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٦ظ.
[8] ن: تأبد.
[9] ر م: شيء.
[10] ن + عليه.
[11] ر ث م: عليه؛ ن – به. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ر ث م – للأمة حظا من هذه الحرمة لأنه لم يجعل.
[13] ر م: تلك.
[14] م: قتل.
[15] ن: ولا بطال.

وقيل: إن الظهار كان طلاق قوم فأُبدِل إلى تحريم المتعة ولم يكن للإماء حظ من الأصل[1] وهو الطلاق، لم يكن[2] لها[3] من الذي صار وانتقل[4] إليه. ولكن إن ثبت[5] هذا كان طلاقا يوجب حرمة لا ترتفع[6] أبدا، لا طلاقا يوجب حرمة ترتفع[7] بالنكاح على ما تقدم ذكره. والأَمَة لم يكن لهن حظ من هذا التحريم لعدم تصور مِلك النكاح مع مِلك اليمين. فأما لهن حظٌّ من الحرمة المؤبّدة[8] بالمحرميّة[9] فإن كان تلك الحرمة هي الأصلَ وهن أصل لها مع قيام ملك اليمين يَكُنَّ أهلا لما ينتقل إليه من الحرمة المؤقتة. دل أن الطريق ما قلنا. ***والله أعلم***.

وفي الآية دلالة جواز تأخير البيان، لأن ذلك الرجل لما ظاهر من امرأته اشتد بهم الحاجة إلى معرفة ما يجب فيه من الأحكام، ثم تَأَخَّر نزول بيان ما يجب فيه[10] بعد طلبهم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بيانَ الحكم. فدل أن البيان قد يجوز أن يتأخر عن وقت قرع الخطابِ السمعَ. وهو أولى لأن في الأول قد ظهرت الحاجة واشتدت لوقوع النازلة،[11] وفي نزول العام الذي أريد به الخصوص لا. وكذلك -على هذا- ما نزل من أحكام الإيلاء والقاذف زوجتَه بعد وقوع النازلة بأوقات دليل على ما ذكرنا. ***والله أعلم***.

ثم جعل صيام شهرين بدلا عن العتق في كفارة الظهار والقتل وكفارة الإفطار في شهر رمضان، وجعل في كفارة اليمين صوم ثلاثة أيام بدلا عن العتق، وقد ذكرنا الوجه في ذلك فيما تقدم.[12] ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله**، ذكر صاحب *الواضح* بأن قوله: **ذلك**، أي ذلك أُمِرتُم ونُهيتُم لتؤمنوا. ولكن عندنا تأويل قوله: **ذلك لتؤمنوا بالله**، هو صلة قوله تعالى:

---

[1] ر ث م: من الطلاق.
[2] ر ث م: ولم يكن.
[3] جميع النسخ: لهن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٧و.
[4] ر ث م: صاروا ينقل.
[5] م: يثبت.
[6] ن: لا يرتفع.
[7] ن: يرتفع.
[8] ر م: المؤيدة
[9] ر: الحرمية.
[10] ر ث م - فيه.
[11] ر م: المنازلة.
[12] انظر تفسير الآية ٨٩ من سورة المائدة، ٤/٣١٩-٣٢٣.

قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا،[١] الآية، يقول: أخبركم بما كان ذلك منكم في السر وأطلعكم على ذلك **لتؤمنوا بالله ورسوله،** أي لتُصدِّقوا وتَعْلَمُوا أنه لا يخفى على الله من أعمالكم شيء. ومنهم من قال: **ذلك،** راجع إلى قوله: وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا،[٢] أي الفرجَ والمخرجَ عما امتُحِنتُم به من الحرمة وما اشتد عليكم، **لتؤمنوا بالله ورسوله،** لما فَرَّج عنكم بالخروج بما ذكر. ***والله أعلم***. ومنهم من قال: **ذلك،** القولُ المنكرُ والزورُ[٣] الذي قلتم وأَعلَمَكم أنه منكر وزور، **لتؤمنوا بالله ورسوله.** فيخرج ذلك على الأمر بالشكر له [على][٤] ما أنعم عليهم وجعل لهم من الفرج والمخرج عما امتُحِنوا بأدائها. وهكذا العبادات التي أُمِروا بها أُمِروا لإحدى ثلاث خلال: إما بحق الشكر بما أنعم عليهم، أو لتسليم الأمر له والخضوع، أو لحق الاستغفار والتكفير بما سبق من التفريط والتقصير. ***والله أعلم***. وجائز أن يكون قوله تعالى: **لتؤمنوا بالله ورسوله** / على غير هذا، أي ذلك الذي أنزل [أُنزل]، **لتؤمنوا،** أي لتُجددوا الإيمان بالله تعالى ورسوله في كل وقت وكل ساعة؛ إذ يلزم الناسَ إحداثُ الإيمان وتجديدُه[٥] لإحداث الرُّخص والعزائم التي تجددت. ***والله أعلم***. [٧٨٩و]

وقوله عز وجل: **وتلك حدود الله،** قيل: أي الذي افترضه الله عليكم من الأحكام. وقال الزجاج: **حدود الله،** أي موانع الله وحججه، ولذلك سمي الحاجب حدادا لأنه يمنع الناس منه. وعندنا قوله: **وتلك حدود الله،** أي زواجر الله وموانعه، على معنى أنه يمنع هذا عن الدخول في حد الآخر، يمنع الباطل عن الدخول في حد الحق والاختلاط به. وفي الآية دلالة خلق أفعال العباد لأنه أضاف الحدود، وهي الطاعات، إلى نفسه بقوله: **وتلك حدود الله،** وأنها أفعال العباد. دل أن[٦] أفعال العباد كلَّها مخلوقة لله تعالى. وإنما خص الطاعات بالإضافة إلى نفسها مع أن جميع الأفعال بخلقه إياها تبجيلا وتعظيما لها، كما قال الله تعالى: وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ،[٧] أضافها إلى نفسه تبجيلا وتعظيما لها. وعلى هذا يخرج تأويل من قال في قوله: إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا،[٨]

---

[١] الآية ١ من هذه السورة.
[٢] الآية ١ من هذه السورة.
[٣] جميع النسخ: الزور. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٧و.
[٤] الزيادة من المرجع السابق.
[٥] ر م: وبتجديده.
[٦] ر م – أن.
[٧] ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا﴾ (سورة الجن، ٧٢/١٨).
[٨] ﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها لِتُجزَى كلُّ نفس بما تسعى﴾ (سورة طه، ٢٠/١٥).

من نفسي فكيف أُظهرها لكم؟ إنه أراد بهذه الإضافة تبجيلا وتعظيما لأمر الساعة، فكأنه يقول: إنما لم أظهر أمر الساعة لذلك الخلق الذي هو بهذه المنزلة فكيف أُعلِنُها[1] لكم؟ أي لا أفعل ذلك.

وقوله عز وجل: **وللكافرين عذاب أليم**، أي وللكافرين[2] بالله وبحدوده[3] عذاب أليم في الآخرة، لأن عذاب الكفر إنما يكون في الآخرة عذابا دائما لا انقضاء له. ***ولا قوة إلا بالله***.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **إن الذين يحادون الله ورسوله**، قال بعض أهل الأدب: المُحادُّ هو الذي يجعل نفسه في حد غير الحد الذي أمره الله ورسوله أن يكون في ذلك الحد، ويكونُ في[4] حد غير الحد الذي فيه رسوله،[5] وكذلك قوله: ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ،[6] أي يكونون في شِق غير الشق الذي عليه رسول الله، أو كلام نحوه. ومنهم من قال: حدَّدْتُه عن طريقه، أي عدلتُه عنه، وبعضه قريب من بعض. وأصله ما ذكر: **يحادون الله ورسوله**، أي يمانعون الناس ويزجرونهم في[7] الطريق[8] لئلا يأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم ويتبعوه.

وقوله عز وجل: **كُبِتوا كما كبت الذين من قبلهم**، قيل: غلبوا، وردوا بغير حاجتهم كما غُلِبَ ورُدَّ الذين كانوا من قبلهم، وقيل: أُهلِكوا كما أهلك الذين من قبلهم، وقيل: أُخزُوا كما أُخزِي الذين كانوا من قبلهم. وكله قريب بعضه من بعض. ثم يخرج تأويله على وجهين. أحدهما أي كبت هؤلاء الذين منعوا الناس عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة كما كبت الذين[9] من قبلهم، أو كبت هؤلاء الذين ما نعوا[10] الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة كما كبت الذين مانعوهم عنه بمكة، لأن هذه السورة مدنية. ***والله أعلم***.

---

[1] جميع النسخ: عنها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٧و.
[2] ر م: للكافرين.
[3] ن: والحدوده.
[4] ن + حق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٧ظ.
[5] ر ث م - أن يكون في ذلك الحد ويكون في حد غير الحد الذي فيه رسوله.
[6] ﴿ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقِ الله فإن الله شديد العقاب﴾ (سورة الحشر، ٤/٥٩).
[7] جميع النسخ: عن. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ن: الطرق.
[9] ر م - الذين.
[10] م: منعوا.

وقوله عز وجل: **وقد أنزلنا آيات بينات**، أي آيات تبين[١] حدود الله من غير حدوده أو ما يبين الحق من الباطل أو الرسولَ[٢] من غيره أو المحادَّ من غير المحادِّ.[٣] وقوله عز وجل: **وللكافرين عذاب مهين**، أي للكافرين[٤] كلهم[٥] عذاب يهينهم كما أهانوا المؤمنين.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **يوم يبعثهم الله جميعا**، أي الأولين والآخرين أو المحادّين[٦] والموافقين. وقوله عز وجل: **فينبئهم بما علموا أحصاه الله ونسوه**، أي يبعثهم الله[٧] جميعا فينبئهم بما عملوا من خير أو شر، أحصى الله ما عملوا وإن طال ذلك أو كثر ونسُوا هم تلك الأعمال. خرج هذا على الوعيد. وفيه دلالة رسالته، إذ أخبر أن الله تعالى يحصي ذلك عليهم وأنهم نسوا فلم يتهيأ لهم أن ينكروا عليه أنهم لم ينسَوا. دل أنه بالله عَلم ذلك.[٨] وقوله عز وجل: **والله على كل شيء شهيد**، أي على كل شيء من الإحصاء والحفظ وغير ذلك شهيد.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم**، فإن كان هذا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يكون فيه دلالةُ رسالته إذ أَطْلعه[٩] على ما أسرّوا فيما بينهم من المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه

---

١ ر: يبين.

٢ ر ن: والرسول.

٣ ث – وقوله عز وجل وقد أنزلنا آيات بينات أي آيات تبين حدود الله من غير حدوده أو ما يبين الحق من الباطل أو الرسول من غيره أو المحاد من غير المحاد.

٤ ر ن م: الكافرين

٥ ر ن م: كله.

٦ ر ث م: والمحادين؛ ن: والآخرين المحادين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٧ظ.

٧ ر م: ليبعثهم الله.

٨ ن – ذلك.

٩ جميع النسخ: أن أطلعه. والتصحيح من المرجع السابق.

وتناجوا[1] بينهم من الكيد والخداع. أطلع الله تعالى رسوله على ذلك ليعلم أنه بالله علم ذلك. والثاني بشارة له بالنصر والمعونة، وهو كقوله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى،[2] أي أسمع ما يقول لكما وما يجيب[3] وأرى إذا قصد بكما وأدفع[4] عنكما ما قصد بكما. فعلى ذلك ما ذكر له:[5] **ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم**، فيطلعك[6] على ما[7] هموا بك[8] وأسروا فيك فينصرك ويدفع[9] عنك كيدهم. وجائز أن يكون الخطاب ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة[10] ولكن لكل في نفسه فيصير كأنه قال: ألم تر إلى عجائب[11] ما أنشأ من السماوات والأرض قبل إنشاء أهلهما[12] فيهما، فإذا رأيت عجائب ما أنشأ[13] من السماوات والأرض وأهلهما وعلمت ذلك، فَاعْلَم أنه بما يكون[14] من نجواهم فيما ذكر[15] عالمٌ، فيخرج على التنبيه والزجر عن الإسرار والنجوى.

ثم قوله: **رابعهم أو سادسهم ومعهم** ونحوه، يجب أن ينظر إلى المقدّم من الكلام فيُصرف [٧٨٩ظ] / قوله: **هو معهم**[16] إلى ذلك، نحو قوله: إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا،[17] وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ،[18] ونحوه،

[1] جميع النسخ: وتناجوه.
[2] سورة طه، ٢٠/٤٦.
[3] ر: وما يجب.
[4] ر: وأرفع.
[5] م – له.
[6] ن: وطلعك.
[7] ر م + هو.
[8] ن – بك.
[9] ن: فننصرك وأدفع.
[10] ن – خاصة.
[11] ن + إلى.
[12] م: أهلها.
[13] ن – أهلهما فيهما فإذا رأيت عجائب ما أنشأ.
[14] ن: لا يكون.
[15] ن: مما ذكر.
[16] ن م: معهم.
[17] سورة النحل، ١٦/١٢٨.
[18] ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٦٩).

يكون معهم في التوفيق والمعونة لهم والنصر. فعلى ذلك ما ذكر من قوله: **هو معهم**، في النجوى وما أسروا فيما بينهم؛ أي شاهدٌ معهم حافظ عليهم، يدفع عنكم كيدهم ومكرهم[١] وينصركم. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم**، أي ينبئهم بما تناجَوا[٢] وأسرُّوا من الكيد يوم القيامة.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه**، هذا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:[٣] اعلم أن **الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه**، الآية.[٤] وفيه دلالة إثبات الرسالة لأنه أخبر أنهم عادوا إلى ما نهوا عنه وهو النجوى. ومعلوم أنهم لا يعودون إلى ما نهوا عنه[٥] بحضرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عند غَيبة منهم، دل أنه بالله علم.

ثم اختلف في سبب ذلك النجوى. قال بعضهم: إنه كان بين اليهود وبين النبي صلى الله عليه وسلم موادعة، فإذا [رأوا][٦] رجلا[٧] من المسلمين وحده يتناجون بقتله بينهم، يظن المسلم[٨] أنهم يتناجون بقتله أو بما يكره فيترك الطريق من المخافة. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهم عن النجوى فلم ينتهوا[٩] وعادوا إلى النجوى فنزل ما ذكر.[١٠]

---

[١] ن: ويمكرهم.
[٢] ر ث م: يناجوا.
[٣] ن م + والله.
[٤] ن – هذا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اعلم أن الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه الآية.
[٥] ن + ومعلوم أنهم لا يعودون إلى ما نهوا عنه وهو النجوى.
[٦] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٠٧ظ.
[٧] ر م: رجل.
[٨] ن: المسلمين.
[٩] جميع النسخ: فلم ينهوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٨و.
[١٠] *تفسير ابن كثير*، ٦٨/٨؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٨٠/٨.

ومنهم من قال: إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا إذا خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قام أناس من اليهود وأناس من المنافقين يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون نحو واحد منهم. فإذا رآهم [المؤمن] ينظرون نحوه قال: ما أظن هؤلاء إلا قد بلغهم خبر أقربائي الذين بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في السرايا مِن قتل[١] أو موتٍ فيقع في قلبه من ذلك ما يَحزنه، فلا يزال كذلك حتى يَقدمَ[٢] حميمُه من تلك السرية.[٣] لكن الأولى عندنا السكوت عن ذكر[٤] هذا وأمثاله، لأنه خرج مخرج الاحتجاج وجعله آية عليهم. فيجوز أن يكون على خلاف ما ذكر فيوجب الكذب في الخبر، فالإمساك عنه أحق.

وقوله عز وجل: **وإذا جاءوك حَيَّوْك بما لم يُحَيِّكَ به الله**، ذُكر أنهم كانوا إذا أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون: السام[٥] عليك يا محمد، فيجيبهم النبي صلى الله عليه وسلم ويرد عليهم ويقول: «عليكم».[٦] ففيه دلالة رسالته لأنهم حَيَّوْه سرا منه فأطلعه الله تعالى على ما أسروا،[٧] وكذلك ما قال: **ويقولون في أنفسهم لو لا يعذبنا الله**، أي[٨] هلا يعذبنا الله، **بما نقول**، في السر. فيه دلالة الرسالة لأنه معلوم أنهم قالوا ذلك سرا في أنفسهم فأطلع الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على ما في أنفسهم، ففيه أنه بالله تعالى عرف ذلك.[٩]

ثم قوله عز وجل خبرا عنهم: **لو لا يعذبنا الله بما نقول**، جائز أن يكون من رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم وعيد بالتعذيب لأجل التناجي الذي [كان][١٠] منهم. فلما تأخر ذلك عنهم[١١] قالوا عند ذلك: إنه لو كان رسولا على ما يقوله[١٢] لَعُذِّبْنَا على ما قال ووعد.

---

[١] ر ث: في السرانا من قبل؛ ن: من قبل.
[٢] ن: تقدم.
[٣] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣/٣٣١.
[٤] ن: عن ذكر.
[٥] ر: السلام.
[٦] *تفسير الطبري*، ٢٨/١٩-٢١.
[٧] ن: على ما أسروه.
[٨] ر ث م - أي.
[٩] ر ث م - ذلك.
[١٠] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٠٨و.
[١١] ن - لولا يعذبنا الله بما نقول جائز أن يكون من رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم وعيد بالتعذيب لأجل التناجي الذي كان منهم فلما تأخر ذلك عنهم.
[١٢] ر م: على ما يقول.

لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كان وعد لهم العذاب لم يبين متى يعذبون. فعذابهم ما ذكر حيث قال: **حسبهم جهنمُ يَصلونها فبئس المصير**. *والله أعلم*. ويحتمل أن يكون قولهم: **لو لا يعذبنا الله بما نقول**، إنما قالوا ذلك عند رد رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حيوه حين قال: «وعليكم». يقولون: إنه دعا علينا بقوله: «وعليكم». فإن كان رسولا لأُجيب دعاؤه الذي دعا علينا. لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يَدْعُ عليهم إنما رد قولهم[1] عليهم ردا. *والله أعلم*.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى**. إن أهل التأويل صرفوا الآية إلى المنافقين. وعندنا يحتمل صرف النهي إلى المؤمنين عن التناجي بمثل ما تناجوا أولئك، أي لا تتناجوا أنتم يا أهل الإيمان فيهم بالإثم والعدوان كما تناجوا[2] فيكم. يقول: لا تُجازُوهم بالذي فعلوا هم بكم[3] ولكن تَناجَوا فيهم بالبر والتقوى. وهو كقوله تعالى: وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا،[4] نهى المؤمنين أن يجازوهم جزاء الاعتداء الذي كان منهم مِن صَدِّهم عن المسجد الحرام،[5] بل أمرهم بالتعاون[6] على البر والتقوى، حيث[7] قال: وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى،[8] فعلى ذلك يحتمل هذا. *والله أعلم*. وجائز أن يكون في المؤمنين حقيقة على الابتداء ابتداءٍ[9] نهيٍ منه لهم، يقول: إذا تناجيتم فلا تتناجوا فيما يُؤثمكم ويحملكم على العدوان على المجاوزة عن الحد ومعصية الرسول فيما يأمركم وينهاكم، **وتناجَوا بالبر والتقوى**.

---

[1] ث - عليهم إنما رد قولهم.
[2] ر م: تتناجوا.
[3] ن: فعلوا بكم.
[4] سورة المائدة ٥/٢.
[5] ن - أن تعتدوا نهى المؤمنين أن يجازوهم جزاء الاعتداء الذي كان منهم من صدهم عن المسجد الحرام.
[6] ر ث م - بالتعاون.
[7] ر ن م - حيث.
[8] سورة المائدة، ٥/٢.
[9] ر ث م - ابتداء.

[ثم][1] البر[2] يحتمل كل أنواع الخير، وأما التقوى فهو كل ما يَقُون[3] به أنفسهم عن النار. وقد تقدم ذكره.

وقوله عز وجل: **واتقوا الله الذي إليه تُحشرون**، جائز أن يكون هذا الخطاب لهم، أعني المؤمنين والكافرين الذين يُقِرُّون بالحشر، لأن أهل الكتاب وبعض المشركين يقرون بالبعث، وبعض المشركين ينكرون مع الدهرية.

﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **إنما النجوى من الشيطان**، أي النجوى الذي[4] كانوا يتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، ليس كل نجوى على ظاهر ما يخرج الخطاب عاما ولكن يرجع إلى النجوى الذي[5] ذكرنا وهو النجوى[6] الذي نهوا عنه. / ثم قوله: **إنما النجوى من الشيطان**، [٧٩٠و] جائز أن يكون معناه أن[7] ابتداء النجوى في الشر من الشيطان. وهو ما ذكر في بعض القصة أن الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام قال إبليس للملائكة: أرأيتم إن فُضِّل هو عليكم ما تصنعون؟[8] فأجابوه بما أجابوا فقال هو: إن فُضِّلتُ عليه لأُهلِكنَّه وإن فُضِّل هو عليَّ لأُعادِيه؛ فقد ناجاهم في أمر[9] آدم عليه السلام بالشر، فكان أول النجوى في الشر من الشيطان.

وقوله عز وجل: **ليحزن الذين آمنوا**. لو لا أن الشيطان في حال الحزن[10] يكون أملكَ على إفسادهم وإخراجهم من أمر الله تعالى وإدخالهم في نهيه، وإلا لم يكن لقوله: **إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا**، معنى، فدل أنه لعنه الله في حال[11] الحزن والغضب

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٠٨و.
[2] ر م – البر.
[3] ر م: يقول؛ ن: تقون.
[4] جميع النسخ: الذين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٨ظ.
[5] ر ث م – الذي.
[6] ر ث م – النجوى.
[7] ر م – أن.
[8] ر: ما تصفون.
[9] ن م – أمر.
[10] ر ث م: يحزن.
[11] ر – الحزن يكون أملك علي إفسادهم وإخراجهم من أمر الله تعالى وإدخالهم في نهيه وإلا لم يكن لقوله إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا معني فدل أنه لعنه الله في حال.

أملك وأقدر من حال السرور والسعة. لكنه بما يدعوه إلى اللذات ويُمنّيه أشياء كان قصده من ذلك أن يوقعه في الضيق والشدة لما هو عليه أقدرُ في تلك الحال. ولذلك قال لآدمَ وحوّاءَ عليهما السلام: هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى،[1] تَلَقّاهم[2] بالغرور بالذي ذكر ومنّاهم ما ذكر، وكان قصده من ذلك إبداء عورتهما وإيقاعَهما في الضيق والبلاء حيث قال: فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا،[3] الآية. مكّن الله تعالى إبليس من الشر[4] بالذي ذكرنا ولم يُمَكِّن له من إفساد الطعام واللباس والأشربة ونحو ذلك، وهو دون[5] الأول، وذاك أكثر. لكن هذا في الضرر الدنياوي أكثر فلم يمكّنه من إفساد هذه الأشياء تفضلا منه وإحسانا عليهم. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **وليس بضارهم شيئا إلا بإذن الله**، أي ليسوا بضارين لهم فيما يتناجون من الكيد بهم والمكر. ***والله أعلم***.

ثم قال: **وعلى الله فليتوكل المؤمنون**، أي[6] في دفع مَن قَصد بهم[7] من الكيد والمكر[8] والهلاك، وعليه يتوكلون في النصر لهم والمعونة على أعدائهم والتوفيق لهم في كل خير، وكل هذا وصف المؤمنين.

وأما المعتزلة فهم بِمَعْزِلٍ[9] عن هذه الآية، وكذلك[10] المؤمنون على قولهم غيرُ متوكلين على الله لأنهم يقولون:[11] إن الله تعالى قد أعطى كلا من النصر والمعونة ما ينتصر على أعدائه وينتقم منهم حتى لا يبقى عنده مزيد ما ينصرهم ويعينهم على شيء. فعلى قولهم:[12] لا يقع للمؤمنين في التوكل على الله تعالى شيء،[13] لأنه ليس عنده ما ينصرهم ولا ما يعينهم،

---

[1] ﴿فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ (سورة طه، ٢٠/١٢٠).

[2] ن: يلقاهم.

[3] ﴿فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطَفِقا يَخصِفان عليهما من ورق الجنة﴾ (سورة طه، ٢٠/١٢١).

[4] ن ث: من البشر.

[5] ر ن ث: أدون.

[6] ث م - أي.

[7] ن: من قصدهم.

[8] جميع النسخ: من الكيد بهم والمكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٨ظ.

[9] ن: فهم بمنعزل.

[10] ن: ولذلك.

[11] ن + يقولون.

[12] ن + لا يبقى عنده مزيد ما ينصرهم ويعينهم على شيء فعلى قولهم.

[13] جميع النسخ: في شيء.

فعلى ماذا يتوكلون عليه على قولهم إذا لم يملك ما ذكرنا؟ ومن قولهم: إن على الله تعالى أن يعطي [كلًّا][1] من المعونة والتوفيق حتى لا يبقى عنده مزيد حتى لو منع شيئا من ذلك ولم يعطهم[2] يكون جائرا.[3] ثم إذا[4] أعطاهم ما ذكروا ولا يهتدون ولا ينتصرون، والله تعالى قال: إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ،[5] وقال: مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي،[6] فدل أن ما قالوه[7] مخالف للكتاب.

ثم اختلف[8] في اشتقاق النجوى. منهم من قال: هو من النَّجْوَة،[9] وهي المكان[10] العالي المرتفع. وذلك أنهم كانوا يقومون في مكان مرتفع فيتحدثون فيه لِيَرَوْا من قصد بهم فيتفرقوا، أو كلام هذا معناه. ومنهم من قال: التناجي التخالي بما ذكروا. فيكون معنى قوله: **إذا تناجيتم**، إذا تخاليتم[11] فلا تتخالوا[12] بما ذكر. وقال القُتَبِي: التناجي من التشاور. ***والله أعلم.***

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين** آمنوا **إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم**، الآية. [فهو][13] يخرج على وجهين. أحدهما **إذا قيل لكم تفسحوا**، أي إذا[14] قيل لكم تأخّروا في المجلس فتأخروا. **وإذا قيل انشزوا فانشزوا**، أي ارتفعوا وتقدّموا.

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٠٨ظ.
[2] جميع النسخ: لم يعطهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[3] ر ن م: جائزا.
[4] ن: إذ.
[5] سورة آل عمران، ١٦٠/٣.
[6] سورة الأعراف، ١٧٨/٧.
[7] ر ث م: أن ما قالوا.
[8] ر ث م: ثم اختلفوا.
[9] ن: منهم من قال يوم النجوة.
[10] جميع النسخ: وهو المكان. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] م: إذا تحاليتم.
[12] ن: فلا يتحالوا.
[13] الزيادة من المرجع السابق.
[14] جميع النسخ: وإذا.

فيكون قوله: **تفسحوا**، إذا كان الحضور أوّلا هم الذين هِمّتهم السماع والعملُ به، دون أَخْذِه والتفقه[1] فيه، فقيل لهم: تأخّروا حتى يَقرُب من يصير إماما للناس وفقيها لهم. وإذا كان الحضور[2] هم الذين همتهم التفقه،[3] وهم الأئمة، ثم جاء بعد ذلك من كان همتهم السماع والعملَ به، قيل للذين تقدموا أولا: ارتفعوا أو تقدموا حتى يسمع مَن حضر[4] بعدكم قولَ النبي صلى الله عليه وسلم. ***والله أعلم***. والثاني أنه إذا كان في المجلس أدنى[5] سَعَة وفُسْحةٍ ما يمكن تمكين غيره بالتحرك[6] والتفسح دون القيام يقال لهم: **تفسحوا**، وإذا لم يمكن ذلك إلا بالقيام، قيل لهم: قوموا وارتفعوا وتقدموا.

وقوله: **يَفْسَحِ اللهُ لكم**، يحتمل وجوها. أحدها يفسح الله لكم في القبر أو في الآخرة في الجنة، أو يفسح الله لكم في المجلس. وهو فُسحة القلب وتوسعة للعلم والحكمة.[7] ***والله أعلم***. وقال الحسن: **إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس**، أي في القتال والحرب؛[8] **وإذا قيل انشزوا فانشزوا**، أي إذا قيل: انْهَدُوا إلى العدو فانهدوا.[9] وقال[10] قتادة: أي إذا دُعِيتُم إلى خير أو صلاة[11] فأَجِيبُوا.[12] وقال غيره: إلى كل خير من قتال عدو أو أمر بمعروف[13] أو نهي عن منكر أو [إلى] حقٍ، كائنا ما كان. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **يَرْفَعِ اللهُ الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**، أخبر أنه يرفع[14] الذين آمنوا، وأخبر أنه يرفع[15] الذين أوتوا العلمَ من المؤمنين على الذين لم يُؤْتُوا العلمَ درجاتٍ،

---

[1] ن: والنفقة.
[2] الحضور هنا: جمع الحاضر.
[3] ن: النفقة.
[4] ر ث م: من حضره.
[5] ر: أوفى.
[6] ر م: بالتحريك.
[7] ر م: والحكم.
[8] *النكت والعيون* للماوردي، ٥/٤٩٢.
[9] جميع النسخ: انهروا إلى العدو فانهروا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٩و. *الدر المنثور* للسيوطي، ٨/٨٢.
[10] ر م: قال.
[11] ن: إلى الخير أو الصلاة.
[12] *تفسير الطبري*، ٢٨/٢٥.
[13] ر ث م: وأمر بمعروف.
[14] ر ث م + الله.
[15] ر ث م + الله.

لفضل العلم على سائر العبادات من الجهاد وغيره. ألا ترى أنه قال في آية الجهاد: فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ / عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً.[1] جعَل للمجاهدين على القاعدين [٧٩٠ظ] فضلَ درجة وللذين أوتوا العلم على الذين لم يؤتوا درجاتٍ ليعلم فضيلة العلم على غيره. وكذلك قوله تعالى: فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ.[2] قال بعضهم: إن النبي[3] صلى الله عليه وسلم كان يحبس[4] قوما عند نفسه ليتفقهوا في الدين ويبعث قوما سَرَايَا، حتى إذا رجع السرايا أنذرهم الذين تفقهوا في الدين وتَعَلَّموا[5] من رسول الله صلى الله عليه وسلم.[6] فإن كان التأويل هذا ففيه دلالة فضيلة العلم على الجهاد حتى أحوج أولئك إليهم. وقال بعضهم: كان يَنفِر من كل قوم طائفة ليتفقهوا في الدين فإذا رجعوا إلى قومهم أنذروا قومهم. وقال قتادة: إن بالعلم لأهله فضيلةً[7] وإن له على أهله حقا، ولَعَمْري الحق[8] عليك أيها العالم أفضلُ والله يعطي كل ذي فضل[9] فضله.[10] وقال[11] قتادة في قوله تعالى: **إذا قيل لكم تفسحوا**: إنهم كانوا إذا رأوا أخًا لهم[12] مقبلا يَضِنون بمَجالسهم عند رسول الله صلى الله عيه وسلم فأمرهم[13] الله تعالى أن يَفْسَح بعضهم لبعض.[14] وقال مقاتل: أقبل نفر من الأنصار ممن شهد بدرا فسلَّموا على النبي[15] صلى الله عليه وسلم ومن حوله فردوا السلام[16] وضَنّوا بمجلسهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يوسّعوا لهم.

[1] سورة النساء، ٩٥/٤.
[2] سورة التوبة، ١٢٢/٩.
[3] ن: قال بعضهم أنه.
[4] ر م: يجلس.
[5] ر م: ويعلموا.
[6] *تفسير الطبري*، ٩٠/٢٨.
[7] ن: فضلا.
[8] ث: حقا؛ م: محق.
[9] جميع النسخ: كلا من فضل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٩و.
[10] *تفسير الطبري*، ٢٦/٢٨.
[11] ر – وقال.
[12] جميع النسخ: رأوا حالهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٩و.
[13] ر ث م: فأمر.
[14] *تفسير الطبري*، ٢٤/٢٨.
[15] ن: على نبي الله تعالى.
[16] ن: السلم.

فقال لهم[١] رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قم يا فلان ويا فلان»[٢] لنفر منهم من الذين لم يشهدوا بدرا، فتكلم[٣] في ذلك المنافقون فنزلت هذه الآية.[٤] *والله أعلم*.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١٢] ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة**، يشبه أن يكون ما ذكر من مناجاة الرسول عليه السلام على وجوه. والناس في مناجاته طبقاتٌ. أحدهم يناجيه مسترشدا في أمر الدين وما ينزل[٥] به من النوازل، والآخر يناجيه افتخارا به على غيره من الناس ومباهاةً منه ليُعلَم أن له خصوصيةً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضلا له عنده، وهو صنيع المنافقين. والفريق الثالث يناجونه ليُسَمِّعُوا الناسَ الكذب ويُسمعونهم غير الذي سَمعوا، كقوله تعالى: سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ.[٦] وهم اليهود وصنيعهم ما ذكر. فجائز أن يخرج المناجاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الوجوه التي ذكرنا.

ثم ما ذكر من تقديم الصدقة على المناجاة يُخَرَّج على وجوه. أحدها أمر بتقديم الصدقة[٧] لعِظم قدر رسول الله صلى الله عليه وسلم، والخصوصيةُ له تظهر[٨] بتلك[٩] الصدقة ويصير أهلا لمناجاته بها، وهو كالطهارة التي جعلها سببا للوصول إلى مناجاة الرب سبحانه وتعالى.

---

[١] ن – لهم.
[٢] ر – ويا فلان.
[٣] جميع النسخ: قبلكم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٩و.
[٤] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣/٣٣٣.
[٥] ر ث م: تنزل.
[٦] ﴿ومِنَ الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكَلِمَ من بعد مواضعه﴾ (سورة المائدة، ٥/٤٢).
[٧] ن – على المناجات يخرج على وجوه أحدها أمر بتقديم الصدقة.
[٨] ر ث م: يطهر؛ ن: يظهر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٩و.
[٩] ر م: تلك.

والثاني لما خصهم بمناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم وجعلهم أهلا لها أمرهم بتقديم الصدقة شكرا له منه بذلك. والثالث جائز أن يكون أمرهم بتقديم[1] الصدقة امتحانا منه إياهم لتظهر[2] حقيقة أمرهم، وهو كما جعل[3] الأمر بالجهاد سببا لظهور نفاقهم وارتيابهم في الأمر، فكذلك الأول. *والله أعلم*. وجائز أن يكون الأمر بالصدقة لأهل المناجاة على الذين كانت لهم حوائجُ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمنعوه عن قضاء حاجاتهم بالاشتغال بالمناجاة، فأمرهم[4] بالصلة لأولئك تطييبا لقلوبهم. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ذلك خير لكم وأطهر**، أي إنَّ تقديم الصدقة أطهر لقلوبكم من ترك الصدقة. وقوله عز وجل: **فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم**، جائز أن يكون هذا الأمر لأهل الغِناء دون الفقراء[5] حتى قال: **فإن لم تجدوا**، ما تتصدقون[6] به **فإن الله غفور رحيم**.

وقوله عز وجل: **أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات**، قال عامة أهل التأويل: أي أَبَخِلْتُمْ بها يا أهلَ[7] المَيْسَرة أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات. وقوله[8] عز وجل: **فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم**، أي تجاوز عنكم إذ لم تفعلوا **فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**، أي إذا لم تصدقوا[9] تلك الصدقة فأْتُوا زكاة أموالكم. قال أهل التأويل: نُسخ ما أمروا به من الصدقة عند المناجاة بما ذكر من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة. وقوله عز وجل: **وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون**، هذا وعيد.

ثم في قوله: **إذا ناجيتم الرسول**، دلالة قبول خبر الواحد لأنه يناجيه ولا يعلم به غيره. [وذلك في أمور الدين والدنيا. فلو لم يُقْبَل خبره إذا أخبر غيرَه لكان لا معنى للمناجاة وكان لا يناجيه خاصة دون غيره].[10] دل أنه يُقبَل إذا أخبر به غيرَه. وفيه أنْ لا كل[11] مناجاة

---

[1] ر م: تقديم.
[2] جميع النسخ: ليظهر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٩و.
[3] جميع النسخ: ما جعل. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] ر م: أمرهم؛ ث: وأمرهم.
[5] ر ث م: الفقر.
[6] ر ث م: ما تصدقون؛ ن: ما يتصدقون.
[7] ر م: بها أهل.
[8] ن: قوله.
[9] ن: إذا لم يتصدقوا.
[10] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٠٩ظ.
[11] ن: أن كل.

يكون من الشيطان؛ لأن[1] النبي صلى الله عليه وسلم ناجى من ذُكر، فدل أن قوله: إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ،[2] مصروف إلى ما سبق ذكره. وفيه أن لا يفهم من ذكر اليد الجارحةُ لا محالة؛ فإنه قال: **بين يدي نجواكم**، وليس للنجوى يد ولا بين. وكذلك قوله: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ.[3] ولم يُشكل على أحد أنه لم يُرد باليد[4] الجارحة هاهنا فكيف فُهم فيما أضيف إلى الله تعالى في قوله: بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ،[5] وقولِ رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصدقة تقع في يد الرحمن»[6] الجارحةُ لو لا فساد اعتقادهم في الله تعالى وتشبيههم إياه بالخلق.

وقال قتادة: أَكْثَروا النجوى مع رسول الله فمنعهم الله تعالى عنه، فقال: **إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة**، الآية.[7] وعن علي رضي الله عنه أنه قال: أنا[8] أول من عمل بها تصدقت بكذا ثم نزلت الرخصة.[9]

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم**، يَذكر سفه المنافقين لرسول الله صلى الله / عليه وسلم لتَوَلِّيهم قوما غضب الله[10] عليهم على عِلْمٍ[11] منهم أن الله تعالى قد غضب عليهم، لكنهم تولوهم[12] طمعا منهم في أموالهم وفيما كان عندهم من السعة وفضل الدنيا. ثم أخبر أنهم ليسوا منكم، أي ليسوا على دينكم ولا أنتم منهم، أي على دينهم، أي أولئك اليهود لكنهم يتولونهم[13] طمعا فيما عندهم من فضل الدنيا، [٧٩١و]

---

[1] ر م: أن.
[2] الآية ١٠ من هذه السورة.
[3] ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ (سورة فصلت، ٤٢/٤١).
[4] ن: لم يرد اليد.
[5] ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غُلَّتْ أيديهم ولُعِنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾ (سورة المائدة، ٦٤/٥).
[6] تفسير *الطبري*، ٢٧/١١-٢٨؛ وتفسير *ابن كثير*، ٤٢٨/٥.
[7] تفسير *الطبري*، ٢٧/٢٨.
[8] ن - قال أنا.
[9] تفسير عبد *الرزاق*، ٢٩٤/٣؛ وتفسير *الطبري*، ٢٧/٢٨.
[10] ر م - الله.
[11] جميع النسخ: ما علم. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٢٠٩ظ.
[12] ن: توقوهم.
[13] ر ث م: يتولونه.

ويحلفون على الكذب وهم يعلمون، كأنه قيل لهم: لِمَ توليتم قوما غضب الله عليهم فحلفوا أنهم[1] لم يتولوهم فأخبر أنهم كاذبون في حَلْفهم.

وفيه دلالة إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لأنهم تولوا اليهود سرا من المؤمنين وحَلَفوا كَذِبا فأخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوليهم وكَذِبهم في الحَلْف، دل أنه عليه السلام عرف ذلك بالوحي.

﴿أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١٥]

ثم أخبر ما أعد لهم في الآخرة بتوليهم أولئك وحَلِفهم بالكذب فقال: **أعد الله لهم عذابا شديدا إنهم ساء ما كانوا يعملون**، أي قد أساءوا[2] إلى أنفسهم بعملهم الذي عملوا في الدنيا.

﴿اِتَّخذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **اتخذوا أيمانهم جنة**، أي حَلِفَهم الذي حلفوا أنهم لم يتولوا أولئك اليهود جُنَّةً، **فصدوا عن سبيل الله**، يحتمل صدوا أنفسهم عن سبيل الله أو صدوا الناس عن سبيله بما ذكر. **فلهم عذاب مهين**، أي يُهانون في ذلك العذاب.

﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا أُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا**، يخبر أن أموالهم التي لأجلها تولوا اليهود وعاندوا[3] المؤمنين لا تغنيهم[4] تلك الأموال من عذاب الله شيئا إذا نزل بهم.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾[١٨]

ثم أخبر عن شدة سفههم أنهم يحلفون في الآخرة كما يحلفون لكم في الدنيا بقوله: **يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم**. ثم فيه أن الآية لا تضطر أحدا[5] إلى الإيمان به والتوحيد،

---

[1] ر ث م: أنه.
[2] ر م: ساؤوا.
[3] م: وعادوا.
[4] جميع النسخ: لا يغنيهم. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٠٩ ظ.
[5] ر ن ث: لا يضطر أحدا؛ م: لا يضطر أحد. والتصحيح من المرجع السابق.

لأنه لا آية[١] أعظمُ من قيام الساعة. ثم لم يمنعهم ذلك عن الكذب والكفر به ولا اضطرهم إلى الإيمان به. وكذلك قوله: ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ،[٢] في الدنيا. فإذا كان ما ذكرنا كان تأويل قوله: إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ،[٣] وقوله تعالى: وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ،[٤] أنهم يؤمنون إذا شاء الله، ولا يؤمنون وإن نزلت[٥] عليهم الآيات التي ذَكر، ولا آية أعظمُ مما ذَكَر من إنزال الملائكة وإحياء الموتى وتكليمهم أنهم على الباطل وأن الحق هو الذي دعاهم[٦] رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه. دل هذا كله أن الآية لا تضطر[٧] أهلَها على الإيمان. *والله أعلم*.

﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[١٩]

وقوله: **استحوذ عليهم الشيطان**، قال ابن عباس رضي الله عنهما: **استحوذ**، أي غلب عليهم،[٨] وقال مقاتل: أي أحاط بهم،[٩] وقال الزجاج والقتبي: أي استولى عليهم.[١٠] وذلك كله يرجع إلى معنى واحد. وفيه أن الشيطان قد سُلِّط عليهم حتى غلب عليهم بإجابتهم لما دعاهم[١١] إليه من معاداة الله ورسوله والمؤمنين. ولكنّ سلطانه على من ذكر[١٢] وهو قوله: إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ،[١٣] فغلبهم[١٤] إذا عملوا بما أراد وأجابوه إلى ما دعا.

---

[١] ر م: لأن الآية.
[٢] سورة الأنعام، ٦/٢٣.
[٣] سورة الشعراء، ٢٦/٤.
[٤] سورة الأنعام، ٦/١١١.
[٥] ر ث م: وإن نزلنا.
[٦] جميع النسخ: دعاه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٠٩ظ.
[٧] ر ث م: لا يضطر.
[٨] ر م: غلبهم الشيطان؛ ث: عليهم الشيطان. *تنوير المقباس من تفسير ابن عباس*، ٥٨٤.
[٩] نسبه الماوردي إلى المفضل. *النكت والعيون* للماوردي، ٥/٤٩٤.
[١٠] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٥٨؛ و*معاني القرآن* للزجاج، ٥/١٤٠.
[١١] جميع النسخ: بما دعاهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٠و.
[١٢] جميع النسخ: ما ذكر. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] ﴿إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون﴾ (سورة النحل، ١٦/١٠٠).
[١٤] ر ث م: فعليهم.

وقوله[1] عز وجل: **فأنساهم ذكر الله**، يحتمل أي أنساهم عظمةَ الله أو نِعَمَ[2] الله وإحسانه أو شُكرَ نعمِه.

وقوله عز وجل: **أولئك حزب الشيطان**، الحزب هو جمع الفِرَق، تحزبوا أي تفرقوا. فحزبه هو جنده كما قال أهل التأويل، لأنهم يصيرون فرقا ثم يجتمعون،[3] فيكونون[4] جندا له. وجند الرجل هم الذين يستعملهم فيما شاء من القتال وغيره ويَصدُرون[5] لرأيه. فعلى ذلك أولئك الكفرة هم جنده. وقوله[6] عز وجل: **ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون**، لأنه منّاهم في الدنيا أمورا وأمَّلَهم تأميلا فيما اتبعوه فلم يصلوا إلى شيء من ذلك، وفي الآخرة بقوله: أنْ لا بعث ولا جنة ولا نارَ، ولهم فيها عذاب فخسروا الدارين جميعا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾[٢٠]

وقوله[7] عز وجل: **إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين**، قيل: في الأسفلين، وقيل: في المهزومين، وقيل: في الآخرين، وقيل: هو في الآخرة، كقوله تعالى: وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،[8] وأما في الدنيا فربما يكونون هم الغالبين والعالين.[9] ومنهم من يقول: ذلك في الدارين جميعا هم الأذلاء. ***والله أعلم***.

﴿كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٢١]

وقوله[10] عز وجل: **كتب الله لأغلبن أنا ورسلي**، أي قَضَى الله لأغلبن. ثم قال بعضهم: ليغلبنّ محمد صلى الله عليه وسلم، كقوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ

---

[1] ر: قوله.

[2] ر: وأنعم.

[3] ر م: يجتمعوا.

[4] جميع النسخ: فيكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٠و.

[5] ر: ويصدون.

[6] ر: قوله.

[7] ر: قوله.

[8] ﴿زُيِّن للذين كفروا الحياة الدنيا ويَسْخَرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ (سورة البقرة، ٢/٢١٢).

[9] ر ث م – والعالين.

[10] ر: قوله.

لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ،[١] وفعل ذلك. وجائز أن يكون المراد منه[٢] جملةَ رسله، كقوله تعالى: وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ،[٣] وقوله تعالى: إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا.[٤] ثم الغلبة قد تكون[٥] من وجهين. أحدهما بالحجج والبراهين، وما من رسول إلا وقد غلب على خصمائه بالحجة. والثاني بالقتال والحرب، وكانت العاقبة للرسل عليهم السلام لما لم يذكر أنه قتل رسول.[٦] *والله أعلم*.[٧] وإضافة الغلبة إلى نفسه على[٨] إرادة الرسل وأوليائه على ما ذكرنا في غير موضع.

وقوله عز وجل: **إن الله قوي عزيز**، قوي بذاته، لأنه يكون قوةُ[٩] مَن دونَه به،[١٠] وكذلك [عزّ][١١] كل من دونه بتكوينه؛ أو يكون فيه بِشارة لأوليائه أنه قوي عزيز بذاته [و]أنه ينصرهم على أعدائهم ويقهرهم.

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **لا تجد قوما يؤمنون بالله / واليوم الآخر يوادون من حاد الله**، الآية، [٧٩١ظ] قال عامة أهل التأويل: نزلت في حاطب بن أبي بَلْتَعَةَ، لأنه كان كتب إلى أهل مكة أن رسول الله يقصد إليكم فخُذُوا حِذْرَكم، وكان له بمكة أهلٌ فأراد أن يكون له عندهم يَدٌ،

---

[١] سورة التوبة، ٣٣/٩.
[٢] ث م – منه.
[٣] سورة الصافات، ١٧١/٣٧-١٧٣.
[٤] ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ (سورة المؤمن، ٥١/٤٠).
[٥] جميع النسخ: قد يكون.
[٦] جميع النسخ + الله صلى الله عليه وسلم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٠و. في نظر المؤلف رحمه الله لم يقتل أحد من الرسل، وإنما قتل الأنبياء ورسل المرسلين. انظر: *تأويلات القرآن*، ١٩٧/١٢-١٩٨.
[٧] ن م – أعلم.
[٨] ن: وعلى.
[٩] ر ث م: قوته.
[١٠] ر م: بتكوينه.
[١١] الزيادة من المرجع السابق.

فَشَعر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ما حملك على هذا؟» فقال ما ذكرنا، فنزلت الآية.[1] فإن كان نزولها فيه على ما ذكروا فهي في براءته من وجهين. أحدهما أنه لم يرجع عن الإيمان والتصديق لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه لا يعود إلى مثله بعد ذلك أبدا. والثاني أنه لم يقصد بصنيعه موادّتهم ولكن قَصَدَ إلقاء المودة إليهم ليقع عندهم أنه وادّهم، وهو في الحقيقة يلقي المودة، وقد يكون ذلك، كقوله تعالى: تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ.[2] *والله أعلم*. وإن كانت الآية في غير حاطب فهي في المؤمنين[3] الذين حققوا الإيمان بالله تعالى وثبتوا عليه، لأن أهل الإيمان كانوا أصنافا ثلاثة. صنف منهم[4] محققون الإيمانَ مظهرون القتالَ مع أعدائهم. وصنف منهم لا يقدرون على إظهار ذلك والمناصبة معهم ولكن يتبعون الأقوياء منهم. والصنف الثالث متردّدون يوادون الكفرة في السر ويُظهرون الموافقة للمؤمنين. فجائز أن يكون قوله تعالى: **لا تجد قوما يؤمنون بالله**، أي الذين يحققون الإيمان بالله تعالى **واليوم الآخر يوادون من حاد الله** [**ورسوله**]، ولكن إنما[5] يوادّهم من لم يحقق الإيمان. فيكون فيه إخبارٌ عن إثبات الإيمان في قلوبهم كقوله تعالى: **أولئك كتب في قلوبهم الإيمان**، أي أثبت في قلوبهم الإيمان فلا يرجعون عنه. وفيه أن الإيمان موضعه[6] القلب. وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: ما كان لقوم يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يوادوا من حاد الله.

وقوله عز وجل: **وأيدهم بروح منه**، قيل: أيدهم بنور الإيمان الذي أثبت في قلوبهم، وأخبر عز وجل: أنه أثبت المؤمنين على الإيمان، فقال: يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ،[7] وقال: كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ،[8] وقيل: **وأيدهم بروح منه**، أي برحمة منه. ثم وصف حالهم وثوابهم في الآخرة

---

[1] انظر: تفسير الطبري، ١٤/٧٤-٧٨.

[2] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق﴾ (سورة الممتحنة، ١/٦٠).

[3] ر م: بالمؤمنين.

[4] ر م – منهم.

[5] ث – إنما.

[6] ن: هو صنيعة.

[7] ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ (سورة إبراهيم، ٢٧/١٤).

[8] ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء﴾ (سورة إبراهيم، ٢٤/١٤).

فقال: **ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله**، أي جند الله على ما ذكرنا أنهم يأتمرون بأمره ويقاتلون أعداءه ويوالون أولياءه، فهم جند الله. وقوله عز وجل: **ألا إن حزب الله هم المفلحون**، قيل: هم الناجون، وقيل: الباقون في نعم الله تعالى. ***والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب***.[1]

[1] ر ث - بالصواب وإليه المرجع والمآب؛ م - والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الحشر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿سَبَّحَ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[١]

قوله عز وجل: **سبح لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم**، قد سبق تأويل التسبيح وبيان وجوهه.[2]

وقوله: **وهو العزيز الحكيم**، **العزيز**، هو الغالب القاهر، وقيل: **هو العزيز**، حيث جعل في كل شيء من خلقه أثر الذُّل والحاجة. وقوله: **الحكيم**، له معنيان:[3] معنى الإحكام ومعنى الحكمة. فأما معنى الإحكام فهو أنه أحكم الأشياء على اختلافها وتضادّها حيث تشهد له[4] بالوحدانية، وحكيم حيث وضع الأشياء مواضعها وخلق للأشياء[5] مواضع. ثم الأصول التي تتولد[6] منها هذه الأشياء والأفعال ثلاثة: الكِيانات[7] والطبائع والعقول. أما الكيانات[8] فنحوُ النطفة إنها بحيث يصلح أن يكون منها[9] البشر إذا اتصلت به[10] موادّها، ونحوُ الماء إنه جعله بحيث يحيى به كلُّ شيء وبحيث يصلح به كل شيء. والطبائع حيث خلق[ها] في البشر وهي[11] ما يميلون بها إلى المحاسن والمنافع ويحذرون من المساوئ والمضارّ. والعقول ليدركوا به العواقب.

---

[1] ر – سورة الحشر؛ ث + وهي أربع وعشرون آيات مدنية؛ م + وهي مدنية.

[2] انظر: تأويل الآية ١ من سورة الحديد؛ و"فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية" أواخر المجلدات، «التسبيح».

[3] ر ن م: معنيين.

[4] جميع النسخ: يشهد له. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٠ظ.

[5] ر ن م: الأشياء.

[6] جميع النسخ: يتولد.

[7] ر م: والكيانات؛ ن: الكنايات؛ ث: والكنايات.

[8] ث: أما الكنايات.

[9] ن – منها.

[10] جميع النسخ: بها. والتصحيح من المرجع السابق.

[11] ن: وهو.

ثم إنه علّمهم الوجوه التي تتولد[1] من هذه الأشياء. فهو حكيم حيث خلق الأصول التي وصفنا، وعلّم عباده الأسباب التي بها تُولَدون.[2] *والله أعلم*.

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر**، [قال الحسن:][3] هم بنو قُرَيْظَة،[4] وقال غيره من المفسرين: هم بنو النَّضِير، وهو أقرب. ثم المعنى في إضافة الإخراج إليه[5] يخرج على وجهين. أحدهما أنه اضطرهم[6] إلى الخروج فنسب الإخراج إليه، كما قال الله تعالى: إذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا،[7] الآية. والثاني[8] أنه خلق الخروج من ديارهم منهم فأضيف إليه بحكم الخلق. ثم الأصل في إضافة الفعل إلى الله تعالى أنه يجوز أن يضاف إليه على التحقيق وعلى التسبيب، وأما الخلق فإنما[9] يضاف الفعل إليهم على جهة التسبيب لا على التمكين. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **لأول الحشر**، اختلفوا فيه. قال بعضهم: أول الحشر الجلاء إلى الشام، والحشر الثاني حشر القيامة. وقال بعضهم: أول الحشر هو حشر أهل الكتاب وجلاءهم من جزيرة العرب، والحشر الثاني حين أجلاهم عمر رضي الله عنه إلى الشام.

وقوله عز وجل: **ما ظننتم أن يخرجوا**، أي ما ظننتم أيها المؤمنون أن تنتصروا منهم فضلا من أن يخرجوا من ديارهم ولكن ذلك[10] من لطف الله ومنّه عليكم. وقوله عز وجل:

---

[1] جميع النسخ: يتولد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٠ظ.
[2] ر ث م: يولدون.
[3] الزيادة من المرجع السابق.
[4] *تفسير القرطبي*، ٣/١٨.
[5] ر م – إليه.
[6] ث – اضطرهم.
[7] ﴿إلا تنصُروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانِيَ اثْنَيْنِ﴾ (سورة التوبة، ٩/٤٠).
[8] ث – والثاني.
[9] ر ث م: فلما.
[10] ن ث: ذاك.

وظنوا أنهم مَانِعَتُهم / حصونهم من الله، [والإشكال أن يقال: كيف ظن الكفرة أن حصونهم مانعتهم من الله،][1] ولا يحتمل أن يتوهم أحد هذا. والمعنى في ذلك عندنا وجهان -والله أعلم- أحدهما أنهم ظنوا أن الله تعالى حيث آتاهم القوة والحصون لا يبلغ بهم حكمه المبلغ الذي يخرجون من ديارهم، لأنهم كانوا أهل كتاب وكانوا يزعمون أنهم أولى بالله من غيرهم، كقوله:[2] نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ،[3] ويكون قوله: **من الله**، أي بالله وبأمره، كقوله تعالى: لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ،[4] أي بأمر الله، فعلى ذلك[5] الأول. والثاني أي ظنوا أن حصونهم وقوتهم يمنعهم من أولياء الله أن يَظهروا عليهم، أو من دين الله أن يظهر فيهم. ***والله أعلم***. [٧٩٢و]

وقوله عز وجل: **فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا**، يعني أنه قذف في قلوبهم الرعب من حيث لم يحتسب المؤمن ولا الكافر، لأن المسلمين لم يظنوا أن يقهروهم ويغلبوهم مع قلة عددهم وكثرة عدد أولئك، وكذا لم يحتسب الكفرة أنهم مع قواهم[6] وقوة حصونهم يُقهرون ويغلَبون، حتى منّ الله تعالى على المؤمنين بأن قذف الرعب في قلوب الكفرة، وذلك[7] لطف عظيم[8] من الله تعالى إلى المؤمنين. ***والله أعلم***.

ثم الأصل فيما خرج هذا المخرج من نحو قوله عز وجل: فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ،[9] ومن نحو قوله تعالى: وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا،[10] ومن نحو قوله عز وجل:[11] إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ،[12] وما يشاكله أن يحمله على إحدى معان[13] ثلاثة.[14]

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢١٠ظ.
[2] ن ت: كقولهم.
[3] سورة المائدة، ١٨/٥.
[4] سورة الرعد، ١١/١٣.
[5] ر م + يحفظونه من أمر الله أي بأمر الله فعلى ذلك.
[6] جميع النسخ: مع قوتهم. والترجيح من *الشرح*، ورقة ٢١١و.
[7] ر م: ذلك.
[8] ن – عظيم.
[9] سورة النحل، ٢٦/١٦.
[10] سورة الفجر، ٢٢/٨٩.
[11] ن – وجاء ربك والملك صفا صفا ومن نحو قوله عز وجل.
[12] سورة البقرة، ٢١٠/٢.
[13] ر ن ت: معاني.
[14] جميع النسخ: ثلاث. والتصحيح من المرجع السابق.

أحدها[1] أن نقول:[2] المراد إتيان آثار فعل الله تعالى، ويجوز أن يضاف إليه سبيلَ إضافة حقيقة العمل، كما يقال: الصلاة أمر الله، ونحن نعلم أنها ليست بعين أمر الله، لكنها أثر أمر الله تعالى؛ وكذلك يقال: المطر رحمة الله تعالى، يعني أثر رحمته.[3] فكذلك إذا نزل[4] بهم آثار حكم الله تعالى وتدبيره وفعلِه وهو العذاب جاز أن يضاف إليه إضافةَ حقيقة الفعل. *والله أعلم*.

والثاني أن يقال بأن ما كان من هذه الأفعال موصولا بصلة فإنه يجوز أن يراد منه تلك الصلة، وإنما يتكلم[5] بإضافة هذا الفعل إليه مجازا على ما اعتاد الناس من أفعالهم إذا أرادوها أن يأتوها بأنفسهم. وشرح ذلك وبيانه أنه قال: فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ،[6] فكان المقصود من هذا تلك الصلة، وهو قوله عز وجل: فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ.[7] وكذلك قوله تعالى: **فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب**، فالمقصود قوله تعالى: **وقذف في قلوبهم الرعب**.[8] وكذلك ما أشبهه من نحو قوله عز وجل: وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا،[9] ومن نحو[10] قوله تعالى: ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ،[11] أي استوى تدبيره من حيث وَصَل منافع الأرض بمنافع السماء وكذلك ما أشبه هذا. *والله أعلم*.

والثالث نقول[12] بأن هذه[13] أسماءٌ مشتركة المعنى، وما كان سبيله هذا السبيل جاز أن يضاف إلى الله تعالى على معنى ليس يقع فيه الاشتراك بالمخلوقين. ألا ترى أنه يقال: جاء الليل وذهب النهار، ونحو ذلك على معنى الظهور ونحوه.

---

[1] ن: أحدهما.
[2] جميع النسخ: أن يقول. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١١و.
[3] ن: رحمة الله.
[4] ن: أي أنزل.
[5] ر ث م: تتكلم.
[6] سورة النحل، ٢٦/١٦.
[7] سورة النحل، ٢٦/١٦.
[8] ر م – فالمقصود قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب.
[9] سورة الفجر، ٢٢/٨٩.
[10] ر م – نحو.
[11] سورة البقرة، ٢٩/٢؛ وسورة فصلت، ١١/٤١.
[12] جميع النسخ: يقول. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ن: بأن هذا.

وقوله عز وجل: **يُخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين،** هذا يدل على أن المُلْك للمسلمين في أموال أهل[1] الحرب ليس يقع بمجرد الغلبة ما لم يكن ثَم أسْرٌ[2] لأنه أخبر أن المؤمنين كانوا يخربون بيوتهم، أضاف الملك إلى الكفرة مع أن الغلبة للمسلمين. فدل ذلك على ما وصفنا. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **فاعتبروا يا أولي الأبصار،** يحتمل تأويلين. أحدهما أن نصرفه[3] إلى المسلمين، أي اعتبروا يا أولي الأبصار من المسلمين،[4] فإنكم إذا اعتبرتم علمتم أن الله تعالى منّ عليكم حيث أخرج الكفار من ديارهم فإنه لم يكن ذلك بقوتكم. و[الثاني] يحتمل أن يكون المعنى فيه: **فاعتبروا يا أولي الأبصار،** من أهل الكتاب[5] فإن ذلك يدلكم ويعرّفكم أن اتفاقكم على النصرة على النبي صلى الله عليه وسلم لا يغنيكم كما لم يغن هؤلاء الذين خرجوا إلى مكة واتفقوا مع المشركين ثم لم يغنهم. ***والله أعلم.***

﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا،** يعني لولا أن كتب الله عليهم الجلاء في اللوح المحفوظ لعذبهم في الدنيا بالقتل. وقوله: **ولهم في الآخرة عذاب النار،** قال هذا[6] في قوم علم الله أنهم يموتون على الكفر وما روي أن أحدا منهم مات على الإسلام، فيكون فيه دلالة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخبر ذلك بالوحي والتنزيل لا من تلقاء نفسه. ***والله أعلم.***

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللهَ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله،** يحتمل أوجها ثلاثة. أحدها أن نقول:[7] **ذلك،** يعني ذلك العذابُ في الآخرة بسبب أنهم شاقوا الله ورسوله. [أو ذلك الذي كتبت عليهم

---

[1] م - أهل.
[2] ن: أشيرا.
[3] جميع النسخ: أن يصرفه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١١و.
[4] ر م - فدل ذلك على ما وصفنا والله أعلم وقوله عز وجل فاعتبروا يا أولي الأبصار يحتمل تأويلين أحدهما أن نصرفه إلى المسلمين أي اعتبروا يا أولي الأبصار من المسلمين.
[5] جميع النسخ: الكفار. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ث - هذا.
[7] جميع النسخ: أن يقول. والتصحيح من المرجع السابق.

لأجل أنه علم أنهم يشاقون الله ورسوله؛ أو ذلك الجلاء الذي أجلاهم بأنهم شاقوا الله ورسوله].[1] ثم المُشاقة والمعاداة والمحادّة والمُضادّة بمنزلة واحدة، وذلك كله بمعنى المعاداة.[2] وقوله: **ومن يشاقّ الله فإن الله شديد العقاب**، يحتمل أن يكون على التقديم والتأخير. ووجهه أن نقول:[3] إن الله شديد العقاب لمن يشاقِ الله[4] ورسوله. أو يكون[5] فيه إضمار كأنه يقول: إن عقوبته لمن يشاق الله[6] ورسوله شديدة.

﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله**، وما روي[7] أن اليهود نادَوا المسلمين أنكم تزعمون أن الله لا يحب الفساد وأنتم تفسدون بقطع النخيل،[8] لا يحتمل هذا، [لأنه][9] قال تعالى قبل هذا:[10] يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ،[11] فإذا كانت أنفسهم تسخو[12] بتخريب[13] البيوت فما بالها لا تسخو[14] بقطع الأشجار؟ ومعلوم أنه[15] لا يؤمل في البيوت منفعة /بعد تخريبها،[16] وقد يؤمل في النخيل منافع بعد قطعها. [٧٩٢ظ] ولكن إن كان يصح ذلك الخبر فتأويله عندنا أنه يجوز أن يكون المسلمون[17] خوّفهم بالقتل

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة. ٢١١و.
[2] ن: المعاداه.
[3] جميع النسخ: أن يقول. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] ر ث م: لمن يشاقق الله.
[5] ر م: أن يكون.
[6] ث: لمن يشاقق الله.
[7] ر ث م: وما ذكر.
[8] *تفسير الطبري*، ٢٨/٤٣-٤٤.
[9] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢١١و.
[10] ر م - هذا.
[11] الآية ٢ من هذه السورة.
[12] ن: تسخوا.
[13] ر: تفحريب.
[14] ن ث: لا تسخوا.
[15] ن: بأنه.
[16] ر: تخربها.
[17] ر: المسلمين.

فقالوا على إثر ذلك: إنكم إذا قتلتمونا صارت هذه النخيل ملكا[١] لكم فكيف تفسدون أملاككم؟

ثم في إذن الله بقطع النخيل أوجه[٢] من التأويل. أحدها أن يكون فيه بيان أن مقاتلة المسلمين إياهم لم يكن لرغبة[٣] في أموالهم بل ليستسلموا[٤] لله ورسوله ويخضعوا لدينه.

والوجه الثاني أن حرمة هذه الأموال إنما هي لحرمة أربابها، فإذا سقطت حرمة أربابها[٥] وأبيح قتلهم وإتلافهم فما ظنك بأموالهم؟

والوجه الثالث أن الله عز وجل كتب عليهم الْجَلاء، ومعلوم أن أنفُسَهم بالجَلاء إذا خَرِبت بيوتُهم وقُطعت أشجارهم أسخى منه إذا بقيت ليُقطَع طمع من أُجلي عن المُقام. فأذن الله تعالى في قطع النخيل إتماما لما كتب عليهم من الجلاء. ***والله أعلم.***

والرابع أن هؤلاء كانوا أئمة اليهود، والتحريف والتبديل للتوراة إنما وقع منهم رغبة في الدنيا وسَعَتِها، فأذن الله تعالى في قطع النخيل عقوبة لهم وخزيا[٦] من الوجه الذي وقع له التبديل منهم. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **فبإذن الله**، إن كان المراد منه العلمَ فوجهه أن الله تعالى علم منهم ذلك ولو كان فسادا فيه لنهاهم عن ذلك، وإن كان المراد منه الأمر فهو أن الله تعالى أمر بالقطع والترك جميعا، وإن كان المراد منه المشيئةَ فهو أن الله تعالى قد شاء الأمرين جميعا. ***والله أعلم.***

واللِّينة اللون من النخيل،[٧] كما يقول: قُوتٌ وقِيتَة.[٨]

وقوله عز وجل: **ولِيُخْزِيَ الفاسقين**، أي ليكون كَبْتا[٩] وغَيظا للفاسقين. ***والله أعلم.***

---

[١] ر: لمكا؛ م – ملكا.

[٢] جميع النسخ: أوجها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١١ظ.

[٣] ن: في رغبة.

[٤] ر م: يستسلموا.

[٥] ر ث م – فإذا سقطت حرمة أربابها.

[٦] جميع النسخ: وحزنا. والتصحيح من المرجع السابق.

[٧] قال ابن سيده: قوله في التنزيل العزيز: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ﴾، كلُّ شيء من النخل سوى العَجْوة فهو من اللِّين، واحدته لِينةٌ. وقال أبو إسحاق: هي الألوان، الواحدة لُونَةٌ، فقيل: لِينة –بالياء– لانكسار اللام (*لسان العرب*، «لين»).

[٨] ر: وقتية. القُوت والقِيت والقيتة: المُسْكة من الرزق (*لسان العرب*، «قوت»).

[٩] ن: كيتا.

﴿وَمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلٰكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب**، {قال:} حق هذه الآية أن تكون[١] مؤخرة وأن يكون قوله عز وجل: مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى،[٢] متقدمة لوجهين. أحدهما أنه ذكر فيه الواو، والواو لا يبتدأ بها إلا في القَسَم. والثاني أن قوله: **وما أفاء الله على رسوله منهم**، حرف كناية، والكناية لا بد لها من معرفة تعطف[٣] عليها وترجع[٤] إليها، فلذلك قلنا: إن حقه التأخير وحق الثانية التقدم. وعلى ذلك قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وإذا كان كذلك فوجهه أن الذي وجب صرفُه إلى الأصناف التي ذكرها[٥] إنما هو الخُمُس،[٦] وأوجب هاهنا من كل الغنيمة فأبان بقوله: **وما أفاء الله على رسوله منهم**، أنه إنما صرف[٧] هذه الأربعة الأخماس إلى النبي صلى الله عليه وسلم دونهم لهذا المعنى أنهم لم يُوجفوا عليه من خيل ولا ركاب، أشار إلى أن استحقاقهم الأربعة الأخماس بسبب إيجاف الخيل والركاب. ***والله أعلم***. وإن كانت القراءة على ما يتلى للحال ليس على التقديم والتأخير فإنه يحتمل أن يكون قوله تعالى: **وما أفاء الله على رسوله منهم**، صلة قوله: يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ،[٨] **وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب**، وإذا كان بناءً على ذلك استقام أن يذكر بحرف الواو وحرف الكناية.

{قال رضي الله عنه:} إن[٩] المنافقين وأهل الضَّعْف من المؤمنين الذين آمنوا بالتقليد يظنون في هذا الموضع أن كيف تخصّ هذه الغنيمة قرابته والمهاجرين الذين هاجروا إليه وكيف آثر بها نفسه؟ والجواب عن هذا أن هؤلاء الأصناف قومٌ على عامة[١٠] المسلمين تُحْمَل مؤنتهم لولا هذه الغنيمة.

---

[١] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١١ظ.
[٢] الآية التالية.
[٣] جميع النسخ: يعطف. والتصحيح من المرجع السابق.
[٤] جميع النسخ: فيرجع. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] جميع النسخ: ذكرنا. والتصحيح من المرجع السابق. أي في الآية التالية.
[٦] ر – الخمس.
[٧] جميع النسخ: إنما يصرف. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] الآية ٢ من هذه السورة.
[٩] ر م – إن.
[١٠] ر م – على.

ومعلوم أن أنفس[١] المسلمين ببذل ما عليهم من ملك العامة[٢] أسخى منه لو صُرف إلى كل واحد منهم على الإشارة إليه من ملكه الخاص.

وعلى هذه العبارة[٣] تجري[٤] مسائل لنا. إحداها ما روي عن عمر رضي الله عنه أنه جعل العقل[٥] على أهل الديوان لأن ذلك يخرج مخرجَ المعونة. ومعلوم أن المعونة[٦] على عامتهم، فبذْل[٧] ما رجع من هذا الحق إلى ملك[٨] العامة أسهل[٩] عليهم لو صُرف إلى خاصتهم، وكذلك قوله: وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا.[١٠] ومعلوم أن منع تلك الزوجة عن أن تذهب[١١] إلى دار الحرب بشيء من مال زوجها كان واجبا على العامة [فأوجب ما وجب من ذلك الحق على تلك العامة]،[١٢] وكذلك المسلمون إذا أصابوا غنيمة، وفيها مال مسلم قد غلب عليها المشركون[١٣] أنه ما دام الملك للعامة و لم يُقْسَم يُرَدّ عليه من غير بدل، وإذا اقتسموا[١٤] واختص كل واحد منهم[١٥] بملكه لم يأخذه إلا ببدل، فكذلك الأول. ***والله أعلم***.

{قال الفقيه رحمه الله:} والذي يجب من جهة العرف والشريعة أن يكون تحمل مئونة رسول الله عليه وسلم على أمته. أما من جهة العرف فهو أن من عمل لغيره كان مئونته على ذلك المعمول[١٦] له، وكذلك من جهة الشريعة. ومعلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

[١] ر: نفس.
[٢] ر م: من تلك الأمانة؛ ن ث: الإمامة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١١ظ.
[٣] ر ن م: العبادة.
[٤] ر م: يجري.
[٥] سُمِّيت الدِّية بأي شيء كان عَقْلا، وسُمي الملتزمون له عاقلةً (*لسان العرب*، «عقل»).
[٦] ر – ومعلوم أن المعونة.
[٧] ر ث م: فيدل؛ ن: فبدل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١١ظ.
[٨] ر م: تلك.
[٩] ر: سهل.
[١٠] سورة الممتحنة، ٦٠/١١.
[١١] جميع النسخ: عن أن يذهب. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] الزيادة من المرجع السابق.
[١٣] ر: المشركين.
[١٤] ر م: وإذا قسموا؛ ن ث: وإذا أقسموا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٢و.
[١٥] ر ث م – منهم.
[١٦] ر: القبول.

كان يقوم بأمور أمته في أمور دنياهم وآخرتهم، وإذا كان الأمر على ما ذكرنا كان[1] أولى ما يُجْعَل لرسول الله صلى الله / عليه وسلم هو مالَ العامة وذلك هو الفيء. هذا لو اختصه النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه، فكيف وقد قسمه بين الفقراء وأهل الحاجة و لم يُؤْثِره[2] لنفسه.[3] [٧٩٣و]

ووجه آخر في هذا ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أحلت لي الغنائم و لم تَحِلَّ[4] لأحد قبلي»، وقال: «نُصرتُ بالرُّعب مسيرةَ شهرين».[5] فلو اختص ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لنفسه لجاز[6] له بما قال، ولكن الله جعل الفيء له [حتى يفرّقه][7] بين من كان تَحَمُّلُ[8] مؤنتهم على المسلمين لو لا هذا الفيء كي تكون[9] المنة له على أمته، ولئلا يكونَ لأحد من أمته عنده عليه الصلاة والسلام يدٌ ولا صنيعة. ***والله أعلم***.

ووجه آخر أنه لم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم في كسب شيء من الدنيا وفضولها حتى يصطنع من فضولها بالمعروف، فجعل الله له الفيء ليكتسب به الفضائل والمعروف. ***والله أعلم***. وفي قوله: «نُصرتُ بالرُّعب مسيرةَ شهرَيْن» دلالة أن ما أفاء الله على رسوله وأعطاه فهو له خاصة يصنع به ما شاء ويفرّق فيمن شاء.

والقول عند أصحابنا في الإمام إذا أعطاه أهل الحرب شيئا[10] أن يُشرك[11] فيه قومه لأن هبة الأئمة إنما هي لقومهم، وكانت[12] هبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بما نُصر بالرعب فجاز أن يختص لنفسه. ***والله أعلم***.

---

[1] ث - كان.

[2] ر م: و لم يوحده؛ ث: و لم يوقده.

[3] ن: على نفسه.

[4] جميع النسخ: و لم يحل. والتصحيح من مصدر الرواية.

[5] *المعجم الكبير* للطبراني، ٦١/١١، ٦٤؛ *والسنن الكبرى* للبيهقي، ٦٠٨/٢. وفي الرواية المشهورة: «...نصرت بالرعب مسيرة شهر، وأحلت لي الغنائم و لم تحل لأحد قبلي...» (*مسند أحمد بن حنبل*؛ ٣٠١/١؛ وصحيح *البخاري*، التيمم ١؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ٣).

[6] ن + ذلك.

[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢١٢و.

[8] ن: يحمل.

[9] جميع النسخ: كي يكون.

[10] ر م - شيئا.

[11] ر ث م: أن يشترك.

[12] ر م: وكان.

﴿مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٧]

ثم قوله: **ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى**، يعني ما رد الله[١] على رسوله من ملك الكفرة، أو ما أعطى الله رسوله[٢] من ملك الكفرة. وقوله: **من أهل القرى**، يجوز أن تكون[٣] قُرًى قد أُعْطُوه، أو تكون[٤] هذه بِشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في فتح القرى. وقوله عز وجل: **ولذي القربى**، يجوز أن يقال: إن الظاهر من هذه الآية أن يكون المراد منها قرابةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأما في قوله: وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى،[٥] فقرابة[٦] رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما يدخل في هذه الآية بالتأويل، وذلك أن المفهوم من ذكر القرابة إنما هو قرابة المخاطبين في الآية. ومعلوم أن الخطاب في القسمة إنما هو للمغتنمين، وفي قوله تعالى: **ما أفاء الله على رسوله**، إنما يفهم منه قرابة الرسول عليه السلام. وأما سهم ذوى القربى فإن أصحابنا يسلكون في ذلك مذهبين؛ منهم من يقول: إن هذا الحق في الأصل للمحتاجين من القرابة لوجهين. أحدهما قوله: **واليتامى والمساكين وابن السبيل**، وكان المراد منه منصرفا إلى المحتاجين فكذلك في القرابة. ومنهم من قال: إن الخُمُس كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصل به[٧] قرابته، فلما قبض عليه السلام انقطع ذلك الحق لوجهين. أحدهما قوله عليه الصلاة والسلام: «إنا مَعَاشِرَ الأنبياء لا نُورَث[٨] ما تركنا صدقة».[٩] والثاني أنهم إنما كانوا يستوجبونه برسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا قبض انقطع ذلك الحق على سبيل انقطاع الحقوق عن أصحابها[١٠] عند وفاتهم.

---

[١] ر م: يعني رد الله.
[٢] ر ث م: ورسوله.
[٣] جميع النسخ: أن يكون.
[٤] جميع النسخ: أو يكون.
[٥] سورة الأنفال، ٨/٤١.
[٦] ن ث: فقرأ به.
[٧] ر م + إلى.
[٨] ن: لا يورث.
[٩] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «إنا معشر الأنبياء لا نورث، ما تركت بعد مئونة عاملي، ونفقة نسائي صدقة» مسند *أحمد بن حنبل*، ٢/٤٦٣؛ وصحيح *البخاري*، الخمس ١.
[١٠] ر م: أصحابنا.

ثم الفائدة في منع ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوراثة وجهان. أحدهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يستعمل نفسه في شيء من لذات الدنيا وشهواتها وكان قائما لله تعالى خالصا. فإذا كان كذلك جاز أن يكون الذي في يده بمنزلة مال في يَدَيْ عبد إنسان أن تكون[1] حقيقة الملك فيه لمولاه، وإن كان في الظاهر له. *والله أعلم*.

فإن قيل: أليست[2] الأملاك كلها لله تعالى؟ قيل لهم: نعم غير أن الإضافة [إلى الله][3] قد تكون خصوصية حال، كقوله تعالى: نَاقَةُ اللهِ،[4] وبيت الله.[5]

ووجه آخر أن ما كان[6] لرسول الله صلى الله عليه وسلم محبوس عليه إلى يوم القيامة. ألا ترى أن زوجاته محبوسات عليه لا يَحِلِلن لأحد بعده، ونبوته عليه [السلام] لم تتحول[7] بعده إلى غيره. جاز أيضا أن يوقف عليه ملكه عليه السلام، ومعلوم أن ما كان موقوفا فسبيله الصدقة.[8] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **كيلا يكونَ دُولَةً بين الأغنياء منكم**، له معنيان. أحدهما أنه لو لم يبين هذه المواضع لكان ذلك الخمس الذي كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم يَخلُفه فيه الخلفاء من بعده فيتداوله الأغنياء بينهم. ومعنى آخر لو فُرِّق هذا بين الفقير والغني لكان الغني[9] حين يقع هذا في يده كان يكتسب به فضول الدنيا، وأما الفقير فأول ما[10] يقع في يده يستمتع به[11] في منافع نفسه فلذلك فُرِّق في الفقراء. *والله أعلم*. وقال بعضهم: الدُّولة هي اسم للذي يدول بين الناس، والدَّولة واحدة وهي فِعْلُه.[12]

---

[1] ر ث م – الذي في يده بمنزلة مال في يدي عبد إنسان أن تكون؛ ن: أن يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٢ و.

[2] ر م: ليست.

[3] الزيادة من المرجع السابق.

[4] م – الله. سورة الأعراف، ٧٣/٧؛ وسورة هود، ٦٤/١١؛ وسورة الشمس، ١٣/٩١.

[5] يقول الله تعالى: ﴿وعَهِدْنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهِّرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾ (سورة البقرة، ١٢٥/٢)؛ وانظر أيضا: سورة الحج، ٢٦/٢٢.

[6] ر م: آخر ما كان.

[7] جميع النسخ: لم يتحول. والتصحيح من المرجع السابق.

[8] ر ن م: التصدق؛ ث: التصديق. والتصحيح من المرجع السابق.

[9] ر م – الغني.

[10] ر م – ما.

[11] ر: ليستمع به؛ ن – به.

[12] ث: فعلة. قال الزجاج: الدُّولة اسم الشيء الذي يُتداوَل، والدَّولة الفعل والانتقال من حال إلى حال (*لسان العرب*، «دول»).

وقوله عز وجل:[١] **وما آتاكم الرسول فَخُذُوه وما نهاكم عنه فَانْتَهُوا**، يعني ما أعطاكم رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه الغنيمة فخذوه ولا تظنوا به ظنا مكروها. **وما نهاكم عنه فانتهوا**، ليس نهي زجر وشريعة ولكن نَهْيُ منعٍ،[٢] يعني[٣] وما منع[٤] [منكم][٥] من هذا الفيء فانتهوا[٦] عنه. وعلى قراءة ابن مسعود رضي الله عنه **وما آتاكم**[٧] **الرسول فخذوه**، يحمل[٨] معنى الأمر[٩] ومعنى الإعطاء، أي ما آتاكم من الدنيا فخذوه، وما نهاكم[١٠] عنه [يعني منع عنكم فلا تظنوا أنه المكروه. أو **ما آتاكم**، يعني ما أمركم به فخذوه، **وما نهاكم عنه**][١١] يعني زجركم عنه فانتهوا عنه.

{قال رحمه الله:} ونرى[١٢] عامة الفقهاء يحتجون[١٣] بهذه الآية في موضع / الأمر[١٤] [٧٩٣ظ] مع لفظ الإيتاء، وليس يوجب ظاهره هذا، إذ الإيتاء هو الإعطاء والتمليك، كقوله: وَآتُوا الزَّكَاةَ.[١٥] ولكن وجه الاحتجاج به[١٦] أن الله تعالى لما أمرنا[١٧] بأخذ معروفه عليه الصلاة والسلام -وإن كان في أخذ[١٨] المعروف من غيره صلى الله عليه وسلم خيار- فَلَأَنْ يَلْزمنا الأخذُ بأمره والاتباع له أحرى وأولى. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **واتقوا الله إن الله شديد العقاب**، هذا يؤكد ما ذكر من اتباع أمره. *والله أعلم*.

---

[١] ن: لقوله تعالى.
[٢] ر ث م + منكم.
[٣] ر م – يعني.
[٤] م – وما منع.
[٥] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢١٢ظ.
[٦] ن – ليس نهي زجر وشريعة ولكن نهي منع يعني وما منع منكم من هذا الفيء فانتهوا.
[٧] لم يمكن لنا أن نثبت قراءة ابن مسعود عن المنابع.
[٨] ر ث م: ويحمل.
[٩] ن: الأجر.
[١٠] ر م + من الدنيا.
[١١] الزيادة من المرجع السابق.
[١٢] ر ن م: ويرى.
[١٣] ن: محتجون.
[١٤] ن: الأجر.
[١٥] انظر مثلا: سورة البقرة، ٢/١١٠.
[١٦] ن – به.
[١٧] ن: لما أمر.
[١٨] ن: في أحد.

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **للفقراء المهاجرين**، الآية وما نُسِق[١] عليه من قوله: وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ،[٢] وقوله: وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ،[٣] الآيات، ظاهر هذا يقتضي إيجاب حق لهم، لأنه إذا قيل: "الفلان..." لم يكن[٤] بُدٌّ مِن أن يقال: "كذا وكذا". وإذا كان كذلك لم يكن بُدّ[٥] من حق يُذكر لهم، ولا يحتمل أيضا أن يُخفيَ الله تعالى علم ذلك الحق[٦] الذي أوجب لهذه الأصناف عن خلقه، فالسبيل في ذلك من جهة التأويل عندنا. *والله أعلم*. ثم يحتمل أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن جوابه لمن؟ فقال:[٧] **للفقراء المهاجرين.** ويحتمل أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم سأل ربه جل وعلا عن جوابه لمن.[٨] فأخبره[٩] أنه[١٠] **للفقراء المهاجرين.**

ثم إنه يجوز أن يكون ذلك الحق ما وُظّف[١١] من الخراج على أهل القرية إذا فتحت. وهو ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لعليّ وابن مسعود رضي الله عنهما حين فتح سواد الكوفة: إني كنت[١٢] أستشيركم[١٣] في أمر قد أغناني الله تعالى عن مشورتكم حين تلوت[١٤] هذه الآية، ثم تلا قوله:[١٥] **للفقراء المهاجرين،** ثم قال: ليس[١٦] لهؤلاء خاصة،

---

[١] ر م: ينسق؛ ن ث: يشق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٢ظ.
[٢] الآية التالية.
[٣] الآية ١٠ من هذه السورة.
[٤] ن: لم يك.
[٥] ر م: به.
[٦] م: المحق.
[٧] جميع النسخ: قال. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] م – لمن.
[٩] ر ث م: فأخبر؛ ن: فأخبر أنه. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ر ث م – أنه.
[١١] ر: وما وظف.
[١٢] ر م – كنت.
[١٣] ر ث م: أستشير بكم؛ ن: أسلسين بكم. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٤] ث: تموت.
[١٥] م – قوله.
[١٦] ر م – ليس.

وتلا قوله: وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ،[١] ثم قال: ليس لهؤلاء خاصة وتلا قوله: وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ.[٢] وروي أن بلالا قال له: إقسِمْ بيننا كما قسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر بين أهل العسكر. فقال:[٣] اللهم اكْفِنِي بلالا وأهله. ثم قال عمر رضي الله عنه: لو قسمتها بينكم لتركت آخرَ عِصابة[٤] في الإسلام لم يُصبْ[٥] من هذا.[٦] وأخبر الله بقوله: وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ، أنهم شركاء هؤلاء. فجائز أن يكون عمر رضي الله عنه حين تلا هذه الآيات[٧] تَذكَّرَ خبرا أخبر به[٨] رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلم[٩] أن الحق الذي أوجب الله تعالى لهؤلاء ذلك. أو يجوز أن يكون الله تعالى بلطفه ألهمه وعليا وابن مسعود رضي الله عنهم، لأنه روي أنهما أشارا عليه بذلك.

ولذلك قال أصحابنا: إن الإمام إذا افتتح قرية من قرى أهل الحرب فهو فيها بالخيار، إن شاء قسمها بين أهلها ووظّف عليهم الخراج وإن شاء قسمها بين أهل العسكر، وإنما كان كذلك لأن المقصود من المقاتلة أحد معنيين: إما توسيع أمكنة الإسلام أن تضيقَ أو تضييقُ[١٠] المكان بهم ليستسلموا لدين الله وينقادوا لأمره[١١] وينظروا في حججه. وليست مقاتلتهم[١٢] عقوبة لكفرهم[١٣] بل لِما وصفنا من المعنى. وهذا المعنى قد يستفاد إذا وُظِّف عليهم الخراج، فلذلك كان[١٤] للإمام الخيار. *والله أعلم*. ولو فهم بلال رضي الله عنه المعنى الذي لأجله[١٥] قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر بينهم لم يَقِسْ أمر سواد الكوفة عليه.

---

[١] الآية التالية.
[٢] الآية ١٠ من هذه السورة. انظر: *السنن الكبرى* للبيهقي، ٦/٥٧١-٥٧٢.
[٣] ر ث م: وقال.
[٤] ن ث: عصابه.
[٥] ر: لم يصيب.
[٦] انظر: *السنن الكبرى* للبيهقي، ٦/٥١٧.
[٧] ر: الآية.
[٨] م – به.
[٩] ر ث م: فيعلم.
[١٠] جميع النسخ: أن يضيق أو تضيق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٢ظ.
[١١] ر ث م: الأمر.
[١٢] ر م: مقابلتهم.
[١٣] جميع النسخ: كفرهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٤] ن – كان.
[١٥] ر م: لأجل.

والمعنى من قسمته عليه الصلاة والسلام خيبر بينهم عندنا -والله أعلم- هو أن المسلمين لما صُدّوا عن البيت بالحديبية بشّرهم الله تعالى بفتحٍ قريب عوضا عما نالهم فيما أصابهم، وأما سواد الكوفة فلم يكن فيها شيء من هذا المعنى، فلم يجز أن يكون أمره مقيسا عليه. ***والله أعلم***.

ثم قوله:[1] **للفقراء المهاجرين**، يحتمل أن يكون المراد منه المجاهدين المقاطعين[2] لأسباب عيشهم من الأموال والديار، أي لهم هذا الحق الذي سبق وصفه.

وقوله عز وجل: **الذين أخرجوا من ديارهم**، لم يخرجوهم من ديارهم في الحقيقة، ولكنهم ضيقوا عليهم حتى خرجوا فأضيف[3] الإخراج إليهم إذ كانوا[4] أسبابا لخروجهم. وهذا كقوله تعالى: فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ،[5] وإبليس عليه اللعنة لم يتول إخراجهما من الجنة ولكنه[6] حرّضهما على سبب إتيانه فلم يستقرا بعده في ذلك المكان، فأضيف الفعل إليه. وقد وصفنا أن هذه الأفعال إذا أضيفت إلى العباد فإنما المعنى [من][7] ذلك أسباب يكون منهم لا حقيقة تلك الأفعال، وما أضيف إلى الله تعالى من ذلك فهو يحتمل الأمرين جميعا: الحقيقة والسبب. وذلك[8] لأجل أن العبد لا يمكنه أن يُقدر آخر على فعل في وقت فعله إلا على السبب، فأما رب العالمين فإنه قادر على إقدار العبد على فعله[9] وقت فعله، فلذلك قلنا: إنه يجوز أن يراد حقيقة الفعل فيما يضاف إلى الله تعالى. ***وهو الموفق***.

وقوله عز وجل: **من ديارهم وأموالهم**، يدل على أنها كانت لهم[10] بمكة ديار وأموال، ثم مع هذا لم يُروَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ردُّ شيء من ديارهم عليهم[11] بعد فتح مكة ولا تضمينُ أولئك شيئا من أموالهم ليعلم أن أهل الحرب إذا غلبوا على أموال المسلمين ملكوها. ***والله أعلم***.

---

[1] ر م: وقوله.
[2] ر ث م: القاطعين.
[3] ر م: فإذا أضيف.
[4] ر م: إذا كانوا.
[5] سورة البقرة، ٣٦/٢.
[6] ن: ولكن.
[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢١٣و.
[8] جميع النسخ: في ذلك. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ر م: على فعل.
[10] ث - لهم.
[11] ن - عليهم.

وقوله/عز وجل: **يبتغون فضلا من الله**، يعني أنهم هاجروا لدينهم وانقطعوا عن أسباب [٧٩٤و] عيشهم من الأموال يبتغون الرزق من الله تعالى [عند انقطاع أسبابهم. وقوله: **ورضوانا**، أي ويبتغون بهجرتهم رضوانا من الله].[١] وقوله[٢] عز وجل: **وينصرون الله ورسوله**، دل أن هذا الحق للمجاهدين منهم. ثم قوله:[٣] **وينصرون الله**، يحتمل وجهين. أحدهما ينصرون رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرُ "الله" صلة. والثاني وينصرون[٤] دين الله ويطيعون رسوله عليه السلام. وقوله: **أولئك هم الصادقون**، يعني الذين أظهروا صدق الإيمان من قلوبهم هجرتهم لدينهم وسعيهم إلى ما يُزلفهم إلى الله تعالى ويقرّب إليه.

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [٩]

وقوله عز وجل: **والذين تبوءوا الدار**، يعني الذين اتخذوا ديارا واسعة تسعهم[٥] والمهاجرين، وهم الأنصار. وقوله: **والإيمانَ**، أي أنهم آمنوا قبل هجرة هؤلاء لكي يأمن هؤلاء المهاجرون إِحْنَتَهم[٦] ولا يخافوا شرهم. وقوله: **من قبلهم**، يعني من قبل الهجرة. وقوله عز وجل: **يحبون من هاجر إليهم**، يعني أن الله تعالى ألقى محبته حتى أنزلوا المهاجرين ديارهم وأنفقوا عليهم أموالهم. وقوله عز وجل: **ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أُوتُوا**، يعني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قسم خيبر بين[٧] المهاجرين وتَرَك الأنصار لم[٨] يَقسِم بينهم لم يجد الأنصار في قلوبهم حاجة مما أَعطى المهاجرين. يعني أن الله تعالى أغنى قلوبهم حتى لا يتفكروا[٩] عن حاجة ولا فقر البتة.

---

[١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢١٣و.
[٢] ر: قوله.
[٣] ر: ثم وقوله.
[٤] ر م: ينصرون.
[٥] ر ث م: يسعهم؛ ن: ليسعهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] ر: المهاجرين من أحستهم؛ ن ث: المهاجرين من أحبتهم؛ م: المهاجرين أحسهم. والتصحيح من المرجع السابق. الإحنة الحقد في الصدر (*لسان العرب*، «أحن»).
[٧] ن: من.
[٨] ر م: له.
[٩] جميع النسخ: لا تفكروا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٣و.

ويحتمل أن يكون المعنى من الحاجة هاهنا الغل والحسدَ؛ يعني أن الله تعالى طهَّر قلوبهم حتى لم يجدوا في صدورهم حاجة. وقوله[1] عز وجل: **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصةٌ**، أي يؤثرون[2] على أنفسهم في[3] أملاكهم أنهم لا يجدون بما يبذلونهم[4] من[5] حاجة مما يملكون، ويؤثرون المهاجرين على أنفسهم ولو كان بهم حاجة.

وقوله[6] عز وجل: **ومن يُوقَ شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون**. إن الله تعالى خلق في طبع البشر محبة المحاسن والمنافع والطلبِ لها وبغضَ المساوئ والمضارَ والهربَ عنها. ثم إنه امتحنهم بالإنفاق مما يحبون[7] وحملِ النفس على ما يكرهون طلبا لنجاتهم وتوصلا إلى ثوابهم. ثم[8] وقاية الأنفس من الشح تكون[9] بوجهين. أحدهما أن يمن الله على عبده ليصير ما هو غائب عنه من الثواب في الآجل كالشاهد فيخِفَّ[10] عليه الإنفاق مما يحب[11] ويصير ذلك كالطبع له. والثاني يوفقه الله تعالى ويعصمه، ويلهمه تعظيم[12] أمره ونهيه حتى يَقهَر نفسه ويحملها على الائتمار بأمر الله تعالى والانتهاء عما نَهى عنه وإن كان طبعها على خلاف ذلك. ثم إضافة الوقاية إلى نفسه تدل[13] على أنه قد بقي في خزانته شيء لم يؤته عبده حتى يصف[14] نفسه بأنه يَقِي عبده[15] شحَّ نفسه ولولا ذلك لم يكن لوعده بوقاية نفسه عن شحها معنى. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **فأولئك هم المفلحون**، يعني الباقون في النعيم الدائم، والفلاح في الحقيقة هو البقاء في النعيم.

---

[1] ر: قوله.
[2] ن: أي ويؤثرون.
[3] ث – في.
[4] ر م: بما يبدلون؛ ن ث: بما يبذلون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٣و.
[5] ن ث: هم.
[6] ر: قوله.
[7] ن: تحبون.
[8] جميع النسخ + يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ر م: فيخفف؛ ن: فيحف.
[11] ر م: مما يجب.
[12] ر: ويلهم تعظيم؛ م: بتعظيم.
[13] جميع النسخ: يدل. والتصحيح من المرجع السابق.
[14] ن + عبده.
[15] جميع النسخ: بقي عنده. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[١٠]

وقوله[١] عز وجل: **والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا**، الآية، قد علم الله تعالى أنه قد يكون في أمة[٢] محمد صلى الله عليه وسلم من يلعن سلفه حتى أمرهم بالاستغفار لهم.

وفيه دلالة على فساد قول الروافض والخوارج والمعتزلة، لأن الروافض من قولهم: إن القوم لما وَلَّوا الخلافة أبا بكر الصديق رضي الله عنه كفروا. ومن قول الخوارج: إن عليا رضي الله عنه كفر بقتاله معاوية وأصحابه، وقالت المعتزلة بأن من عدل عن الحق في القتال خرج عن الإيمان. ولو كان ما ارتكبوا من الزلات يُكفِّرهم أو يُخرجهم عن الإيمان لم يكن للاستغفار لهم معنى، لأن الله سبحانه وتعالى نهى[٣] عن الاستغفار للمشركين. فإذا أذن هاهنا بالاستغفار لهم تبين[٤] بهذا أن ما ارتكبوا من الذنوب لم يخرجهم من الإيمان. ولأنه أبقى الأخوة فيما بينهم مع علمنا أنه لم يكن بين الآخرين والأولين[٥] أخوة إلا في الدين، فلو لا أنهم كانوا مؤمنين لم يكن لإبقاء الأخوة معنى. *والله أعلم*. ولأنه قال تعالى: **ولا تجعل في قلوبنا غِلًّا للذين آمنوا**، ولو كان ذلك يخرجهم من الإيمان لم يكن لهذا الدعاء معنى لأن الواجب أن يكون في قلوب المؤمنين عداوة الكفار[٦] ومقتُهم. فلما ندب جل ثناؤه في هذه الآية إلى نفي الغل والحسد عن قلوبهم بتلك الدعوة ثبت أنهم كانوا مؤمنين. *والله أعلم*. ثم في الأمر بالاستغفار لهم[٧] دلالة أنه قد كانت منهم ذنوب يستوجبون بها العقوبة لولا فضل الله ومغفرته وإن كانوا فيما يتعاطونه مجتهدين لِيُعلم أنه ليس كل مجتهد مصيب.

ثم قوله عز وجل: **ولا تجعل في قلوبنا غِلًّا للذين آمنوا**، يعني عداوة؛ يحتمل أن يكون المراد منه[٨] المؤمنين الذين سبقوهم، ويحتمل أن يكون هذا في كل المؤمنين.

---

[١] ر: قوله.
[٢] ر: في أمته.
[٣] ث – نهى.
[٤] ر ث م: يبين.
[٥] ن: بين الأولين والآخرين.
[٦] ر: الكفارة.
[٧] ن: ثم بالأمر في الاستغفار لهم.
[٨] م: من.

وقوله عز وجل: **ربنا إنك رءوف رحيم**، الرحمة من الله تعالى فضل منه على عباده وإحسان إليهم. ألا ترى إلى قوله: رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ.[1] فأخبر أن رحمته هبة منه وإحسان إلى عبده. ***والله أعلم.***

[٧٩٤ظ] ثم الاستغفار في حال الحياة له معنيان. أحدهما طلب / السبب الذي إذا جاءه استوجب المغفرة. والثاني حقيقة المغفرة. وفي حال الوفاة ليس إلا طلبَ عين[2] المغفرة. فلما ندب جل وعلا إلى الاستغفار لهم بعد وفاتهم، وحال الاستغفار بعد الوفاة على ما وصفنا لا يتوجه إلا على حقيقة المغفرة، ثبت أن ذنوبهم لم يخرجهم من الإيمان[3] لأنه لو كان من حكمه -جل ثناؤه- أن لا تَحِلّ[4] مغفرتهم إذا ارتكبوا الكبيرة لم يكن في الأمر بالاستغفار لهم حكمة. ***والله أعلم.***

وقال جعفر بن حرب:[5] إنه ليس في قوله: **ولا تجعل في قلوبنا غلا**، ما يدل على أنه يجعل في قلوبهم، لأنه إذا قيل: لا تفعل فلانا شيئا، لم يفهم به أنه يفعله إذا أحب. ولكن يجاب عن هذا أنه ذكر الله تعالى نصا في آية أخرى ما يدل على جعل العداوة. ألا ترى أنه قال: فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.[6] فإن قال تأويله: أنه خَلّى بينهم وبينها لا أنه جعلها. قلنا: غير محتمل أن يخلق الله تعالى العداوة في قلوبهم من غير فعل يكون منهم بها،[7] وإذا كان[8] كذلك ثبت أنه يخلق هذه الأشياء وقت فعل العبد لها. ***والله أعلم.***

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب**، هذه الآية تدل[9] على أن الله تعالى جعل حجة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم على المنافقين في أنفسهم،

---

[1] سورة آل عمران، ٨/٣.
[2] ن: عن.
[3] ر ث م - من الإيمان.
[4] جميع النسخ: أن لا يحل.
[5] هو أبو الفضل الأشج جعفر بن حرب الهمداني البغدادي (ت ٢٣٦هـ/٨٥٠م) من أئمة المعتزلة. أخذ الكلام عن أبي الهذيل العلاّف بالبصرة. وصنف كتبا. (انظر: *الأعلام* للزركلي، ١٢٣/٢).
[6] سورة المائدة، ١٤/٥.
[7] ث - بها.
[8] جميع النسخ: وإن كان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٣ظ.
[9] ر ث م: يدل.

لأنهم قالوا هذا القول سرا منهم إلى أهل الكتاب، لأنه لا يحتمل أن يظهروا مثل هذا القول بين يدي المؤمنين ولا كان الكفار يخبرون بهذا أحدا من المؤمنين. فلما أخبره ما قال المنافقون[١] ثبت أنه ما علمه إلا عن الوحي والتنزيل وذلك عَلم نبوته عليهم. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **لئن أُخرجتم لَنَخرُجَنَّ معكم**، يحتمل وجهين. أحدهما أنه يجوز أن يكونوا[٢] قالوا لهم هذا[٣] على أن يتكثّر أتباعهم في القتال. والثاني أنهم قالوا ذلك لأهل الكتاب على حِسْبانٍ منهم أن الرسول[٤] صلى الله عليه وسلم إذا علم بحال هؤلاء لم يخرجهم من المدينة خوفا أن يقال: أخرج أصحابَه، وإذا[٥] لم يخرج أولئك لم يخرج أهلَ الكتاب ولم يقاتَلوا.

وقوله: **ولا نطيع فيكم أحدا أبدا**، يعني لا ننصر[٦] أحدا فيكم أبدا. وقوله عز وجل: **وإن قوتِلْتم لَنَنْصُرنَكم**، يجوز أن يكونوا وعدوا نصرهم هذا في قُرًى محصَّنَةٍ، كما قال في آية أخرى: لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ.[٧] ثم أخبر أنهم وإن نصروهم ثم انهزموا هربوا ونفروا[٨] وتولوا ولم ينصروهم بعد ذلك أبدا. وقوله عز وجل: **والله يشهد إنهم لكاذبون**. ولقائل أن يقول: كيف يشهد عليهم بالكذب، والكذب[٩] إنما يدخل في الأخبار، وقولهم الذي قالوه[١٠] إنما هو[١١] وعد منهم فحقه أن يقال: إنهم لَمُخلِفُوا[١٢] الوعدِ.

وبمثل هذه الآية يحتج الخوارج في تكفير من أذنب[١٣] ذنبا، وذلك أنهم يقولون: إن من آمن بالله تعالى فقد اعتقد أن لا يعصيه، فإذا عصاه تبين بعصيانه كَذِبٌ في اعتقاده، فكفر لهذا المعنى.

---

[١] ن: المنافقين.
[٢] ن: أن يكون.
[٣] م – هذا.
[٤] ر: أن رسول.
[٥] ث + وإذا.
[٦] م: لا ننظر.
[٧] ر ث م – كما قال في آية أخرى لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة. الآية ١٤ من هذه السورة.
[٨] ر م: ونصروا.
[٩] م: في الكذب.
[١٠] ر م: قالوا.
[١١] م – هو.
[١٢] ر: لخلفوا؛ ن: متخلفوا.
[١٣] ر: ذنب.

ومن جوابنا عن هذا أن قول المنافقين لأهل الكتاب إخبار منهم عن موالاتهم[1] إياهم، فأخبر الله تعالى أنهم كاذبون فيما[2] أخبروا عن الموالاة.[3] *والله أعلم*.

﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون**، في هذه الآية حجة رسالته عن الفريقين جميعا. وذلك أن هذا خبر عن الغائب، وذلك لا يوصل إلى علمه إلا بالتعليم ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم اختلف إلى أحد يخبره، ولا تَلَقَّن[4] شيئا من أحد من البشر. فإذا أخبر عما يَحْدُث وعما هو غائب ثبت أنه ما قال[5] إلا عن الرسالة والوحي. *والله أعلم*.

{قال:} ويجوز أن يكون الله تعالى ذكّر المؤمنين بهذه الآيات[6] ما لقي الرسول عليه السلام ممن كان الواجب على ما كانت[7] عادتهم الإحسانَ إليه؛ وذلك أنه كان من عادة العرب المعونة والنصرةُ لمن قاربهم في النسب أو القبيلة، وإن كان ظالما. ثم إن الله سبحانه وتعالى أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم من قريش فأظهروا معه من العداوة ما أظهروا حتى هموا بقتله، وجعل محمدا صلى الله عليه وسلم حين أرسله حجة تَظهر[8] لليهود والنصارى وجميعِ أهل ما ذُكر في كتابهم من نعته وصفته، فقابلوه بذلك ما قابلوا من سوء الصنيع وإظهار العداوة. وكان هذا كله -والله أعلم- حجة[9] وعلامة يُعلَم بها أن رسالته عليه السلام لم تظهر[10] بمعاونة أحد بل بنصر الله وفضله[11] وتأييده. *والله المستعان*.

---

[1] ر م: عن مولاتهم.
[2] ن: فما.
[3] ر: عن المولاة.
[4] ر: ولا يلقس؛ ن م: ولا يلقن.
[5] ث م: ما قاله.
[6] ر ث م + على.
[7] جميع النسخ: على ما عليه كانت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٤و.
[8] جميع النسخ: يظهر. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ر: حجته.
[10] جميع النسخ: لم يظهر. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ن: وبفضله.

﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللهِ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾[١٣]

وقوله[١] عز وجل: **لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله**، يحتمل أن تكون رهبة هؤلاء في صدورهم على التحقيق، ويجوز أن تكون[٢] على التمثيل. فأما وجه التمثيل فهو ما قال: يَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ،[٣] فأخبر أنهم يعتذرون إليهم بالحَلْف،[٤] فيجوز أن تكون معاملتهم هذه في التمثيل[٥] معاملة من يَرْهَبهم[٦] فسَمَّى ذلك رهبة في صدورهم.[٧] وهذا نحو قوله تعالى: [اَلَّذِي] جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ،[٨] يعني جَمَع ماله جمع من يحسب أن ماله أخلده، فكذلك الأول.

ويجوز أن يكون على التحقيق، ولذلك أوجه[٩] من التأويل. أحدها[١٠] أنهم كانوا يظهرون الموالاة لكل فريق، وكان عندهم أن الله تعالى وَلِيُّ أحد الفريقين لا محالة، وإذا نجا أحد الفريقين نجوا هم[١١] أيضا. فكأنهم على هذا التأويل كانوا يرهبون الخلق جميعا لا أن يختص به المؤمنون. / وكانوا لا يرهبون الله لأنهم أمنوا ناحيته[١٢] من الوجه الذي وصفنا. و[الثاني] يجوز أن يكون [٧٩٥و] رهبتهم من المؤمنين خاصة، وذلك أن أهل النفاق إنما كانوا من أحد الصنفين: إما أن كانوا[١٣] دهرية فنافقوا أو كانوا[١٤] أهل كتاب[١٥] فنافقوا. فإن كانوا دهرية[١٦] فكانوا لا يرهبون الله تعالى لما كانوا غير مقرين بالصانع، وإن كانوا أهل كتاب فإنهم قد أَمِنوا أيضا لما كانوا يصفون

---

[١] ر: قوله.
[٢] جميع النسخ: أن يكون.
[٣] سورة التوبة، ٥٦/٩.
[٤] ر: بالخلف.
[٥] ر م: هذه التمثيل.
[٦] ن: ترهبهم.
[٧] جميع النسخ: في قلوبهم.
[٨] سورة الهمزة، ١٠٤/٢-٣.
[٩] ر ث م: أوجها.
[١٠] ن ث: أحدهما.
[١١] م: نجوا بهم.
[١٢] ر: ناجيته؛ م: ناحية.
[١٣] ر م: إما إذا كانوا.
[١٤] ر ث م: إذا كانوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٤و.
[١٥] ر م + وإن كانوا أهل كتاب.
[١٦] ن – فنافقوا أو كانوا أهل كتاب فنافقوا فإن كانوا دهرية.

من قولهم: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ،[1] وإذا سقطت الرهبة من كلا[2] الجانبين من الله تعالى حصلت الرهبة من المؤمنين خاصة. *والله أعلم.*

ويجوز أن يكون تفسير قوله تعالى: **لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله**، في قوله: **ذلك بأنهم قوم لا يفقهون**، وذلك يحتمل وجهين. أحدهما أنهم لا يفقهون أن البلايا التي في الدنيا[3] ونعيمَها تذكير لبلايا الآخرة ونعيمها، وكانوا يرون أنها جعلت لأنفسها؛ وإذا كان هذا وهمهم وحِسبانَهم لم يرهبوا من الله تعالى. والثاني **أنهم قوم لا يفقهون**، من الوعد والوعيد بل كانت رهبتهم ممن كانوا يأمُلون منهم المنافع ويحذرون مضارّهم فلا يرهبون من الله تعالى.

ولقائل أن يقول: إنه لا أحد من أهل الإسلام إلا ورهبته من الناس أشد من رهبته[4] من الله تعالى، لأنك ترى الرجل يمتنع عن الزلة عند اطّلاع الناس عليها[5] ما لا يمتنع عن كثير من الزلات[6] فيما بينه وبين الله تعالى.

والجواب عن هذا وجهان. أحدهما أنه ليس بإزاء الخوف من الإنسان رجاءٌ يرجوه، وبإزاء رهبته[7] من الله تعالى رجاء يرجوه من رحمته وفضله وإحسانه. فيجوز أن يكون الرجاء من رحمة الله[8] وفضله يغلب عليه فيقترف الذنوب[9] ويرتكبه. والوجه الثاني أنه[10] إذا كان له[11] فيما يرتكبه من الذنب شركاءُ فليس يهابهم،[12] وإنما خوفه من قوم فيهم[13] سِمَةُ الصلاح وأمارة النصر لدين الله تعالى، وإذا كان كذلك ثبت أن رهبته في الحقيقة من الله تعالى[14] ليس من نفس المخلوقين. *والله أعلم.*

---

[1] سورة المائدة، ١٨/٥.

[2] ر ن م: من كل.

[3] ن: أن البلاء في الدنيا.

[4] ر ن: رهبة.

[5] جميع النسخ: عليه.

[6] م: الزلا.

[7] جميع النسخ: رهبة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٤و.

[8] ر ث م + ورحمته.

[9] ن ث: الذنب.

[10] جميع النسخ – أنه. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٢١٤ظ.

[11] ر م – له.

[12] ر م: شركا فليس يهابهم؛ ن: يهانهم.

[13] ث: فهم.

[14] ر ث م – وإذا كان كذلك ثبت أن رهبته في الحقيقة من الله تعالى.

﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة**، قوله: **جميعا**، أي لا يقاتلكم أهل النفاق وأهل الكتاب جميعا معا وإنهم ليسوا بفاعلين ما وعدوا لأهل الكتاب من النصر والقتال. وقوله: **إلا في قرى محصنة**، يحتمل أن يكون هذا استثناء عن القتال،[١] واحتمل أن يكون استثناءً[٢] عن الوعد الذي وعدوا لأهل الكتاب. فإن كان عن القتال فهو يحتمل وجهين. أحدهما أنهم لا يقاتلون إلا أن يكونوا في قرى[٣] أو حصون أو من[٤] وراءِ جُدُرٍ[٥] لا يعلم بهم أهل الإسلام. *والله أعلم*. وإن كان على الوجه[٦] الثاني فهو يحتمل وجهين أيضا. أحدهما أنهم لا يوفون ما وعدوا من النصر في القتال لأهل الكتاب ولكنهم يلتجئون إلى قرى محصنة. ألا ترى إلى ما أخبر الله تعالى منهم في ناحية[٧] المسلمين: وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ،[٨] فأخبر أنهم قد أظهروا الموالاة للمسلمين كما أظهروا لأهل الكتاب إلى أن جاء القتال فإذا جاء القتال[٩] التجئوا إلى مكان يستمعون من أخبارهم. فعلى ذلك النحو يجوز أن يكون في أهل الكتاب. والوجه الثاني أنهم لا يقاتلون ولكنهم يدخلون في قرى محصنة يتربصون[١٠] لمن يكون الظفر والعاقبة، كما أخبر عنهم في آية أخرى وهو قوله تعالى: ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ،[١١] فأخبر الله تعالى أنهم يتربصون العاقبة، فالتجاؤهم[١٢] إلى قرى محصنة يجوز أن يكون بهذا التأويل. *والله أعلم*.

---

[١] ر ث م – وقوله إلا في قرى محصنة يحتمل أن يكون هذا استثناء عن القتال.
[٢] ر م: استثناءه.
[٣] ن + محصنة.
[٤] ر: ومن.
[٥] ن ث: الجدر.
[٦] ر م: من الوجه.
[٧] م: في ناحية.
[٨] سورة الأحزاب، ٣٣/٢٠.
[٩] ر م – فإذا جاء القتال.
[١٠] ن: ويتربصون.
[١١] ﴿... ونمنعكم من المؤمنين﴾ (سورة النساء، ٤/١٤١).
[١٢] ن: والتجاءهم.

وقوله عز وجل: **بأسهم بينهم شديد**، يحتمل وجهين. أحدهما أن نقول:[1] **بأسهم**، يعني قوتهم **بينهم شديد**، ما لم يروا أعداء ظاهرة. أو نقول:[2] **بأسهم**،[3] شديد مادام القتال بينهم، لأنه ليس فيهم من أُكرم بالرُّعْب. [فأما إذا وقع القتال بينهم وبين محمد وأصحابه فإنهم يَضعُفون لما في المسلمين من أُكرم بالرعب، وهو الرسول، على ما روي عنه عليه السلام أنه قال: «نصرت بالرُّعْب][4] مَسيرة شهرَيْن».[5] فإذا أكرم بالرعب هذا المقدارَ من المسير[6] فلا يُحرَم ذلك في أهل قرية.[7] وإذا كان كذلك ثبت أن التأويل ما وصفنا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى**، لأن همة المنافقين سلامة الأنفس وراحة الأبدان، وهمة أهل الكتاب الذب[8] عن المذهب والسعيُ في إقامته.[9] فإذا اختلفت هممهم[10] ومقاصدهم تشتت قلوبهم، وذلك معنى قوله: مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ،[11] يعني في الهمم[12] والقلوب. وقوله عز وجل: **ذلك بأنهم قوم لا يعقلون**، يحتمل ثلاثة أوجه. أحدها[13] أنهم لا يعقلون حق الوعد والوعيد. والثاني أنهم لا ينتفعون بما يعقلون. والثالث أنهم لا يعقلون لمن يكون له العاقبة. وقد وصفنا أن عادتهم التربص لمن يكون الظفر والعاقبة[14] فإذا اشتبهت عليهم العاقبة ولم يعقلوها[15] لم يُوالُوا[16] واحدا من الفريقَين في الظاهر والباطن جميعا. *والله أعلم*.

---

[1] جميع النسخ: أن يقول.
[2] ر ث م: أو يقول.
[3] ن ث + بينهم.
[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢١٤ظ.
[5] حديث: «نُصرتُ بالرعب مسيرةَ شهرين ...» (*المعجم الكبير* للطبراني، ٦٤/١١؛ *والسنن الكبرى* للبيهقي، ٦٠٨/٢)؛ وفي الرواية المشهورة: «نصرت بالرعب مسيرة شهر». (*مسند أحمد بن حنبل*، ٣٠١/١؛ وصحيح *البخاري*، التيمم ١؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ٣).
[6] م: من المصير.
[7] ن: قريته.
[8] ن: الدب.
[9] ن: في قامته.
[10] جميع النسخ: فإذا اختلف همتهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٤ظ.
[11] سورة النساء، ١٤٣/٤.
[12] ن: في اضمهم.
[13] ر: أحدهما.
[14] ن: لمن يكون العاقبة؛ ث – وقد وصفنا أن عادتهم التربص لمن يكون الظفر والعاقبة. صح هـ.
[15] ر ن م: ولم يفعلوها.
[16] ث: ولم يوالوا.

﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم**، الآية، يجوز أن يكون في هذا إضمارُ مثلَ آخرَ، كأنه يقول: مَثَلُ هؤلاء الكفار كمثل الذين كانوا من قبلهم، وكذلك في قوله: وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً،[١] يعني مثلُ محمد صلى الله عليه وسلم ومثلُ[٢] هؤلاء الكفار / على إضمار "مثل" آخر. ثم التمثيل وكيفيته يحتمل [٧٩٥ظ] أوجها ثلاثة. أحدها أن يقول: مثل هؤلاء الكفار الذين أساءوا [صحبة][٣] رسولهم[٤] كمثل الكفار الذين أساءوا الرسل من قبله، كان قريبا أن ذاقوا وبال أمرهم. والوجه الثاني أن يقول: مثل أهل المدينة من الكفار حين هموا بإخراج الرسول من المدينة[٥] كمثل أهل مكة حين أخرجوا الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة، وكان[٦] قريبا حتى ذاقوا وبال أمرهم من الأسر والقتل. والدليل على أن كفار المدينة هموا بإخراج الرسول صلى الله عليه وسلم منها[٧] قوله عز وجل: وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا،[٨] الآية. ويحتمل أن يكون تخصيصا لقرية أو قبيلة، ووجه ذلك أن نقول: مثل بني قُرَيْظَةَ كمثل الذين من قبلهم وهم بنو[٩] النَّضِير، وكانوا[١٠] قريبا أنْ ذاقوا وبال أمرهم. *والله أعلم*. وقوله: **ولهم عذاب أليم**، هذا إخبار أنهم يموتون على الكفر. وفيه دلالة رسالته صلى الله عليه وسلم حيث أخبر عن الغيب.

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك**، فكذلك المنافقون يظهرون الموالاة والنصر فإذا جاء القتال امتنعوا وتبرءوا عنهم.

---

[١] سورة البقرة، ١٧١/٢.
[٢] ر ث م: مثل.
[٣] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢١٤ظ.
[٤] ر ث م: رسوله.
[٥] ن – من الكفار حين هموا بإخراج الرسول من المدينة.
[٦] ث: وكانوا.
[٧] ر ث م – منها.
[٨] سورة الإسراء، ٧٦/١٧. انظر تفسير هذه الآية من *تأويلات القرآن* (٣٣٥/٨).
[٩] ر م: بني؛ ن ث: بنوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٥و.
[١٠] ر م: وإن كانوا.

ثم قوله: **إني بريء منك**، يجوز أن يكون في الآخرة حيث يقول:[1] مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ.[2] ويجوز أن يكون في الدنيا وهو قوله: وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ،[3] الآية.

﴿فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **فكان عاقبتهما أنهما في النار خالِدَيْن فيها وذلك جزاء الظالمين**، ظاهر.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد**، قوله: **واتقوا**[4] **الله**، الأصل أنه[5] إذا ذكرت حال بين العبد وبين سيده لم يكن بُدٌّ من إضمار يدخل في ذلك، مثاله قوله: إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا،[6] يعني أنه معهم في النصر والمعونة، وقوله: [لَ]مَعَ الْمُحْسِنِينَ،[7] في التوفيق والولاية.[8] وكذلك قوله عز وجل: **اتقوا الله**، لأنه لا يحتمل أن يتقيَ الله حتى يكونَ معهم في التقوى إذ ظاهر اللفظ يقتضي هذا، كقوله: كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ،[9] أي في الصدق. وإذا ثبت فيه الإضمار كان الوجه في ذلك أحد معانٍ:[10] إما أن يقول: اتقوا حق الله تعالى أن تُضيعوه، أو اتقوا[11] حَدَّه أن تَتَعدَّوه[12] وتبطلوه، أو اتقوا سخطه، أو اتقوا[13] مخالفته،

---

[1] ت: قال.
[2] سورة إبراهيم، ١٤/٢٢.
[3] سورة الأنفال، ٨/٤٨.
[4] ر ت م – قوله واتقوا.
[5] ر م – أنه.
[6] ﴿... والذين هم محسنون﴾ (سورة النحل، ١٦/١٢٨).
[7] ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٦٩).
[8] ن ت: وفي الولاية.
[9] ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ سورة التوبة، (٩/١١٩).
[10] جميع النسخ: معاني. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٥و.
[11] ر م: أو اتقوه.
[12] ر م: أن تعدوه؛ ن ت: أن يتعدوه. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ر ت م: واتقوا.

أو اتقوا الأسباب التي تستوجبون بها[1] مقت الله تعالى. ويحتمل أن يراد من التقوى في هذه الآية أوامره ونواهيه على ما وصفنا أن التقوى إذا أُطلق جاز أن يراد به الأوامر والنواهي، وإذا ذكر مقابلةَ أمر كان المعنى[2] منه محارمه ونواهيَه. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وَلْتَنْظُرْ نفسٌ ما قدمت لغد،** {قال:} من عمل بما أمر في هذه الآية سلم من تَبِعات الآخرة لأنه إذا أشعر قلبَه وقتَ فعله[3] أن الذي يفعله يُقدِمه[4] لغد امتنع عن ارتكاب ما يجب أن يستحييَ عنه أو يحزنَ[5] عليه في ذلك الوقت وأتى بما يُسَرّ عليه. ***والله أعلم***.

ويحتمل أن يكون معنى الآية على النظر لما قدمته نفسه للغد، وذلك أنه إذا تذكّر فنظر فيما قدمته[6] نفسه للغد،[7] دعاه إلى أحد أمرين: إما إلى التوبة عن السيئة التي قدمها، أو إلى الشكر على الحسنة التي تعاطاها.[8] وكل ذلك منه زيادة في الخير فكان الواجب أن لا يغفل المرء عن ذلك. ***والله أعلم***. ويحتمل أن يكون هذا على المستأنَف من الأفعال أنه ينظر فيما يريد أن يقدّمه لغد، فإن كانت[9] عاقبته[10] الهلاك انتهى عنه، وإن كانت[11] عاقبته[12] النجاة مضى عليه وأتى به. *والله أعلم*. ويحتمل قوله: **اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد،** أن يكون المراد منه الاتقاءَ عن ترك النظر لما تُقدّمه نفسٌ لغد.[13] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **واتقوا الله،** ذِكرُ قوله: **واتقوا الله،** مرة أخرى والآية واحدة يحتمل وجهين. أحدهما أن يكون المراد من الأول أن اتقوا مخالفة الله في أوامره ونواهيه، وفي الثاني اتقوا سخطه وعقوبته. والثاني أنه خرج على التكرار على ما جرت العادة في الكلام في التكرار

---

[1] جميع النسخ: يستوجبون بها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٥و.
[2] ن – المعنى.
[3] ر: فعلم.
[4] ر ث م: تقدمه؛ ن: لقدمه. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ر م: أو يحرب؛ ث: أو يخبرر.
[6] ر ث م: قدمت.
[7] ر ث م + وذلك أنه.
[8] ر م: يتعاطاها.
[9] ن: فإن كان.
[10] ر م: عاقبة.
[11] ن: وإن كان.
[12] ر: العاقبة؛ ث م: عاقبة.
[13] ن + أن يكون المراد منه الاتقاء عن ترك النظر لما تقدمه نفس لغد.

عند الوعيد على التأكيد، كقوله تعالى: هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ،[1] وكقوله: أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى.[2] *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **والله خبير بما تعملون**، فيه تحريض على المراقبة والتيقظ وقت فعله، لأن من علم وقت فعله أن الله تعالى مطلّع على ما يرتكبه من الذنوب ويُقرِّبه من الشرور امتنع عنها[3] وَازْدَجَر.

وقالوا: في قوله تعالى: **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون**، وعيد من أربعة أوجه. أحدها في قوله: **اتقوا الله**، والثاني في قوله: **ولتنظر نفس ما قدمت لغد**، والثالث في قوله: **واتقوا الله**، والرابع في قوله: **إن الله خبير بما تعملون**. ثم ذِكرُ هذه الوعيد خرج بعد ما خاطب المؤمنين بقوله تعالى:[4] **يا أيها الذين آمنوا**، فكان الوعيد في المؤمنين أكثر من الوعيد[5] في الكفرة. لكن المؤمنين يُوعِدهم عما هي مُعدَّة للكافرين لئلا يعملوا عملا يستوجبوا بذلك ما أُعد للكافرين، / وهو كقوله تعالى: وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ.[6] ثم إن الله عز وجل سمى الآخرة باسم الغد لسرعة مجيئه وسمى الدنيا باسم الأمس لسرعة فنائها، وهو كقوله: فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ.[7] فيذكّرهم[8] ويعظهم بهذه الآية ليتفكر كل أحد في نفسه[9] [عند عمله أنه لماذا يعمل: للآخرة أم للدنيا؟ وليتذكر كل أحد في نفسه بأنه][10] خلق للعبث[11] أم خلق لأمر عظيم على ما ذكره الله تعالى.

[٧٩٦و]

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم**، قال بعض المفسرين: **نسوا الله**، أي نسوا العمل لله، والنسيان هو[12] الترك، أي تركوا العمل الواجب لله تعالى.

---

[1] سورة المؤمنون، ٣٦/٢٣.

[2] ن: كقوله تعالى أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى وكقوله هيهات هيهات لما توعدون. سورة القيامة، ٣٤/٧٥-٣٥.

[3] ن: عليها.

[4] جميع النسخ: كقوله تعالى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٥ظ.

[5] ث – خرج بعد ما خاطب المؤمنين بقوله تعالى يا أيها الذين فكان الوعيد في المؤمنين أكثر من الوعيد.

[6] سورة آل عمران، ١٣١/٣.

[7] سورة يونس، ٢٤/١٠.

[8] ن: فتذكرهم.

[9] جميع النسخ: ما به.

[10] الزيادة من المرجع السابق.

[11] ن: للبعث.

[12] ن + العمل.

فأنساهم أنفسهم، أي خذلهم الله تعالى بما نسوا هم.[١] ثم الوجه عندنا في الآية أن ليس أحد من البشر يعمل عملا إلا وهو يَأمُل بذلك نفعا لنفسه، إذ من لا يعمل[٢] للنفع فهو عابث[٣] في الشاهد في ذلك العمل. فهؤلاء الكفرة لما لم يأتمروا بأمر الله تعالى و لم يطيعوه[٤] وتركوا[٥] العمل له صار تركهم العملَ لله [تَرْكَهم العمل لأنفسهم، فيكون قوله: **نسوا الله**، أي تركوا العمل لله]،[٦] والعملُ له عمل لأنفسهم، فصاروا تاركين العمل لأنفسهم، فكأنه قال: نسوا أنفسهم فصاروا منسيين.

وقوله عز وجل: **فأنساهم أنفسهم**، أي خلق فعل النسيان والتركِ فيهم. أضاف اختيار النسيان إليهم ثم أضاف الإنساء إلى نفسه وأثبت فعله فيه. وليس هذا[٧] على أن تَقَدّم منهم فعل النسيان ثم هو أنساهم بعد ذلك، لكن على خلق ذلك فيهم وقت ما اختاروا ذلك الفعل، وهو كقولهم: هداه الله تعالى فاهتدى، واهتدى فهداه الله، فذلك كله في وقت واحد. فكذلك هذا[٨] في الخذلان والنسيان، لَمّا اختار هو فعل النسيان خَلَق الله تعالى ذلك النسيان فيه كما خلق الهداية والكفر فيه[٩] عند اختياره، ولا يجوز أن يحمل ذلك[١٠] على تقدم[١١] بعض على بعض. وقوله عز وجل: **فأنساهم أنفسهم**، كقوله: **نسوا الله**، إذ قوله تعالى: **أنفسهم**، في قوله: **نسوا الله**،[١٢] إذ العمل لله هو العمل لأنفسهم والعمل لأنفسهم هو العمل الذي[١٣] أريد به وجه الله. فلذلك قلنا بأنّ [في][١٤] كل واحد منهما ما في الآخر.[١٥] ويحتمل وجها آخر

---

[١] ر ث م – هم.
[٢] ن + لنفسه.
[٣] جميع النسخ: غائب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٥ظ.
[٤] ر م: و لم يطيعوا.
[٥] ن: وترك.
[٦] الزيادة من المرجع السابق.
[٧] ن: فيه.
[٨] ن – هذا.
[٩] ر ث م – فيه.
[١٠] ن – ذلك.
[١١] م: على ما تقدم.
[١٢] ن + إذ قوله أنفسهم في قوله نسوا الله.
[١٣] ر ن م: للذي.
[١٤] الزيادة من المرجع السابق.
[١٥] جميع النسخ: في الآخرة. والتصحيح من المرجع السابق.

وهو أنهم لما تركوا طاعة الله جزاهم[1] الله تعالى بتركهم أمرَ الله تَرْكَهم أنفسَهم[2] ولم يوفقهم للخيرات والطاعات، وهذا من أشد العقوبات. ويحتمل أن يكون معناه، أي يجازيهم[3] في الآخرة جزاءَ ما[4] عملوا بأنْ تَرَكَهم في الآخرة في العذاب الدائم، فيكون ذلك جزاء لهم بما عملوا في الدنيا وبما تركوا من الإيمان بالله تعالى. وهذان التأويلان يرجعان إلى ما ذكر من الخذلان فيما فعلوا. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **أولئك هم الفاسقون**، فالفسق هو الخروج عن أمر الله تعالى.

﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون**، أي الناجون،[5] والفوز هو الظفر بالحاجة. ثم قوله عز وجل: **لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة**، يحتمل وجهين. أحدهما أن لا يستووا في الدنيا أو لا يستوُوا في الآخرة. فإن كان على الأول فمعناه لا يستوي عمل أهل الجنة في الدنيا في العقول وعملُ[6] أهل النار، إذ عملُ[7] أهل النار بالذي يستقبحه العقول. وأما أفعال أهل الجنة الداعية إليها بالتي يستحسنها العقول، لأن عمل هؤلاء بالذي ظهر بالبراهين والحجج وليس لعمل[8] أولئك براهين. وما أقيم[9] بالبراهين والحجج فهو في العقول أحسن من الذي لا برهان عليه. وكذلك كل عمل يستحق صاحبه عليه الثواب فهو في العقول مستحسن، وما يستحق صاحبه عليه العقاب فهو في العقول مستقبَح فلم يستويا. وأما الوجه الثاني[10] لا يستوي جزاء أهل النار وجزاء[11] أهل الجنة، إذ في الجنة النعيم الدائم وفي النار الشدة والنقمة الدائمة فلم يستويا. يذكّرهم الله تعالى هذا لينتهوا عن غفلتهم ويعملوا لله تعالى حتى يستوجبوا بها الثواب في الآخرة.

---

[1] جميع النسخ: فخذلهم. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٢١٥ظ.
[2] جميع النسخ: لهم.
[3] ن: تجارتهم.
[4] ن: حراما.
[5] ن: أي ناجون.
[6] جميع النسخ: عمل. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] جميع النسخ: أو عمل. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ن: بعمل.
[9] ن: وما أقسم.
[10] ن + أي.
[11] ر ث م: جزاء.

﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هٰذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله**، الآية، اختلف الناس في تأويل هذه الآية. قال بعضهم: خرجت هذه الآية[١] على التمثيل وهي على التنبيه والتذكير، وذهبوا في ذلك إلى أن العرب إذا استقبلهم أمر وأرادوا أن يصفوه بالعظم والشدة كانوا يضربون الأمثال بما يَعْظُم ذلك عندهم وصفُه ولم يكونوا[٢] يريدون به الحقيقة في ذلك، وهو كقولهم[٣] عند شدة الأمر: أظلم علي ما بين السماء والأرض، وكقولهم: ضاقت عليّ الأرضُ برَحْبها، وكما وصف الله تعالى من أمر لوطٍ عليه السلام: وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا.[٤] فهذا القول من العرب إنما كان على التمثيل فيما يريدون أن يصفوا الشيء بغايته لا على الحقيقة، لأنه معلوم أن الدنيا عليه كما كانت لم تتغير،[٥] وكذلك لم يُظلم عليه ذلك. لكنهم تكلموا على التمثيل من شدة ما نزل بهم من الأمر. فكذلك[٦] قوله تعالى: **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله**، يقول: لو كانت هذه الحجج أنزلت على جبل مع صلابته وشدته لَخضع[٧] لله تعالى وانصدع من خشيته على وجه التمثيل، لكن قلوب هؤلاء أقسى منه حيث لم تخضع ولم تخشع.[٨] وهو كقوله: كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً،[٩] إذ الحجارة قد تكون[١٠] فيها منافع نحو خروج الماء وغيره. / فأما قلوب هؤلاء الكفرة فليس فيها شيء [٧٩٦ظ] من المنافع، بل هي قاسية[١١] لا تخشع ولا تتصدع. وعلى ذلك حملوا تأويل قوله: تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ،[١٢] على التمثيل ليس على حقيقة ذلك.

---

[١] ر ث م – قال بعضهم خرجت هذه الآية.

[٢] ر م: لم يكن؛ ن ث: ولم يكن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٦و.

[٣] ر م: كقوله.

[٤] سورة هود، ٧٧/١١؛ وسورة العنكبوت، ٣٣/٢٩.

[٥] جميع النسخ: لم يتغير. والتصحيح من المرجع السابق.

[٦] جميع النسخ: وكذلك. والتصحيح من المرجع السابق.

[٧] ن: يخضع.

[٨] جميع النسخ: لم يخضع ولم يخشع. والتصحيح من المرجع السابق.

[٩] ﴿ثم قَسَتْ قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة﴾ (سورة البقرة، ٧٤/٢).

[١٠] جميع النسخ: قد يكون.

[١١] ر: قاسيته.

[١٢] سورة مريم، ٩٠/١٩.

وقال قائلون: **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل**، إنه على[1] حقيقة ذلك الفعل منه وهو الانصداع والخشوع، وكذلك تأويل قوله: تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ، فمعناه لو كان نزول هذا القرآن وما فيه من الأحكام والأمانات التي أوْجب على البشر على الجبل، وكان هو بحيث يملك قبول ذلك باختياره لقيام شرائطه لكان هو يفزع ويخضع ويتصدع من خشية[2] الله تعالى، وكان لا يقبل[ه] مخافة أن لا يمكنه أداء[3] ما لزمه بنزوله؛ وهو كقوله تعالى: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ،[4] الآية. فنقول:[5] معناه لو أنزلنا هذه الأمانات التي في هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا، إذ الأمانات[6] مما[7] قد يَلزم المرءَ لا يمكن أداؤها كلها لأن الأمانات مما يكثر عدها فضلا من أن يمكن أداؤها. فعلى هذا التأويل يخرج على حقيقة التصدع أن لو أنزل عليه مع عظمته[8] وصلابته لانصدع. ففي[9] هذا تنبيه للخلق وتذكير لهم.

وقال بعضهم: إن في هذه الآية تذكير[10] الرسول صلى الله عليه وسلم منته[11] عليه[12] وعلى جميع الرسل بأنه[13] لو لا فضل الله ومنته[14] على الرسل لكان لا يطيق أحد من الرسل حمل ما في الكتاب[15] ولا أداء[16] ما افتَرَض[17] عليهم من أداء الرسالة، ولكنه منَّ عليهم بأن يسَّر عليهم ذلك

---

[1] ر م – على.

[2] ر: من خشيته.

[3] ن: إذا.

[4] يقول الله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأَبَيْنَ أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/٧٢).

[5] ر ث م: فيقول.

[6] ر ث م + التي في هذا القرآن.

[7] م: ما.

[8] ر ث م: عظمه.

[9] ر ث م: فعلى.

[10] ر: تذكر.

[11] ر: منة.

[12] ر ن م: عليهم.

[13] ر م – بأنه.

[14] ر: ومنة.

[15] ر م: في الكتب.

[16] ر: أنا؛ ن: إذا.

[17] ر ن م: ما أفرض؛ ث: ما فرض.

حتى قاموا بذلك كله؛ وهو كقوله تعالى: إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا؛[١] وقال[٢] في موضع آخر: وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ[٣] مُدَّكِرٍ،[٤] فيَسَّر عليهم ثقل[٥] العمل بما فيه. فيقولون:[٦] كذلك قوله: **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله**، لثقل ما فيها لكنه منّ[٧] عليك ويسّر ذكره عليك ووفّقك[٨] بتبليغ ما فيه إلى أهله.

وقال قائلون: إن الله تعالى لما أراد أن يُنزل التوراة على موسى عليه السلام وكانت في لوح من زَبَرْجَدٍ حمراءَ [أو ياقوتة حمراء][٩] أمر الملائكة أن يحملوها، فلم يطيقوا حملها؛ ثم أمرهم أن يحملوا كل حرف منها، فلم يطيقوا ذلك. فخفف الله تعالى على موسى عليه السلام حتى حمل ذلك. وكذلك[١٠] ذُكر ذلك في عيسى وداودَ عليهما السلام، ثم خفف ذلك على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. فكأنه يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم:[١١] لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته كذا، لكنه خفف ذلك عليك كما خفف على الأنبياء من قبلك. وإليه يذهب الكلبي.[١٢]

لكن إن صح هذا الخبر فإن ذلك الثقل لم يكن في نفس الكتابة[١٣] التي في الألواح، لكن ذلك فيما يلزمهم من العمل بذلك من أداء الأمانات وغيرها، لأن الله[١٤] تعالى أخبر أنه لو كان إنزال هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله، وقال في موضع آخر:

---

[١] سورة المزمل، ٧٣/٥.

[٢] ن – قال.

[٣] ر م – عليهم من أداء الرسالة عليهم بأن يسر عليهم ذلك حتى قاموا بذلك كله وهو كقوله تعالى إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا وقال في موضع آخر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من.

[٤] سورة القمر، ٥٤/١٧.

[٥] جميع النسخ: وثقل.

[٦] أي القائلون بهذا القول.

[٧] ر م – من.

[٨] ر م: وفقك.

[٩] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢١٦و.

[١٠] ر ث م: فكذلك.

[١١] ث + فكأنه يقول لرسوله عليه الصلاة والسلام.

[١٢] «قال ابن عباس رضى الله عنهما: إن السماء أَطّت يعنى [صوّتت] أو ازداد من ثقل الألواح لِمّا وضعها الله عليها في وقت موسى، فبعث الله لكل حرف منها ملكا فلم يطيقوا حملها فخففها على موسى، وكذلك الإنجيلُ على عيسى والفرقان على محمد عليهم السلام» *روح البيان* لإسماعيل حقي، ٩/٤٥١-٤٥٢.

[١٣] ر م: في ذلك الكتاب؛ ث: في ذلك الكتابة.

[١٤] ر ث م: لأنه الله.

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ،[1] الآية. ثم كانت تلك الألواح قد احتملتها[2] الأرض، وأمكن لموسى عليه السلام حملُها. فكذلك هذا القرآن كله والتوراة والإنجيل والزبور مما قد يحتمل [حمل][3] ذلك[4] حقيقةً ويمكن كتابته في قليل[5] الألواح. ثبت أن المراد من ذكره ليس هو الحروف، أَنْ لو كان[6] كان على ما فيه من الأمر والنهي وأداء الأمانة،[7] واتقاء الله حق تقاته لا على نفس تلك الألواح. وهذا الذي ذكرنا هو تأويل القوم في نزول هذه الآية.

فأما إني لا علم لي بحقيقة تأويل هذه الآية. ولو لا أن في الآية تذكيرا وتنبيها لكنا نقول: هي من المتشابه المكتوم الذي لا يفسَّر، لكنه لما خرج مخرج التذكير[8] واستيداء شكر ما سَهُل علينا قراءتُه احتجنا إلى تأويله. وقوله عز وجل: **وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون،** هو ظاهر.[9]

﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم،**[10] فمن الناس من يقول: إن قوله: **هو**، من أرفع أسماء الله تعالى. وذكر عن بعض أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه[11] كان يدعو بقوله: «يا هُو يا من لا هُو إلا هو». وتأويل[12] هذا الكلام

---

[1] يشير إلى قوله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾ (سورة الأحزاب، ٧٢/٣٣).

[2] جميع النسخ: قد احتملها.

[3] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢١٦و.

[4] ر ث م – ذلك.

[5] جميع النسخ: في قلبك.

[6] ر م – لو كان.

[7] ر: وأداء الأمانات.

[8] ر: التذكر.

[9] ن: ظاهرو.

[10] روى الترمذي عن معقل بن يسار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكَلَ الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي، وإن مات في يومه مات شهيدا، ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة». قال: حديث حسن غريب. (انظر: *سنن الترمذي*، ثواب القرآن ٢٢). ولمزيد المعلومات انظر: *تفسير القرطبي*، ٤١/١٨؛ *وتفسير البغوي*، ٤/ ٣٢٧؛ *وتفسير ابن كثير*، ٤/ ٣٤٥؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ١٣٢/٨.

[11] م – أنه.

[12] ر م: تأويل.

أن كل شيء بهويته كان. وقوله عز وجل: **عالم الغيب والشهادة**، قيل فيه بوجوه ثلاثة. أحدها أنه عالم بما غاب عن الخلق وبما شهدوه.[١] والثاني بما قد كان وبما يكون. والثالث أنه عليم[٢] بما قد كان وبكيفيته[٣] أنْ كيف يكون إذا كان. وقوله عز وجل: **هو الرحمن الرحيم**، فهما اسمان مشتقان من الرحمة.

وفي هذه الآية بيان وجوه أربعة. أحدها فيه بيان التوحيد، وهو قوله: **هو الله الذي لا إله إلا هو**، إذ الإله هو[٤] اسم المعبود، إنّ كل معبود دونه باطل. والثاني أن فيه تنبيها وتحذيرا بأن يتذكر الإنسان في جميع أحواله اطّلاع الله تعالى عليه[٥] وعلمه فيه، وذلك من قوله: **عالم الغيب والشهادة**. والثالث فيه ترغيب في رحمته وإخبار[٦] لهم أن كل نعمة لهم في الدنيا والآخرة من الله تعالى، إذ في قوله عز وجل: **الرحمن الرحيم**، ذكر الرحمة.[٧] والرابع ما ذكرنا في قوله:

﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٢٣]

هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس، الآية. **المَلِك**،[٨] من المُلْك، أي مُلك كل شيء له، ليس لأحد سواه حقيقة الملك. **القدوس**، قيل فيه بوجهين. قال بعضهم: **القدوس**، هو المبارك، والبركة اسم كل خير، أي منه[٩] جميع الخيرات. لكن لا يجوز أن يقال لله تعالى: "يا مبارك"، وإن كان المعنى / منه يؤدي إلى أن يأتي منه كل خير، لأنه لا يعرف في أسمائه هذا [٧٩٧و] بالنقل. وعلينا أن نسكت عن تسميته بما لم يُسمِّ نفسه بذلك. لذلك قلنا بأنه لا يجوز التسمي بالمبارك. *والله الموفق*. والثاني **القدوس**، هو الطاهر؛[١٠] يعني هو مقدّس عما قالت الملحدة[١١]

---

[١] ر م: وبما شهدوا.

[٢] ر م: عليهم.

[٣] ر م: ويكتفيه.

[٤] ر م - إذ الإله هو.

[٥] ن - عليه.

[٦] ن ث: واختار.

[٧] ر م - ذكر الرحمة.

[٨] ن ث: فالملك.

[٩] ن - منه.

[١٠] ن: هو الظاهر.

[١١] ر م: الملاحدة.

والكفرة فيه من الولد والشريك. وقوله[1] عز وجل: **السلام**، اختلف في تأويله. منهم من قال: سمى نفسه سلاما لما هو سالم عن الآفات، وغيره[2] من المخلوقين لا يسلمون من حلول الآفات بهم.[3] وقال آخرون: سمى نفسه سلاما لما سَلِم المؤمنون من عذابه. والتأويل الأول أقرب.

وقوله[4] عز وجل: **المؤمن**، اختلف الناس في تأويله. قال قائلون: هو من الأمان،[5] أي[6] يؤمِّن المؤمنين من العذاب، ولا يمكن لأحد أن يؤمّن أحدا من عذابه. وقال قائلون: أصله من الإيمان، وهو التصديق. ثم ذلك يتوجه إلى وجهين. أحدهما أي مصدِّق القولَ بما وعد للمؤمنين الجنةَ. والثاني **المؤمن**، هو المصدق لِمَا قال المؤمنون[7] من تصديقهم، فيصدقهم بما قالوا. ومن الناس من قال سمى نفسه [مصدقا][8] بما أخبر أن هذا القرآن لما بين يديه مصدق.

وقوله[9] عز وجل: **المهيمن**، اختلف فيه أيضا. قال قائلون: **المهيمن**، هو الأمين، وقال قائلون: **المهيمن**، هو المسلِّط، وقال قائلون: **المهيمن**، هو الشاهد. فمن قال بالأول فإنه يذهب إلى أن أصل ذلك من المؤتَمَن[10] وهو من الأمانة، وإلى هذا التأويل يذهب القُتَبِي،[11] أي أمين[12] في كل ما يقول وفي كل ما يفعل أن لا يجور.[13] ومن قال بأنه هو المسلِّط أصله من هيمن يهيمن أي سلَّط يُسلِّط. وسئل[14] عن تأويل المسلط فقال: هو كالقاهر،[15] إذ قهر العباد كلهم وهم ملك له.

---

[1] ر: قوله.
[2] ن: أو غيره.
[3] ن – بهم.
[4] ر: قوله.
[5] ر ث م: هو الأمان.
[6] ر م: أن.
[7] ر ث م + المصدقون.
[8] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢١٦ظ.
[9] ر: قوله.
[10] م: المؤتمين.
[11] ن + إلى أن أصل ذلك من المؤتمن وهو من الأمانة. «﴿وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ﴾ [سورة المائدة، ٤٨/٥] أي أمينا عليه» (*تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٤٤).
[12] جميع النسخ: أمينا.
[13] ر ن م: أن لا يجوز.
[14] جميع النسخ: سئل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٦ظ.
[15] ر م: كالظاهر.

ومن فسره بالشاهد فإنه يحتمل تأويله[١] وجهين.[٢] أحدهما[٣] هو شاهد[٤] على أفعال العباد وعلى العباد[٥] من حيث لا يغيب عنه شيء. والثاني أي شاهد بما أنزل على رسوله بالصدق، وهو كقوله تعالى: وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ،[٦] أي شاهدا عليه. وقوله: **العزيز**، أي ما من عزيز دونه إلا وهو ذليل.

وقوله عز وجل: **الجبار**، قيل فيه بوجهين. أحدهما سمى نفسه الجبار لأنه هو المجبر لكل كسير.[٧] وقال[٨] قائلون: سمى نفسه [جبارا][٩] لجبروته وعظمته، ولا يجوز لأحد أن يسمَّى[١٠] بذلك الاسم إلا هو، أي الله تعالى،[١١] وتَجَبَّر عن أن يكون له أمثال وأشكال. وقوله عز وجل: **المتكبر**، من الكبرياء والعظمة. هذا الاسم لا يليق بغيره، لأن الخلق بعضهم لبعض أكفاء في الخلقة، فلا فضل لأحد على آخر، فلما استوَوْا[١٢] لم يجز[١٣] لأحد على آخر التكبر، فصار الحق[١٤] في ذلك لله تعالى. والتكبر على الآخر هو الارتفاع. والأصل فيه واحد، وهو أن لا يرى لنفسه شكلا. والله تعالى[١٥] إنما سمى نفسه متكبرا إذ هو المتكبر لذاته، لم يكن تكبره بغيره، فلذلك قلنا: إنه لا يستحق أحد من الخلائق التكبر إلا الله[١٦] تعالى، إذ لم يكن [له][١٧] أحد شكلا ولا ضِدًّا ولا نِدًّا، وأما غيره من الخلائق فكل واحد منهم بالذي له شكل.

---

[١] ر ث م: تأويلين؛ ن – تأويله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٦ظ.

[٢] ر ث م – وجهين.

[٣] ن + أي.

[٤] ر ث م: أحدهما أي شاهد.

[٥] ر: على الأفعال العباد؛ م: على الأفعال.

[٦] سورة المائدة، ٤٨/٥.

[٧] ر: كثير؛ م: كبير. جَبَر العَظْم والفقير واليتيم يَجْبُر جَبْرًا وجَبَّره: أي أصلحه وأغناه وأطعمه. (*لسان العرب*، «جبر»).

[٨] ر ث م: فقال.

[٩] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢١٦ظ.

[١٠] ر م: أن سمي.

[١١] ر ث م: والله تعالى.

[١٢] ر: استوقة.

[١٣] ر: لم يجبر.

[١٤] ر: المحق.

[١٥] ر ث م: والله أعلم.

[١٦] ر م: لله.

[١٧] الزيادة من المرجع السابق.

وقوله: **سبحان الله عما يشركون**، فيه تنزيه لله تعالى[1] عما قالت فيه[2] الملحدة.[3] فهذا اسم سمى به نفسه وأمر الملائكة والأنبياء والمؤمنين أن يقولوا ذلك. ومعنى قوله: **سبحان الله**، أي معاذَ الله أن يكون ذلك على ما قالت الكفرة. وسمى نفسه جبارا لما أنه يَجْبُر الأشياء فيجعلها على ما يشاء، وهو كقوله: يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ،[4] فيخلق الأشياء[5] على ما يريده،[6] لا على ما يريده[7] غيره.

{قال رحمه الله:} إن الله تعالى يتعالى بمعان[8] أربعة. أحدها تعاليه عن الظلم[9] والجور وجميع ما لا يليق. والثاني تعاليه على الأشياء كلها بقهره لها وتصريفه إياها على ما يشاء،[10] أي ليس أحد يقهره بل هو يقهر الخلائق. والثالث تعاليه عن أن[11] تمسه[12] الحاجة والآفة، وكل من هو دونه لا يخلو[13] عن ذلك. والرابع تعاليه عما قال الظالمون فيه من الولد والأضداد والأشكال والأنداد وتعاليه عن جميع السوء الذي يصيب الخلق. ***والله المستعان.***

﴿هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **هو الله الخالق البارئ المصور**؛ فالخالق والبارئ واحد. ويقال برأ، أي خلق، والبرية[14] الخلق. ويقال: سميت البرية برية لأنه خلق من التراب، إذ البَرَى هو[15] التراب.

---

[1] ر: الله تعالى.
[2] ر م – فيه.
[3] ر م: الملاحدة.
[4] سورة آل عمران، ٦/٣.
[5] ر ث م – فيخلق الأشياء.
[6] ر ث + الأشياء؛ م + غيره.
[7] ن: إلا على ما يريد.
[8] ر ن ث: بمعاني.
[9] ن: من الظلم.
[10] م: ما شاء.
[11] ر م – أن.
[12] جميع النسخ: يمسه.
[13] ر م: لا يخلوا.
[14] ر ن ث + هو.
[15] ن: من.

وقوله عز وجل:[١] **المصور**، والمصور هو الذي يعطي كل شيء صورته فيصوره على ما هو. فالتصوير هو بيان الحدود وهو [من] قول الناس: صوّرتُ الأمر عند فلان، أي بينته. وقوله عز وجل: **له الأسماء الحسنى**، أي الأمثال العُلَى وهي[٢] الصفات، إذ المَثَل[٣] يرجع إلى وجهين: إلى الصفة مرة وإلى التشبيه ثانيا؛ فإذا رجع إلى الصفة فإنه يرجع إلى حقيقة ذلك، وإن رجع إلى التشبيه فإنه لا يرجع إلى حقيقة ذلك. ثم قوله عز وجل: **له الأسماء الحسنى**، أي الصفات العلى، أي[٤] لا يسمى بذلك إلا هو، إذ لا يقال لغيره "الرب" ولا "الرحمن" ولا "المالك" إلا أن يضاف ذلك إلى شيء، فأما التصريح فلا يطلق / ذلك إلا له جل وعلا. ويحتمل وجها [٧٩٧ظ] آخر: أي لا شبيه له في أسمائه، أو أن[٥] يشركه أحد في تلك الأسماء، بل هي خاصة [له].

والله المستعان.[٦]

---

[١] ر: وهو قوله.

[٢] جميع النسخ: وهو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٧و.

[٣] جميع النسخ: الصفة. والتصحيح من المرجع السابق.

[٤] ث - أي.

[٥] ر م: وأن.

[٦] ن - والله المستعان؛ ث + والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الممتحنة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[١]

قوله عز وجل:[2] **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة،** [في] هذه الآية وما أشبهها من نحو[3] قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ،[4] وفي كل ما ذكر يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، دلالة واضحة أن الإيمان ذو حد في نفسه، وأنه ليس[5] كما قالت الحشوية[6] والمعتزلة وأصحاب الحديث: إن الطاعاتِ كلَّها إيمان. ووجه ذلك أن كلا في نفسه قد فهم من هذه الآية أنه محتمل لهذا الخطاب وأنه لازم له، فثبت أنه ذو حد في نفسه، وهو التصديق بالقلب، وغيره من الطاعات شرائعه. *والله أعلم.*

---

[1] ر - سورة الممتحنة؛ ث + وهي ثلاث وعشرون آيات مدنية؛ م + وهي مدنية.
[2] ر: وقوله عز وجل؛ ن - قوله عز وجل.
[3] ر م - نحو.
[4] سورة التحريم، ٦٦/٦.
[5] ن - ليس.
[6] ر م: الحشرية.

وفيما ذكر من قوله: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ،[1] وما أشبهها من الآي دلالة[2] على أن الإنسان ما نشاهده،[3] وليس كما قال النظام:[4] إن الإنسان إنما هو جسم آخر لطيف في هذا الإنسان، ولا كما قال[5] الناشي:[6] إن الإنسان إنما هو جوهر جوهر[7] بسيط في هذا الإنسان. ووجه ذلك أنه ليس كل أحد يعلم أن في نفسه جوهرا بسيطا أو جسما آخر[8] لطيفا.[9] وقد فهم الكل من هذه الآيات أنه محتمل للخطاب بها فثبت بما وصفنا أن الإنسان هو ما نشاهده.[10] *والله أعلم*.

وفيه دلالة أن ما يُفهَم من هذه الآيات من عموم أو خصوص ليس يفهم بظاهر الخطاب ولكن بما يوجبه الحكمة، فإن أوجبت عمومَها أجروها على عمومها وإن أوجبت تخصيصَها أجروها على ذلك. والذي يدل على ما وصفنا أنه قال: **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء**، وهذا مخرجه في الظاهر على العموم، ولكنه لما قال: **تُلْقُون إليهم بالمودة**، -ومعلوم أن الذي كان يُلقِي[11] [إليهم][12] بالمودة خاصا لا كل المؤمنين- فكان يجب أن يكون مجراها على الخصوص لما بُيّن في سياق هذه الآية. ولكن الحكمة توجب[13] تعميم هذه الآية، لأنه لو قال لواحد: لا تتخذ عدوي وعدوكم أولياء، كان هذا الخطاب لازما للكل بما توجبه[14] الحكمة من أنه إذا علم من أحد عداوته أن لا يتخذه[15] وليا.

---

[1] سورة البقرة، ٢/٢١.

[2] ن + دلالة.

[3] ر م: ما يشاهد؛ ن ث: ما يشاهده. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٧و.

[4] إبراهيم بن سيار بن هانئ البصري، أبو إسحاق النظّام، من أئمة المعتزلة. توفي سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م (*الأعلام* للزركلي، ٤٣/١).

[5] ر م: ولا كمال.

[6] الناشي الأكبر أبو العباس عبد الله بن محمد بن عبد الله الانباري المعتزلي، من كبار المتكلمين وأعيان الشعراء، والنحويين. له تصانيف. توفي سنة ٢٩٣هـ/٩٠٦م (سير *أعلام النبلاء* للذهبي، ٤٠/١٤-٤١؛ و*الأعلام* للزركلي، ١١٨/٤).

[7] ث + لطيف.

[8] جميع النسخ + فيه.

[9] ر ن م: لطيف.

[10] جميع النسخ: ما يشاهده. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٧و.

[11] ن: تلقي.

[12] الزيادة من المرجع السابق.

[13] ر م: يوجب.

[14] جميع النسخ: بما يوجبه.

[15] ث: أن لا تتخذه.

وكذلك قوله: **وقد كفروا بما جاءكم من الحق يُخرجون الرسول وإياكم**، خرج مخرج العموم في الظاهر، ولكن الذين[١] أخرجوه إنما كان أهل مكة خاصة دون سائر الكفرة. فهذا يبين[٢] أن ما أُجري مجرى العموم لم يجز بظاهر اللفظ ولكن لما توجبه[٣] الحكمة والدليل.[٤] وكذلك قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ،[٥] الآية، ليس أن السعي إنما فُرض يوم الجمعة لتخصيصه بالذكر، ولكن لِما أن النداء في يوم الجمعة إلى ذكرَين[٦] وفي غيره من الأيام إلى ذكر واحد، أو لأجل[٧] أن النداء المضيّق في يوم[٨] الجمعة هو النداء الأول وفي غيره من الأيام هو النداء الثاني. فإذا جاز أن يكون فرض السعي في يوم الجمعة إنما هو لهذين المعنيين ثبت أن التخصيص ليس لظاهر اللفظ. ***والله أعلم***.

وفي هذه[٩] الآية دلالة رسالته[١٠] صلى الله عليه وسلم، وذلك أن قوله: **تسِرُّون إليهم بالمودة**، يدل[١١] أن ذلك الرجل لم يُطْلع على سره أحدا وقد أطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم حيث أخبر هم بالكتاب، فثبت أنه إنما علمه[١٢] بالوحي. ***والله أعلم***.

ثم اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية. فقال الحسن: إنها نزلت في أهل النفاق، وقال غيره من عامة المفسرين: إنها نزلت في حاطب بن [أبي] بَلْتَعة،[١٣] وهذا أشبه التأويلين[١٤] بالصواب وأقرب إلى الحق.

---

[١] م: الذي.

[٢] جميع النسخ: تبين.

[٣] ر م: لما يوجب؛ ن ث: لم يوجبه.

[٤] ث – والدليل.

[٥] سورة الجمعة، ٩/٦٢.

[٦] لعل المؤلف رحمه الله يقصد بالذكرَيْن الفرضَيْن، يعني الخطبة وصلاة الجمعة.

[٧] ر م: ولأجل.

[٨] م: في اليوم.

[٩] ن – هذه.

[١٠] ر: رسالة محمد.

[١١] ر م – يدل.

[١٢] ر ث م: أنه علمه.

[١٣] انظر: *تفسير الطبري*، ٧٤/٢٨–٧٨. «حاطب بن أبي بلتعة اللخمي، صحابي (ت ٣٠هـ/٦٥٠م)، شهد الوقائع كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من أشد الرماة في الصحابة. وكانت له تجارة واسعة. بعثه النبي صلى الله عليه وسلم بكتابه إلى المُقَوْقس صاحب الإسكندرية. ومات في المدينة وكان أحد فرسان قريش وشعرائها في الجاهلية» (*الأعلام* للزركلي، ١٥٩/٢).

[١٤] ر م: التأويل.

وذلك أن الله تعالى قال:[1] **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم**، فقد أخبر أن الكفرة عدو لهم. ولو كانت الآية في أهل النفاق لم يكن الكفرة عدوا لهم، بل كانوا أولياء فثبت أن المراد منه[2] المؤمنون. ***والله أعلم***.

وفي هذه الآية دلالة أن[3] ذلك الذنب الذي ارتكبه ذلك الرجل لم يخرجه من الولاية لأنه قال: **لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء**، ولو كان ذلك الذنب يُكفّره ويخرجه عن الإيمان[4] لم يكن ذلك الكافر عدوا له[5] بل يكون وليا له[6] بقوله: وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ،[7] ولأجل أنه قال: **يا أيها الذين آمنوا**، سماه مؤمنا. والدليل على أن ذلك الذنب كان كبيرة أنه[8] أخبرهم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم جهّزهم للقتال، وفيما أخبر أمرٌ بأن يستعدوا لقتال النبي صلى الله عليه وسلم وحربه.[9] ولا يُشكل أن من أَمر بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مرتكب كبيرة. وإذا كان كذلك وقد أدخله[10] الله تعالى في جملة المؤمنين بقوله: **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم**،[11] وبما وصفناه[12] من الدليل ثبت أن الكبيرة لا تُكفِره[13] ولا تغير[14] اسم[15] الإيمان عنه. ***والله الموفق***.

[٧٩٨و] /ثم فيما نهانا أن نتخذ عدونا وعدوه أولياء دلالةٌ أنْ ليس في الحكمة اتخاذُ الولاية مع الأعداء. ثم من قول المعتزلة أن الله تعالى أراد من جميع عباده أن يؤمنوا، وإذا أراد أن يؤمنوا[16]

---

[1] ر – قال.
[2] ن: به.
[3] ر – أن.
[4] ن: من الإيمان.
[5] ر م + يكون.
[6] ر م –له.
[7] سورة الجاثية، ١٩/٤٥.
[8] أي حاطب بن أبي بلتعة.
[9] ث: وحزبه.
[10] ر م: أحله؛ ث: أخله.
[11] ر ث م – وعدوكم.
[12] م: وصفنا.
[13] ر ن م: لا يكفره.
[14] جميع النسخ: ولا يغير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٧ظ.
[15] ر م: باسم.
[16] ث – وإذا أراد أن يؤمنوا.

فقد أراد أن[1] يواليَهم مع علمه[2] أنهم يختارون عداوته. فكأنهم وصفوا الله تعالى بما يخرجه من الحكمة ويدخله[3] في السفه والجهل بالعواقب. وذلك كله منفي عن الله سبحانه وتعالى، والمعتزلة فيما وصفوه[4] فجرة فسقة، ويخشى أن يكونوا كفرة. *والله المستعان*.

وقوله عز وجل: **تُلقُون إليهم بالمودة**، أي بما كُتب في الكتاب.[5] وقوله عز وجل: **وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم**، وقوله: **إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي**، يحتمل أن يكون ذلك فيمن هاجر من مكة إلى المدينة وهو أقرب[6] التأويلين لأن حاطبا[7] إنما كان[8] هاجر من مكة إلى المدينة، وفيه نزلت الآية. ويحتمل أن يكون ذلك حين أرادوا الجهاد إلى مكة، والله أعلم أيَّ ذلك كان.[9] وقوله: **تُسِرّون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم**، أي هو أعلم بما أخفيتم مِن كِتْبَة[10] الكتاب إلى أهل مكة، **وما أعلنتم**، بما أظهرتم من العذر. وقوله عز وجل: **ومن يفعله منكم**، أي من اتخاذ الولاية مع أعدائه، **فقد ضل سواء السبيل**، في الاعتقاد إن اعتقد[11] ذلك[12] وفي الفعل إن لم يعتقده. *والله أعلم*. ثم [في][13] قوله عز وجل: **تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم**، إلزام[14] مراقبة الله تعالى في السر والعلانية وتحذير له ليجمعوا بين السر والعلانية، وتخويف لهم عن أن يُطْلِع رسوله[15] صلى الله عليه وسلم على سرائرهم كما أطلعه على[16] أمر الكتاب إلى أهل مكة.

[1] م – أن.
[2] ر: علم.
[3] ر م: ويدخل.
[4] ر م: وصفوا.
[5] أي بما كتب حاطب بن أبي بلتعة في مكتوبه إلى أقربائه.
[6] ن + إلى.
[7] ر م: حاطبا.
[8] ن – كان.
[9] ن – كان.
[10] ر ن م: من كتبه.
[11] ر: في الاعتاد إن من اعتقد؛ ن ث: إن من اعتقد؛ م: في الاعتاد وإن من اعتقد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٧ظ.
[12] ن – ذلك.
[13] الزيادة من المرجع السابق.
[14] ر ث م: التزام.
[15] ر: رسول الله.
[16] ر م: علم.

ثم في هذه الآية أعظم شيء في زجرهم ونهيهم عن المعاصي، وذلك أنه لِما أطلعه على جميع ما يتعاطَونه من الذنوب سرا وعلانية؛ فإذا علموا أن الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم من سرهم ما يعلم من علانِيَتِهم بما يطلعه الله عليه يحملهم ذلك على الانتهاء عن المعاصي في السر والعلانية وعلى الإجابة إلى ما يدعوهم إليه. *والله أعلم*.

﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم [وألسنتهم بالسوء]**،[1] فوجه ذلك وتأويله عندنا -والله أعلم- أنه لما رآهم رغبوا في أموالهم ومودتهم رغبةً منهم في الكفرة أن يحفظوا أولادهم وأموالهم أخبرهم أنْ كيف يرغبون في حفظهم ذلك وهم لو قدروا عليكم وظفروا بكم قتلوكم وآذَوْكم بألسنتهم، فكأنه يقول: كيف توالونهم[2] من حيث تُسِرّون[3] إليهم بالمودة وهم لو ظفِروا بكم قتلوكم وكانوا لكم أعداءً.

وقوله عز وجل: **وَوَدُّوا لو تكفرون**، يعني أنهم يودون أن تكفروا،[4] ومع ما يودون أن تكفروا[5] لو قدروا عليكم قتلوكم. فمن كانت حالهم معكم مثل هذا فكيف تطمعون أن يحفظوا[6] أولادكم وأموالكم.

﴿لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم**، له وجهان. أحدهما أن كيف تُوالون الكفرة لمكان أولادكم وأرحامكم وهم لا ينفعونكم يوم القيامة؟ والثاني أن أرحامكم لا تنفعكم ولا تشفع لكم[7] يوم القيامة. وقوله: **يفصل بينكم**، [له وجهان.

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢١٨و.
[2] جميع النسخ: توالوهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[3] ن: يسرون.
[4] ر ث م: أن يكفروا.
[5] ر ث م: أن يكفروا.
[6] ث: تحفظوا.
[7] جميع النسخ: لا ينفعكم ولا يشفع لكم. والتصحيح من المرجع السابق.

أحدهما][1] أي بينكم وبين أرحامكم، لقوله تعالى: يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ.[2] والثاني[3] أي يفصل بينكم وبين أرحامكم لاختلاف أعمالكم، فيُنزل[4] كل واحد منكم منزل عمله.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله**، الآية. الأصل في أنباء المتقدمين أنها عِبَر لهذه الأمة. فما ذُكر منها في المؤمنين[5] منهم فهو تذكير للمؤمنين من هذه الأمة وتعليم لهم معاملة الكفرة ومنابذتهم على مثل ما فعل المؤمنون[6] منهم بكَفَرتهم[7] من سائر الأمم، وما ذُكر[8] منها في الكفرة من الأمم الماضية فهو تخويف لكفرة هذه الأمة لئلا يصنعوا مثل صنيعهم فيستوجبوا من النقمة مثل ما استوجب أولئك. وما كان منها في حق الرسل عليهم السلام فهو في حق التسلي لرسولنا وسيدنا[9] صلى الله عليه وسلم عن بعض ما مسه. وأصلٌ آخرُ أن الخطاب قد يلزم المخاطب مرة بما يخاطَب في نفسه، ومرةً بما يؤمر بالاقتداء بغيره إذا كان ذلك الغير لم يفعل ما فعله إلا عن أمر.

ثم إن الله تعالى أمر المؤمنين من هذه الأمة الاقتداء بإبراهيم عليه السلام ومن معه[10] من المؤمنين وأخبرهم عن معاملتهم إياهم[11] وتركِ موالاتهم. فكأنه قال: اتركوا موالاة الكفرة

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢١٨و.
[2] سورة عبس، ٨٠/٣٤-٣٥.
[3] ن - والثاني.
[4] ر: فنزل.
[5] ن - أنها عبر لهذه الأمة فما ذكر منها في المؤمنين.
[6] ر م: المؤمنين.
[7] جميع النسخ: يكفر بهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] جميع النسخ: وقد ذكر. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ن - وسيدنا.
[10] ن: ومن معهم.
[11] ن - عن معاملتهم إياهم.

والإسرارَ إليهم بالمودة ما داموا على كفرهم، كما فعله إبراهيم عليه السلام، **والذين معه**[1] **إذ قالوا لقومهم إنا بُرَآء منكم**، فنابذوهم ولم يوالوهم فافعلوا كفعلهم. **إلا قولَ إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك**. فكأنه قال:[2] اقتدُوا بهم إلا بما قال إبراهيم لأبيه **لأستغفرن لك**، يعني لا تستغفروا للمشركين مثل ما استغفر إبراهيم عليه السلام لأبيه المشرك، / لأنكم لا تعلمون [٧٩٨ظ] المعنى الذي له استغفر إبراهيم عليه السلام لأبيه.

ثم اختلفوا في المعنى الذي له استغفر إبراهيم لأبيه. فقال أبو بكر [الأصمّ]: إنه كان صلوات الله عليه وعد أن يستغفر لأبيه، ورأى أن إنجاز[3] الوعد لازم عليه فاستغفر لهذا المعنى.[4] وقال الحسن: إنه[5] إنما استغفر له لوقت توبته لا في حال الشرك، لأنه لا يتوهم أنه لم يعلم أنه لا يحل له أن يستغفر للمشرك، ومن علم أنه يحل له لم يكن مسلما مؤمنا. فثبت أنه[6] إنما استغفر لوقت إسلامه. وعندنا الاستغفار طلب المغفرة، والمغفرة من الله تعالى على وجهين. أحدهما مغفرة رحمة وفضل وكرم. والثاني أن يوفقه للسبب الذي إذا جاء به غَفَر له، ألا ترى إلى قوله: إِسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا،[7] أي اطلبوا منه[8] السبب الذي إذا جئتم به غفر لكم. وإذا كان كذلك جاز أن يكون استغفار إبراهيم لأبيه على هذا الوجه: أن يكون طَلَبَ من الله تعالى التوفيق له[9] بالسبب الذي إذا جاء به غفر له وذلك مستقيم، ولكنه لما تبين له[10] أنه لا يوفقه لذلك السبب تبرأ منه. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وما أَمْلِك لك من الله من شيء**، أي لا أملك أن أدفع منك عذاب الله من شيء، أو لا أملك أن أهديك دون أن يهديك الله. ألا ترى إلى قوله: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلٰكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ،[11] فكأنه قال: سوى أن أدعوَ لك بالتوفيق للهداية لا أملك لك من عذاب الله من شيء.

---

[1] م + من المؤمنين وأخبرهم عن معاملتهم إياهم وترك موالاتهم.
[2] ر: قالوا.
[3] جميع النسخ: أن إيجاب.
[4] ث: لمعنى.
[5] ن – إنه.
[6] ر ث م – أنه.
[7] سورة نوح، ٧١/١٠.
[8] ر م – اطلبوا منه؛ ث – منه.
[9] ن – له.
[10] ر ث م – له.
[11] ر ث م – ألا ترى إلى قوله إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء. سورة القصص، ٢٨/٥٦.

وقوله عز وجل:[١] **ربنا عليك توكلنا وإليك أَنَبْنَا**، يجوز أن يكون هذا عند المنابذة وإظهار العداوة مع الكفرة، يعني عليك مُعْتَمَدُنَا في النصر على أعدائنا عند قلة عددنا وكثرة عددهم، وإليك مرجعنا ومفزعنا، وإليك المصير إذا قُبِضنا.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا**، ذكر أهل التفسير أن تأويل هذه الآية يخرج على ثلاثة أوجه. أحدها أي لا تسلط علينا أعداءنا، فيظنوا أنهم على حق ونحن على باطل.[٢] أو لا تُنزل علينا العذاب دونهم فيظنوا أنهم على حق ونحن على باطل. أو لا توسّع[٣] عليهم الدنيا وتُضيقْ علينا فيظنوا أنهم على حق ونحن على باطل.[٤] ولو كان التأويل هو الثانيَ لكان يجيء على هذا أن يكون الواجب على العدول من هذه الأمة أن يسألوا الله تعالى العافيةَ لئلا يتوهم فُسّاقهم أنهم على الحق. ولكن الجواب عن هذا[٥] أن الفساق من هذه الأمة قد علموا أن الذي هم فيه من الفسق محظور. وأما الكفرة فإن عندهم[٦] أن ما يدينون به من الكفر[٧] حق فإذا سُلّطوا على المؤمنين توهموا أن الذي حسبوه حقا حق. وأما الفسقة من هذه الأمة إذ[٨] علموا أن الفسق منهي عنه محظور فلا يقع[٩] لهم هذا الحسبان. *والله أعلم*.

ويحتمل أن يكون المعني من قوله: **لا تجعلنا فتنة**، يعني عذابا، أي سببا يُعذَّب به الكفرة، كما قال: رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ،[١٠] وكان تأويله أي[١١] آتنا[١٢] السبب الذي نستوجب به[١٣] ما وعدتنا على رسلك، فكذلك الأول. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **واغفر لنا ربنا**،

---

[١] ر: قوله عز وجل.
[٢] ث + ولو كان التأويل هو الثاني.
[٣] ن: أو لا يوسع.
[٤] ث – أو لا توسع عليهم الدنيا وتضيق علينا فيظنوا أنهم على حق ونحن على باطل.
[٥] ن: على هذا.
[٦] ر م: فإن عدوهم؛ ث: فإن عدهم.
[٧] ر م: من الكفرة.
[٨] ر م: إذا.
[٩] ر ث م: ولا يقع؛ ن: ولا نفع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٨ظ.
[١٠] ﴿ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة﴾ (سورة آل عمران، ١٩٤/٣).
[١١] ر ث م: أن.
[١٢] ر ث م: إيتاء.
[١٣] جميع النسخ: يستوجب به. والتصحيح من المرجع السابق.

أي اغفر لنا الذنوب التي نستوجب بها[1] نصر[2] أعدائنا علينا.[3] وقوله عز وجل: **إنك أنت العزيز الحكيم**، **العزيز**[4] يعني المنتقم من أعدائه.

﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾[٦]

وقوله عز وجل: **لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر**، يعني لقد كانت[5] لكم في إبراهيم والذين معه قدوة حسنة تَحْسُنون بها[6] إذا اقتديتم بهم وأطعتموهم. وقوله عز وجل: **لمن كان يرجو الله واليوم الآخر**، يحتمل معنيين. أحدهما أي لمن كان يرجو[7] ثواب الله تعالى. والثاني لمن يؤمن[8] بالبعث. وذلك أن الله تعالى وصف أمر البعث في كتابه بصفات مختلفة، مرة أضافه إلى نفسه، بقوله: فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ،[9] وكان المعنى منه البعث؛ ومرة وصفه بصفة أخرى. وإن كان المراد منه[10] الثواب ففيه إخبار أن الراجيَ في الحقيقة هو الطالب لما يرجوه بالأسباب التي يرجو[11] الوصول بها إلى ما دُعِيَ وأُرْجِيَ. والخائف في الحقيقة هو الهارب عما حُذِّر، والمنتهي[12] عما نُهِي عنه وحُظِر. فإن من اعتمد على مجرد الرجاء والخوف دون التمسك بسببهما[13] فهو مُتَمنٍّ[14] على الله تعالى. والدليل على تأييد ما نقوله[15] قوله عز وجل: اَلَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أُولٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ.[16]

---

[1] ن ث: الذي يستوجب به. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٨ظ.
[2] ن: يصير.
[3] ر م – وقوله عز وجل واغفر لنا ربنا أي اغفر لنا الذنوب الذي نستوجب بها نصر أعدائنا علينا.
[4] ر م – العزيز.
[5] م: كان.
[6] جميع النسخ: يحسبون بها. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] جميع النسخ: يرجوا.
[8] ر ث م: والثاني أن يؤمن؛ ن: والثاني أي يوم.
[9] سورة الكهف، ١٨/١١٠.
[10] ر م – منه.
[11] ر: يرجوا.
[12] حذروا المنتهي.
[13] ر م: بسببها.
[14] ر ن م: متمني.
[15] ر م: يقول؛ ن: يقوله.
[16] سورة البقرة، ٢/٢١٨.

أفلا تراه كيف حقق معنى الرجاء بالمجاهدة في سبيل الله والعمل بطاعته؟ *والله أعلم*. وإن كان على البعث فكذلك أيضا لأنه إذا هرب عما نهي عنه وطلب لما أمر به فقد تبين أنه يوالي من يُفضِي موالاتُه إلى ثواب الله ورحمته وأنه يعادي من يفضي عاقبة موالاته إلى نقمة الله[١] وعذابه. ومعلوم أنه لا يفعل ذلك إلا من يؤمن بالبعث، لأنه[٢] من لم يؤمن بالبعث[٣] فإنما يوالي من رجا منه منفعة الدنيا ويهرب عمن يضره في هذه الدنيا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ومن يتول**، يعني من يتول عن طاعة الله فيما أمره من الاقتداء بهم **فإن الله هو الغني الحميد**، يعني عن طاعة الخلق، ليُعلَم أن ما أمرهم به[٤] لم يأمرهم لحاجة له في طاعتهم أو لمنفعة ترجع[٥] إليه، بل هو غني عن كل ذلك. وإنما أمرهم لحاجتهم إلى ذلك ولِما علم أن منافع طاعتهم ترجع[٦] إليهم خاصة. وقوله عز وجل: **الحميد**، له معنيان: معنى الحامد ومعنى المحمود. فإن كان المراد منه المحمود ففيه أن الله تعالى يستحق الحمد من خلقه بما أنعم عليهم. وإن كان المراد منه[٧] الحامدَ فمعناه أن الله يحمد الخلق ويشكرهم حتى يَجزيهم بالكثير[٨] من الثواب عن القليل من الأعمال، أو[٩] يثني[١٠] عليهم بأعمالهم، فهو حميد من هذين المعنيين.

﴿عَسَى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللهُ قَدِيرٌ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٧]

وقوله عز وجل: / **عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم**. إن الله أمر المؤمنين بمعاداة الكفرة ومنابذتهم وترك موالاتهم ما داموا كفارا، ثم وعد أن يجعل بيننا وبينهم مودة إذا آمنوا. فكان[١١] في هذا من أعظم الدليل على أن الخلق عند الله تعالى في كل حال على ما هم عليه في أحوالهم، وليس كما قال بعض الجهال: [٧٩٩و]

---

[١] ن – ورحمته وأنه يعادي من يفضي عاقبة موالاته إلى نقمة الله.
[٢] ن: لأن.
[٣] ر م – لأنه من لم يؤمن بالبعث.
[٤] ن + لما.
[٥] جميع النسخ: يرجع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٨ظ.
[٦] جميع النسخ: يرجع. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] ر م – منه.
[٨] ن: بالكبير.
[٩] ن ث: إذ.
[١٠] ر م: أثنى.
[١١] ن + من.

إنه يؤمن في وقت من الأوقات فهو عند الله مؤمن في حال كفره، وهذا خلاف ما وصف الله تعالى في هذه الآية.[1] *والله أعلم*.

ثم المعتزلة قد خالفوا هذه الآيات وعاندوها على[2] قولهم، وذلك أن الله تعالى قال: لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ،[3] ومن قولهم:[4] إن من كان[5] على خلاف مذهبهم[6] فهو عدو لهم، ولا شك أنهم يوالُونه ويصافُونه[7] وقد نهى الله تعالى عن هذا فهذا إحدى الخلافين. والثاني أن الله تعالى وعد أن يجعل بيننا وبينهم مودة. ومن قولهم: إنه لا يقدر على شيء من أفعال الخلق. فكان الله تعالى على قولهم وعد ما لا يقدر عليه، وهذا لا يليق بأَسْفَه[8] خلق الله فكيف برب العالمين؟ فثبت أنهم عاندوا هذه الآيات. *والله أعلم*. وخلاف ثالث أن الله سبحانه وتعالى[9] وصف نفسه بالقدرة بقوله:[10] **والله قدير**، ومن قولهم: إنه ليس بقدير[11] على شيء من أفعال الخلق. فأي خلاف أشهر من هذا وأظهر؟ *والله الموفق*.

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[٨] ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم**، لا يحتمل أن يكون النهي وغير النهي[12] في الإقساط

[1] في *الشرح* (ورقة ٢١٩و) في حذاء هذه العبارة: «في مسألة الموافاة».
[2] ر: علمي.
[3] الآية ١ من هذه السورة.
[4] جميع النسخ: من قوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٩و.
[5] ر م: إن كان.
[6] ر: فذهبهم.
[7] ن: ويضافونه؛ م: ويصادقونه.
[8] ث: تأسفه.
[9] ث: أن الله تعالى.
[10] ر ث م – بقوله.
[11] ر ث م: يقدر.
[12] ر م – وغير النهي.

لأن الإقساط هو العدل، وليس يَنهى عن العدل إلى من[١] كان وليا[٢] أو عدوا. ألا ترى إلى قوله تعالى: وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اِعْدِلُوا،[٣] فقد أخبر أنه لا يحل له ترك العدل لمكان العداوة، وإذا كان كذلك ثبت أن[٤] المراد من هذا النهي وغيره هو[٥] قوله: **أن تبروهم**. ثم الذي لم يُنْهَ عنه خلافُ ما نُهِيَ في الظاهر لأنه قال: **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم**، وقال فيما نهى: **إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم**،[٦] ومعلوم أنه قد يجوز أن يُبَرَّ[٧] من لا يجوز أن[٨] يتولاه. ألا ترى إلى قوله: وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا،[٩] ثم نهى عن تولى الكفار، بقوله: لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ.[١٠] ولكنه لمّا جاز أن يجتمع في نفس واحدة البر وترك التولي فكذلك جاز أن يأمر[١١] بالبر ممن ينهى عن التولي معه. *والله أعلم*.

ثم قوله تعالى:[١٢] **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين**، يحتمل أن يكون المراد منه لا ينهاكم بل يأمركم، ويحتمل أن يكون معناه يُرخص لكم، كقوله: فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ،[١٣] ومعناه بل خسرت، وإن كان قد يجوز أن تكون[١٤] التجارة إذا لم تربح[١٥] لا تخسر،[١٦]

---

[١] ر م: ما.
[٢] ن + كان.
[٣] سورة المائدة، ٨/٥.
[٤] ر م - أن.
[٥] ر ث م: وهو.
[٦] ر م: أن تبروهم.
[٧] ر م: أن نبرأ؛ ث: أن نبر.
[٨] ر م + لا.
[٩] ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا﴾ (سورة لقمان، ١٥/٣١).
[١٠] الآية ١ من هذه السورة.
[١١] ر ث م: يؤمر.
[١٢] ن - تعالى.
[١٣] سورة البقرة، ١٦/٢.
[١٤] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٩و.
[١٥] جميع النسخ: إذا لم يربح. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٦] جميع النسخ: لا يخسر. والتصحيح من المرجع السابق.

فكذلك قوله تعالى: **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين**، بل يأمركم أن تبروهم،[1] ويحتمل أن يكون المراد بل يرخص لكم أن تبروهم. ***والله أعلم***.

ثم اختلفوا فيمن أمر ببرهم ونهى عن[2] توليهم.[3] فقال بعضهم: هم المستضعَفون من أهل مكة الذين آمنوا في السر وخشُوا إظهاره من المشركين فأمر الله تعالى المؤمنين بالمدينة أن تبروهم بالكُتُب إليهم ليحتالوا في انقياد أنفسهم؛ لأن المشركين من أهل مكة إذا علموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهر لقتالهم كان يجوز أن يُخشَى على أولئك المؤمنين المستضعفين، فأمر هؤلاء أن تبروهم بالكتاب إليهم ليتأهبوا في أنفسهم ويحتالوا لما يُخشَى عليهم من المشركين. ***والله أعلم***.[4] وقال بعضهم: هذا في الذين كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وذمةٌ، فأمر المؤمنين أن يبروا[5] أولئك في إيفاء[6] عهودهم إلى مدتهم، ونهاهم عن أن يتولوا من قاتلهم ونقض عهودهم.[7] وقال بعضهم: في النساء والولدان من المشركين، أمر المؤمنين أن يبروهم[8] بترك القتال وأن لا يتولَّوا من قاتلهم من جملة الرجال[9] من المشركين[10] بل يقاتلونهم.[11]

ثم قال: **ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون**، أي من[12] يتولهم في الاعتقاد، **فأولئك هم الظالمون**، في حق الاعتقاد، أو من[13] يتولهم في الأفعال **فأولئك هم الظالمون**، في حق الأفعال، كما وصفنا في قوله: فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ.[14]

---

[1] ث: أن تبروكم.
[2] ر م – عن.
[3] ن ث: عن توليتهم.
[4] ن + والله أعلم.
[5] جميع النسخ: أن تبروا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٩و.
[6] ر م: في إبقاء.
[7] ن – إلى مدتهم ونهاهم عن أن يتولوا من قاتلهم ونقض عهودهم.
[8] جميع النسخ: أن تبروهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ن – الرجال.
[10] جميع النسخ + من الرجال.
[11] جميع النسخ: بل يقاتلوهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ر م: ومن.
[13] ن ث: أو ومن.
[14] أي في آخر تفسير الآية ١ من هذه السورة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اَللّٰهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذٰلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[١٠] ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات**، المعنى عندنا -والله أعلم- إذا جاءكم المؤمنات[١] يعني قائلاتٍ إنهن[٢] مؤمنات **فامتحنوهن**، لأنه لو كان على حقيقة الإيمان لم يكن لقوله: **فامتحنوهن**، معنى فلما أمر بالامتحان ثبت أن تأويل قوله: **إذا جاءكم المؤمنات**، ما وصفنا بدءًا. ومثال[٣] هذا ما قال:[٤] مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ،[٥] وكان المعنى منه من تكلم بالكفر وقلبه مطمئن بالإيمان، فكذلك يجوز أن يكون المعنى من الأول ما سبق[٦] ذكره. ***والله أعلم***.

ثم إن المفسرين ذكروا وصف امتحانهن أنهن يحلفن بالله ما أخرجهن من دارهن بُغض أزواجهن، أو يحلفن أنهن ما أردن بخروجهن أرضا سوى أرضهن، وإنما أردن / بذلك الإسلام. [٧٩٩ظ] وهذا تأويل فاسد، وذلك أنها إذا أسلمت كان الحق[٧] عليها في دينها أن تبغض[٨] زوجها الكافر، كقوله تعالى: وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ،[٩] فكيف يجوز أن يكون صفة امتحانهن ما ذكروا وحكم الشريعة والدين[١٠] يوجب ما كُنّ[١١] يفعلنه؟

---

[١] ر م: المؤمنون.
[٢] ن: أيهن.
[٣] ر م: ومثل.
[٤] ن - ما قال.
[٥] سورة النحل، ١٦/١٠٦.
[٦] ن: يسبق.
[٧] ر: المحق.
[٨] جميع النسخ: أن يبغض. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٩ظ.
[٩] الآية ٤ من هذه السورة.
[١٠] ن: والذين.
[١١] ر: قوله.

فلذلك[1] قلنا: إن هذا التأويل الذي[2] ذكره بعض المفسرين في وصف الامتحان غير مستقيم. ويجوز أن يكون تأويل امتحانهن على وجهين. أحدهما أن يُسْتَوْصَفْن عن الإيمان ما هو؟ فإذا أخبرن عن حقيقة الإيمان عُلم أنهن مؤمنات. والثاني أن يُعْرَض[3] عليهن ما على[4] المؤمنات في إيمانهن، كما قال تعالى: وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ،[5] فإذا قبلن ذلك كله كان ذلك امتحانهن. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **الله أعلم بإيمانهن**، هذا يدل على أن الذي كُلِّف به المؤمنون من امتحانهن إنما هو بما يعلمون[6] من إيمانهن في الظاهر وأن الحقيقة إنما يعلمها رب العالمين.

وهذا يبين[7] أن العلم علمان: علم العمل وعلم الشهادة. فعلم العمل ما يعلمه الخلق في الظاهر فيعملون به. وعلم الشهادة ما يجوز أن يُشهد على الله به وذلك إنما يوصل إليه[8] بما يُطْلِعهم الله عليه نصا: إما بكتاب أو بسنة متواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعلم العمل هو الذي ينساغ[9] فيه الاجتهاد نحو خبر الآحاد وجهة القياس وغير ذلك.

وقوله عز وجل: **فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار**. ذكر في القصة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح عام الحديبية مشركي أهل مكة على أن من أتاه من أهل مكة فهو عليهم ردٌّ، ومن أتى مكةَ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو لهم، وغير ذلك، وكتب بذلك كتابا وهو بالحديبية. فلما فرغ من الكتاب إذ أتت سُبَيْعَة [بنت الحارث الأسلمية] مسلمة فجاء زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله رُدّ عليّ امرأتي، فإنك قد شرطت لنا ذلك وهذه طينة لم تَجِفَّ[10] بعد، فأنزل الله تعالى: **يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار**،[11]

---

[1] ر م: فكذلك.
[2] ث – الذي.
[3] ر م: والثاني ليعرض.
[4] ر: ما علمي.
[5] الآية ١٢ من هذه السورة.
[6] ر م: إنما هو لما يعلموا؛ ن: إنما هو ليعلموا؛ ث: إنما هو لما ليعلموا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٩ظ.
[7] ن ث: تبين.
[8] ر م + وذلك.
[9] م: يساغ.
[10] ر م: طيبة لم يخف.
[11] *البحر المحيط* لأبي حيان، ٢٥٦/٨.

يقول لا تَرُدّوهن إلى أزواجهن الكفار **لا هن حِلٌّ لهم ولا هم يحلون لهن**، يقول: لا يحل نكاح مؤمنة لكافر ولا نكاح كافر لمؤمنة.

وقوله عز وجل: **وآتوهم ما أنفقوا**، يقول: أَعْطُوا زوجها الكافر ما أنفق عليها على ما كان جرى من الصلح بينهم وبين المسلمين أن ما خرج من نساء أهل مكة إلى المدينة مؤمناتٍ لم يرجعوهن[١] إلى الكفار وأعطَوا أزواجهن[٢] ما أنفقوا من المهور، وما خرج من نساء المسلمين مرتدات لم يَرُدّوا إلى المدينة وأعطَوا أزواجهن ما أنفقوا.

ثم معلوم أنه كان يأخذ[٣] بإعطاء الصَداق وإيتاء ما أنفق غيرُ الذي أخذ الصداقَ ولكن كان يؤخذ به من كان من جنسه على ما ذكرنا نظائره فيما تقدم. ولذلك قال أصحابنا: إن أهل الإسلام يأخذون من تجار أهل الحرب مُجازاةً[٤] لما يأخذه أهل الحرب من تجار المسلمين، وإنما يؤخذ ذلك ممن كان من جنسه وإن كان ذلك غيرَ الذي أخذ منه. وعلى ذلك نقول:[٥] إن المحنة قد[٦] تجوز أن تستوي[٧] على البر والفاجر، وإن ما ينزل بالآدمي من المحن[٨] يجوز أن لا يكون جزاءً لما تعاطى من الذنوب والسيئات، لأن الله تعالى أن يمتحن عبده في هذه الدنيا مُبتدَأً. وأما في الآخرة فلا يؤاخذ[٩] فيها أحد بذنبِ آخَرَ بل يُجزَى كلٌّ بعمله إن شرا فشر وإن خيرا فخير. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن**، يقول: لا إثم عليكم يعني المسلمين أن تتزوجوهن[١٠] إذا آتيتموهن مُهُورَهُنّ.

وقوله عز وجل: **ولا تمسكوا بِعِصَمِ الكوافر**، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلمَتْ قبل زوجها، ثم أسلم بعد ذلك زوجُها،

---

[١] ر ث م: لم ترجعوهن.
[٢] ر ث م: أزواجهم.
[٣] ر ث م: يؤخذ؛ ن: يوجد.
[٤] أي أجرة الجواز، أو رسم الجواز.
[٥] جميع النسخ: يقول. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢١٩ظ.
[٦] ر م: وقد.
[٧] جميع النسخ: قد يجوز أن يستوي. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ن: من المحنة.
[٩] ن: فلا يوجد؛ ث: فلا يؤخذ.
[١٠] أن يتزوجوهن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٠و.

فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه[1] بالنكاح الأول قبل أن يَنزل **ولا تمسكوا بعصم الكوافر**، فلما نزلت كان إذا أسلم الزوج وخرج إلى دار الإسلام انقطعت العصمة[2] بينه وبين امرأته.[3] وكذلك المرأة إذا خرجت وبقي الزوج. ثم قوله: **ولا تمسكوا بعصم الكوافر**، قال بعضهم: أي بِعُقَد الكوافر، فمن[4] كانت له امرأة بمكة كافرةٌ فلا يَعْتَدَّ[5] بالمرأة الكافرة فإنها ليست بامرأة له وقد انقطعت العصمة بينهما. وقال بعضهم: **ولا تمسكوا بعصم الكوافر**، حَظَرَ علينا الامتناع والكف والإمساك من نكاح المهاجِرة لأجل زوجها الحربي وعصمته، والعصمة المنع. والكوافر يجوز أن تتناول[6] الرجالَ، وظاهره في هذا[7] الموضع للرجال لأنه في ذكر المهاجِرات. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا**، يقول: إذا لحقت امرأة المسلم بكفار مكة فاسألوا مَهْرها من أهل مكة ورُدّوا إلى زوجها. **وليسألوا ما أنفقوا**، يقول: إن جاءت امرأة من أهل مكة[8] مهاجرة إليكم فردوا على زوجها المشركِ ما أعطاها من المهر، وذلك من أجل العهد الذي كان بين أهل مكة وبين النبي صلى الله عليه وسلم.

[٨٠٠و] وقوله: **ذلكم / حكم الله يحكم بينكم**، يقول: هذا[9] هو حكم الله[10] بين المسلمين والكفار من أهل العهد من أهل مكة في أن يرد بعضهم على بعض النفقة أي المهر. وقوله: **والله عليم حكيم**، أي فيما حكم بين المسلمين و[بين][11] أهل العهد ما ذكرنا من الحكم.

وقوله: **وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم**، يقول: إن لحقت امرأة مؤمنة بكفار مكة من أهل الحرب ممن ليس بينكم وبينهم عهد ولها[12] زوج عندكم مسلم. **فعاقبتم**، أي [ف]أعقبكم مالا من الغنيمة، **فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا**،

---

[1] ر ن م – عليه.

[2] ن – العصمة.

[3] *تفسير ابن كثير*، ١١٨/٨-١١٩.

[4] ن: لمن.

[5] ر ث م: فلا تعيدن؛ ن: فلا يعتدن.

[6] جميع النسخ: أن يتناول. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٠و.

[7] ر م: في هذه.

[8] ن – وردوا إلى زوجها وليسألوا ما أنفقوا يقول إن جاءت امرأة من أهل مكة.

[9] ن – هذا.

[10] ر + يحكم بينكم يقول هذا هو حكم الله؛ م + يحكم بينكم.

[11] الزيادة من المرجع السابق.

[12] ر م: لها.

من المهر مما أصبتم من الغنيمة قبل القسمة. **واتقوا الله** فيما فرض عليكم من هذا،[١] **الذي أنتم به مؤمنون**، أي مصدقون فلا تنقصوه.[٢] *والله أعلم*.

وهكذا روي عن[٣] مسروق رحمه الله[٤] وعن الزهري أنه قال: مِن حكم الله تعالى أن يسأل المسلمون من الكفار مهر المرأة المسلمة إذا صارت إليهم ويسألَ الكفار من المسلمين مهر من صارت إلينا من نسائهم مسلمة، فأقر المؤمنون[٥] بحكم الله تعالى وأبى المشركون أن يُقروا بذلك فأنزل الله تعالى قوله: **وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا**.[٦] فأمر الله تعالى المسلمين إذا ذهبت امرأة مسلمة ولها زوج إلى الكفار أن يردّوا إلى زوجها ما أعطاها من المهر من صداق كان في أيديهم مما يريدون[٧] أن يردوا إلى المشركين بمهاجَرَة امرأة منهم[٨] مسلمة إلينا، وإن لم يكن في أيديهم صداق وجب رده على أهل الحرب فعوضِهم من غنيمة[٩] أصبتموها.

وأصل هذا -والله أعلم- **وإن فاتكم شيء**، مما أنفقتم على أزواجكم ثم ظفِرتم على أعدائكم وغَنمتم **فآتوا الذين ذهبت أزواجهم**، ما فات عنهم مما أنفقوا. فكأنه يقول: واسألوا أولئك الذين ذهبت نساؤكم إليهم ما أنفقتم. فإن سألتم ولم يعطوكم شيئا وفاتكم ذلك من ذلك الوجه ثم قاتلتموهم وغنمتم[١٠] فأعطُوا الذين فات عن أزواجهم ما أنفقوا.

{قال رحمه الله:}[١١] اعلم بأن هذه الآية تنتظم[١٢] أحكاما. أحدها جواز الاجتهاد والعمل بالعلم الظاهر، فإنه قال: **فامتحنوهُنَّ الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات**، أي بالاجتهاد والامتحان، **فلا ترجعوهن إلى الكفار**، وهذا حكم مبني على العلم الظاهر، دل أن العمل به جائز.

---

[١] جميع النسخ: عن هذا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٠و.
[٢] ر ث م: فلا تنقضوه؛ ن: فلا ينقضوه. والتصحيح من المرجع السابق.
[٣] ر م – عن.
[٤] ر: رحمة الله عليه.
[٥] ن: المسلمون.
[٦] *مفاتيح الغيب*، ٢٩/٣٠٦.
[٧] ر: فما أيديهم يردون؛ م: فيما أيديهم يردون.
[٨] ر م – منهم؛ ث + بينهم.
[٩] ر: فوضوهم من غنيمته.
[١٠] ث: وغنمتموهم.
[١١] ر: رحمة الله.
[١٢] جميع النسخ: ينتظم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٠و.

والثاني أن أحد الزوجين إذا أسلم في دار واحد: إما دار الإسلام أو دارِ الحرب هل تقع[1] الفُرقة بنفس الإسلام أو بانضمام شيء آخر إليه. قال بِشر المَريسي[2] بأن الفرقة تقع للحال من غير انضمام شيء آخر إليه. وقال الشافعي: إن كانت المرأة مدخولا بها لم تقع[3] الفرقة حتى تحيضَ ثلاثَ حِيَضٍ، وإذا كانت غير مدخول[4] بها وقعت الفرقة للحال. وقال أصحابنا: إذا كانا[5] في دار الحرب فأسلم أحدهما لم تقع[6] الفرقة حتى تحيض ثلاث حيض،[7] وإذا كانا في دار الإسلام ذِمّيّيْنِ فأسلم أحدهما لم تقع[8] الفرقة حتى[9] يَعرِضَ السلطان الإسلام على الآخر فإذا عرض عليه الإسلام وأبى فرَّق بينهما. فأما بِشر احتج بظاهر قوله تعالى: **إذا جاءكم المؤمنات مهاجراتٍ** -إلى قوله- **فلا تَرجعوهن إلى الكفار لا هن حِلٌ لهم ولا هم يَحِلُّون لهن**، فقد أخبر أنه لا يحل واحد منهما[10] لصاحبه ولم يذكر شيئا آخر فلا يُقرَن به شيء آخر.

وأما أصحابنا رحمهم الله فإنهم احتجوا وقالوا: إن الفُرقة لا تقع بنفس الإسلام لقوله:[11] **إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن**، فلو كانت الفُرقة واقعة بمجرد الإيمان لم يكن للامتحان معنى فلما لم يَذكر الحرمة إلا بالامتحان ثبت أن الفرقة لا تقع بمجرد الإيمان. ويجوز أن يكون مثال هذا قوله تعالى: ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ... وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ،[12] ثم قال: وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ،[13] فلو كان الزنا يوجب الحرمة لم يكن هو راميا للزوجة، بل إذا قال لها: زنيتِ، فكأنه قال: لم يكن بيني وبينك نكاح. فلما ثبت رمي الزوجات بقوله: وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ،

---

[1] ن: الحرب أو يقع.
[2] ر: المرسي.
[3] ن: لم يقع.
[4] ن: مدخولا.
[5] ر م: إذا كان.
[6] جميع النسخ: لم يقع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٠ظ.
[7] ر ث م - حيض.
[8] جميع النسخ: لم يقع. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ن: حين؛ ث - تحيض ثلاث حيض وإذا كانا في دار الإسلام ذميين فأسلم أحدهما لم تقع الفرقة حتى.
[10] ر: منها.
[11] جميع النسخ: بقوله. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] سورة النور، ٣/٢٤.
[13] سورة النور، ٦/٢٤.

ثبت أن الزنا لا يوجب حرمتها عليه. فكذلك الإيمان بمجرده لو كان يحرّمها على الأزواج لم يكن للأمر[١] بالامتحان معنى. فلما أمر بالامتحان على إيمانها بعد أن أظهرت في نفسها الإيمان ثبت أن الحرمة لا تقع بنفس الإيمان حتى ينضم إليه شيء آخر، وتبين أن العمل بظاهر الآية غير ممكن إذ لا يجرى على إطلاقها. **والله أعلم.**

ودليلٌ ثانٍ[٢] أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أسلموا، ثم أسلم نساؤهم من بعد، ثم لم يرو عن أحد منهم أنه جدد النكاح. ولو كانت الفُرقة تقع[٣] بنفس الإسلام من أحد الزوجين لكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بتجديد النكاح. [فإن قيل: يجوز أن يكن إسلامهم جميعا معا. قلنا: هذا مما يخرج عن العادة والعرف وعما عليه الأغلب، فإنهم لو أرادوا أن يسلموا معا في كلمة تعذّر عليهم، وإذا كان كذلك ولم يخل أن يكون أحد منهم سبقَ إسلامه على إسلام زوجته ولم يرُو عنه تجديد النكاح][٤] ثبت أن الفرقة لا تقع[٥] بمجرد الإسلام. **والله أعلم.**

والوجه الثالث ما روي عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين[٦] على اختلاف الأسباب باختلاف الدارين ونحوه. روي عن ابن عباس رضي الله عنه[٧] أنهما على النكاح حتى تحيض المرأة ثلاث / حِيَضٍ إذا كانا في دار الحرب. وعن علي رضي الله عنه أنهما [٨٠٠ظ] على النكاح ماداما في الهجرة. وعن عمر رضي الله عنه أنهما إذا كانا في دار الإسلام فأسلم أحدهما فهما على النكاح حتى[٨] يعرض السلطان الإسلام على الآخر. فهؤلاء قد ثبت عنهم أن الفرقة لا تقع بنفس الإسلام إلى[٩] أن يُضَامَّهُ شيء آخر. ولم يثبت عن غيرهم خلاف ذلك فيكون إجماعا، فلذلك أخذ أصحابنا رحمهم الله تعالى بقولهم.[١٠] **والله أعلم.**

---

[١] ر م: الأمر.
[٢] ن: ثاني.
[٣] جميع النسخ: يقع.
[٤] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٢٠ظ.
[٥] ن: لا يقع.
[٦] ث: عنهما.
[٧] ن – أجمعين.
[٨] ث: حين.
[٩] م: إلا.
[١٠] انظر: *أحكام القرآن* للجصاص، ٥/٣٢٨-٣٣٣.

والرابع[1] أن أحد الزوجين إذا خرج إلى دار الإسلام مهاجرا وبقي الآخر في دار الحرب تقع[2] الفرقة بينهما عندنا. وعند الشافعي لا تقع الفرقة بتباين الدارين، قال: لأن المسلم إذا دخل بأمان لم يَبطل نكاح امرأته، وكذلك لو دخل حربي[3] إلينا بأمان لم تقع[4] الفرقة بينه وبين زوجته. وكذلك لو أسلم الزوجان في دار الحرب ثم خرج أحدهما إلى دار الإسلام لم تقع الفرقة؛ فعلم أنه لا مُعتبرَ[5] باختلاف الدارين في إيجاب الفرقة.

ولكنْ عندنا ليس معنى اختلاف الدارين ما ذكر إنما معناه أن يكون أحدهما من أهل دار الإسلام إما بالإسلام أو بالذمة، والآخرُ من أهل دار الحرب فيكون حربيا كافرا. فأما إذا كانا مسلمين فهما من أهل دار واحدة وإن كان أحدهما مقيما في دار الحرب والآخر في دار الإسلام. وفي هذه الآية دلالة على ما قلنا من وجوه. أحدها أنه قال: **فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار**، ولو كانت الزوجية باقية بعد التباين لكان الزوج أولى بها[6] وبأن يكون معه، فلا معنى للنهي عن الرجع إلى الزوج الكافر. وكذا قال عز وجل: **لا هُنّ حِلٌّ لهم ولا هم يحلون لهن**، أثبت الحرمة بين المهاجرات وأزواجهن، ولا يتصور بقاء النكاح في غير محل الحل، أو كان معناه تحريم الاستمتاع. ولكن النكاح لما لم يكن المقصود به[7] إلا الاستمتاع وما هو[8] من آثاره فكان في تحريم الاستمتاع تحريمُ النكاح. وكذا قوله تعالى: **وآتوهم ما أنفقوا**، دليل عليه أيضا، فإنه أمر برد مهرهن إلى الزوج، ولو كانت الزوجية باقية لما استحق الزوج استرداد المهر، لأنه لا يجوز أن يستحق البُضع وبدَلَه. وكذا قوله تعالى: **ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن**، ولو كان نكاح الأول باقيا لما جاز للمسلم في دار الإسلام أن يتزوجها. وكذا قال الله تعال: **ولا تُمسكوا بِعِصَم الكوافر**، نهانا عن الإمساك والامتناع من تزويجها[9] لأجل عصمة الزوج الكافر وحرمته؛ دل أن الحرمة تقع[10] بالتباين.

---

[1] جميع النسخ: والثالث.
[2] ن: يقع.
[3] ث: عربي.
[4] جميع النسخ: لم يقع.
[5] ر ث م: لا يعتبر.
[6] ر م: بهما.
[7] م – به.
[8] جميع النسخ: وما هذا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢١و.
[9] م: عن تزويجها.
[10] ن: يقع.

ودليل آخر من جهة المعقول على ما ذكرنا وهو أنهم أجمعوا أنها إذا سُبِيَت وقعت الفُرقة حتى يحلّ للسابي وطء المسبية بعد الاستبراء. فأما أن تقع الفرقة[١] بإسلامها وقد اتفق الجمهور من الفقهاء رحمهم الله على أنه لا تقع[٢] الفرقة بنفس الإسلام إذا كان بعد الدخول ما لم ينضمّ إليه شيء آخر أو بحدوث[٣] المِلْك للسابي، ومعلوم أن المِلْك لا يمنع النكاح. ألا ترى أنه يجوز ابتداء العقد على المملوكة،[٤] ولهذا إذا بِيعت الجارية لم تقع الفرقة وإن وجدت المِلْك فيها للمشتري. وكذلك إذا مات رجل وخلف أَمَةً منكوحة ثبت المِلك فيها للوارث ولا يبطل النكاح. وإذا لم يثبت الفرقة بهذين الوجهين لم يبق إلا تباين الدارين. فدل أن سبب الفرقة هو تباين الدارين في المسبِيَة[٥] والتباينُ موجود في المهاجرة. ***والله أعلم.***

فإن احتجوا بما روي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: رد النبي صلّى الله عليه وسلم بنته زينب على أبي العاص بن الربيع بالنكاح الأول بعد سنين، وقد كانت زينب هاجرت إلى المدينة وبقي زوجها مشركا بمكة، ثم ردها عليه بالنكاح الأول، فدل أن اختلاف الدارين لا يوجب الفرقة.[٦]

فنقول له: لا يصح الاحتجاج به من وجوه. أحدها أنه[٧] ردها بعد ستِ سنين بالنكاح الأول، ولا خلاف بين الفقهاء أنها لا ترد[٨] إلى الزوج بالعقد الأول بعد انقضاء ثلاثِ حِيَضٍ، ومعلوم أنه ليس في العادة أن لا تكون[٩] ثلاث حيض في ست سنين، فسقط الاحتجاج به.

والثاني أنه روي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في اليهودية تُسلِم قبل زوجها: إنها[١٠] أملكُ بنفسها، فكان من مذهبه أن الفرقة وقعت بإسلامها.[١١] والراوي متى عمل بخلاف ما روى دل على انتساخ ذلك، إذ لا يُظَنّ به أنه خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

[١] ن - حتى يحل للسابي وطء المسبية بعد الاستبراء فأما أن تقع الفرقة.

[٢] ن: لا يقع.

[٣] ر م: وبحدوث.

[٤] ر م: المملوك.

[٥] ن: في المسبية.

[٦] *تفسير ابن كثير*، ٨/١١٩.

[٧] ن + قال.

[٨] جميع النسخ: لا يرد.

[٩] جميع النسخ: أن لا يكون.

[١٠] ن: إنما.

[١١] *أحكام القرآن* للجصاص، ٥/٣٣١.

والثالث أن عمرو بن شعيب روى عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم رد بنته زينب رضي الله عنها على أبي العاص بنكاح ثان،[1] فوقع التعارض بين الحديثين فبطل احتجاجه بالحديث. ثم الترجيح لما روينا لأن فيما رواه إخبارا[2] عن كونها زوجة له بعد ما أسلم الزوج ولم يُعلَم حدوث عقد ثان.[3] وفي حديث عمرو بن شعيب إخبار عن حدوث عقد ثان بعد إسلامه، فيكون أولى من الأولى، لأن الأول إخبار[4] [عن ظاهر الحال].[5] والثاني إخبار عن معنى حادث عَلِمَه. وهذا كما رجّحنا حديث ابن عباس رضي الله عنه أن النبي / صلى الله عليه وسلم [٨٠١و] تزوج ميمونة وهو مُحْرِمٌ على حديث يزيدَ [بن][6] الأصم أنه تزوجها وهو حلال، لأن في حديث ابن عباس رضي الله عنه إخبارا عن حالةٍ حادثة وأخبر الآخر عن ظاهر الأمر الأول. وكحديث[7] بَرِيرَة[8] أنه كان زوجُها حرا حتى أُعتقت. ورواية من روى أنه كان عبدا يكون الأول أولى [منها] لإخباره عن حالٍ حادثة وفي الثاني[9] إخبار عن ظاهر الحال، فكان الأول أولى فكذلك هذا.[10]

والرابع أن المهاجِرة لا عِدّة عليها عند أبي حنيفة رحمه الله[11] وعلى قولهما عليها العدة. وهذه الآية دليل أبي حنيفة رحمه الله[12] من وجوه. فإنه عز وجل قال: **فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار**، نهى عن الرد إلى الزوج الأول، ولو كانت عليها العدة لكان للزوج أن يردها إلى مسكنه لِتَعتدّ.[13] ألا ترى[14] إلى قوله تعالى: أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ،[15]

---

[1] ر ن: ثاني. تفسير ابن كثير، ٨/١١٩.

[2] ر ن م: إخبار.

[3] ر م: ثاني.

[4] ر ث م – فيكون أولى من الأولى لأن الأول إخبار؛ ن + عن حدوث عقد ثان بعد إسلامه.

[5] الزيادة من الشرح، ورقة ٢٢١و.

[6] الزيادة من المرجع السابق.

[7] ر ث: ولحديث؛ م: ولحديث.

[8] م: بريدة. مولاة عائشة أم المؤمنين. (الاستيعاب لابن عبد البر، ٨٧٦؛ والإصابة لابن حجر، ٨/٥٠).

[9] ر ث م – الثاني.

[10] انظر: شرح معاني الآثار للطحاوي، ٣/٨٢.

[11] ر: رحمة الله.

[12] ر: رحمة الله.

[13] ر ن م: لبعيد.

[14] ن: ألا يرى.

[15] سورة الطلاق، ٦٥/٦.

كيف أمر الأزواج بإسكانهن في بيوتهم ما دمن في عدتهن. فلما قال هاهنا: **فلا ترجعوهن إلى الكفار**، دل على أن[١] لا عدة عليها، وكذا قال: **ولا جناح عليكم أن تنكحوهن**، فأباح نكاحها مطلقا من غير ذكر العدة، وكذا قال: **ولا تمسكوا بعصم الكوافر**. ولو كانت العدة عليها واجبة لكانت العصمة[٢] باقية بقوله: فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا.[٣] ألا تراه كيف جعل العدة في حقه وإذا كان للزوج عليها حق كانت هي في عصمته، وقوله: **ولا تمسكوا بعصم الكوافر**،[٤] يوجب[٥] قطع العصمة. فلما كان في إيجاب العدة إبقاء العصمة بينهما ونهى الله تعالى عن ذلك فقطعناها وأسقطنا العدة عنها. ***والله أعلم***. ولأنهم أجمعوا أنها إذا سُبِيت وقعت الفُرْقة وسقطت العدة، والمِلك ليس بسبب لإسقاط العدة ولكنه سبب لنقض العدة، فلما سقطت العدة عند السبي والمهاجرة، والسبي لا يوجب الإسقاط، دل سقوط العدة لاختلاف الدارين. ***والله أعلم***.

والخامس فيه دليل على أن الكتاب يجوز أن ينسخ حكمه بترك الناس العملَ، فإن في قوله: **وآتوهم ما أنفقوا**، وقوله: **واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا**، الحكم متروك من غير أن يكون في تركه كتاب أو سنة. ولكن الناس لما أجمعوا على تركه [تُرِك].[٦] وهذا وأمثاله [من قوله: وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ][٧] في حكم عرفٍ ثبوتُه على الخصوص لمعنى، ثم ينعدم المعنى. فأما ما لا يُعقل[٨] معناه يجب العمل بالكتاب ولا يُترَك بترك الناس، ولا يجوز لهم الإجماع على تركه ولا يتحقق الإجماع على ذلك. وبعض أصحابنا قالوا: إنه صار منسوخا بقوله: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ،[٩] وبقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يَحل مالُ امرِئٍ مسلم إلا من طِيبَة من نفسه».[١٠] ***والله أعلم***.

---

[١] ر – أن؛ م: أنها.

[٢] ر م – العصمة.

[٣] سورة الأحزاب، ٣٣/٤٩.

[٤] م – ولو كانت العدة عليها واجبة لكانت باقية بقوله فما لكم عليهن من عدة تعتدونها ألا تراه كيف جعل العدة في حقه وإذا كان للزوج عليها حق كانت هي في عصمته وقوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر.

[٥] ن: توجب.

[٦] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٢١ظ.

[٧] ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل﴾ (سورة التوبة، ٩/٦٠). الزيادة من المرجع السابق.

[٨] ن: لا تعقل.

[٩] سورة النساء، ٤/٢٩.

[١٠] *مسند أحمد بن حنبل*، ٥/٧٢.

والسادس في قوله تعالى: **واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا**، دلالة على أنه سَوّى في الحكم بين أموالنا وأموالهم. ثم الإجماع جرى على أنا إذا غلبنا على أموال أهل الحرب ملكناها، فكذلك إذا غلبوا على أموالنا يجب أن يملكوها. وفيما أوجب من الحرمة إذا جاءت النسوة إلينا مؤمنات مهاجراتٍ دلالةٌ على أن الأحكام في الأنفس مختلفة. وعلى هذا ما خلَّف كل واحد منهما من المال في الدار التي هاجر منها إلى[1] أحرى أنه يصير فَيْئًا، لما لم يُرْوَ عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لما فتح مكة أن يكون تَفَحَّص عن شيء من تلك[2] الأموال التي كانت مُخَلَّفة[3] حين هاجروا إلى المدينة. فلا بد أن يكون ذلك للتوارث[4] أو لما ذكرنا أنها تكون فيئا لهم. ومعلوم أن التوارث بين أهل الإسلام وأهل الكفر منقطع، وإذا بطل وجه التوارث ثبت الوجه الآخر. *والله أعلم*.

والسابع في قوله: **ذلكم حُكْمُ الله يَحكم بينكم**، دلالة على وجوب العدل بين الأعداء، وهو كقوله تعالى: وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اِعْدِلُوا،[5] وقال: وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا،[6] وقال هاهنا: **واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا**، سوّى بين أموالنا وأموالهم وهو العدل، فكأنه يقول: ذلكم[7] أمْر في العدل بينكم وبين أعدائكم حكم الله يحكم بينكم. لكن إذا علموا أن العداوة لا تحملكم[8] على ترك العدل حَمَلَهم ذلك على التآلف والتعاطف،[9] وعلموا أنكم إذا تركتم شهواتكم واتبعتم[10] العدل والتسوية فليس ذلك من عندكم، ولكن من عند الله تعالى، فيرغّبهم[11] ذلك في الإسلام. فكأنه قال: ذلك الذي أمَرَ من العدل وجعله سببا يرغب[12] أعداءكم في الإسلام ويحملهم على التآلف: **حكم الله يحكم بينكم**.

---

[1] ر: التي.
[2] ر م: من ملك.
[3] جميع النسخ: مختلفة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢١ظ.
[4] جميع النسخ: ذلك التوارث. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] سورة المائدة، ٨/٥.
[6] سورة المائدة، ٢/٥.
[7] جميع النسخ: ذلك. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] جميع النسخ: لكي إذا علموا أن العداوة لا تحملكم. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] جميع النسخ: والتعطف.
[10] جميع النسخ: وأنفقتم. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ر ث م: فرغبهم.
[12] ر ث م: رغب.

والله عليم حكيم، يعني **عليم**،[١] بما أمر من العدل والتسوية، **حكيم**، لا يلحقه الخطأ في التدبير. فدل أن العدل واجب بينهم. *والله*[٢] *الموفق*.

والثامن في الآية دلالة على أن النساء إذا ارتددن لم يقتلن فإنه قال: **فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار**، فثبت أنهم إذا لم يعلموهن[٣] مؤمنات رجعوهن[٤] إلى الكفار لما كان جرى بينهم من الصلح. ومعلوم أنه إذا رُجعْن إلى الكفار بعدما أظهرن الإيمان كن مرتدات، ولو كانت المرتدة تقتل[٥] لكان إذا ظهر ذلك عندهم قتلوها و لم يرجعوها إلى الكفار. فلما ثبت بما / وصفنا أنهم كانوا يصرفون النساء إليهم مع علمهم أنهن مرتدات ثبت أن المرتدة لا تقتل.[٦] [٨٠١ظ] *والله أعلم*.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك**، الآية، المبايعة[٧] والهجرة كانتا واجبتين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ومعناهما اليوم واجب أيضا. وذلك أن الهجرة إنما كانت من مكة إلى المدينة لما كان أحدهم إذا أسلم يخاف على نفسه من فساد الدين بالكفرة[٨] أن لو أقام بين أظهرهم، وكان أيضا يحتاج إلى علم الشرائع والأحكام، وإنما ارتفعت[٩] الهجرة اليوم من مكة إلى المدينة.[١٠] فأما واحد من أهل الحرب إذا أسلم وخشي على نفسه فساد الدين بالكفرة أنْ لو أقام بين أظهرهم فالواجب عليه أن يهاجر منها إلى دار الإسلام

---

[١] ر م – عليم.
[٢] ر – الله.
[٣] ر ث م: لم تعلموهن.
[٤] ن: ترجعوهن.
[٥] ن ث: يقتل.
[٦] ن ث: لا يقتل.
[٧] ث – المبايعة.
[٨] ر ن: بالكفر.
[٩] ر: اتفعت.
[١٠] م – لما كان أحدهم إذا أسلم يخاف على نفسه من فساد الدين بالكفرة أن لو أقام بين أظهرهم وكان أيضا يحتاج إلى علم الشرائع والأحكام وإنما ارتفعت الهجرة اليوم من مكة إلى المدينة.

ليأمن[1] فسادَ دينه ويتحصل[2] على علم الشرائع. وأما المبايعة فإن معناها في النساء ترغيب الكفرة في الإسلام، وفي الرجال حمل الكفرة على الإسلام.[3] وذلك[4] أن الذي أُمرت به[5] النساءُ من المبايعة من مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال، والكفرة إذا علموا أن هذا [دين][6] يؤمر فيه بمحاسن الأمور رغّبهم[7] ذلك في الإسلام. والذي أُمر به الرجال إنما هو من جهة النصر والمجاهدة مع النبي صلى الله عليه وسلم وذلك يُظهر الإسلام ويبيّن.[8] وهذان المعنيان [واجبان][9] على كل في نفسه في زماننا هذا. ***والله أعلم.***

وقوله: **يُبايِعْنَك على أن لا يُشركن بالله شيئا**، يتوجه إلى الاعتقاد والمعاملة جميعا. وقوله: **ولا يَسْرِقن**، يتضمن النهي عن الخيانة في الأموال كافة والنقصانِ عن العبادة جملة، لأنه يقال: أَسْرَقُ السارقِ مَن سرق مِن صلاته.[10] وقوله عز وجل: **ولا يزنين**، يحتمل أن يكون على حقيقة الزنى، ويحتمل أن يكون على حقيقة الزنى وعلى[11] دواعيه، على ما روي من قوله عليه الصلاة والسلام: «اليدان تزنيان والعينان تَزنِيان والرِجْلان تزنيان والفرج يصدّق ذلك أو يكذبه».[12] وقوله عز وجل: **ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن**، يحتمل أن يكون هذا[13] نهيا عن النميمة أن تَنِمّ[14] إحداهما على صاحبتها[15] فتورث[16] القطيعة؛

---

[1] ن: لنأمن.
[2] ر ث م: ويحصل.
[3] جميع النسخ: إلى الإسلام. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٢و.
[4] م: فذلك.
[5] جميع النسخ: أمر به.
[6] ر م: – دين؛ ن ث + دينا. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] م: رغبتهم.
[8] ر ن م: وتبين.
[9] الزيادة من المرجع السابق.
[10] قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «أسوأ الناس سَرِقةً الذي يَسرِق من صلاته» قالوا: يا رسول الله، وكيف يسرق من صلاته؟ قال: «لا يتم ركوعها ولا سجودها». أو قال: «لا يقيم صُلْبه في الركوع والسجود» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٥٦/٣، ١١٠/٥).
[11] ن – على.
[12] *مسند أحمد بن حنبل*، ٣٤٤/٢، ٥٣٥.
[13] ر ث م – هذا.
[14] جميع النسخ: أي تنم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٢و.
[15] جميع النسخ: على صاحبتهما. والتصحيح من المرجع السابق.
[16] جميع النسخ: فيورث. والتصحيح من المرجع السابق.

أو يجوز أن يكون نهيا[1] عن إلحاق الولد بأزواجهن وهن يعلمن أنه من الزنى، وهكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما.[2] وقوله عز وجل: **ولا يعصينك في معروف**، يجوز أن يكون هذا كناية عن الأمر، لأنه بين النواهي والمناكير ثم قال: **ولا يعصينك في معروف**[3] فكأنه أمرهن أن يَنْتَهِينَ عن هذه المناهي وأن يتبعن أمره. ألا ترى إلى قوله: يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ.[4]

وقوله عز وجل: **فبايعهن واستغفر لهن الله**، ولم يقل هاهنا: فَامْتَحِنُوهُنَّ، كما قال في المهاجِرات.[5] ومعنى ذلك عندنا وجهان. أحدهما أنه قد بين[6] هاهنا وجه الامتحان بقوله: **ولا يُشركن بالله شيئا ولا يَسرقن ولا يزنين**، فاستغنى عن ذكر الامتحان. والوجه الثاني أن المهاجِرات إنما كُنّ يأتين من دار الحرب و لم يكن علمن الشرائع فاحتجن[7] إلى الامتحان. وأما هؤلاء [فقد][8] كن في دار الإسلام وقد علمن شرائعه فلم يَذكر الامتحان لذلك. *والله أعلم*.
وقوله: **واستغفر لهن الله**، هذا يدل على أن الكبائر لا يُخرجن عن الإيمان لأنه يُعلَم أن الاستغفار لِمَا يجيء منهن من تضييع هذه الحدود، ولو خرجن بتضييعها من الإيمان لم يأمر النبيَّ صلى الله عليه وسلم بالاستغفار لهن؟ لأن الاستغفار طلب المغفرة، ويستحيل أن يطلب منه مغفرةً مَن ليس له غفرانه. فدل على ما وصفنا أن ارتكاب الكبائر لا يخرج صاحبه من الإيمان. *والله أعلم*.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم**، [يجوز أن يكون هذا في اليهود، لأنهم هم الذين غضب الله عليهم].[9] فكأَنّ الله عز وجل أمرنا أن نغضَب على من غضِب

---

[1] ر ث م – أن تنم إحداهما على صاحبتها فتورث القطيعة أو يجوز أن يكون نهيا.
[2] «روي عن ابن عباس رضي الله عنه، قوله: ﴿ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن﴾ يقول: لا يُلحقن بأزواجهنّ غير أولادهم» (*تفسير الطبري*، ٩٨/٢٨).
[3] ر ث م – يجوز أن يكون هذا كناية عن الأمر لأنه بين النواهي والمناكير ثم قال ولا يعصينك في معروف.
[4] ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ (سورة التوبة، ٧١/٩).
[5] انظر: الآية ١٠ من هذه السورة.
[6] ر م: تبين.
[7] ر: فاحتجو.
[8] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٢٢و.
[9] الزيادة من الشرح، ورقة ٢٢٢ظ.

هو عليه وأن نُعاديَ من عاداه ونُواليَ من والاه. وقوله عز وجل: **قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور،** الآية[1] له تأويلان. أحدهما أن اليهود غيّروا نعت نبينا[2] محمد صلى الله عليه وسلم وحرفوه من التوراة؛ فكان في التوراة أن الله تعالى آيسهم من ثوابه في الآخرة **كما يئس الكفار من أصحاب القبور،** أن يُبعَثوا. ويجوز أن يكون معناه يئس[3] هؤلاء من رحمة الله كما يئس[4] الكفار الذين هم في القبور من رحمة الله تعالى. ***والله أعلم.***[5]

---

[1] ن – الآية.

[2] ن – نبينا.

[3] ر م: ييأس؛ ث: يأيس.

[4] ث: يأيس.

[5] ر م – والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الصف[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[١]

قوله[2] عز وجل: **سبح لله ما في السماوات وما في الأرض**، قال هاهنا: **سبح**، وقال في موضع آخر: يُسَبِّحُ،[3] ليعلم أن تسبيح[4] من ذكره تسبيح[5] غير منقطع، وأنه قد سَبح حين كان ويسبح إلى أن يكون.[6] وفيه تسفيه أولئك الكفرة المتمردة. وذلك أن التسبيح والثناء في الشاهد إنما يرجعان إلى المسَبح والمُثْنِيَ لأنه لا يُثنَى إلا على من يستحق الثناء، ولا يسبَّح إلا من يستحقه. فإنما تسبيح المسبِّح وثناؤه خضوع له وتقرب إليه، وذلك يزيده شرفا ونُبْلا. فكأن الله عز وجل أخبر أنه قد خضع لله[7] تعالى واستسلم له،[8] وأتى بما فيه شرف له وزَين، وتقرب إلى ربه إلا الكفرةَ فإنهم تركوا التسبيح لله تعالى مع ما فيه من نُبْلهم وشرفهم وزَينهم. ***والله الموفق.***

---

[1] ر – سورة الصف؛ ث + وهي أربع وعشرون آيات مكية؛ م + وهي مدنية.
[2] ر: وقوله.
[3] انظر: سورة الجمعة، ٦٢/١؛ وسورة التغابن، ٦٤/١.
[4] ر م: أن يسبح.
[5] ر ث م – من ذكره تسبيح.
[6] أي إلى نهاية وجوده في العالم.
[7] ر ن م: خضع الله.
[8] ن: فاستسلم له.

[٨٠٢و] ويجوز أن يكون ذكَر سفههم[١] أيضا[٢] من وجه آخر، / وهو أنه لو كان لله تعالى بتسبيح[٣] شيء من الخلائق حاجةٌ لكان في تسبيح من ذَكر كفايةٌ وغِنًى[٤] عن تسبيح الكفرة. ولكنهم تركوا التسبيح،[٥] والله تعالى غنيّ[٦] عنهم وعن تسبيحهم، فما تركوه إلا لسفههم. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وهو العزيز**، يدل على أنه عزيز في ذاته وأنّ ترك التسبيح من الكفرة إياه لا يُذلّه، بل هو عزيز منيع. وقوله: **الحكيم**، يعني حكيم حيث جعل في الأشياء المتضادّة علمَ ربوبيته وآيةَ وحدانيته.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون**، قال بعضهم: هذه الآية في أهل النفاق في القتال[٧] لأنهم تمنَّوا القتال، فلما أمرهم الله تعالى به قالوا: [رَبَّنَا] لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ،[٨] فأنزل الله تعالى: **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون**، أي لم تَعِدون ما لا تَفُونَ به. ومنهم من قال: إنها في بعض المؤمنين في القتال أيضا، وإنها على التقديم والتأخير. ووجه[٩] ذلك أنهم أحبوا أن يعملوا بأحب الأعمال إلى الله تعالى، فأنزل الله تعالى:[١٠] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ،[١١] الآية، وقولَه عز وجل: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا،[١٢] فلم يَفُوا بما وَعدوا، فأنزل الله تعالى: **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون.**

---

[١] م: سعيهم.
[٢] ن - أيضا.
[٣] ر: تسبيح.
[٤] ن: وغناء.
[٥] ن + والله أعلم.
[٦] ن - غني
[٧] ث: في أهل القتال.
[٨] ﴿ألم تر إلى الذين قيل لهم كُفُّوا أيديَكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كُتب عليهم القتال إذا فريقٌ منهم يخشون الناسَ كخشية الله أو أشدَّ خشيةً وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب﴾ (سورة النساء، ٤/٧٧).
[٩] ر: وجه.
[١٠] ر م - فأنزل الله تعالى.
[١١] الآية ١٠ من هذه السورة.
[١٢] الآية ٤ من هذه السورة.

ويجوز أن يكون هذه الآية في كل مؤمن، لأنه قد اعتقد كل من آمن[١] بإيمانه الوفاءَ بما وعده من الطاعة لله تعالى والاستسلامِ له والخضوع. فإذا[٢] لم يف بما وعد خيف عليه في كل زلة أن يدخل في هذه الآية، وليس أحد من المؤمنين قد وَفَى بما وعد كلِّه، والواجب[٣] عليه أن يتوب من ذلك توبة بليغةً.

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **كبر مقتا عند الله**، المقت البغض، ومن استوجب مقت الله لزمه[٤] العقاب لا محالة. ولكنه يحتمل أن يكون هذا فيمن اعتقد ترك الوفاء بما وعد واستحلالَ ما نهاه الله تعالى، فيستوجب مقت الله تعالى ونقمته لا محالة. وإن كان فيمن ثبت على اعتقاده وزلَّ في أفعاله فالواجب أن تُقَسَّم[٥] الذنوبُ فيلزَمه الخوف فيها[٦] على مراتبها ودرجاتها. ***والله أعلم***.

﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص**، ليس فيه أن الله تعالى لا يحب المبارِز لأن الجهاد والقتال على المبارز أشد، وذلك أنه إذا كان في الصف أعانه على القتال غيره، فكان أمنه على نفسه في الصف أكثر. وأما المبارز فإنه وحده ليس له مُعين فإن ظَفِر على صاحبه وإلا هلك، فالخوف[٧] عليه في ذلك أشد، فيجب أن تكون[٨] المحنة فيه أكثر. ولكنه يجوز أن يكون الله تعالى علّمهم بهذه الآية كيفية القتال ليستعين بعضهم ببعض ولتكون[٩] كلمتهم واحدة، لأنهم إذا تفرقوا اختلفت آراؤهم فيخشَى عليهم الهزيمة والإدبار. وإذا كانت آراؤهم متفقة وكلمتهم واحدة وشوكتهم واحدة، وذلك قوة في القتال وزيادة نصرة. ***والله أعلم***.

---

[١] ر ث م: أمر.
[٢] ن: وإذا.
[٣] ن: وأما الواجب.
[٤] ن: لزمته.
[٥] جميع النسخ: أن يقسم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٢ظ.
[٦] ر م - فيها.
[٧] ر ث م: والخوف.
[٨] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ن: وليكون.

ثم قوله[1] عز وجل: **كأنهم بنيان مرصوص**، قال بعضهم: ضَرَب هذا المثل للثبات، يعني إذا اصْطَفُّوا ثبتوا كالبنيان المرصوص الذي يكون ثابتا مستقرا،[2] لا ينتقض[3] بأدنى شيء. ومنهم من [قال:][4] ضَرَب هذا المثل لأن تكون[5] كلمتهم واحدة ويعينَ بعضهم بعضا. ويشبه أن يكون[6] للأمرين جميعا، لأنهم إذا ثبتوا أعان بعضهم بعضا وكانت كلمتهم واحدة، وإذا كانت كلمتهم واحدة كان ذلك أدعى إلى الثبات وأقرب إليه، فلذلك قلنا: إنه يجوز أن يكون للأمرين جميعا. *والله أعلم*. ثم المحبة[7] تحتمل[8] وجهين. أحدهما الرضا[9] عن الخلق، والثاني الثناء عليهم بما يفعلون.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[٥]

وقوله تعالى: **وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم**، يحتمل وجهين. أحدهما[10] تنبيه لهم وإعلام عن معاملة اعتادوها فيما بينهم من غير أن يعلموا فيها أذًى لموسى عليه السلام، نحوَ أن قال في حق رسولنا صلى الله عليه وسلم: وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ.[11] فيجوز أن يكونوا لا يَعُدّون تلك[12] المعاملة أذى لموسى عليه السلام ولا يعلمونها، فأخبرهم أنها تؤذيه[13] لينتهوا عن ذلك. والثاني أنه يجوز أن يكونوا علموا أن ذلك[14] يؤذيه، ولكنهم عاندوه وكابروه

---

[1] ن: وقوله.
[2] جميع النسخ: التي تكون ثابتة مستقرة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٣و.
[3] ر: لا ينتقص.
[4] الزيادة من المرجع السابق.
[5] جميع النسخ: لأن يكون.
[6] ث – أن يكون.
[7] ر: ثم للحبة.
[8] جميع النسخ: يحتمل. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ر م – الرضا.
[10] م – أحدهما.
[11] سورة الحجرات، ٤٩/٢.
[12] جميع النسخ: ذلك. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] جميع النسخ: يؤذيه. والتصحيح من المرجع السابق.
[14] م + والثاني أنه يجوز أن يكونوا علموا أن ذلك.

فيخبرهم أن كيف تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم وقد علمتم[١] أن حق رسل الملوك التعظيم والتبجيل، فكيف [حق][٢] رسول رب العالمين؟ فأخبرهم[٣] أنهم يؤذونه شكاية منهم إليهم.

ثم اختلفوا في الأذى، فقال بعضهم: إن موسى عليه السلام كان لا يكشف عن نفسه فآذَوه بأن قالوا: إن في بدنه آفة ومكروها. وقال بعضهم: إن موسى عليه السلام ذهب مع هارون عليه السلام إلى جبل، فقُبض هارون في ذلك الجبل، فآذَوه بأن قالوا: قتل موسى أخاه. ومنهم من قال: كانوا يؤذونه بألسنتهم حيث قالوا: أَرِنَا اللّٰهَ جَهْرَةً،[٤] وبقولهم: اِجْعَلْ لَنَا إِلٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ،[٥] وبقولهم:[٦] لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ.[٧] ولكن الوجه في ذلك[٨] أن لا يشار إلى[٩] شيء بعينه. فإن كان التأويل هو الوجه الأولَ: أنهم / آذوه من غير أن يعلموا أن ذلك [٨٠٢ظ] يؤذيه [فالجواب] أن لا يصرف إليه شيء من هذه الأوجه الثلاثة. وإن كان على الوجه الثاني فكذلك.[١٠] وإن كان على الوجه الثالث جاز أن يصرف إليه أي الوجوه منها. ***والله أعلم***.

ثم حقُّ هذه في رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج على وجهين. أحدهما أنه يجوز أن يكون بنو إسرائيل آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكّره الله تعالى أمر موسى عليه السلام وإيذاءهم إياه ليكون فيه تصبير[١١] لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسكين[١٢] لقلبه. أو يجوز أن يكون هذا تحذيرا لأصحابه عن أن يرتكبوا ما يُخاف أن يكون فيه أذاه عليه السلام.[١٣] ***والله أعلم***.

---

[١] ر م: وقد علموا.
[٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٢٣و.
[٣] ن: أخبرهم.
[٤] سورة النساء، ٤/١٥٣.
[٥] سورة الأعراف، ٧/١٣٨.
[٦] ن: وقولهم.
[٧] سورة البقرة، ٢/٦١.
[٨] ر ث م – في ذلك.
[٩] ن: إليه.
[١٠] يبدو أن الإمام رحمه الله يقصد بالوجه الثاني ما قال قومه: قتل موسى أخاه، ويقصد بالوجه الثالث إيذاءهم بألسنتهم حيث قالوا ... إلى آخره.
[١١] جميع النسخ: تصبيرا. والتصحيح مستفاد من *الشرح* نسخة حميدية، ورقة ٧٧١ظ.
[١٢] جميع النسخ: وتسكينا.
[١٣] ن – عليه السلام.

وقوله عز وجل: **فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم**، له معنيان. أحدهما أن يقول: أزاغ الله قلوبهم، يعني خَلَق فعل الزيغ في قلوبهم، يعني خذلهم الله ووَكَلَهم إلى أنفسهم.

قالت المعتزلة محتجين علينا: إن الله تعالى قال: وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ،[1] ذكر أنه إنما يضله بعد ما فَسَق وأنتم تقولون: إنه يضله وهو مهتدٍ.[2]

قلنا: إن هذا تمويه علينا، وذلك أنا نقول: إن الله تعالى يضله لوقت اختياره الضلال ويُزيغه لوقت اختياره الزيغ، وإذا كان كذلك لم يلزم ما قالت المعتزلة. مع أنهم يقولون: إن الله تعالى يضله بعد ضلالته بنفسه عقوبة له، ويزيد له هدى بعد اهتدائه ثوابا له؛ ولا يستقيم ذلك[3] لأنا قد نراه في الشاهد يكفر بعد إيمانه ويؤمن بعد كفره. وإذا كفر بعد ما كان مؤمنا وذلك وقتُ يزيده[4] الله تعالى هدى ثوابا لإيمانه المتقدم، فإذا كفر فكأن هداية الله تعالى [كانت][5] سببا لكفره. أو إذا آمن[6] بعد ما كان كافرا وذلك[7] وقت عقوبته بالكفر، فكأن عقوبة الله تعالى بالكفر على الكفر المتقدم كان سببا للإيمان، وهذا كلام مستقبَح.

وقوله عز وجل: **والله لا يهدي القوم الفاسقين**، يعني الذين علم الله منهم أنهم يختارون الظلم والكفر فلا يتوبون منه ولا ينقلعون فلا يهدي أولئك، وأما من علم منهم أنه يتوب ويُسلم فإنه يهديه. ***والله أعلم***.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [٦]

وقوله عز وجل: **وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة**، قوله: **مصدقا**، يحتمل وجوها. أحدها أن يقول: جئت إليكم بالنعت[8]

---

[1] سورة البقرة، ٢/٢٦.
[2] جميع النسخ: وهو يهدي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٣و.
[3] ر م: كذلك.
[4] ن: يريده.
[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٢٣ظ.
[6] ر: وإذا آمن؛ ن: أو إذا أمر.
[7] ر ث م – وذلك.
[8] ر ث م: بالبعث. والتصحيح من المرجع السابق.

التي وصفت في التوراة. أو **مصدقا** بالتوراة[١] وبكتب الله تعالى لِيُعلَم أن الرسل كان يَلزمهم التصديق[٢] بالكتب المتقدمة والرسل جميعا كما يَلزم ذلك أمتهم. أو يقول: **مصدقا**، يعني آمُرُكم بعبادة الله تعالى وتوحيده كما أُمرتم به في التوراة، ليعلم أن الرسل كان دينهم واحدا وأن كلهم يدعون إلى التوحيد وعبادة الرحمن. وأما الشرائع فقد يجوز اختلافها ولا يدل ذلك على اختلاف في الدين، لأن الشرائع قد تختلف[٣] في رسول واحد ولا يختلف دينه، فكذلك الرسل جميعا.[٤] *والله الموفق*. وقوله عز وجل: **ومبشِرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد**، يعني مبشرا برسول يصدِّق بالتوراة على مثل تصديقي، فكأنه قيل له: ما[٥] اسمه؟ فقال: اسمه أحمد.

وقوله عز وجل: **فلما جاءهم بالبينات**، قال بعضهم:[٦] الذي جاء هم عيسى عليه السلام، وقال بعضهم: محمد صلى الله عليه وسلم، وقد جاءا جميعا. وقوله: **بالبينات**، أي بالبينات التي تُبيّن أن الذي جاء به إنما جاء من عند الله. وقوله: **[قالوا] هذا سحر مبين**، أو ساحر مبين.[٧] واختلفوا فيمن قيل له هذا. قال بعضهم: هو عيسى عليه السلام، وقال بعضهم: هو محمد صلى الله عليه وسلم، وقد قالوا لهما جميعا. ويحتمل أن يكون هذا قول أكابر الكفرة للضعفاء منهم، وذلك أنهم لم يجدوا سببا للتمويه سوى أن نسبوه إلى السحر. وهذا يدل أنه جاءهم بالآيات المعجزة حيث نسبوه إلى السحر وقالوا: هذا سحر وإنا لا نعلم السحر. ولو كان الذي جاءهم به[٨] سحرا كانت حجة عليهم، لأنهم قد علموا أن الرسل لم يختلفوا إلى السحرة ولم يتعلموا منهم، وكان لا يتهيأ لهم اختراعه من تلقاء أنفسهم. فلو كان سحرا كانت حجة عليهم، لأنهم قد علموا ما ذكرنا، ولكن الله تعالى برّأه ونزّهه من السحر. *والله الموفق*.*

---

[١] ن – قوله مصدقا يحتمل وجوها أحدها أن يقول جئت إليكم بالنعت التي وصفت في التوراة أو مصدقا بالتوراة.

[٢] ر م – التصديق.

[٣] جميع النسخ: قد يختلف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٣ظ.

[٤] ر م – جميعا.

[٥] ر م – ما.

[٦] ث – على مثل تصديقي فكأنه قيل له ما اسمه فقال اسمه أحمد وقوله عز وجل فلما جاء هم بالبينات قال بعضهم.

[٧] قرأ حمزة والكسائي: ﴿قَالُوا هَٰذَا سَاحِرٌ مُبِينٌ﴾ بالألف. وقرأ الباقون: ﴿سِحْرٌ﴾. *حجة القراءات* لابن زنجلة، ٧٠٧.

[٨] ن – به

* ورد هنا قسم من تفسير الآية ٨ متقدما فأخرناه إلى موضعه؛ انظر: ورقة ٨٠٢ظ/ سطر ٣٣-٣٥.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب**، أي ومن[١] أوحش ظلما وأقبح ظالما[٢] ممن بلغ افتراؤه المبلغ الذي[٣] يفتري على الله الكذب؟ لأنهم قد علموا أن ما نالوا من نعمة وكرامة[٤] فإنما نالوه بالله ثم كفروا به وكذبوا على الله وعلى رسوله. أو يقول: لا أحد أظلمُ ممن يفتري على الله الكذب. وذلك أن قوله: **ومن أظلم**، كلام استفهامٍ، ومعلوم أن الله تعالى لا يستفهم أحدا، وإذا كان كذلك كان حقُّ كلِّ ما خرجَ مخرجَ الاستفهام أن يُنْظَر إلى جوابه: لو كان من[٥] مُستفهِم فيُفهَم منه معنى قول رب العالمين. وإنما المفهوم [٨٠٣و] من جواب من يُسْتَفْهَم عن مثل / هذا أن يقول: لا أحد أظلمُ ممن افترى على الله الكذب والله يدعوه[٦] إلى الإسلام، وهو أن يجعل الأشياء كلها سالمة له. فهو إذ علم أن ما ناله من نعمة فإنما ناله بالله تعالى وعَلِم الأشياء كلها لله تعالى فكيف افترى على الله الكذب وهو يعلم، فإذ علم هذا فلا أحد أظلم منه حين افترى[٧] على الله الكذب. ***والله الموفق.***

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[٨]

[٨٠٢ظ س٣٣] *وقوله عز وجل: **يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره**، **نور الله**، يعني دين الله أو كتاب الله أو رسل الله. وقوله: **بأفواههم**، أي ليست[٨] عندهم حجة ولا معنى يدفعون به هذا النور سوى أن يقولوا بألسنتهم: هذا سحر.* [٨٠٢ظ س٣٥]

وقوله عز وجل: **والله متم نوره**، له أوجه. أحدها بالحجج والبراهين، والثاني بنصر[١٠] أهله وغلبته، والثالث بإظهاره في الأماكن كلها. فإن كان على النصر والغلبة فقد كان حق

---

[١] ن: من.
[٢] ر م – ظلما.
[٣] ر ث م – الذي.
[٤] ر ث م: من نعمه وكرمه.
[٥] ر م – من.
[٦] ر م: يدعوا.
[٧] جميع النسخ: حتى افترى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٤و.
[٨] ث: ليت.
* ورد ما بين النجمتين متقدما عن موضعه فنقلناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٨٠٢ظ/ سطر ٣٣-٣٥.
[١٠] ر م: لينصر.

كان المشركون في خوف والمسلمون في أمن. ألا ترى إلى قوله: وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ،[١] وإلى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: «نُصِرْتُ بالرُّعْب مسيرةَ شهرَين».[٢] وإن كان بالحجج والبراهين[٣] فقد كان أيضا لأنهم عجزوا عن أن يأتوا بما يشبه أن يكون مِثْلا له فضلا[٤] من أن يأتوا بمثله. فدل أنه قد أتم نوره بالنصر والغلبة والبراهين والحجج. وإن كان المراد منه إظهارَه فإنه يرجى أن يظهره، على ما روي أنه إذا نزل عيسى صلوات الله عليه لم يبق على وجه الأرض دين إلا[٥] الإسلامُ.[٦] ثم قوله تعالى: **والله متم نوره**، ليس فيه أنه كان به شيء من الكَدَر فصفَّاه، ولكن على ما ذكرناه من التأويل. فكذلك لا يجب أن يفهم من قوله: اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ،[٧] أنه كان ناقصا فأكمله بالشرائع، ولكنه على هذه الوجوه، يعني أظهر الدين بالشرائع التي وصفناها في قوله: **والله متم نوره**. ***والله أعلم***.[٨]

وقوله عز وجل: **ولو كره الكافرون**، وقال حين ذكر الإظهار: وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ،[٩] لأن هؤلاء كفروا بالرسول والكتاب وذلك نعم الله تعالى فقال: **ولو كره الكافرون**، وأولئك أشركوا به في التوحيد فقال: وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ. ***والله أعلم***.[١٠]

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِينِ كُلِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **هو الذي أرسل رسوله بالهدى**، يعني بما لو اتبعوه اهتدوا به. وقوله: **ودين الحق**، له أوجه ثلاثة. أحدها أن يَجعل[١١] الحق كناية عن الله تعالى، فكأنه قال: ودينِ الله.

---

[١] سورة الرعد، ١٣/٣١.

[٢] جميع النسخ: شهرين. *المعجم الكبير* للطبراني، ١١/٦١، ٦٤؛ و*السنن الكبرى* للبيهقي، ٢/٦٠٨؛ وفي الرواية المشهورة: «نصرت بالرعب مسيرة شهر» (*مسند أحمد بن حنبل*، ١/٣٠١؛ وصحيح *البخاري*، التيمم ١؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ٣).

[٣] ر ث م – والبراهين.

[٤] ث – فضلا.

[٥] ر ث – إلا.

[٦] *السنن الكبرى* للبيهقي، ٩/٣٠٣-٣٠٤؛ و*تفسير القرطبي*، ١٨/٨٦.

[٧] سورة المائدة، ٥/٣.

[٨] ث: والله سبحانه وتعالى أعلم.

[٩] الآية التالية.

[١٠] ث – والله أعلم.

[١١] أي من أراد تفسير كلمة الحق.

والثاني أن يجعل الحق نعتا للدين، فكأنه قال: والدينِ الذي هو الحق من بين سائر الأديان. والثالث أن يقول: والذي يحق على كل أحد قبوله والانقيادُ له. *والله أعلم*.

وقوله: **ليظهره على الدين كله**، له وجهان. أحدهما أن يقول: **ليظهره** يعني يظهر رسوله عليه السلام على كل ما يُحتاج في هذا الدين من النوازل، فيكون فيه بيان أن ما جاء عنه عليه الصلاة والسلام في هذه النوازل إنما هو بالوحي وبما أظهره الله تعالى عليه. ويحتمل إظهارَ هذا الدين في الأماكن كلها.[1] {قال}: والدين هو الخضوع والاستسلام[2] لله تعالى، فحقيقته[3] أن يجعل الأشياء كلها سالمة له.

وقوله: **ولو كره المشركون**،[4] {قال الشيخ رحمه الله:} ويقتضي هذا: ولو كره المعتزلةُ، لأن إتمام نوره، إن كان بالحجج أو بالنصر والغلبة أو بإظهاره في الأماكن كلها فإنما يكون ذلك بأفعال العباد، ثم أضاف الله تعالى إلى نفسه، فثبت أن لله تعالى في أفعال العباد صنعا وتدبيرا. وأن[5] أفعالهم كلها مخلوقة لله[6] لا يخرج عن تدبيره ومشيئته. *والله المستعان*.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[١٠] ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله**. الإيمان بالله أن يؤمن بأنه الواحد الأحد الصمد الفرد الذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ،[7] ويؤمنَ بأن له الخلق والأمرَ، وأنه قادر لا يُعجزه شيء، وعليم لا يخفى عليه شيء، وحكيم لا يخرج خلقه الأشياءَ المختلفة من السراء والضراء والظلمة والنور والمرض والصحة عن حكمة، وأنه ليس كما قالت الثنوية: إن خالق الظلمة[8] والشر والقبيح غير خالق[9] النور،

---

[1] ر م - كلها.
[2] ن: والإسلام.
[3] ر: فحقيقة.
[4] ر ث م: الكافرون.
[5] ر م + كان.
[6] ن - لله.
[7] لعله يشير إلى سورة الإخلاص، ١١٢/١-٤.
[8] ن - والصحة عن حكمة وأنه ليس كما قالت الثنوية إن خالق الظلمة.
[9] ن: خلاف.

بل يَعْلمه أنه خالق كل شيء سواه من ظلمة ونور وسَرّاءَ وضَرّاء[1] وسُقْم وصحة؛ ولا على شبيه ما قالت المجوس: إن الله تعالى غَفَل غفلة فتولد منه الشيطان، بل هو لا يَغفُل عن شيء ولا يخفى عليه شيء؛ ولا على ما قالت النصارى حيث شبهوه بالخلق حتى استجازوا[2] أن يكون له ولد؛ ولا على ما قالت القدرية: إنه لا يقدر شيئا من الشر ولا السَقَم ولا الوجع؛ ولا على ما قالت المعتزلة: إنه ليس له في أفعال العباد صنع وتدبير. بل يعلمه عليما بكل شيء، قديرا على كل شيء، متعاليا عن كل شيء من معاني الخلق، متنزِها عن كل آفة وحاجة وعيب. فهذا هو الإيمان بالله تعالى عندنا. *والله تعالى أعلم.*[3] والإيمان بالرسول أن يؤمن بأن ما جاء به صلى الله عليه وسلم فهو حق وصدق.

وقوله: **وتجاهدون في سبيل الله**، هذا على وجهين. أحدهما أن تقاتلوا[4] أعداء الله[5] تعالى. والثاني أن تجاهدوا[6] في طاعة الله تعالى وفيما دعا إليه من عبادته.[7]

والجهاد ينصرف إلى أنواع أربعة. جهادٌ في سبيل الله بمقاتلة أعدائه والاستقصاء في طاعته. وجهاد فيما بينه وبين نفسه، / أن يجاهد في قهرها ومنعها عن لذاتها وشهواتها وعما يعلم أنه يُهلكها[8] ويُرديها. وجهاد فيما بينه وبين الخلق، وهو أن يَدَع الطمع فيهم، وأن يُشفق عليهم ويرحمهم وأن لا يرجوَهم ولا يخافَهم.[9] وجهادٌ فيما بينه وبين الدنيا، وهو أن يتخذها زادا[10] لمعاده أو مَرَمَّةً[11] لمعاشه، ولا يأخذ[12] منها ما يضره في عقباه. وكل هذه الأنواع يستقيم أن يسميها جهادا في سبيل الله. [٨٠٣ظ]

---

[1] ر م: وشر وضر؛ ث: وشر وضراء وسراء.
[2] ر م: أجازوا.
[3] ن ث: والله أعلم.
[4] جميع النسخ: أن يقاتلوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٤ظ.
[5] ر م: أعدائه.
[6] جميع النسخ: أن يجاهدوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ر ن م: من عادته.
[8] ن: يملكها.
[9] جميع النسخ: ولا يخافوهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ر: وزادا.
[11] الرَمّ والمَرَمَّة: إصلاح الشيء الذي فسد بعضه. ورمّه أيضا: بمعنى أكله. والمرمّة: متاع البيت. (*لسان العرب*، «رمم»).
[12] ر م: ولا يؤخذ.

ثم إن هذه الآية تنتظم مسائلَ ثلاثًا.[1] إحداها[2] أن كيف أمرهم بالإيمان بعد قوله تعالى: **يا أيها الذين آمنوا**. والثانية[3] أن كيف يرجى له النجاة إذا آمن بالله ورسوله ولم يجاهد في سبيل الله وقد عُلّق بالكل؟ والثالث أن كيف يُخاف عليه العذاب إذا آمن بالله ورسوله وجاهد في سبيل الله وإن أتى[4] بالكبيرة مع قوله: **تنجيكم من عذاب أليم؟**

أما الجواب عن المسألة الأولى أنه يحتمل أن يكون المراد من هذه الآية أهلَ النفاق، فيكون المعنى من قوله: **يا أيها الذين آمنوا**، يعني الذين آمنوا[5] في الظاهر، **هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله**، أي تصدقون بقلوبكم. ويجوز أن يكون في أهل الكتاب أيضا، فكأنه قال عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا**، بالكتب المتقدمة آمِنوا بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبهذا الكتاب؛ هذا إذا كان في الكفار. فأما إذا كان هذا[6] في المؤمنين يجوز أن يكون أَمَر بالإيمان مِن بعد ما آمنوا بمعنى الثبات عليه أو الزيادةِ أو بحق[7] التجدد؛ لأن الإيمان[8] في حادث الأوقات له أسماء ثلاثة: الزيادة والثبات والتجدد. وذلك أن الله تعالى ذكر هذا النوع في كتابه مرة باسم الزيادة حيث قال: فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ،[9] ومرة باسم الثبات بقوله: يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا [وَفِي الْآخِرَةِ]،[10] ومرة باسم الإيمان[11] بقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ.[12] فإن كان على الزيادة والثبات فذلك لطف من الله تعالى، وذلك أن الزيادة والثبات هما اسمان ينطلقان على فعل دائم، وفعل الإيمان مُنْقَضٍ[13] ولكنه يجوز أن يكون الله تعالى بلطفه جعل المنقضيَ كالدائم،

[1] جميع النسخ: ينتظم مسائل ثلاث. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٤ظ.
[2] ر م: أحدها.
[3] جميع النسخ: والثاني.
[4] ر م: وأتى.
[5] ر ث م – يعني الذين آمنوا.
[6] ر ث م – هذا.
[7] ر م: وبحق.
[8] ر ث م: أن الإيمان.
[9] ﴿وإذا ما أُنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون﴾ (سورة التوبة، ٩/١٢٤).
[10] سورة إبراهيم، ١٤/٢٧.
[11] ر م: بالإيمان.
[12] سورة النساء، ٤/١٣٦.
[13] جميع النسخ: منقضي.

فيخرج هذا الفعل مخرج الزيادة والثبات. *والله أعلم*. وإن كان على التجدد في الأوقات الحادثة فذلك مستقيم، وذلك لأن المرء منهي عن الكفر في كل وقت يأتي عليه، فهو[١] إذا أتى بالإيمان في ذلك الوقت انتهى عن الكفر، فصار لإيمانه حكم التجدد. *والله أعلم*. وجائز أن يكون المراد بقوله: **تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله**، الاعتقادَ. وإذا كان المراد منه ذلك وأتى بما أُمر من الاعتقاد[٢] بهذه الأمور، ولكنه لم يف بالفعل فهو في رجاء من النجاة. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ذلكم خير لكم**، يعني ذلك الذي أمركم به من الإيمان بالله تعالى ورسوله والجهاد في سبيله، **خير لكم**، من أن تتبعوا[٣] أهواءكم، **إن كنتم تعلمون**، يعني إن كنتم تعلمون عِيانا لَعَلِمْتُمْ[٤] أن ذلك خير لكم. [أو يجوز أن يكون المراد منه إن كنتم تنتفعون بما عَلمتم فهو خير لكم].[٥]

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[١٢]

وقوله: **يغفر لكم ذنوبكم**، يعني: يغفر الله لكم بتلك التجارة. وقوله عز وجل: **ويُدخلْكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكنَ طيبةً [في جنات عدن]**،[٦] يجوز أن يكون رغّبهم في هذه الآية بما أمرهم[٧] بتركها، وذلك أنه أمرهم بمفارقة مساكنهم وإنفاق أموالهم والجهاد[٨] بأنفسهم. ثم أخبر أنهم إذا فعلوا ذلك آتاهم مكان كل ما فات عنهم خيرا[٩] منها: مكانَ ما فارقوا من المساكن يؤتيهم[١٠] مساكن طيبةً، ومكانَ ما أنفقوا من أموالهم يؤتيهم[١١] النعيم الدائم،

[١] ر م – فهو.
[٢] ن – وإذا كان المراد منه ذلك وأتى بما أمر من الاعتقاد.
[٣] ر م: يتبعوا.
[٤] ر م: يعلمهم؛ ن ث: بعلمهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٤ظ.
[٥] الزيادة من المرجع السابق.
[٦] الزيادة من المرجع السابق.
[٧] ن: لما أمرهم.
[٨] ر ث م: بالجهاد.
[٩] ر م: خير.
[١٠] ر م: نؤتيهم.
[١١] ر ث م: نؤتيهم.

ومكان ما أفنوا من حياتهم وأنفسهم يؤتيهم[1] حياة دائمة باقية. *والله أعلم*.[2] وقوله عز وجل: **ذلك الفوز العظيم**، يعني ذلك الثواب الدائم هو الفوز العظيم.

﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب**، فكأنه يقول: يعطيكم الله بتلك التجارة التي دلكم[3] عليها ما ذكر من الثواب في الآجل، وأخرى[4] تحبونها نصر من الله على أعدائكم في الدنيا[5] وفتح البلاد، وبشر المؤمنين بهما. وقد فعل الله تعالى ذلك بهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله**، هذا كلام يورث شبهة في القلب أن كيف قال: **كونوا أنصار الله**، والله تعالى لا يخاف حتى يَستنصرَ[6] عليه غيره؟ ولكن السبيل في كشف هذه الغُمَّة عن القلوب هو أن المعنى في هذا وفي قوله: وَأَقْرِضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا[7] [سواء]،[8] وقد وصفنا في ذلك[9] أن الله تعالى جعل ما يَصِلون به أرحامهم ويتصدقون[10] على فقرائهم كأنهم أقرضوه لله[11] كرما منه وفضلا ولطفا. فكذلك يحتمل أن يكون جَعَلَ ما ينصرون به دينه أو رسوله نَصْرًا له تعالى، وكذلك قوله: إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ،[12]

---

[1] ر م: نؤتيهم.

[2] ث: والله سبحانه أعلم.

[3] ر م: ذلكم.

[4] ن – التي دلكم عليها ما ذكر من الثواب في الآجل وأخرى.

[5] ن م – في الدنيا.

[6] ن ث: لا يخاف من يستنصر.

[7] ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا﴾ (سورة المزمل، ٧٣/٢٠). وانظر أيضا: تفسير الآية ٢٤٥ من سورة البقرة.

[8] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٢٥و.

[9] انظر: تفسير الآية ٢٤٥ من سورة البقرة.

[10] ن + به.

[11] ر م: أقرضوا لله.

[12] ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويُثبِّتْ أقدامكم﴾ (سورة محمد، ٤٧/٧).

والمعنى في هذا: إن تنصروا[1] دين الله ينصركم، أو إن تنصروا[2] رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تنصروا[3] الحق. والله أعلم أيَّ ذلك كان. ويحتمل أن يكون المراد من ذلك كله أي اجعلوا ما تنصرون به دينكم لله تعالى ولوجهه، وكذلك قوله: وَأَقْرِضُوا اللَّهَ[4] يعني[5] اجعلوا ذلك لله ولوجهه الكريم.[6]

ولا بد من أن يكون في هذه الآية إضمار، إما في الابتداء أو في الانتهاء حتى يستقيم[7] / عليه. قوله[8] عز وجل: **كما قال عيسى ابن مريم للحواريين**، فكأنه يقول: قل للذين آمنوا: كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله. أو يكون معناه وإضماره في حق الإجابة، أي أجيبوا لله ورسوله وكونوا أنصارا له كما أجاب قوم عيسى بقولهم: **نحن أنصار الله**. والحواريون المبيِّضون[9] المُنَقُّون دينَهم عن الشبهة.[10] وهم قوم كانوا خِيَرَةَ عيسى عليه السلام وخاصته، حيث دعاهم إلى دينه فأجابوه وآمنوا به ونَقُّوا[11] دينهم عن كل شبهة وآفة وعيب. [٨٠٤و]

وقوله عز وجل: **فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة**، هذا يحتمل أن يكون في حياة عيسى عليه السلام حين اتبعه الحواريون،[12] ثم دعا بعد ذلك قومه إلى دينه فآمنت طائفة وكفرت طائفة. **فأيدنا الذين آمنوا**، بالبراهين والحجج على الطائفة الذين كفروا،

---

[1] ر ن م: إن ينصروا.
[2] ر م: إن ينصروا.
[3] ث: أو إن تنصروا؛ م: أو إن ينصروا.
[4] سورة المزمل، ٢٠/٧٣.
[5] ر م: تعالى ؛ ن ث – يعني. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٥و.
[6] ن – الكريم.
[7] ر م: حتى تستقيم.
[8] جميع النسخ: وقوله.
[9] جميع النسخ: والحواريين المنتصرون. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] حَوَّرت الشيء: بيّضته ودوّرته... والحواريّون أنصارُ عيسى صلى الله عليه وسلم. قيل: كانوا قَصَّارين، وقيل: كانوا صَيّادين. وقال بعض العلماء: إنما سُمّوا حوَاريّين لأنهم كانوا يُطهِّرون نُفُوس الناس بإفادتهم الدين والعلم المُشَارَ إليه بقوله تعالى: ﴿إنما يريد الله ليُذهب عنكم الرجسَ أهلَ البيت ويطهّركم تطهيرا﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣/٣٣]. قال: وإنما قيل: كانوا قَصّارين على التمثيل والتشبيه، وتُصُوِّرَ منه من لم يَتَخَصَّص بمعرفته الحقائقَ المَهِنَةَ المُتَدَاوَلَةَ بين العامة. قال: وإنما كانوا صَيّادين لاصْطِيَادِهِمْ نُفُوسَ الناسِ من الحيرة، وقَوْدِهِمْ إلى الحق (*المفردات* للراغب، «حور»).
[11] ن ث: ويقوا.
[12] ر م: الحواريين.

فأصبحوا ظاهرين على أعدائهم بالحجج والبراهين. ويجوز أن يكون ذلك[1] بعد وفاة[2] عيسى عليه السلام حين اختلفوا[3] في ماهيته. فمنهم من قال: هو الله، ومنهم من قال: هو ابن الله، فكفرت به هذه الطائفة وآمنت به طائفة أخرى. **فأيّدنا الذين آمنوا على عدوهم**، حين وقع بهم[4] قتال، فنُصِروا عليهم وظَفِروا. ***والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.***[5]

---

[1] ر ث م – ذلك.

[2] ر م: وفات. انظر: تأويل الآية ٥٥ من سورة آل عمران.

[3] وفي *الشرح*: حتى اختلفوا. ورقة ٢٢٥و.

[4] ر ث م: لهم.

[5] ر + تمت السورة بحمد الله وحسن توفيقه والحمد لله رب العالمين؛ ن + تمت السورة بحمد الله وحسن توفيقه والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله الطاهرين؛ ث + والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الجمعة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[١]

قوله عز وجل: **يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض**. قال: **يسبح لله**، ولم يقل: يسبح الله، وقد جرت العادة[2] في الناس التسبيحَ بالألف، كقولهم: سبحان الله وسبحان رَبِّيَ العظيم. فكان حق هذا القول على ما جرت به العادة في اللسان أن يقول: يسبح الله ما في السماوات وما في الأرض. ولكنه يجوز أن يكون هذا من نوع ما يجري فيه اللفظان جميعا كما يقال: شكره وشكر له، ونصحه ونصح له.

والتسبيح يحتمل أوجها ثلاثة. أحدها تسبيح الخلقة أنك إذا نظرت إلى كل شيء على الإشارة إليه والتعيين دلَّك[3] جوهره وخلقته على وحدانية الله تعالى وعلى تعاليه عن الأشباه[4] وبراءته عن جميع العيوب والآفات، فذلك[5] من كل شيء تسبيحه.

---

[1] ر – سورة الجمعة؛ ن + مدينية كلها؛ ث + وهي إحدى عشرة آيات مكية؛ م + وهي كلها مدنية.

[2] ر: العادت.

[3] ن: ذلك.

[4] ر م: عن الأشياء.

[5] ث م: فذلك.

والثاني تسبيح المعرفة، ووجه ذلك أن يجعل الله تعالى بلطفه في كل شيء حقيقة المعرفة ليعرف الله تَعالى وينزهه وإن كان لا يبلغه عقولنا. ألا ترى إلى قوله: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ،[1] ولكن [ذاك][2] عندنا بواسطة إحداث نوع حياة فيه إذ المعرفة[3] بدون الحياة لا تتحقق.[4]

والوجه الثالث هو أن يكون التسبيح تسبيح ضرورة وتلقين. ووجهه أن الله تعالى يُجري التسبيح على ذلك الجوهر من غير أن يكون له حقيقة المعرفة كما أظهر من آياته وأعلامه على عصا[5] موسى عليه السلام،[6] وكما أجرى السفينة على وجه الماء، وإن لم يكن لها حقيقة المعرفة وذلك تسبيح كل شيء. *والله أعلم*.

وقوله: **المَلِك**، يعني الملك الذي له مُلْك الملوك، أو الذي له الملك في الحقيقة. وقوله عز وجل: **القدوس**، له تأويلان. أحدهما الطاهر من كل عيب وآفة وحاجة، أو الطاهر مما يحتمله غيره. والثاني المبارَك، يعني به ينال كل بركة[7] وخير. ويجوز أن يُجمع في المبارك معنى التبرئة[8] من العيوب ومعنى البركة، لأنك إذا وصفته بالبركة فقد وصفته بالبراءة من كل عيب[9] وأضفت إليه كل بركة ويمن. كما روي في الخبر:[10] «سبحان الله نصف الميزان والحمد لله يملأ الميزان».[11] وكان معناهما عندنا أن قوله: «سبحان الله» يختص بتبرئته[12] من العيوب، «والحمد لله» ينتظم معنى التنزيه[13] من العيوب ومعنى إضافة النعم كلها إليه. فإذا كان فيه هذان المعنيان جميعا جاز أن يمتلئ به الميزان، ولمّا اختص «سبحان الله» بتطهيره من العيوب

[1] سورة الإسراء، ٤٤/١٧.
[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٢٥و.
[3] ر: إذا المعرفة.
[4] جميع النسخ: لا يتحقق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٥ظ.
[5] ر ث م: على عصى.
[6] ن ث - عليه السلام.
[7] ن: كل بر له.
[8] جميع النسخ: معنى التنزيه. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ن: شيء.
[10] جميع النسخ + أن قوله.
[11] *مسند أحمد بن حنبل*، ٢٦٠/٤، ٣٧٠/٥.
[12] ر م: تبرئته.
[13] ن: التبرئة.

و لم يتعد[1] إلى غيره أخذ[2] نصف الميزان. *والله أعلم*. وكذلك هذا الاختلاف في تأويل قوله: [يَا قَوْمِ ادْخُلُوا] الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةِ.[3]

وقوله عز وجل: **العزيزِ الحكيمِ، العزيز**،[4] يعني الغالب القاهر، أو الذي[5] لا يعجزه شيء. أو يجوز أن يكون **العزيز**، مقابل الذليل، والذليل ينتظم كل فقر وحاجة وضعف. فالواجب أن ينتظم العزيز إذا كان ضدا له ومقابلا كلَّ شرف ومَكْرُمَة وغِناء وقوة. *والله الموفق*. و**الحكيم**، قالوا هو الذي يضع الأشياء مواضعها، فالله تعالى حكيم حيث وضع الأشياء مواضعها التي جعلها الله تعالى مواضع لها، [وغيره من الخلق حكيم إذا وضع الأشياء مواضعها التي جعلها الله تعالى مواضع لها].[6] أو **الحكيم**، هو الذي لا يلحقه الخطأ في التدبير. وهو معنى المصيب أيضا. *والله أعلم*.

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم**، احتج أهل الكتاب / علينا [٨٠٤ظ] أن الله تعالى إنما بعث محمدا رسولا إلى الأميين خاصة بهذه الآية، وفهموا منها تخصيص الأميين بإرسال[7] الرسول إليهم فيقتضي نفيه عن غيرهم.

ولكن نقول:[8] لا يجب أن يفهم من الآية نفي [غير] ما ذُكر في ظاهرها بل يفهم منها ظاهرها دون النفي، والتخصيص بالذكر لا يحتمل على النفي، لأنه إذا حمل التخصيص بالذكر[9] على نفي غيره أدى إلى ما لا يستقيم ولا يَحلّ. ألا ترى إلى قوله: وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ،[10] حيث لم يفهم أنه حيث[11] لم يخطه بيمينه أَنْ كان خطَّه بشماله،

---

[1] جميع النسخ: ولم يتعده. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٥ظ.
[2] ن ث: أحد.
[3] جميع النسخ: في تأويل قوله في الأرض المقدسة. والترجيح من المرجع السابق. انظر: سورة المائدة، ٢١/٥؛ وقارن: سورة طه، ١٢/٢٠.
[4] ث - العزيز.
[5] ر م - أو الذي.
[6] الزيادة من المرجع السابق.
[7] ن: فإرسال.
[8] ر م: يقول.
[9] ن - بالذكر.
[10] سورة العنكبوت، ٤٨/٢٩.
[11] ر ث م - حيث.

ولا من قوله: وَمَا كُنتَ تَتْلُو، أنه حيث[1] كان يُتْلَى عليه. ولكن المعنى من ذلك كله -والله أعلم- أن الله بعث رسوله أميا في قوم أميين لا يعلمون الحكمة ومائيتها، وجعل ذلك آية لرسالته وحجة[2] لنبوته، لأنه إذا كان أميا[3] لا يكتب ولا يقرأ الكتب ثم أتاهم بكتاب[4] مؤلَّف منظوم يوافق كتب أهل الكتاب دل أنه إنما علم ذلك بالوحي وأنه لم يختلقه من عند نفسه. **والله أعلم**.

ثم الدليل على أنه كان رسولا إليهم جميعا قوله: كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا،[5] وما روي عنه عليه السلام أنه قال: «بُعثتُ إلى الأحمر والأسود»،[6] يعني إلى الإنس والجن. ولأجل أنه لما بعث إلى طائفة ليدعوهم إلى طاعة الله تعالى وعبادته عُلم أنه رسول إلى غيرهم إذ لم يكن لهم رسول آخر، لأن الطائفة الأخرى إذا لم يكن لهم[7] رسول آخر احتاجوا[8] إلى معرفة الأمر والنهي وإلى طاعة الرحمن حاجةَ الطائفة التي بُعث إليهم، دل أنه رسول إليهم جميعا. **والله أعلم**.

وقوله: **بَعَث في الأميين رسولا منهم،** معناه أنه بعث صلى الله عليه وسلم في قوم أميين لا يعرفون عبادة الله ولا يقرءون الكتاب، بل كانت عادتهم عبادة الأصنام. وقيل في تأويل الأميين: هم الذين لم يؤمنوا بالكتب، [كقوله: وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ،[9] كأنه قال: هو الذي بعث في قوم لم يؤمنوا بالكتب][10] ولكن هذا فاسد لأن الله تعالى سمى نبيه عليه السلام أميا بقوله: النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ.[11] وقيل: سماهم أمِيّين لأنهم لا يقرءون عن الكتاب ولا يكتبون على الأعم الأغلب وإن كان فيهم القليل ممن يقرأ ويكتب، ومن هذا سمي النبي صلى الله عليه وسلم أميا لأنه كان لا يكتب ولا يقرأ عن كتاب و لم يَتعلم ذلك، قال الله تعالى: وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ.[12]

---

[1] ر م - حيث.
[2] ر م: وحجته.
[3] ر: أمينا.
[4] جميع النسخ: الكتاب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٥ظ.
[5] ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (سورة سبأ، ٢٨/٣٤).
[6] مسند *أحمد بن حنبل*، ٣٠٤/٣، ٤١٦/٤، ١٤٧/٥؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ومواضع الصلاة ٣.
[7] ن: له.
[8] جميع النسخ: واحتاجوا.
[9] سورة آل عمران، ٢٠/٣.
[10] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٢٥ظ.
[11] ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل﴾ (سورة الأعراف، ١٥٧/٧).
[12] سورة العنكبوت، ٤٨/٢٩.

وعلى ذلك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:[١] «الشهر هكذا» وأشار بأصبعه.[٢] وقال: «إنما[٣] نحن أُمّة أُمّيّة لا نَحسُب[٤] ولا نكتب».[٥] وقال الزجاج: الأمي هو الذي لا يُحسن القراءة والكتابة و لم يتعلم ويكون على ما سقط من أمه، فنسب إلى حال ولادته التي سقط [فيها][٦] من أمه، لأن ذلك إنما يكون بالتعليم دون الحال التي يجري عليها المولود.

ثم وجه الحكمة في جعل النبوة في الأمي[٧] أن يكون ذلك سبب معرفة نبوته وعلامةَ رسالته بحيث يُعلَم أنه ما اخترع من ذات[٨] نفسه إذ لم يَعرف الكتابة والقراءةَ ولا اختلف إلى أحد ليتعلم منه. ثم أَحوجَ[٩] جميع الحكماء إلى حكمته وجميعَ أهل الكتاب إلى معرفة كتابه لحسن نظمه وتأليفه ليُعلَم أنه إنما ناله بالوحي والرسالة. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **يتلو عليهم آياته**، الآيات الأعلام، فكأنه يقول: يتلو[١٠] عليهم في كتابه أعلاما تبين رسالته وتظهر[١١] نبوته، أو يجوز أن يكون الآيات الحلال والحرامَ وما أشبهه، أو الآيات الحجج التي يُستظهَر بها الحق. ***والله أعلم***. وقوله: **ويزكيهم**، قال بعضهم: يصلحهم، يعني يدعوهم إلى اتباع ما يصيرون به[١٢] أزكياء أتقياء. أو يجوز[١٣] أن يكون[١٤] معنى قوله: **ويزكيهم**، أي يطهرهم من خبث الشرك وخبث الأخلاق وخبث الأقوال[١٥] والأفعال.[١٦] ***والله أعلم***.

---

[١] ر ث م – أنه قال.

[٢] صحيح *مسلم*، الصوم ١٦.

[٣] ن: وإنما.

[٤] ر ن م: لا يحسب.

[٥] ر م: ولا يكتب؛ ن: ولا يكتسب. مسند *أحمد بن حنبل*، ٤٣/٢، ٥٢، ١٢٩؛ وصحيح *البخاري*، الصوم ١٣؛ وصحيح *مسلم*، الصوم ١٥.

[٦] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٢٦و.

[٧] م: في الآدمي.

[٨] ن: دأب.

[٩] ر م: أخرج.

[١٠] ر ث م: تتلو؛ ن: تتلوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٦ظ.

[١١] جميع النسخ: ويظهر. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٢] ث: إلى ما تباع أيصيرون.

[١٣] ر م: ويجوز.

[١٤] ر ث م – أن يكون.

[١٥] ث – وخبث الأقوال.

[١٦] ر: والأقوال؛ م: والأحوال.

وقوله: **ويعلمهم الكتاب والحكمة**، اختلفوا فيه. قال الحسن: هذا كلام مُثَنًّى، الكتاب[1] والحكمةُ واحد. وقال أبو بكر [الأصم]: الكتاب ما يتلى من الآيات[2] والحكمة هي الفرائض. وقال بعضهم: الحكمة هي السنة لأنه كان يتلو[3] عليهم آياته ويعلمهم سنته إما بلطف[4] من الله تعالى وإلهامه إياه أو بالوحي. ومنهم من قال: الحكمة قولُ صوابٌ عُمل به. ومنهم من قال:[5] الكتاب ما يتلى من الآيات نصا، والحكمة ما أودع فيها من المعاني. [والله أعلم][6] أيَّ ذلك كان.[7]

وقوله تعالى: **وإن كانوا من قبلُ لفي ضلال مبين**، أي إنهم كانوا عن الكتاب والحكمة لفي ضلال بين[8] ظاهر لأنهم كانوا مشركين[9] عَبَدةَ الأصنام ليس عندهم كتاب ولا يعرفون الحكمة. ويحتمل أن يكون معنى قوله: **وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين**، أي في الشرك وعبادة الأصنام، فدعاهم الرسول عليه السلام إلى توحيده وتركِ ما هم فيه من عبادة الأصنام.

{قال الفقيه رحمه الله:}[10] وفي قوله: **ويعلمهم الكتاب والحكمة**، أن الله تعالى إذ جعلهم أتقياء أزكياء علماء بعد ما كانوا أميين جهّالاً سفهاء آيةٌ ودلالة على حقية دينه عليه السلام / على سائر الأديان حيث لم يكن أهلها كذلك ويكون فيه ترغيبا للآخرين ليصيروا علماء حكماء. وقوله: **ويعلمهم**، يجوز أن يكون هذا تعليما من الله تعالى أنه جعلهم علماء بعد ما كانوا جهلاء، وحكماء بعد ما كانوا سفهاء، وأزكياء بعد ما كانوا أنجاسا وأقذارا عبدة الأوثان، وذلك من لطف[11] الله تعالى. [٨٠٥و]

---

[1] ن: والكتاب.

[2] ن – من الآيات.

[3] ر: لا يتلوا.

[4] ر: بلطفه.

[5] ر م – الحكمة قول صواب عمل به ومنهم من قال.

[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٢٦ظ.

[7] ن – كان.

[8] ن: مبين.

[9] جميع النسخ: مشركي.

[10] ر: رحمة الله.

[11] ن: وذلك لطف من.

ثم الأصل أن ما أضيف من هذه الأفعال إلى الله تعالى فهو على حقيقة الوجود وما أضيف إلى الرسول عليه السلام فهو على الأسباب، وذلك أنه لا يجوز أن يعلّم الله تعالى أحدا فلا يصير عالما لأن تعليمه خلق العلم في المحل الذي أراد، وما أراد وخلق يكون لا مَحالةَ. فأما [ما] يجوز أن يُعلّمه البشر فلا يتعلم لأن تعليمه تسبيب،[١] لأنه ليس له قدرة الخلق والإيجاد، فثبت أنه على جهة السبب. *والله الموفق.*

﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٣]

قوله[٢] عز وجل: **وآخرين منهم لما يلحقوا بهم**، فإن كان معناه الخفضَ[٣] فهو منسوق على قوله: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ، وفي الآخرين لما يلحقوا بهم، فيكون فيه إخبار أن رسالته تبقى إلى آخر الدهر. وإن كان معناه النصبَ فهو منسوق على قوله: وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ،[٤] فيكون فيه بشارة أنه يكون في الآخرين علماء أتقياء حكماءُ كما كان في هؤلاء. وقال بعضهم: يحتمل أن يكون هذا في أهل النفاق، فيكون معناه هو[٥] الذي بعث في الأميين رسولا فيصيرون علماء حكماء مؤمنين على الحقيقة في الظاهر والباطن، وآخَرين من هؤلاء الأميين في الظاهر لَمّا يَلحقوا بهم في الباطن. والتأويل الأول أصح وأقرب.[٦]

وقوله: **وهو العزيز**، حيث جعل في كل أحد[٧] من البشر أَثَرَ الذل به والفقر إليه. وقوله: **الحكيم**، في أمره حيث أمرهم بالحكمة، أو الحكيم في تدبيره حيث جعل في كل مخلوق[٨] ما يشهد بوحدانيته وتدبيره فيه، أو هو الحكيم في تقديره حيث خلق الأشياء المتضادّة من نحو النور والظلمة والليل والنهار، لأنه وَضَع كل شيء موضعه، لم يَخلِط[٩] ظلمة بنور ولا نورا بظلمة ولا ليلا بنهار ولا نهارا بليل.[١٠]

---

[١] ر ث م: بسبب.
[٢] ر ث م: وقوله.
[٣] ر م: الحفض.
[٤] الآية السابقة.
[٥] ر م: فهو.
[٦] ن + والله أعلم.
[٧] ر ن م: واحد.
[٨] ر ن م: في كل مخلوقات.
[٩] ر: لم يخلطه.
[١٠] ن + والرسالة.

﴿ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[٤]

وقوله: **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء**، يعني بذلك[1] الفضلِ النبوة والرسالةَ، **يؤتيه من يشاء**،[2] يعني يخلق من البشر من يَصلُح للنبوة والرسالة، أو **ذلك** الفضل من تعليم الكتاب والحكمة **فضل الله يؤتيه من يشاء**.

وفيه دلالة على كَذِب قول المعتزلة، لأن من قولهم: إن الله لا يعطي[3] أحدا شيئا بفضله، بل حَقّ عليه أن يفعل ذلك. فإذا كان هذا على الله فِعلُه كان ذلك حقا يقضيه، ومن قضى حقا عليه[4] فليس يوصف بالفضل وقد وصف الله تعالى نفسه بالفضل، فثبت بهذا كذب قولهم. *والله الموفق*.

وقوله عز وجل: **والله ذو الفضل العظيم**، أي ذوا الفضل العظيم في الدنيا حيث تفضل عليهم بالكتاب والحكمة بعد ما كانوا جهالا. أو يجوز أن يكون هذا في الآخرة أن الله يجزيهم عن أعمالهم الجنة فضلا منه عليهم. و**العظيم**،[5] هو الدائم الباقي. *والله أعلم*.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها**، له أوجه من التأويل. أحدها يحتمل أن يكون هذا كناية عن العمل، يعني حملوا العمل بما في التوراة فلم يعملوا بها.

والثاني أن يقول: **لم يحملوها**، يعني لم يحملوا[6] إلى من أُمروا بحملها إليهم على ما أمروا لأنهم حرفوا وبدّلوا.

أو يجوز[7] أن يكون تأويله -والله أعلم- أنهم كذبوا بالتوراة وتلقَّوها بالعناد والتكذيب فلم ينتفعوا بها، فمثلهم كمثل الحمار يحمل كتبا لا يعلم قدرها وخطَرها كما قال: **كمثل الحمار يحمل أسفارا**، لأنهم وإن عرفوا التوراة فحين لم يعظموها حق تعظيمها وكذبوا بما فيها

---

[1] جميع النسخ: ذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٦ظ.
[2] ن – يؤتيه من يشاء.
[3] ر ث م: لا يؤتي.
[4] ر ن م – عليه.
[5] ر م: العظيم.
[6] م: لم يحملوها.
[7] م: ويجوز.

كانوا[١] كأنهم لا يعرفون قدرها وخطرها، فصار مَثَلُهم كمثل الحمار يحمل كتبا[٢] لا يعلم ما قدرها وخَطَرها. وهذا التأويل أقرب لأنه قال[٣] في سياق هذه الآية: **بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله**، فثبت أن المعنى من الأول التكذيبُ. ***والله أعلم***.

{قال:} ثم معلوم أن هذا التكذيب والتحريف إنما كان من عمل كبرائهم ورؤسائهم، فأخبر أنهم كذبوا ولم يعرفوا قدرها حين كذبوا ليزجر ضَعَفَتهم[٤] عن اتباعهم، ويبين[٥] أن رؤساءهم ليسوا ممن يستحقون الاتباع. وفيه أيضا زجر للمسلمين أن يستخفوا كتاب الله والعملَ بما فيه. ***والله أعلم***.

ثم قوله:[٦] **بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله**، يحتمل وجهين. أحدهما أن يقول: بئس النعت والصفةُ صفةُ الذين بلغ كَذِبُهم مَبلغا كَذَبوا على الله، لأن الكاذب في المتعارف[٧] موصوف بالشر. فإذا بلغ كَذِبه مبلغا يَكْذِب على الله تعالى عُلم أنه في النهاية من الشر.[٨] فكأنه يقول: صفة الذين كذبوا على الله / في الغاية من الشر والقبح. أو يقول: **بئس مثل** [٨٠٥ظ] **الذين كذبوا بآيات الله**، لأن الله تعالى ضرب أمثال المشركين بكل ما يُستخبَث[٩] ويستقبح، وضرب أمثال المؤمنين بكل حَسَن وطيّب؛ فقال: المَثَلَ يعني الشَّبَه[١٠] الذي[١١] شبّه اللهُ تعالى به المكذبين بآياته شَبَهٌ[١٢] قبيح [خبيث].[١٣]

ثم في هذه الآية دلالة أن الله تعالى يخلق القبيح[١٤] والحسن والخبيث والطيب جميعا، لأن قوله: **بئس مثل القوم**، وذلك المثل الذي شَبّههم به مما خلقه وقد سماه بئسا، فثبت أن الله تعالى

---

[١] ث + هم.
[٢] ر م: الكتب.
[٣] م – قال.
[٤] ر م: منفعتهم. أي ليزجر الله تعالى ضعفة القوم عن اتباع الرؤساء.
[٥] ن: يبين.
[٦] ن: ثم وقوله.
[٧] جميع النسخ: في الميعاد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٦ظ.
[٨] جميع النسخ: في الشر. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ر: ما يستجيب.
[١٠] جميع النسخ: السنة. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ث – الشبه الذي.
[١٢] ر ن م: سنة الله تعالى به المكذبين بآياته سنة.
[١٣] الزيادة من المرجع السابق.
[١٤] ن: القبح.

قد خلق الخبيث والطيب والقبيح والحسن، وعند المعتزلة لم يخلق إلا الحسنَ، فتكون[1] الآية حجة عليهم.

وقوله: **والله لا يهدي القوم الظالمين**، له تأويلان. أحدهما أنه لا يهدي القوم الظالمين، لوقت اختيارهم الظلم والفسقَ؛ أو لا يهديهم بظلمهم الآيات ومكابرتهم وعنادهم إياها فهو لا يهدي هؤلاء. وأما من ظَلَم عن جهل أو فَسَق عن جهل[2] ثم استرشَد فإنه يهديه ويُرشده. *والله أعلم*.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين**، وقال في موضع آخر: قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.[3] فكان في هذا بيانُ أن من كان من أوليائه فله الدار الآخرة عند الله خالصةً، ومن كانت له الدار الآخرة فهو من أوليائه، ويجوز أن يكون نالهما[4] جميعا. *والله أعلم*. ثم المباهلة في المتعارف إنما[5] هي المُحاجَّة في بلوغ العناد والتمرد غايتَه. فكأنه[6] لما قُرِّر[7] عندهم جميع الحجج فلم يقبلوها أمرهم[8] بالمباهلة فلم يباهله اليهود والنصارى، لأنه يجوز أن قد كان في كتابهم هذا أن المباهلة من غاية المحاجة، وأن من بَاهَل نزل عليه العذاب واللعنة إن لم يكن مُحقًا فلذلك امتنعوا من المباهلة. وأما العرب من المشركين فلم يكن لهم كتاب يعرفون به حكم المباهلة فباهلوا. وذلك أنه روي أن[9] أبا جهل كان يقول: "اللهم انصر أحبّنا إليك وأَقْرأنا للضيف وأَوْصلنا للرَّحِم"،[10]

---

[1] جميع النسخ: فيكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٦ظ.
[2] ر م – عن جهل.
[3] سورة البقرة، ٩٤/٢.
[4] م: فهما.
[5] ن: وإنما.
[6] م: فكان.
[7] ر ث م: لما قررت.
[8] جميع النسخ: أمره.
[9] م – أن.
[10] ن: الرحم.

فنصر الله تعالى نبيه[1] صلى الله عليه وسلم. فأبو جهل باهله لأنه لم يكن له كتاب، ولم يباهله اليهود والنصارى لما كانت لهم كتب عرفوا فيها حكم المباهلة. *والله أعلم*.

﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[٧]

وقوله: **ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم**، هذه الآية تدل على رسالة رسولنا صلى الله عليه وسلم، لأنه لو كان يقوله[2] من نفسه لكانوا[3] يبادرون فيتمنون الموت للحال[4] ليظهر كذبه فيه. فلما أخبر أنه لن يتمنوه[5] أبدا ولم يتمنوا تبين أنه قال من الوحي، وأنهم علموا ذلك حتى امتنعوا عن التمني خوفا للهلاك على أنفسهم لعلمهم أنهم لو تَمنّوا لماتوا. *والله أعلم*.
وقوله: **بما قدمت أيديهم**، أي من تحريف التوراة والإنجيل، لأن قول النصارى: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ،[6] لم يكن في الإنجيل، وقولَ اليهود:[7] لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا،[8] لم يكن في التوراة، ولكنهم غيروا وبدلوا فلا يتمنون الموت بما قدمت أيديهم من تحريف هذه الآيات وتبديلها وتغيير نعت محمد عليه الصلاة والسلام.[9] وقوله[10] عز وجل: **والله عليم بالظالمين**، يعني بظلمهم الآيات وعنادهم لها ومكابرتهم إياها.

﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٨]

وقوله:[11] **قل إن الموت الذي تفرون منه [فإنه ملاقيكم]**، أي الموتَ الذي تفرون منه بما قدمت أيديكم من تحريف التوراة والإنجيل يلقاكم لا مَحالةَ وإن فررتم منه، فيكون فيه تذكيرهم

---

[1] ر: لنبيه.
[2] ث: تقوله.
[3] ر م: لكاذبون.
[4] ن: في الحال.
[5] ر ن م: لا يتمنوه؛ ث: لا يتمنونه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٧و.
[6] سورة المائدة، ١٨/٥.
[7] ن + وقالوا.
[8] سورة البقرة، ١١١/٢.
[9] ث: عليه الصلوات والتحيات.
[10] ن: قوله.
[11] ن: قوله.

أن ارجعوا[1] عما تهربون[2] منه يعني الموت. وقوله: **ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة،** يعني إلى عالِمِ ما أشهدتم[3] الخلق من التوراة والإنجيل وعالِم[4] ما غَيَّبتم عن الخلق من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك؛ أو إلى عالِم[5] ما غيبتم في أنفسكم وأسررتم من تكذيبكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وما أشهدتم عليه ضعفتكم وأتباعَكم من نهيكم إياهم عن اتباعه. وقوله عز وجل: **فينبئكم بما كنتم تعملون،** إما عيانا تقرءونه في كتابكم يوم القيامة، أو ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء إن خيرا فخير وإن شرا فشرٌّ. ***والله المستعان.***

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٩]

وقوله تعالى: **يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله،** هذا السعي يحتمل وجهين.[6] أحدهما أن أَقْبِلوا على العمل الذي أُمرتم به وامضُوا فيه. والثاني فاسعوا[7] في المشي وأسرِعوا، لأن السعي في المشي هو السرعة فيه والسعيَ في الأعمال هو الإقبال عليها والمبادرة إليها. فإن كان المراد من هذا[8] السعيَ في المشي فخروج الآية مخرج الترهيب والتضييق. ألا ترى إلى قوله: **وذَرُوا البيع،** كيف أمر[9] بترك البيع[10] وقد يمكن[11] البيع في حال المشي، وإلى قوله: فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ،[12] كيف أمر بالانتشار في الأرض بعد الفراغ من الفريضة دون أن يذكر هنالك شيئا[13] في أدائها؟ ولو كان المراد منه / التراغيب لكان يأمره بالعَدْو[14] إليها. [٨٠٦و]

---

[1] ر م: أن رجعوا.
[2] ر م: عما يهربون؛ ن: عما يفرون.
[3] ر م + ثم.
[4] م: وعلم.
[5] ث – عالم.
[6] ر ث م: الوجهين.
[7] جميع النسخ: واسعوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٧و.
[8] ر: أهل.
[9] جميع النسخ: أمرك. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ث – كيف أمر بترك البيع.
[11] ث: تمكن.
[12] الآية التالية.
[13] ن ث: مشيا.
[14] ر م: بالعدل.

فدلت هذه المعاني أن مخرج[1] الآية على الترهيب والتضييق، وإن كان السعي في سائر الصلوات[2] المفروضة غير مندوب إليه؛ على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا أتيتم الصلاة فأتوها وأنتم تمشون ولا تأتوها وأنتم تسعَون؛ عليكم بالسكينة والوقار، ما أدركتم فصَلُّوا وما فاتكم فاقضوا».[3] فاختص الجمعة به لما ذكرنا من التضييق هاهنا والتوسيع في سائر الصلوات.[4] ولكن الأشبه أن المراد من السعي هو الإقبال على أدائها والتأهب لها والمبادرة إليها، والسعي مستعمل في هذا؛ قال الله تعالى: وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ،[5] وقوله: وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى،[6] وإنما أراد العمل. وكذلك روي عن عمر وابن مسعود وأُبيّ وابن الزبير رضي الله عنهم أنهم قرءوا "فامضُوا إلى ذكر الله"،[7] حتى قال عبد الله: لو كانت القراءة **فاسعوا**، لسعيت ولو سقط ردائي[8] لم ألتفت إليه خوفا من تضييع حقها. فذلك يدل على أن تأويل الأول عندهم على الإقبال والمبادرة إليها دون السرعة والمشي، ولأن هذا موافق لسائر الصلوات في أن العدو غير مستحب، والحديث الوارد في السكينة والوقار[9] مطلق، ليس فيه فصل بين الجمعة وغيرها، وعليه إجماع الفقهاء أنه يمشي إلى الجمعة[10] على هيئته.[11] ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وذروا البيع**، قال بعض الناس بأنه إذا باع في وقت الجمعة لم يجز بيعه لهذه الآية.[12] وعندنا أن البيع جائز لكنه مكروه، والذي يدل على جوازه أن النهي عن البيع في هذه الآية ليس لمكان البيع، ولكن لمكان الجمعة. فالفساد إذا ورد فإنما يرد في الجمعة لا في البيع، لأنه إذا باع في الصلاة فالبيع يُفسد الصلاة، لا أن الصلاة تُفسد[13] البيع. ولأن الأصل عندنا

---

[1] ر ث م: أن يخرج.
[2] ر م: الصلاة.
[3] مسند *أحمد بن حنبل*، ٢/٢٣٨؛ وسنن *النسائي*، الإمامة ٥٧.
[4] ر م: الصلاة.
[5] سورة الإسراء، ١٧/١٩.
[6] سورة النجم، ٥٣/٣٩-٤٠.
[7] *المحتسب* لابن جني، ٢/٣٧٥.
[8] تفسير *الطبري*، ٢٨/١٢٨-١٢٩.
[9] ر ث م: الوقار.
[10] ن - إلى الجمعة، صح هـ.
[11] ث: هيته.
[12] ن: لهذا الوقت.
[13] ر ن م: لأن الصلاة يفسد؛ ث: لا الصلاة يفسد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٧ظ.

أن كل عقد نُهي لأجل غيره فالنقصان إذا ورد من النهي فإنما يرد[1] في ذلك العين لا في العقد. وعلى هذا ما روي عنه عليه السلام أنه قال: «الْمُحرم لا يَنْكح ولا يُنْكح»[2] أن النهي عن النكاح إنما هو لمكان الإحرام ليس لمكان النكاح. ولذلك نقول[3] بجواز نكاح[4] الْمُحرم وبفساد الحج إذا جامع بذلك النكاح، لأن النهي إذا لم يكن لنفس العقد[5] لم يستقم إفساد[6] العقد، والنهي ليس من أجله. **والله أعلم**. ثم لما قال: **فاسعوا إلى ذكر الله**، و لم يقل: "إلى الجمعة ولا لها"، دل أنه قَبْل الجمعة ذكرٌ يجب الاستماع[7] إليه والسعي إليه، فدل هذا على فرضية الخطبة. ولمّا ثبت أن المعنى من قوله: **إلى ذكر الله**، أن المراد من الذكر الخطبة، ثم أمر بترك البيع للسعي إلى هذا الذكر والاستماع له. ثبت أن الكلام في وقت الخطبة مكروه وفي وقت خروج الإمام للخطبة[8] أيضا، لأن البيع في ذلك الوقت مكروه والبيع كلام، فيدل على كراهية[9] كل كلام. فيدل على صحة[10] مذهب أبي حنيفة رحمه الله في أن يَلزمَ السكوتُ إذا خرج الإمام حتى يفرغ من[11] الصلاة. وعلى ذلك ورد الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن من أتى الجمعة ثم صلى ما شاء أن يصلي ثم إذا خرج الإمام سكت إلى أن يفرغ من صلاته، كان ذلك كفارةً له من الجمعة[12] إلى الجمعة وزيادةِ ثلاثةِ أيام[13] بعده»[14]

---

[1] ن: رد.

[2] مسند *أحمد بن حنبل*، ١/٥٧، ٦٥، ٦٨، ٧٣؛ وصحيح *مسلم*، النكاح ٥؛ وسنن *الترمذي*، الحج ٢٣.

[3] جميع النسخ: يقول. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٧ظ.

[4] م: النكاح.

[5] ن: العين.

[6] ر ث م: فساد.

[7] ن: الاستمتاع.

[8] ر م + مكروه.

[9] ن: كراهة.

[10] ن: فيدل لصحة.

[11] ن – من.

[12] ث – من الجمعة.

[13] ن: انا من.

[14] روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يحضر الجمعة ثلاثةٌ: فرجل حضرها يلغو فذاك حظه منها؛ ورجل حضرها بدعاء، فهو رجل دعا الله عز و جل فإن شاء أعطاه وإن شاء منعه؛ ورجل حضرها بإنصات وسكوت و لم يَتخطَّ رقبة مسلم ولم يؤذ أحدا فهي كفارة إلى الجمعة التي تليها وزيادةِ ثلاثة أيام فإن الله يقول: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾» (مسند *أحمد بن حنبل*، ٢/٢١٤؛ وسنن *أبي داود* الصلاة، ٢٢٧).

فلما ألزمه السكوت من حينِ يخرج الإمام إلى أن يفرغ من الصلاة ثبت أن الكلام في ذلك[1] الوقت مكروه. **والله أعلم**.

{قال:} وفي هذه الآية دلالة على كَذِب من قال: إن الصلاة إنما تُفترَض[2] في آخر الوقت وإن من أدى فرضا في أول الوقت فإنما يؤدي تطوعا لأنه أمره بالسعي وفَرَض عليه إذا نودي. ومعلوم أنه يتهيأ[3] للإمام تأخير الصلاة في ذلك الوقت وقد فُرِض عليه مع ذلك، فدل هذا على كذب مقالتهم. **والله أعلم**.

وأقبح من هذا أنهم قالوا: إن الصلوات مفروضات على الكفرة في حال كفرهم وعلى المسلمين تطوّعٌ، مع أنه يجيء على قولهم: إنه ليس أحد من الأمة[4] أدى فرضا ألبتةَ، لأنه لم يُذكَر عن أحد منهم أنه فرّط في أداء الصلاة حتى خاف خروج وقتها. فهذا قول قبيح يجب أن يستتاب صاحبه عنه[5] وعن أمثاله. **والله أعلم**.

وفي هذه الآية دلالة على أن الجمعة لا تجب[6] على من بَعُدَ عن الإمام[7] بفرسخين، لأنه أمره بالسعي بعد النداء. ومعلوم أنه لا يمكنه أن يسعى بعد النداء[8] فرسخين وقد يخرج وقت الجمعة ولا يدركها. فثبت أنه على ما دونه وهو أن يكون في حد الأمصار. **والله أعلم**.

ثم الوقت الذي نَهيَ عن البيع فيه يومَ الجمعة، عن مسروق وجماعة هو وقت الزوال[9] إلى أن يفرغ الإمام عن الجمعة. وعن مجاهد والزهري أنه يُنهى عن البيع بعد النداء عملا بظاهر الآية **إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة**.[10] والأول أشبه، لأنه إنما يجب الحضور إلى الجمعة عند دخول الوقت، وهو زوال الشمس وإن تأخر النداء، ولأن النداء قبل الزوال غير معتبر فكان وجوده وعدمه سواءً.

---

[1] ن + الكلام.

[2] جميع النسخ: إنما يفترض. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٧ظ.

[3] ر: أنه إذا يتهيأ؛ م: أنه إذا تهيأ.

[4] ن + حتى.

[5] ر ث م: عنه صاحبه.

[6] جميع النسخ: لا يجب. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] ر ث م: من الإمام.

[8] ر ث م – ومعلوم أنه لا يمكنه أن يسعى بعد النداء؛ ر م + ومن بعد.

[9] وفي *الشرح*: وقت الصلاة، ورقة ٢٢٧ظ.

[10] *الدر المنثور* للسيوطي، ١٦٣/٨-١٦٤.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١٠]

[٨٠٦ظ] / وقوله عز وجل: **فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله.** {قال رحمه الله:}[١] خرج هذا في الظاهر مخرج الأمر، ولكنه في حكم الإباحة عندنا؛ لأن هذا أمر خرج على إثر حَظْر،[٢] والأصل المجمع عليه عندهم أن كل أمر خرج على إثر حظر[٣] فهو في حكم الإباحة، وما خرج لا على إثر حظر[٤] فإن الحكم فيه ينصرف على تصرف الأحوال. فإن كانت الحالة توجب فرضيته كان[٥] فرضا وإن كانت توجب واجبا فواجب وإن أدبا فأدب. والدليل على أن كل أمر خرج على إثر حظر فهو في حق الإباحة قوله تعالى: وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا،[٦] وقوله: فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ،[٧] ولم يكن ذلك محمولا على الأمر الحتم الذي لا يجوز تركه، ولكن على إباحة الاصطياد،[٨] أي اصطادوا إن شئتم،[٩] وَأتوهن إن أردتم. فكذلك يجوز أن يكون[١٠] المعنى من قوله: **فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض**، على ذلك الوجه؛ وإذا[١١] كان الأمر على هذا السبيل صار كأنه قال: فإذا قضيت الصلاة التي نودي لها فانتشروا في الأرض إن أردتم أو إن شئتم. *والله المستعان.*

وقوله عز وجل: **وابتغوا من فضل الله**، يعني التجارة والكسب فإن[١٢] البيع كأنه ينتظم ابتغاء فضل الله لكن قال[١٣] فيما خرج الإذن والإطلاق: **وابتغوا من فضل الله**، وقال فيما نهى عن ذلك:

---

[١] ر: رحمة الله.
[٢] جميع النسخ: الحظر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٨و.
[٣] جميع النسخ: الحظر. والتصحيح من المرجع السابق.
[٤] جميع النسخ: مخرج الإباحة. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ث: كانت.
[٦] سورة المائدة، ٢/٥.
[٧] سورة البقرة، ٢٢٢/٢.
[٨] ر م: الاصطاد.
[٩] ر: أشئتم؛ م: شئتم.
[١٠] ن – يجوز أن يكون.
[١١] ث: وإن.
[١٢] جميع النسخ: قال. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] ن: فضل الله وقال.

وَذَرُوا الْبَيْعَ،[١] وإن كان المراد منهما جميعا البيعَ، لأنه كان يَقبُح أن يقول: وذروا ابتغاء فضل الله، ولأن ابتغاء الفضل يتضمن البيع وغيره فلا يستقيم أن يقال:[٢] وذروا ابتغاء فضل الله، فقال هاهنا: وَذَرُوا الْبَيْعَ، ليلحقه النهي خاصة. وأما الإطلاق والإذن فإنه يستقيم في البيع وغيره فقال:[٣] **وابتغوا من فضل الله**. *والله المستعان*.

وقوله: **واذكروا الله كثيرا**، يحتمل وجهين. أحدهما اذكروا الله كثيرا بألسنتكم وقلوبكم. والثاني اذكروا الله بالإقبال على الطاعات التي فيها تحقيق[٤] ذكر الله. وقوله: **لعلكم تفلحون**، له أوجه. أحدها على رجاء الفلاح، والثاني أي لكي تفلحوا، والثالث على قطع وجوب الفلاح إذا فعل ذلك بما قالوا: إن "لعل" و"عسى" من الله تعالى واجب.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[١١]

وقوله: **وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما**، التجارة واللهو لا يُرَيَانِ في الحقيقة وإنما يرى اللاهي والتاجر، ولكنه ذكر فيه الرؤية لقرب اللهو من اللاهي والتجارة من التاجر، كما قال الله[٥] تعالى: حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ،[٦] وكما يقال: سمعت كلام فلان، والكلام ليس بمسموع في الحقيقة، وإنما المسموع في ذلك الصوت الذي به يفهم كلامه، ولكن أطلق لفظ السماع في ذلك لتقاربهما. *والله أعلم*. وبعد، فإن المعنى من هذا -والله أعلم- ليس نفسَ الرؤية وإنما المعنى منه[٧] عندنا العلم[٨] فكأنه قال: وإذا[٩] علموا، وذلك أنهم كانوا لا يرون التجارة، ولكن يُنْهَى إليهم خبرها فيعلمون بها.[١٠] *والله أعلم*.

---

[١] الآية السابقة.
[٢] ن: أن يقول.
[٣] ن: فإنه قال.
[٤] جميع النسخ: تحقق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٨و.
[٥] ر ث م - الله.
[٦] سورة التوبة، ٩/٦.
[٧] ن - منه.
[٨] ر ث م - العلم.
[٩] ر: فإذا.
[١٠] ن: بهما.

وقوله[1] عز وجل: **انْفَضُّوا إليها**، و لم يقل: إليهما، وقد ذكر شيئين و لم يُلحق ما بعدهما من الكناية بهما بل بأحدهما. ويجوز مثل ذلك كقوله: وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا،[2] و لم يقل ولا ينفقونهما ليرجع[3] الكناية إلى جميع ما سبق ذكره؛ وكما قال: وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ،[4] وقد رجعت الكناية إلى أحد المذكورين لا إليهما؛ فكذلك[5] هذا. وهذا لأن المقصود من خروجهم إنما كان هو التجارةَ دون اللهو، ولكنهم إنما يعلمون ما يُجْلَب إليهم بذلك اللهو فجاز أن يكون ذكر اللهو لهذا المعنى، وإنما المقصود من ذلك التجارة. وكذلك قوله: وَلَا يُنْفِقُونَهَا،[6] فذكر حق الإنفاق فيما كان الإنفاق منه أيسر وأسهلَ في المتعارف، وذلك[7] الفضة وإن كان الحق واجبا فيهما جميعا لما أن المقصود هو[8] الصرف[9] إلى الفقراء فعلى ذلك هاهنا. وأما المعنى منه عندنا إنما خص الصلاة برجوع الكناية إليها لأنها ثقلت على اليهود، لأن القبلة كانت أولا إلى بيت المقدس فلما حُوّلت إلى الكعبة ثقلت الصلاة إلى الكعبة على الكفار فقال: وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً،[10] يعني الصلاة إلى الكعبة. *والله أعلم.*

فإن قيل: كيف جاز أن يَنفِر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه[11] -وهو في الخطبة- إلى اللهو والتجارة مع جلال قدرهم وتعظيمهم للنبي صلى الله عليه وسلم؛ وكذلك السؤال عن ضِحْكِهم حين دخل الأعمى المسجد فوقع في بئر؟[12]

---

[1] ن: قوله.

[2] سورة التوبة، ٩/٣٤.

[3] ر ث م: لرجع.

[4] سورة البقرة، ٢/٤٥.

[5] ر ث م: وكذلك.

[6] سورة التوبة، ٩/٣٤.

[7] ر م: وذلك.

[8] ر ث م: وهو.

[9] م – الصرف.

[10] جميع النسخ: وإنها لكبيرة. ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عَقِبَيْه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله﴾ (سورة البقرة، ٢/١٤٣).

[11] ر ث م – عنه.

[12] روي أنس بن مالك رضي الله عنه أن أعمى تردّى في بئر، فضحك ناس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضحك أن يعيد الوضوء والصلاة (سنن *الدارقطني*، ١/١٦٢).

والجواب عن هذا أن القوم كانوا[1] حديث عهد بالإسلام وكانوا من سُوقَةِ القوم ومن سِفْلَتها و لم يكونوا عرفوا حق الخاطب[2] وحق الخطبة عليهم، وكانت تلك تجارة يَأمُلون منها منافع لو لم يبادروا إليها ذهبت عنهم، فإنما[3] خرجوا من المسجد جهلا منهم بحق الخطبة والخاطب.[4] وبعدُ، فإنهم لم يكونوا من أَجِلَة القوم ولا صحبوا أجلتهم ليعرفوا حق الخطبة والخاطب فانفلتت[5] منهم هذه[6] الزلة ومِن مثلهم لا يَنْدُر مثل[7] هذه. فأما الذين[8] كانوا من أجلة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ومن علمائهم فلم ينفر / أحد[9] منهم. وكذلك أمر الضحك [٨٠٧و] أيضا يجوز[10] أن يكون مَن ضحك مِن أتباع القوم وسفلتهم و لم يكونوا من الأجلّة والنجباء، ولا يستنكر من مثل أولئك هذا الصنيع. ***والله أعلم***.

{قال:} والمعنى مِن ترك النبي صلى الله عليه وسلم نهيَهم عن الخروج وجهان. أحدهما أن الكلام كان محرَّما وقت الخطبة فلم ينههم للنهي[11] عن الكلام في ذلك الوقت. والثاني يجوز أن يكونوا أسرعوا الخروج فلم يبلغهم نهيه أو لم ينههم لما علم أنهم لم يسمعوا. ***والله أعلم***.

وفي الخبر أنه عَدّ الذين ثبتوا معه بعد ما فرغ من الصلاة فوجدهم اثني عشر رجلا فقال: «لو لَحِق آخركم بأولكم لاضطرم[12] الوادي نارا»[13] أي المدينة.

ففي هذا دلالة[14] على أن الجمعة تقام[15] بدون الأربعين لأنه عليه السلام جمع باثني عشر رجلا. ***والله أعلم***.

---

[1] م – كانوا.
[2] ر م: الخطاب.
[3] م: فلما.
[4] ر م: والمخاطب.
[5] جميع النسخ: فانفلت.
[6] ر ث م – هذه.
[7] ر م – لا يندر مثل؛ ن: لا ينذر مثل
[8] ر + فأما الذين؛ م + هذه.
[9] ر م: فلم ينفردوا واحد.
[10] ن: تجوز.
[11] ن: النبي عيه السلام.
[12] ن: لاضطر من.
[13] *تفسير عبد الرزاق*، ٣/٣١٠؛ *وتفسير مقاتل بن سليمان*، ٣/٣٦١.
[14] م – دلالة.
[15] ر ث م: يقام.

وقوله: **وتركوك قائما**، هذا يدل على الخطبة إنما تكون[1] قائما. وقوله: **قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة.**[2] {قال إمام الهدى رحمه الله:} ولو لا هذا قد كان يُعلَم أن ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة، ولكن المعنى من ذلك -والله أعلم- أن الدنيا كلها مَتْجَر وأن أهلها فيها تجّار:[3] إما تجارة الدنيا أو تجارةَ الآخرة، لأن الطاعة والعادة[4] في الاعتبار كأنها تجارة لأنه[5] يكتسب بها منافع الآخرة، وتجارة الدنيا يكتسب[6] بها منافع الدنيا. فقال: التجارة التي عند الله في طاعته واكتسابِ منافع الآخرة خير من اللهو ومن التجارة التي يكتسب بها منافع[7] الدنيا. *والله أعلم*. وجائز أن يكون معناه كأنه قال: اتقوا الله فإنكم إذا اتقيتموه[8] اكتسبتم به المنافع في الرزق وغيره، والتجارة الدنيوية لا يكتسب بها إلا منافعُ الدنيا، ألا ترى إلى قوله:[9] وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ،[10] وقال في موضع آخر: يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ.[11] فإذا كان التقوى يستفاد به الرزق واليسر[12] في الأمور وكفارةُ الذنوب، والتجارة لا يكتسب بها إلا منافع الدنيا، فرغّبهم فيما فيه جملة المنافع وهو التقوى ليمكثوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فيقول: رَغْبتكم فيما يُكسبكم[13] جملة المنافع، إن اتقيتم[14] ومكثتم عند النبي صلى الله عليه وسلم [هو] خير من اللهو ومن التجارة التي تُكسبكم[15] منفعة واحدة. *والله أعلم*.

---

[1] جميع النسخ: إنما يكون. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٢٨ظ.

[2] ث + الآية.

[3] جميع النسخ: تجارا.

[4] ر ث م: والعبادة.

[5] ن: لأنها.

[6] ث: يكسب.

[7] ن - الآخرة خير من اللهو ومن التجارة التي يكتسب بها منافع.

[8] ن: أبقيتموه.

[9] م - قوله.

[10] سورة الطلاق، ٦٥/٢-٣.

[11] ﴿ومن يتق الله يُكفِّرْ عنه سيئاته ويُعْظِمْ له أجرا﴾ (سورة الطلاق، ٦٥/٥).

[12] ر م: والبر؛ ث: والتيسير.

[13] ر ث م: فيما يكتسبكم؛ ن: فيما يكسبتكم.

[14] ن: أبقيتم.

[15] جميع النسخ: يكتسبكم. والتصحيح من المرجع السابق.

وقوله عز وجل: **والله خير الرازقين**، ليس يقتضي ذكر هذا أن هنالك[١] رازقا آخر ليكون هو خيرهم. ولكن المعنى من هذا وفي قوله:[٢] أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ،[٣] وأَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ.[٤] لو كان[٥] كان هو خيرَ الرازقين وأحسن الخالقين وأحكم الحاكمين، لأنه لا يحكم إلا عدلا ولا يخلق إلا ما فيه حكمة، فكذلك[٦] قوله: **والله خير الرازقين**. وجائز أن يضاف الرزق والخلق والحكم إلى العبيد مجازا فقال: **والله خير الرازقين**، ممن يرزقكم، لأن غيره من الخلق إنما يرزق غيره من رزقه ويعدل بحكمه ويفعل بتوفيقه وتسديده فقال: **والله خير الرازقين**، الذين يرزقون من رزقه. ***والله أعلم بالصواب***.[٧]

---

[١] م: هناك.

[٢] ر م: في قوله.

[٣] سورة المؤمنون، ١٤/٢٣.

[٤] سورة هود، ٤٥/١١.

[٥] ر ث م: لأنه؛ ن: لأنه لو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٨ظ.

[٦] ن: فلذلك.

[٧] ن: والله أعلم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه؛ ث: والله أعلم والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المنافقون[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[١]

قوله عز وجل: **إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله**، اختلفوا في تأويل قوله تعالى: **نشهد**. قال بعضهم: **نشهد**، بمعنى نُقسم ونَحلفُ، وقال بعضهم: **نشهد**، على ابتداء الشهادة. فمن حمله على القَسَم قرأ: اِتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً،[2] يعني حَلِفهم، ومن حمله على الشهادة ابتداءً قرأ: اِتَّخَذُوا إِيمَانَهُمْ [جُنَّةً]،[3] يعني تصديقَهم، ليس أنها قراءة واحدة فقرئت بلفظين ولكنهما كانا جميعا فقرئت[4] بالمعنيين جميعا. *والله أعلم*.

*{قال الفقيه رضي الله عنه:} في قوله تعالى: **إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك** [٨٠٦ظ س٣٢] **لرسول الله**: إن المنافقين لم يجيئوا بأجمعهم رسول الله صلى الله عليه سلم وإنما جاءه بعضهم. وكذلك في قوله: **نشهد**، لأن[5] المعنى من قوله: **نشهد**، في بعض التأويلات نُقسم،[6]

---

[1] ر – سورة المنافقون؛ ن: ذكر أن فيها سورة المنافقين؛ ث + وهي إحدى عشرة آيات مكية؛ م: ذكر أن سورة المنافقين مدنية.

[2] الآية التالية.

[3] *المحتسب* لابن جني، ٢/٣٧٧؛ ومعجم *القراءات* لعبد اللطيف الخطيب، ٩/٤٦٧.

[4] ن: فقرنت.

[5] ر م: أن.

[6] ن ث: يقسم.

والقسم ليس من فعل الأتباع والسفلة وإنما ذلك من فعل الأَجِلّة والرؤساء، فدل أنه إنما تعاطى هذا الفعلَ بعض المنافقين. ثم ذكر الله تعالى ذلك البعض بلفظ الكل، فعُلم أنه ليس[1] كل ما خرج في الظاهر مخرجَ العموم يتناول كل من دخل تحت ذلك الاسم، ولكنه يُنظَر في معنى اللفظ وحقيقته. فإن كان الدليل يوجب تعميمه أجري[2] على عمومه، وإن كان يوجب تخصيصه [٨٠٦ظ س٣٨] أجري[3] على خصوصه. *والله أعلم*.*

وقوله: **والله يشهد إن المنافقين لكاذبون**. والإشكال أنْ كيف قال الله تعالى: **والله يشهد إن المنافقين لكاذبون**، وهم إنما قالوا: **نشهد إنك لرسول الله**، ومعلوم أن هذا القول منهم صدقٌ؟ ولكن المعنى من هذا -والله أعلم- أنهم طُعِنوا فيما أظهروا من الخلاف والتكذيب عند غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فحسبوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع على صنيعهم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون إليه ويقولون: **نشهد إنك لرسول الله**، وإنّ ما بلغك منا من القول كَذِب وما قلناه. فأخبر الله تعالى أنهم كاذبون[5] فيما أخبروا أنهم ما قالوه، ألا ترى إلى قوله: يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ.[6] ويحتمل أن يكون معناه: إنا نشهد أن في قلوبنا إنك لرسول الله كما نظهره بألسنتنا. فأخبر تعالى: **إن المنافقين لكاذبون**، فيما يشهدون بالإيمان في قلوبهم. ويحتمل أن[7] يكون[8] المعنى من قوله: **نشهد**، أي نعلم برسالتك في قلوبنا. **والله يشهد إن المنافقين لكاذبون**، فيما أخبروا أنهم يعلمون رسالته في قلوبهم. [٨٠٧ظ] وقد كان لزمهم العلم برسالته من جهة الآيات والحجج، ولكن / تَعَامَوْا عن ذلك العلم استخفافا منهم وتعنُّتا، فصار ذلك العلم كالجهل الحقيقي. ثم أخبروا[9] عن أنفسهم وضمائرهم أنهم يعلمون، وأخبر الله أنهم كاذبون[10] [في] أنهم يعلمون برسالته.[11] *والله أعلم*.

---

[1] ن + كمثله.

[2] ن: أخرى.

[3] ن: أخرى.

* ورد ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٨٠٦ظ / سطر ٣٢-٣٨.

[5] ر م: لكاذبون.

[6] سورة التوبة، ٩/٧٤.

[7] ر ث م: ويعلم أن؛ ن: في قلوبهم ويكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٩و.

[8] ث - يكون.

[9] ر م: ثم أخبرهم؛ ث: أخبر.

[10] ر م: لكاذبون.

[11] ن: رسالته.

ثم الواجب أن يُعلَم ما الذي أحوجهم[1] إلى أن قالوا: نشهد إنك لرسول الله وقد كان كثير من المؤمنين يَلقَون رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقولون ذلك فكيف قال المنافقون ذلك؟ فمعناه عندنا -والله أعلم- أنهم حيث اعتادوا مخادعة الله ورسوله امتحنهم الله تعالى بهذه المقالة. ويحتمل أن يكونوا جَرَوْا على عادتهم. وكان[2] من عادتهم[3] أنهم إذا لَقُوا المسلمين قالوا: آمنا بمثل ما آمنتم، وإذا لقوا المشركين قالوا: إنا معكم إنما نحن مستهزءون؛[4] فإذا لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: إنا نشهد إنك لرسول الله على عادتهم في كل جنس بما يليق به وبمذهبه. ***والله أعلم***. ويجوز[5] أن يكونوا يخافون أن قد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خلافهم وتكذيبُهم فكانوا إذا لقوه قالوا: نشهد إنك لرسول الله اعتذارا من ذلك الخلاف لو بلغه. ألا ترى إلى قوله: يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ،[6] كانوا يحسبون من سوء ما يُضمرون في قلوبهم من النفاق أنَّ كل من كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنما يكلمه[7] بسببهم، فكذلك الأول. ***والله أعلم***.[8]

ثم قال هاهنا: **نشهد**، و لم يقل: نشهد بالله لأن المعنى من هذا الحَلِفُ، والحلف من المؤمن[9] في المتعارف إنما يكون بالله تعالى فلذلك اجْتُزِئَ[10] بقوله: **نشهد**، عن قوله: بالله، فيكون هذا دليلا لقول أصحابنا: إن قوله: **نشهد**، يكون يمينا حيث ذُكر هاهنا بطريق القسم والمعنى ما أشير إليه. ***والله أعلم***.

---

[1] ن: أخرجهم.

[2] ر ث م: فإن.

[3] ر م - وكان من عادتهم.

[4] يشير المؤلف رحمه الله إلى الآية ﴿وإذا لَقُوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خَلَوْا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون﴾ (سورة البقرة، ٢/١٤).

[5] ن: أو يجوز.

[6] الآية ٤ من هذه السورة.

[7] ر م: فإنما كلمهم.

[8] ث - ويجوز أن يكونوا يخافون أن قد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خلافهم وتكذيبهم فكانوا إذا لقوه قالوا نشهد إنك لرسوله اعتذارا من ذلك الخلاف لو بلغه ألا ترى إلى قوله يحسبون كل صيحة عليهم كانوا يحسبون من سوء ما يضمرون في قلوبهم من النفاق أن كل من كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنما يكلمه بسببهم فكذلك الأول والله أعلم.

[9] ر م: من المؤمنين.

[10] ر م: اجزى.

﴿اِتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٢]

وقوله: **فصدوا عن سبيل الله**، له تأويلان. أحدهما صدوا أي أعرضوا بأنفسهم عن طاعة الله والإيمان برسوله. والثاني أن صدوا الضعفة[١] عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الإيمان به. وقوله: **إنهم ساء ما كانوا يعلمون**، أي بئس ما كانوا يعملون من الإعراض عن الآيات والحجج وحيث آثروا الكفر على الإيمان. ويحتمل بئس ما كانوا يصنعون من صد[٢] الضعفة والأتباع من الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾[٣]

وقوله: **ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا**، له تأويلان. أحدهما ذلك بأنهم آمنوا بلسانهم ثم كفروا بقلوبهم.[٣] والثاني على حقيقة الإيمان والكفر. وذلك أنهم لما رأوا قلة المسلمين وضعفهم في أنفسهم يومَ بَدْرٍ ثم رأوهم مع هذه القلة والضعف غلبوا على الكفار مع كثرتهم آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ورأوا أنهم لا يُغلَبون أبدا. ثم إن المسلمين لما غُلبوا يوم أُحُدٍ وأصابهم ما أصابهم اضطربوا في إيمانهم وشكّوا وكفروا. وذلك معنى[٤] قوله: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ،[٥] فكذلك[٦] تأويل قوله: **ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا**. وقوله: **ذلك**، إشارة إلى أن السبب الذي تولد منه نفاقهم وحَلِفُهم وقولهم: نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ،[٧] بأنهم آمنوا ثم كفروا. وجائز أنه لم يكن منهم حقيقة إيمان ولا كفر ولكنهم كانوا أقواما همتهم الدنيا وسَعَتُها وكانوا يكونون مع من يكون معه الدنيا، إن رأوا[٨] مع المؤمنين أظهروا من أنفسهم أنهم مؤمنون، وإن رأوا مع[٩] الكفار أظهروا أنهم كفار، لا أن يكون منهم حقيقةُ إيمانٍ أو[١٠] كفرٍ. ***والله المستعان.***

---

[١] ن + عن الله تعالى و.
[٢] ن: يصنعون صد.
[٣] ن: يقاتلونهم.
[٤] جميع النسخ: بمعنى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٩ظ.
[٥] سورة الحج، ١١/٢٢.
[٦] ن ث: فذلك.
[٧] الآية ١ من هذه السورة.
[٨] ن: معير الدنيا ان يراءوا.
[٩] ن – مع.
[١٠] ن: حقيقة إنما رأوا.

وقوله: **فطبع على قلوبهم**، الطبع يجوز أن يكون كناية عن ستر وظلمة على قلوبهم فلا يرون به الحق وحججه. {قال:} ويجوز أن يجعل الله تعالى الكفر ظلمة في القلب لا يبصرون به الحجج والآيات، أو يجوز أن يجعل الكفر كِنًّا في قلبه لِيَضِيق، فلا يرى من بعد ذلك منافعه ومضارّه إلا من ذلك الوجه، فيكفر وأيّما كان.[١] فذلك معنى الطبع. يعني أن اشتغالهم بالكفر وكسبهم إياه غَطَّى قلوبهم وسترها عن أن يُبصروا الحق وحججه. ***والله أعلم***.*

وقوله عز وجل: **فهم لا يفقهون**، يحتمل أن يكون معناه أي لا يفقهون لأنه طبع على قلوبهم وإلا لم يعرضوا عن الحق والآيات. وذلك أنهم كانوا[٣] يظنون أنهم على الحق فأخبر أنهم لا يفقهون / أنه طُبع على قلوبهم حتى ظنوا أنهم على الحق[٤] وجعلوا جميع همتهم في المنافع والمضار الدنيوية، وإلا لو فَقِهوا أن لله تعالى دارا أخرى يُجازُون فيها بأعمالهم لعلموا أنه[٥] لا بد من دين يدينون به، ولم ينظروا إلى منافعهم ومضارهم. ***والله المستعان***. ويحتمل:[٦] **لا يفقهون**، عن الله تعالى وأنه تعبدهم وأمرهم بطاعته[٧] [وطاعة][٨] رسوله واتباعه، ويحتمل:[٩] **لا يفقهون**، أنهم يَتعدَّوْن[١٠] وأن لله دارا أخرى يسألهم عما فعلوا ويجازيهم على جميع ذلك. |٨٠٨و|

ثم قال هاهنا: **لا يفقهون**، ولم يقل: لا يعلمون، لأن الفقه[١١] إنما هو الذي يعرف به الشيء بالشيء، فاخبر أنهم لا يعرفون الآخرة بالدنيا. وقال ابن سُرَيج:[١٢] الفقه هو معرفة الشيء بمعناه الدالِّ على نظيره. وعندنا أن الفقه هو معرفة الشيء بمعناه الدال على[١٣] غيره،

---

[١] جميع النسخ: وإنما كان.

* ورد هنا قسم من تأويل الآية ١ من هذه السورة متأخرا فقدمناه إلى موضعه. انظر: ورقة ٨٠٦ظ/ سطر ٣٢-٣٨.

[٣] ر – كانوا.

[٤] ن – فأخبر أنهم لا يفقهون أنه طبع على قلوبهم حتى ظنوا أنهم على الحق.

[٥] م + أنه.

[٦] جميع النسخ + أي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٩ظ.

[٧] جميع النسخ: بطاعة. والتصحيح من المرجع السابق.

[٨] الزيادة من المرجع السابق.

[٩] جميع النسخ + أي. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٠] جميع النسخ: يتعبدون؛ ن + أنهم لا يتعبدون. والتصحيح من المرجع السابق.

[١١] ر: لأن الفقهة.

[١٢] ر م: ابن شريح. أحمد بن عمر بن سريج البغدادي، أبو العباس: فقيه الشافعية في عصره. مولده ووفاته في بغداد. توفي سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م. (*الأعلام* للزركلي، ١/١٨٥).

[١٣] م + غير.

كان ذلك نظيرا له أو لم[1] يكن؛ لأن من عرف الخلق بمعناهم دله ذلك على معرفة الصانع، ومن عرف الدنيا دله ذلك على معرفة الآخرة وليسا بنظيرين. ثم بين الفقه والعلم فصلُ[2] من وجه وإن كانا جميعا[3] في الحقيقة يرجعان إلى معنى واحد، لأن العلم إنما هو[4] تجلي[5] الشيء له وظهوره بنفسه، والفقه تَعَرُّف [الشيء][6] بغيره استدلالا. ولذلك[7] جاز أن يقال: الله تعالى عالم، لتجلي[8] الأشياء له، ولم يجز أن يقال: إن الله فقيه، لأنه لا يعرف الأشياء بالاستدلال. **والله الموفق**. والحكمة وضع الأشياء مواضعها، والإيقان إنما هو يتولد عن ظهور الأسباب. ولذلك[9] جاز أن يقال: إن الله تعالى حكيم، ولم يجز أن يقال: إنه موقن. **والله المستعان**.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم**، في هذا بيان أن الله تعالى قد كان آتاهم حسن الصورة وحُسْنَ البيان، وأنه قد آتاهم العلم[10] لأن حسن البيان لا يكاد يكون إلا عن[11] علم. فكأن الله تعالى ذكر نعمه التي آتاهم فإنهم لم يشكروا نعمه وأساءوا صحبتها، فكأنه يقول: كيف ترجوا[12] منهم حُسن الصحبة لك وإنهم لم يُحسنوا صحبة نعمة[13] رب العالمين؟ فيكون فيه[14] بعض التسلي لِما اهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سوء صنيعهم به وإعراضهم عن اتباعه وطاعته.

---

[1] ث: نظيرا له ولم.
[2] ن ث م: فضل.
[3] ث – جميعا.
[4] ر م – هو.
[5] ر م: يجلي.
[6] جميع النسخ: يعرف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٩ظ، والزيادة منه.
[7] ر م: وكذلك.
[8] ث: التجلي.
[9] ر م: وأن لك.
[10] ث – العلم.
[11] ر: آلاه عن؛ م: آتاهم.
[12] جميع النسخ: يرجوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٠و.
[13] ث – نعمة.
[14] ر ث م – فيه.

وقوله عز وجل: **وإن يقولوا تسمع لقولهم**، يعني وإن يقولوا[١] تحسب قولهم حقا فتسمع لقولهم لتقبله.[٢] ويحتمل[٣] تَسْمَعْ لقولهم لما يُعجبك[٤] قولهم،[٥] أو تسمعْ لقولهم[٦] على ما كانت عادته عليه السلام في كل مَن كلّمه أنه لا يُعيّر[٧] عليه ولا يقطع عليه كلامه حتى يفرغ منه، ثم قَبِلَه إن كان مما يجب قبوله، وعيَّر[٨] على صاحبه ورده إن كان مستحقا للتعيير[٩] عليه. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **كأنهم خُشُبٌ مُسَنَّدة**، يقول: إنهم فيما يكون من جانبهم وناحيتهم من حسن[١٠] الصورة والبيان بحيث يعجبك،[١١] وفيما تُلقِي[١٢] إليهم من الحق والدين والحكمة **كأنهم خشب مسندة**، لا ينجع فيهم الحق ولا يقبلونه كالخشب المسندة. ويحتمل أن يكون[١٣] هذا تمثيلا بالخشب من حيث أن الخشب المسنَّدة في الظاهر هي الخشب اليابسة التي لا أجواف لها فيوضعَ فيها شيء. فكذلك المنافقون كأنهم خشب[١٤] لا أجواف لها يوضع فيهم الحكمة والدين والحق.[١٥] *والله أعلم*. وجائز أن يكون معناه: **كأنهم خشب مسندة**، من حيث أن الخشب المسنَّدة[١٦] ليس لها أسماع[١٧] ولا أبصار ولا قلوب، فكذلك المنافقون كأنهم صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ في ناحية الحق وقبوله. *والله المستعان*.

---

[١] ن: وإن تقولوا.
[٢] ن: الثقيله.
[٣] جميع النسخ + أو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٠و.
[٤] ن: لما تعجبك.
[٥] ث + قولهم.
[٦] ث: لقوله.
[٧] جميع النسخ: لا يغير. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] جميع النسخ: وغير. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] جميع النسخ: للتغيير. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] م: أحسن.
[١١] ن: تعجبك.
[١٢] جميع النسخ: يلقى.
[١٣] ر ث م - أن يكون.
[١٤] ر م - خشب.
[١٥] ث: الحق.
[١٦] م - المسندة.
[١٧] ر م: استماع.

وقوله عز وجل: **يحسبون كل صيحة عليهم**، يحتمل وجهين. أحدهما يحسبون كل صيحة سمعوها كلمةً تَهْتِك[1] عليهم[2] أستارهم[3] وتَفْضَحُهم.[4] ألا ترى إلى قوله: يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ،[5] فأخبر أنهم كانوا يحسبون فضيحتهم وهتك أستارهم والاطّلاع على ما في قلوبهم، فكذلك كانوا[6] يحسبون أن من كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنما يكلم[7] بما يهتك عليهم أستارهم ويفضحهم. ***والله المستعان.***

والثاني يحتمل[8] أن يكون ذلك في الحرب أنهم كلما سمعوا صيحة في الحرب خافوا أن يكون فيه هلاكهم، وذلك أنهم كانوا يظهرون الموافقة لكل فريق على حِدَةٍ، وإذا وافقوا هذا الفريق[9] صاروا حربا للفريق الآخر،[10] وإذا وافقوا[11] الآخر صاروا حربا لهؤلاء. فأخبر الله تعالى أنهم يحسبون من كل صيحة سمعوها أن يكون ذلك سببا لهلاكهم.

ويحتمل أن يكون الله تعالى عاقبهم بالخوف الدائم لتأميلهم الأمن من وجه لم يُؤْذَنُوا فيه؛ وذلك لِمَا وصفنا أنهم كانوا يظهرون الموافقة[12] لكل فريق[13] رجاءَ أَمْنِهم، وكان جميع مقاصدهم في ذلك تحصيلَ منافع الدنيا دون الديانة بدين من الأديان وذلك غير مأذون فيه. فلما آثروا ذلك واختاروه من غير أن يؤذن لهم عاقَبَهم[14] بالخوف الدائم: إما عن الافتضاح[15] والاطلاع على ما في قلوبهم أو عن الهلاك. ***والله أعلم.***

---

[1] جميع النسخ: يهتك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٠و.
[2] م – عليهم.
[3] جميع النسخ: سترهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] ر م: يفضحهم. ن ث: ويفضحهم.
[5] سورة التوبة، ٦٤/٩.
[6] ر ث م – كانوا.
[7] ر ن ث: تكلم.
[8] ن: ويحتمل.
[9] ن – وإذا وافقوا هذا الفريق.
[10] ن – صاروا حربا للفريق الآخر.
[11] ن: وإذا وفقوا؛ ث: وإذا فقوا.
[12] ن – الموافقة.
[13] ر م – فريق.
[14] ر م: عاقبتهم.
[15] ر م: عن الافتضاع.

[٨٠٨ظ] / وقوله عز وجل: **هم العدو فاحذرهم**، له أوجه من التأويل. أحدها أن يقول: **هم العدو**، يعني أنهم أدنى عدوك[١] **فاحذرهم**، في جميع أحوالهم في المطعم[٢] والمشرب وغيره، لأن الحذر عمن قرب من الأعداء ودنا أوجبُ ممن بعد ونأى، أو احذرهم أن تُطلعهم على سرك[٣] فيما تُرَوِّيه[٤] وتُضمره[٥] من الجهاد والحرب فيحتالون به على هلاكك أو يُطْلعون الكفرة على سرك. أو احذرهم أن تَقْبل[٦] منهم قولا يقولونه عن أصحابك لأنهم يُغْرُون أصحابك عليك[٧] فاحذرهم أن تقبل[٨] قولهم على أصحابك.

وقوله عز وجل: **قاتلهم الله**، يعني لعنهم الله.[٩] وقوله: **أنى يُؤْفَكُون**، له تأويلان. أحدهما أن يقول: أيُّ سبب يمنعهم عن الإيمان[١٠] بك وطاعتك واتباعك،[١١] وقد أتيتهم بالآيات والحجج في اطّلاعك على سرائرهم، وذلك لا يكون إلا عن الوحي؟ أو يقول: **أنى يؤفكون**، يعني أنى يكذّبون[١٢] تقليدا بأولئك الكفرة من غير أن يظهر لهم في ذلك آية وحجة، ولا يقلدون البرهان والحجة فيتبعونك؟ *والله أعلم*.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾[٥]

وقوله: **وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوَّوْا رءوسَهم**، ظاهر هذه الآية أن هذا القول منه إنما كان لجملة المنافقين وكذلك قوله تعالى: لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ.[١٣]

---

[١] ر ث م: عدوكم؛ ن: عدوهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٠و.
[٢] ر م: في المطمع.
[٣] ر م: على سر.
[٤] جميع النسخ: ترونه. والتصحيح من المرجع السابق. رَوَّى في الأمر: نظر فيه وتعقبه وتفكر (*لسان العرب*، «روي»).
[٥] ن: ويضمره.
[٦] ر ن م: أن يقبل.
[٧] ن: عليهم.
[٨] ر ن م: أن يقبل.
[٩] ر ث م - الله.
[١٠] ر م + أحدهما أن يقول أي سبب يمنعهم عن الإيمان.
[١١] ر م - واتباعك.
[١٢] جميع النسخ: تكذبون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٠و.
[١٣] الآية ٨ من هذه السورة.

وروي في الخبر أن هذه الآية نزلت في عبد الله بنُ أُبَيّ بنِ سَلُول المنافق لأنه روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان كلما قام يوم الجمعة قام عبد الله بن أبيّ بن[1] سلول في ناحية المسجد، وقال: هذا رسول الله فوقِّروه وعظِّموه، حتى نزلت هذه السورة، فقال بمثل مقالته. فقال له عمر رضي الله عنه: اجلس يا كافر! فإن الله تعالى قد فَضَحَك. قال: فخرج من المسجد قبل أن يصلي الجمعة فاستقبله بعض القوم فسألوه عن خروجه من المسجد قبل أداء الجمعة، فأخبرهم عن القصة، فقالوا: ارجع إلى رسول الله وسله أن يستغفر الله[2] لك، فَلَوَى[3] رأسه،[4] وقال: ما لي إلى استغفاره حاجة.[5]

وروي أنه لما قال: لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ،[6] ثم أراد دخول المدينة من بعد هذه المقالة فحبسه ابنه عن دخول المدينة،[7] وقال: لا أَدَعُك تَدخلها ما لم تُقِرَّ أنك الأذل وأن رسول الله هو الأعزُّ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره أن يُخَلِّي عن أبيه، ثم قال له: «إنك أولى أن تُسَمَّى[8] عبدَ الله من أبيك»، فسُمِّي من بعد ذلك عبدَ الله[9] وكان يسمى حُبَابًا.[10] فهذان الخبران يدلان على أن هذه الآية إنما نزلت[11] في واحد منهم، وظاهرها يدل[12] على [أن][13] ذلك كان في جملة المنافقين.

ولكن الوجه في ذلك عندنا[14] -والله أعلم- أنه يجوز أن يكون اعتقاد جملتهم على ذلك، فذكرهم الله تعالى جملة[15] لاعتقادهم عليه، وذلك أنهم كانوا أقواما لا يؤمنون بالآخرة.

---

[1] ر م - بن.
[2] ر ث م - الله.
[3] ر م: فلوا.
[4] ن: برأسه.
[5] انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ١٧٥/٨.
[6] الآية ٨ من هذه السورة.
[7] ر م - عن دخول المدينة.
[8] ر م: أن يستمي؛ ن ث: أن يسمي.
[9] م - عبد الله.
[10] ر ث: حنابا. انظر: *تفسير الطبري*، ١٤٣/٢٨.
[11] ن: ان ذلك الآية إنما دلت.
[12] ر ث م: تدل.
[13] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٣٠ظ.
[14] ن - عندنا.
[15] ر - جملة.

والاستغفار إنما هو طلب المغفرة، وذلك إنما يتحقق في الآخرة. فإذا كان على هذا أصلُ اعتقادهم جملةً ذكرهم الله تعالى[1] على ذلك. وكذلك قوله: لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ،[2] كان عندهم أن الله تعالى إنما آتاهم العز والغنى والشرف لفضيلة لهم على محمد صلى الله عليه وسلم فكانوا ينكرون[3] عليه من ذلك الوجه.

ثم إن الله بما ذكر في هذه الآية أنبأ أنه قد كان آتاهم جميع ما به العز والشرف في الدنيا ليمتحنهم بحقوق هذه النعم وتعظيمها وشكرها، وأنهم بلغوا في كل ذلك غاية ما عليه عمل الكفرة في سوء الصحبة بالنعم. وذلك أنه لما قال: وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ،[4] دل أنه كان آتاهم حسن الصورة وحسن البيان؛ ولما قال: هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا،[5] دل أنه قد كان آتاهم الغنى، ولما قال: لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ،[6] دل أنه قد كان آتاهم العز والشرف. ومعلوم أن هذه الأسباب التي وصفنا هي أسباب العز والشرف في الظاهر. ثم أخبر أنهم تركوا شكر ما أنعم عليهم في تعظيم الحق وأداء[7] شكره، وأنهم بلغوا في الباطن في كل شيء من ذلك غايته في سوء الصنيع؛[8] لأنه دل بقوله تعالى: هُمُ الَّذِين يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا،[9] على غاية البخل حيث امتنع عن الإنفاق بنفسه وأمر غيره[10] أن لا ينفق أيضا،[11] وذلك في غاية البخل. ولَمَا قال: كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ،[12] دل أنهم كانوا في الغفلة عن ذكر الله وقبول الموعظة غايته. ولما قال: **وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لَوَّوْا رءوسهم**، دل أنهم كانوا في الاستخفاف به حيث تركوا الإنصاف،

---

[1] م – جملة لاعتقادهم عليه وذلك أنهم كانوا أقواما لا يؤمنون بالآخرة والاستغفار إنما هو طلب المغفرة وذلك إنما يتحقق في الآخرة فإذا كان على هذا أصل اعتقادهم جملة ذكرهم الله تعالى.
[2] الآية ٨ من هذه السورة.
[3] ر م: تنكرون.
[4] الآية السابقة.
[5] الآية ٧ من هذه السورة.
[6] الآية ٨ من هذه السورة.
[7] ر ن: وإذا.
[8] ر ث م: الصنع؛ ن: الظن. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٣٠ظ.
[9] الآية ٧ من هذه السورة.
[10] م + أيضا.
[11] ر م – أيضا.
[12] الآية السابقة.

وأخذوا سبيل الاعتساف والاستكبار عليه غايته. ولما قال: يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ،[1] دل أنهم كانوا في سوء السريرة غايته.

{قال:} ويجوز أن يقع كل ذلك منهم لوجهين. أحدهما أنهم رأوا ذلك حقا لهم على الله تعالى.[2] أو رأوا[3] أن الله تعالى آتاهم ذلك تفضيلا لهم[4] على غيرهم؛ فكانوا يتكبرون ويستعظمون[5] على غيرهم ويستَخِفُّون برسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك الوجه. ولم يتأملوا ولم يتفكروا ليتبين لهم أن الله تعالى آتاهم جميع ذلك النعم محنة عليهم، فعبّدهم[6] بأداء شكرها وتعظيم حقها. وذلك[7] معنى لَا يَفْقَهُونَ،[8] أي لا يتأملون النظر في هذه النعم. وذلك أنه لو لم يكن / رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُلزمهم[9] أن يتأملوا فيما أُوتُوا من النعم وينظروا؛ فإذا تفكروا في ذلك ولم يجدوا لهم عند الله صنعا استوجبوا به عنده مكافأةً[10] لذلك ولا لهم فضل يُفضّلهم الله بها على غيرهم، فكان يتبين لهم أن الله تعالى إنما أعطاهم هذه النعم محنة[11] ليتعبدهم بأداء شكرها.[12] [٨٠٩و]

ولذلك وقع الفصل[13] فيما بين العلم والفقه أن ما كان حقه التأمل والنظرَ فحق اللفظ فيه أن يقال: يفقهون، ولا يفقهون؛ وما كان حق العلم به السماعَ والخبر أُطلق فيه لفظ العلم. ولذلك قال عند العزة والغلبة والنصر: لَا يَعْلَمُونَ،[14] لأنهم لم يكونوا يعلمون النصر والغلبة[15] لو لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

[1] سورة التوبة، ٩/٦٤.
[2] ر ن ث + إياهم؛ م + آتاهم.
[3] ر م: أو يروا.
[4] ر م: تفضلا لهم.
[5] ن: ويتعظمون.
[6] جميع النسخ: تعبدهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٠ظ.
[7] ث: وهذا.
[8] من الآية ٣ من هذه السورة.
[9] م: لا يلزمهم.
[10] ر: مكافات.
[11] ث: محنته.
[12] ر م: شكر.
[13] ر ن م: الفضل.
[14] أي في قوله تعالى: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾ الآية ٨ من هذه السورة.
[15] ن – والنصر لا يعلمون لأنهم لم يكونوا يعلمون النصر والغلبة.

وقوله عز وجل: **ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون**، له وجهان. أحدهما رأيتهم يصدون عن طاعتك[1] واتباعك. والثاني يصدون ضعفتهم عن اتباعك.

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[٦]

وقوله: **سواء عليهم أَستغفَرْتَ لهم أم لم تستغفر لهم**، لأنهم لم يَعدّوا ذلك زلة وذنبا لأنه كان عندهم أنهم على الحق. والثاني ما قلنا: إنهم كانوا لا يؤمنون بالآخرة، والمغفرة إنما يطلب من الله ويتحقق ذلك في الآخرة. وقوله عز وجل: **لن يغفر الله لهم**، على ذلك أيضا أنه لا يغفر أَسْتغفرت أم لم تستغفر.

{قال رحمه الله:} ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يستغفر للمنافقين بعد ما ظهر عنده نفاقهم، ولكنه يجوز أن يكون هذا قبل ظهور نفاقهم له.[2] ***والله أعلم.***

ثم قوله تعالى: **لن يغفر الله لهم**، يحتمل وجهين. أحدهما يقول: **لن يغفر الله لهم**، ما داموا على النفاق ولم يتوبوا عنه. والثاني أن يقول:[3] **لن يغفر الله لهم**، في قوم علم الله منهم أنهم لا يؤمنون أبدا فقال في أولئك: **لن يغفر الله لهم**، وكذلك هذا في قوله: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ.[4]

وقوله عز وجل: **إن الله لا يهدي القوم الفاسقين**، فيه أن الله تعالى يملك هدايةً وراءَ هداية البيان، لأن من لم يملك[5] شيئا لم يستقم أن يوصف بالتعظيم أنه لا يفعل، لأنه يعلم [أنه][6] إذا لم يقدر ولم يملك لا يفعل.[7] وإنما يوصف بهذا من يملك ذلك[8] ولكن لا يفعل. فلو لم يملك ولم[9] يقدر خلق فعل الاهتداء فيمن أراد لم يوصف بأنه لا يهدي الفاسقين. فدل أنه يملك هداية وراء هداية البيان، وهو خلق الاهتداء فيمن علم منه ذلك. ***والله الموفق.***

---

[1] ن: عن طاعته.
[2] ر م - له.
[3] ن: والثاني يقول.
[4] سورة البقرة، ٦/٢.
[5] ن: من يملك.
[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٣١و.
[7] ن + ولم يملك.
[8] ن: هذا.
[9] ر ن م - يملك ولم.

وقال أبو بكر [الأصمّ:] معنى قوله: **لا يهدي القوم الفاسقين**، أي لا يهديهم بفسقهم.[1] وقالت المعتزلة: أي[2] لا يسميهم مهتدين إذا فَسَقوا وضلوا. وأيَّهما كان فهو محال، لأن من هدى ضالًّا بضلالته[3] فهو سفيه، فكأنه يقول: لا يَسْفهَ، ومن سمى الضال[4] مهتديا فهو كاذب، فكأنه قال: لا يكذب، وهما جميعا غير مستقيم، لأنا نعلم أنه لا يَسفه ولا يكذب. فثبت أن في ملكه هداية يهدي من يشاء من عباده[5] سوى هداية البيان. وإذا ثبت ما وصفنا أن في ملكه هدايةً سوى هداية[6] البيان ثبت أن له فيها مشيئة؛[7] لأن من ملك شيئا لم يجز أن يُقطع عنه مشيئتُه. فلذلك قلنا: إن الله تعالى يضل من يشاء من عباده لمن علم أنه يؤثر الكفر ويختاره على الهدى، ويهدي من يشاء لمن علم أنه يؤثر الهدى على الضلالة، فيهديه لذلك ويوفقه ويسدده. *والله المستعان*.

﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا**، قد وصفنا أن هذا من غاية بخلهم.[8] و[في] قوله: **حتى ينفضوا**، دلالة أنهم أرادوا إطفاءَ هذا النورِ وإخفاءه فأبى الله تعالى إلا إظهاره.

وقوله عز وجل: **ولله خزائن السماوات والأرض**، يبسطها على المنافقين ليمتحنهم بالإنفاق على المؤمنين. أو **لله خزائن السماوات والأرض**، يُضيِّقها على المؤمنين ليمتحنهم بالصبر في حال الضيق. أو يجوز أن يكون هذا بِشارةً للمؤمنين بأن الله تعالى يوسّع عليهم الدنيا بعد ما ضاقت، وقد جعل حيث فتح لهم الفتوح وآتاهم النصر والغلبة على أعدائهم. *والله أعلم*.

---

[1] جميع النسخ: لفسقهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣١و.
[2] ر – أي.
[3] جميع النسخ: لضلالته. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] ن: الضلال.
[5] م: من عباد.
[6] ر ث م – سوى هداية.
[7] ن: مشية.
[8] ث: تخلفهم.

﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل**. الأعز قد يحتمل معاني. أحدها الأغلب والأقهر، على مثال قوله: وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ،[١] أي غلبني في الخصومة. والثاني الأقوى والأشد، على مثال قوله عز وجل: أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ،[٢] يعني أقوياء وأشداء. والثالث الأعلى والأجلّ، وكذلك قوله: **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**. فإن كان على الأعلى والأجل فذلك أن المؤمنين أعلى وأجل لأنهم اتبعوا الحكمة بالحجج والكفارَ اتبعوا أهواءهم. وإن كان على الأغلب والأقهر فذلك للمؤمنين بالغلبة والنصرة على أعدائهم. وإن كان[٣] على القوة والشدة فقد كان ذلك للمؤمنين، لأنه لو لم يوجد ذلك للمؤمنين[٤] لم يكن أهل النفاق يُظهرون الوفاق للمؤمنين. ولكنهم لما رأوا القوة والشدة للمؤمنين مرة وللكفار أخرى أظهروا الموافقة للفريقين جميعا. ولذلك قال / ذلك المنافق: **لَيُخرِجَنَّ الأعز منها الأذل**، [٨٠٩ظ] لأنه لما رأى العزة والشدة للكافرين يوم أُحُدٍ توهم أنهم يغلبونهم أبدا فأظهر النفاق وقال عند ذلك: **ليخرجن الأعز منها الأذل**. *والله أعلم*.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله**، اختلف[٥] فيه. فمنهم من قال: هذه الآية في المنافقين، ومنهم من قال: في المؤمنين. فإن كانت[٦] في المنافقين فكأنه يقول: يا أيها الذين أظهرتم بلسانكم الإيمان لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم[٧] عن ذكر الله، وإن كانت[٨] في المؤمنين فكأنه قال: يا أيها الذين حققوا الإيمان لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله.

---

[١] سورة ص، ٣٨/٢٣.
[٢] سورة المائدة، ٥/٥٤.
[٣] ن: وإن كانوا.
[٤] ث - لأنه لو لم يوجد ذلك للمؤمنين.
[٥] ر م: واختلف.
[٦] ن: وإن كانت.
[٧] ن ث - ولا أولادكم.
[٨] ر ث م: وإن كان.

ثم اختلفوا في معنى الذكر. فمنهم من قال: معناه القرآن على مثال قوله: قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا،[1] يعني قرآنا ورسولا، ومنهم من قال: معنى الذكر التوحيد. فإن كان تأويله القرآنَ فهو يتوجه إلى المنافقين والمؤمنين جميعا. فإن كان في المنافقين فكأنه قال: لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن النظر والتأمل في القرآن، لأن الله تعالى بين في القرآن[2] أمورا تُظهر[3] سرائرهم، وما يُظهر[4] عندهم [ف]إن الرسول لا يختلقه من تلقاء نفسه وإنه إنما يقوله بالوحي. فكأنه يقول: إذا تأملتم النظر في القرآن حملكم ذلك على التحقيق في الإيمان؛ فلا يَحملْكم حب المال والولد على ترك التأمل في القرآن لأنكم إذا نظرتم فيه وتأملتم حصلتم منه على تحقيق الإيمان. *والله أعلم*. وإن كان في المؤمنين فمعناه أنْ لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن النظر في القرآن فإنكم إذا نظرتم فيه صرتم من أهله وجَلّ قدركم. وإن كان المراد من الذكر التوحيدَ فهو راجع إلى الناس كافة.

فأما المؤمنون فكأنه حذرهم عن حب المال والولد أن تحملهم[5] غاية حبهما[6] على أن يَنْسَوا وحدانية الله والإيمانَ بالرسل والبعث. فكأنه يقول: لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم كما ألهى الكفرة، فيحذّرهم عن أن يقعوا في الهلاك من حبهما،[7] كما قال: اِتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ،[8] يعني اتقوا[9] [السبب][10] الذي يُفضي بكم إلى النار المُعَدّة للكافرين، فكذلك الأول. وإن كان في المنافقين فكأنه قال: لا يحملْكم حب المال والولد أن تتركوا[11] حقيقة الإيمان به والتوحيد له[12] والطاعةَ لرسوله صلى الله عليه وسلم.

---

[1] سورة الطلاق، ٦٥/١٠-١١.
[2] ر ث م – في القرآن.
[3] جميع النسخ: يظهر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣١ظ.
[4] ر م: ما يظهر.
[5] جميع النسخ: أن يحملهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ر م: حبها.
[7] جميع النسخ: من حبه.
[8] سورة آل عمران، ٣/١٣١.
[9] ن + النار.
[10] الزيادة من المرجع السابق.
[11] جميع النسخ: أن يتركوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ر م: الإيمان والتوحيد له.

وقوله عز وجل: **ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون**، فعلى ما ذكرنا من التأويلين في إنكار البعث والتوحيد ظاهر، وإن كان في المؤمنين فمعنى الخسار هو[1] الخوف من أن يقع به الوعيد.

﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[١٠]

وقوله: **وأنفقوا مما رزقناكم**، يجوز أن يكون صلة قوله: لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ،[2] فيمنعكم ذلك عن الإنفاق؛ فإنكم إذ امتنعتم عن الإنفاق ازداد حبكم فتنسَون[3] وحدانية الله تعالى وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام.

وقوله عز وجل: **لولا أخرتني إلى أجل قريب**، قال بعضهم: تمنَّى الرَّجْعَة لما رأى من الهلاك والعذاب حيث ترك[4] الحقوق. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما[5] أنه قال: لو كان ثمة[6] خير لم يَتمنَّ الكَرَّة.[7] ولكن المعنى في ذلك عندنا -والله أعلم- أنه يتمنى الرجوع ليتصدق ليس للإنفاق[8] خاصة ولكن ليتصدق وليكون من الصالحين أي الموحدين.[9] وذلك مستقيم أن يقال إذا ترك التوحيد فنزل به الموت: إنه يتمنى الرجوع لما يرى[10] من الهلاك والعقوبة. ويجوز أن يكون المعنى في هذا إن كانت الآية في المؤمنين الموحدين أنهم يتمنون الرجوع حياءً[11] من ربهم لما ارتكبوا من الزلات وتركوا ما يستوجبون[12] به الحسنات، وقصّروا فيما فرض[13] الله تعالى عليهم من العبادات. وحق على كل مؤمن أن يستحيي من ربه إذا لقيه بما ترك من حقوقه التي ألزمها عليه والأسباب الواجبة.

---

[1] ر م + هو.
[2] الآية السابقة.
[3] ر ث م: فيثبتون؛ ن: فينسون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣١ظ.
[4] ر ث م: تركوا.
[5] ر ن م: عنه.
[6] ر ن م: ثم؛ ث: ثمه.
[7] ر م: الكفرة؛ ن: الكره. الكرة: الرجوع. انظر: *البحر المحيط* لأبي حيان، ٢٧٤/٨.
[8] جميع النسخ: الإنفاق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣١ظ.
[9] ر: ولتكون من الصالحين أي الموحدين؛ ن ث: ولتكون من الصالحين أي من الموحدين.
[10] ن: لما ترى.
[11] ر ث م: حيا.
[12] ر ن م: ما يستوجبوا.
[13] ن ث: أفرض.

﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[١١]

وقوله: **ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها**، الآية،[١] ليس يحتمل تأخيرَ الله تعالى أجله إذا جاء، لأنه لو أخره دل أنه بدا له في أجله، ومن بدا له في أمر فذلك دليل الجهل بالعواقب ولا يوصف رب العالمين[٢] بذلك. وقوله عز وجل: **والله خبير بما تعملون**، أي لا يخفى عليه شيء من أعمالكم: سرِّكم وعلانيتكم. والله أعلم بحقيقة ما أراد ومنه التوفيق.[٣]

---

[١] ن – الآية.

[٢] ث + جل جلاله.

[٣] ر – ومنه التوفيق؛ ن – بحقيقة ما أراد ومنه التوفيق؛ ث: والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة ما أراد.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة التغابن[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [١]

قوله عز وجل:[2] **يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض،**[3] الآية. والتسبيح يحتمل أوجها ثلاثة وقد سبق ذكره.[4] وقوله: **له الملك وله الحمد**، يحتمل وجهين. أحدهما[5] يحتمل الملك الولاية والسلطان. والثاني يقول: **له الملك**، يعني ملك كل الملوك، كما قال في آية أخرى: قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ،[6] الآية، فأخبر أن ملك الملوك كلّها له، وأن من استفاد الملك إنما يستفيده بالله تعالى وبامتنانه عليه. ***والله أعلم***. وقوله: **وله الحمد**، يحتمل أوجها ثلاثة من التأويل. أحدها أن يقول: **له الحمد**، يعني له / الثناء الحسن بصفاته العُلَى وأسمائه[7] الحسنى. والوجه الثاني أن يقول: [٨١٠و] **له الحمد**، يعني حمدُ كل مَن يَحمد فحقيقة ذلك الحمد له بما أحسن إلى عباده[8] وأنعم عليهم

---

[1] ر - سورة التغابن؛ ن م + وهي مدنية؛ ث + وهي ثمان عشرة آيات مدنية.

[2] ر: وقوله عز وجل.

[3] ر ث م - وما في الأرض.

[4] انظر: تفسير الآية ١ من سورة الجمعة.

[5] ر ث م - أحدهما.

[6] سورة آل عمران، ٣/٢٦.

[7] جميع النسخ: وسماته. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٢و.

[8] ن: إلى عبادة.

وذلك معنى قوله: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ،[1] أي الحمد والثناء الحَسَن لله تعالى على إحسانه إلينا[2] وإنعامه علينا. والثالث أن يُجعَل معنى الحمد معنى الشكر لأن الحمد قد يستعمل في موضع الشكر.

وقوله عز وجل: **وهو على كل شيء قدير**، يحتمل أن يكون معناه وهو على كل شيء أراده[3] قدير. وهو حجة على المعتزلة لأن الله تعالى لا يزال يمدح نفسه بأنه بصير عليم،[4] وأنه على كل شيء قدير، وأقرت المعتزلة بأنه بصير عليم،[5] وأبت عن الإقرار بأنه قدير على أفعال[6] العباد أو على إصلاح أحد من العباد، وهذا خلاف ما مدح الله تعالى به نفسه.[7] *والله الموفق*.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن**، يحتمل أن يكون تأويله: فمنكم من يدين بدين الكفر ومنكم من يدين[8] بدين الإيمان؛[9] ودل هذا على أن المعصية والطاعة يجتمعان في دين واحد وأن المعصية لا تخرجه[10] من دينه، لأن المعصية[11] لم يرتكبها تدينا بها ولكن لغلبة شهوة أو غضب عليه. وأما الكفر والإيمان فإنه يأتي بهما المرء اختيارا، ويتدين بالكفر والإيمان لما عنده أنه حق.

وفي هذه[12] الآية دلالة أن ليس بين الكفر والإيمان منزلة ثالثة، وليس كما قالت المعتزلة: إن صاحب الكبيرة بين منزلتين من[13] الكفر والإيمان، والله تعالى قَسَم الناس صنفين فمنهم من خلقه كافرا ومنهم من خلقه مؤمنا، ولم يجعل فيما بينهما منزلة ثالثة، فلا يجب أن يُجعل. *والله الموفق*.

---

[1] سورة الفاتحة، ١/١.
[2] ن: الثناء.
[3] ر م - أراده.
[4] م + عليم.
[5] ن - وأنه على كل شيء قدير وأقرت المعتزلة بأنه بصير عليم، صح هـ.
[6] ر م: فعل.
[7] ر ث م: ما مدح الله تعالى نفسه به.
[8] ن: تدين.
[9] ن: الإسلام.
[10] جميع النسخ: لا يخرجه. وفي *الشرح*: لا تخرج، ورقة ٢٣٢و.
[11] م - المعصية.
[12] ر: وفي هذا.
[13] جميع النسخ: بين. والتصحيح من المرجع السابق.

وفيها[١] أيضا وجه لطيف سوى ما ذكرنا، وهو أن كل أحد في الدنيا مؤمن وكافر في الحقيقة، لأن من كان مؤمنا بالله فهو كافر بالطاغوت ومن كان كافرا بالله فهو مؤمن بالطاغوت، وإذا[٢] كان كذلك وجب[٣] أن يُستبحث عن معنى قوله: **فمنكم كافر ومنكم مؤمن**. ومعناه عندنا أن الحقيقة وإن كانت كذلك[٤] فالإيمان إذا ذُكر[٥] مطلقا لم يفهم منه إلا[٦] الإيمان بالله تعالى، والكفر إذا أطلق أيضا لم يفهم منه إلا الكفرُ بالله تعالى. وإذا كان كذلك جاز أن يكون لفظ الكتاب خارجا على ما عليه المعهود من المتعارف المعتاد. ***والله أعلم.***

وقوله: **والله بما تعملون بصير**، في الأزل بما يعمله العباد وأنه ليس كما قال بعض الناس أنْ لا يعلمُ فعل العبد إلا وقت فعله، واحتجوا في ذلك أنا لو قلنا: إن الله تعالى[٧] بصير في الأزل بما يفعله لكان قولا بما لا يستقيم في المعقول. ألا ترى أنا لا نرى في الشاهد من يبني[٨] بناء يعلم أنه يضره، أو يشتري عبدا يعلم أنه[٩] يعاديه، فكذا لا يستقيم أن يقال: إن الله تعالى[١٠] خلق عبدا قد كان[١١] يعلم من قبلُ أنه إذا خلقه عاداه.

والجواب عن هذا أن هذا[١٢] الذي وصفه غير مستقيم في الشاهد، لأن منافع ما يفعله العباد ومضارهم ترجع[١٣] إلى أنفسهم وليس من العقل أن يفعل المرء فعلا يعلم أنه يضره. وأما رب العالمين فإنه لا يرجع شيء من المنافع والمضار إليه، فجاز أن يخلق خلقا يعلم أنه يختار عداوته لِيَظْهر عند الخلق أنه لا يرجع شيء من المنافع والمضار إليه[١٤] بعد أن يكون في الحكمة ذلك. ***والله أعلم.***[١٥]

[١] جميع النسخ: وفيه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٢و.
[٢] ر ث م: فإذا.
[٣] ر م: وجبت.
[٤] ر ن ث: لذلك.
[٥] ن: إذا ذكره.
[٦] ر م: لم يفهم منه الإيمان.
[٧] ث – إن الله تعالى.
[٨] ر م: من بني؛ ث: من بنا.
[٩] م: أو يشتري غلاما أنه.
[١٠] ر م: أنه تعالى.
[١١] ر م: عبدا كان.
[١٢] ر ث م – أن هذا.
[١٣] جميع النسخ: يرجع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٢ظ.
[١٤] ث – فجاز أن يخلق خلقا يعلم أنه يختار عداوته ليظهر عند الخلق أنه لا يرجع شيء من المنافع والمضار إليه.
[١٥] ر: الله أعلم.

ثم في قوله: **والله بما تعملون بصير**، و عَلِيمٌ،[1] و وَكِيلٌ،[2] وحَفِيظٌ،[3] إلزام المراقبة والتحفظ والتيقظ وبيان الترغيب والترهيب، لأنه إذا علم المرء أن عليه في كل ما يفعله رقيبا يتيقظ[4] و لم يفعل إلا ما يرضى به ربه. *والله المستعان*.

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **خلق السماوات والأرض بالحق**، قد وصفنا أن الحق إذا جرى ذكره يُصْرَف[5] في كل شيء إلى ما هو أليق به، فإذا ذكر في الأخبار أريد به[6] الصدق، وإذا[7] ذكر في الأحكام أريد به العدل، وإذا ذكر في الأقوال أريد به الإصابة. فلما قال: **بالحق**، هاهنا فكأنه أراد به الحكمة، كأنه يقول: خلق السماوات والأرض بالحكمة. وقال بعضهم: **بالحق**، يعني للحق وهو البعث، فكأنهم عنوا به أن الله تعالى لم يخلقها عبثا بل خلق للعباد.[8]

وقوله عز وجل: **وصوّركم فأحسن صوركم وإليه المصير**، يحتمل هذا وجهين. أحدهما أحسن أي أتقن وأحكم. ومعنى ذلك أن الله تعالى خص صُوَر بني آدم في الاستدلال بوحدانيته وربوبيته في أن جعل في أنفسهم حقيقة المعرفة والاستدلال بأنفسهم على وحدانية الله[9] تعالى. وأما غيرهم من الصور فإنما يقع الاستدلال لغيرها بها، ليس لنفس تلك الصور حقيقة المعرفة والاستدلالُ بوحدانية الله تعالى. ولذلك كان خلْق صور بني آدم أتقن وأحكم.[10] *والله أعلم*.

والثاني أن يصرف الحُسْن إلى حسن المنظر، ومعنى ذلك أن الله تعالى خلق بني آدم على صورة لا يَوَدّون[11] أن يكون صورتهم مثل صورة غيرهم من الخلائق، فثبت أن صورتهم في [٨١٠ظ] المنظر أحسن / صورةً. فذلك معنى قوله تعالى: **وصوركم فأحسن صوركم**. *والله أعلم*.

---

[1] سورة البقرة، ٢/٢٨٣؛ وسورة النور، ٢٤/٢٨.
[2] سورة الأنعام، ٦/١٠٢؛ وسورة الزمر، ٣٩/٦٢.
[3] سورة سبأ، ٣٤/٢١.
[4] ر م رقيب متيقظ؛ ث: متيقظ.
[5] جميع النسخ: تصرف.
[6] ر م – به.
[7] ث + أريد به.
[8] فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآياتٍ لقوم يتفكرون﴾ (سورة الجاثية، ٤٥/١٣).
[9] ر ث م: وحدانيته.
[10] ث: أحكم.
[11] جميع النسخ: لا يودوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٢ظ.

وقوله:[١] **وإليه المصير**، يعني البعث، وأضاف ذلك إلى نفسه لأنه هو النهاية[٢] والمقصود في خلقهم.[٣] ولما لم يَفهَم أحد من[٤] قوله: **وإليه المصير**، معنى الانتقال والتحول من مكان إلى مكان من حيث أنه يضاف إلى الله تعالى، لأن هذا فعل يكون باثنين فإن من صار إلى شيء صار ذلك إليه مثلَ الملاقاة[٥] والإتيان ونحو ذلك، فلما لم يَفهم منه الانتقال لم ينبغ[٦] أن يفهم من قوله: وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا،[٧] معنى الانتقال. ***والله أعلم***.

﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **يعلم ما في السماوات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون**، في إخباره عن علمه بذلك كلِّه إيجابُ المراقبة والتيقظ والتبصر والمحافظةِ على ما أمره الله تعالى ونهاه. وفي هذا إخبار أن الله تعالى مطلّع على ما تُضمرون[٨] محصٍ[٩] عليكم جميع ما تظهرون[١٠] فاحذروا أن ترتكبوا[١١] ما فيه سخطه في الحالين جميعا. ***والله المستعان***. وقوله عز وجل: **بذات الصدور**، قال أهل التفسير: أي بما في الصدور، ويحتمل أن يكون المراد منه بالأنفس[١٢] التي لها الصدور، وكل من كان ذا فكرة وتدبير فإنه يسمى ذات الصدر.[١٣] ومعناه أن التدبير إنما يصدر عن ذلك الموضع ويرجع إليه، وكان[١٤] بنو[١٥] آدم خُصّوا بهذا المعنى فلذلك[١٦] ذُكر هذا فيهم. ***والله أعلم***.

---

[١] ن: قوله.
[٢] جميع النسخ: هو الهداية. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٢ظ.
[٣] ر م: وفي خلقهم.
[٤] ن + خلقه، مشطوب.
[٥] ر م: الملاقات.
[٦] جميع النسخ: لم ينبغي. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] سورة الفجر، ٢٢/٨٩.
[٨] جميع النسخ: يضمرون. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ر ث م: مخفي.
[١٠] جميع النسخ: يظهرون. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] جميع النسخ: أن يرتكبوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ن: الأنفس.
[١٣] جميع النسخ: ذات الصدور. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٤] ر ث م: وكل.
[١٥] ر ث: بنوا.
[١٦] ر م: فكذلك.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل**، فتأويله عندنا[١] -والله أعلم- أي قد أتاكم نبأ الذين كفروا من قبل[٢] وماذا نزل بهم حين كفروا وعاندوا. ومعنى ذلك أن الله تعالى قد حذرهم بما يكون في الآخرة من ألوان العذاب، فلم يتعظوا لما لم يكونوا يؤمنون[٣] بالبعث. فلما لم ينجع فيهم ذلك حذرهم بعقوبات تنزل[٤] بهم لو لم ينتهوا عما هم فيه من الطغيان. وقوله عز وجل: **فذاقوا وبال أمرهم**، أي شدة[٥] أمرهم. ويحتمل أن يكون عاقبة أمرهم. وقوله: **ولهم عذاب أليم**، فيه إخبار أن ما نزل بهم من العذاب في الدنيا لم يكفّر عنهم ذنب الكفر، وأن عذاب الدنيا إنما كان جزاء شرهم في الكفر، وأنه يعذبهم[٦] في الآخرة عذاب الكفر والشرك. *والله أعلم*.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[٦]

وقوله: **ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا**، فكأنه يريد بقوله: **ذلك**، أي تلك العقوبات التي نزلت بالأمم الماضية إنما كان سببها أن رسلهم كانت تأتيهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا، وكان قولهم: **أبشر يهدوننا**،[٧] تلقين إبليس حيث لقنهم مخالفة الرسول وتكذيبه وأنكم لو احتجتم إلى طاعته ففيكم من هو أعظم منه درجة وأكثر منزلة، فإذا لم تطيعوه فكيف تطيعون بشرا مثلكم؟ وهذا كله عناد وخطأ. وذلك أنهم قد كانوا يعبدون الأصنام تقليدا منهم البشر. ألا ترى إلى قوله: إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ.[٨] ومعلوم أنّ جعْل الأصنام معبودا يعبدونه بقول البشر تقليدا له أكثر[٩] وأعظم

[١] ر: عند.

[٢] ث - فتأويله عندنا والله أعلم أي قد أتاكم نبأ الذين كفروا من قبل.

[٣] ر م: تؤمنون.

[٤] جميع النسخ: ينزل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٣و.

[٥] ر م: سده.

[٦] ر م: لعذابهم؛ ن: لعذبهم.

[٧] ر - فكأنه يريد بقوله ذلك أي تلك العقوبات التي نزلت بالأمم الماضية إنما كان سببها أن رسلهم كانت تأتيهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا وكان قولهم أبشر يهدوننا.

[٨] سورة الزخرف، ٤٣/٢٣.

[٩] ر م: أكثره.

من تصديق البشر أنه رسول من عند الله عند قيام الدليل المعجز. فإذا استجازوا تقليد البشر في ذلك فكيف لا استجازوا تصديق الرسول فيما يدعوهم إلى توحيد الله وطاعته فيما يرجع إليهم من المنافع والمضار؟ ولكنهم كانوا قوما سفهاء فاتبعوا سفههم وعنادهم. ***والله أعلم***.

وكذلك قولهم: إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ،[1] وكيف يكون سحرا وقد أتاهم بآيات أعجزتهم وأعجزت السحرة أن يأتوا بمثلها؟ ولكنهم عاندوا ولم يجدوا حيلة سوى أن قالوا: إن هذا إلا سحر مبين.

وقوله: **فكفروا وتولَّوا واستغنى الله**، أي كفروا بالرسل، **وتولوا**، أعرضوا عن طاعته وطاعة[2] رسوله. وقوله: **واستغنى الله**، لم يسمع من أحد من المتكلمين يقول: "استغنى اللهُ" على الابتداء إلا ما ذكر في ظاهر هذه الآية. والقول في الاستغناء[3] فيما يريد به الإخبار جائز، نحو قولك: الله مستغن.[4] فأما أن تبتدئ فتقولَ:[5] "استغنى الله" فيما فيه شك وريب [ف]إنه لا يجوز البداية به. وقد غلط بعض المفسرين حيث قالوا: استغنى اللهُ بطاعة من أطاعه عن[6] معصية من عصاه، لأن الله تعالى لم يمتحن عباده بالطاعة والمعصية لمنافعَ يَأْمُلها، أو مضارَّ[7] يخشاها ويخافها، بل هو مستغن بذاته عن ذلك في الأزل. ***والله أعلم***. ويجوز أن يكون في هذا إضمار، يعني واستغنى الرسول عن طاعتهم بالله تعالى؛ أو يصرف الاستغناء إلى الإخبار عن ذاته أنه مستغن[8] بذاته في الأزل لا يمسه حاجة، وأنه لا يضره كفر من كفر، ولا ينفعه إيمان من آمن، بل إنما يحصل ذلك كله للممتحَن بهما. ***والله أعلم***.

وقوله: **والله غني حميد**، قد وصفنا معنى الغني. وأما الحميد يحتمل وجهين. أحدهما يعني المحمود، أي المستحق للحمد بذاته، إذ[9] يستحق [مِن][10] كل أحد الحمدَ على ما يُحسن إليه.

---

[1] انظر مثلا: سورة المائدة، ١١٠/٥؛ وسورة الأنعام، ٧/٦.

[2] ر م - وطاعة.

[3] ر م: استغناء.

[4] ر ن م: مستغنى.

[5] جميع النسخ: أن يبتدئ فيقول. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٣و.

[6] ن: غير.

[7] جميع النسخ: تأملها أو مضرة. والتصحيح من المرجع السابق.

[8] جميع النسخ: مستغنى.

[9] ر م: أي؛ ن: إذ قد.

[10] الزيادة من المرجع السابق.

أو يحتمل[1] معنى الحميد على معنى الحامد. ووجه ذلك أن الله تعالى يَحْمَد محاسن الخلق وآثار أفعالهم، وأن حقيقة تلك / الأفعال من جهة التوفيق والتسديد إنما كانت به[2] وذلك غاية الكرم.[3] [٨١١و]

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ [٧]

وقوله عز وجل: **زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن**، قوله: **قل بلى وربي**، يحتمل وجهين. أحدهما أنه يجوز أن يكون هذا تعليما لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلّمه القسمَ تأكيدا لما كان يخبر[4] عن البعث، وكذلك جميع ما ذكر من القسم في القرآن يجوز أن يكون على هذا المعنى، لأن القسم إنما هو لنفي تهمة تمكّنت، والله تعالى لا يُتّهم في خبره، والرسولُ هو الذي كانوا يتهمونه فيما يخبر لما[5] لم يثبت عندهم رسالته لعدم تأملهم في دلائله. فعلّمه القسم تأكيدا لما يخبر ونفيا للتهمة عما يقوله. ***والله أعلم***. ويجوز أن يكون هذا قسما مقابلا لما أقسم به الكفرة في أمر البعث. ألا ترى إلى قوله تعالى: وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا.[6]

وقوله عز وجل: **وذلك على الله يسير**، يحتمل وجهين. أحدهما أن أَمْر البعث على الله يسير[7] هين، لأنهم أنكروا البعث بعد ما صاروا ترابا، وأخبر أن بعثهم وإعادتهم أهون في عقولهم من إنشائهم[8] ولم يكونوا شيئا [فإذ لم ينكروا قدرته على إنشائهم حيث لم يكونوا شيئا][9] فكيف أنكروا قدرته على إعادتهم[10] بعد أن صاروا ترابا، فأخبر جل وعلا أن ذلك على الله يسير.

---

[1] ر: أو تحمل؛ ن: أو يحمل.
[2] ر – به.
[3] ر م – الكرم.
[4] م + يخبر.
[5] ن: فيما.
[6] سورة النحل، ٣٨/١٦.
[7] ن – يحتمل وجهين أحدهما أن أمر البعث على الله يسير.
[8] جميع النسخ: من أنسابهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٣ظ.
[9] الزيادة من المرجع السابق.
[10] ر ث م – أهون في عقولهم من إنشائهم و لم يكونوا شيئا فكيف أنكروا قدرته على إعادتهم.

والوجه الثاني من التأويل أن تذكير[1] ما عملوا من خير أو شر، وأحصاءه عليهم كلَّ سر وعلانية وكلَّ صغير وكبير ليعاينوا ذلك في كتبهم ويعلموا بحقيقتها[2] على الله يسير.

﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[٨]

وقوله[3] عز وجل: **فآمنوا بالله ورسوله**، يجوز أن يكون هذا صلة ما تقدم؛ وذلك أن الله تعالى ذكر ما نزل من العقوبة بالأمم الماضية، وأن ذلك إنما نزل بهم لكفرهم بالله تعالى وتكذيبهم الرسل، فآمنوا أنتم[4] بالله ورسوله لأن لا ينزل بكم ما نزل بهم من البأس والعقوبة. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **والنور الذي أنزلنا**، النور هو القرآن، ويجوز أن يكون سماه نورا لأنه يبصر به حقيقة المذاهب في الطاعة والمعصية والإحسان والإساءة والإيمان والكفر، كما يبصر بنور النهار حقيقة الأشياء من جَيّدها ورَديّها كذلك يبصر بهذا منافع الطاعة ومضار المعصية فسُمّي نورا من هذا الوجه. ***والله أعلم***.

وقوله: **والله بما تعملون خبير**، أي إن الله خبير بما تسرون وما تعلنون، فراقبوه وحافظوه في الحالين جميعا. وفي هذا بيان أن الله تعالى عالم بما يعمله[5] العباد في الأزل وبما[6] يكون منهم، وأنه ليس كما وصفه بعض الجهال. ***والله المستعان***.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٩]

وقوله: **يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن**، ذلك اليوم[7] في الحقيقة يوم جمع وتفريق[8] وهو أيضا في الحقيقة يوم تغابن وترابح وإن ذَكَر أحدَهما، دليل[9] ذلك ما ذكر في غيرها[10] من الآيات.

---

[1] جميع النسخ: أن يذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٣ظ.
[2] ر ث م: تحقيقها.
[3] ن: ووقوله.
[4] ن – أنتم.
[5] ر م: يعلمه.
[6] ر م: ربما.
[7] ر ث م – ذلك اليوم.
[8] ر م: والفريق؛ ن: والفرق؛ ث: يوم الجمع والتفريق. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ر م – دليل.
[10] ر م: في غير آي.

ألا ترى إلى قوله تعالى: فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ،[1] وإلى ما ذَكَر في عقيب قوله: **ذلك يوم التغابن**، من قوله: **ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار**، وهذا هو معنى الترابح، ولكنه جل ثناؤه يجوز أن يكون اكتفى بذكر أحدهما عن الآخر. ثم الغبن يذكر في التجارات.

والأصل في ذلك عندنا أن كل سليم طَبْعُه لا يخلو[2] مِن عمل، وعمله لا يخلو[3] من إحدى ثلاثة أوجه: إما أن يكون في مباح، أو أمر، أو نهي. ومعلوم أن من استعمل المباح فهو يستعين به في إقامة الأمر، إذ لا بد من البقاء لإقامة الأمر وذلك باستعمال المباح والاشتغال بأسبابه، فكأنه[4] في إقامة ذلك الأمر. فحقيقته يرجع إلى أن الأعمال في الحقيقة ينصرف إلى نوعين: إلى أمر ونهي. ومعلوم أن من كان في أمر فهو تارك لما نُهي عنه ومن كان في نهي فهو تارك لما أمر به. والتجارة في الحقيقة هو أن يأخذ شيئا بترك شيء آخر، وإذا تحقق معنى التجارة في أعمال بني آدم أطلق لها لفظ التجارة.

{قال:} والدنيا لها ثلاثة أسماء: المتجر والمزرع والمسلك.[5] وقد وصفنا معنى التجارة.[6] وأما معنى المزرع فلأجل[7] أن كل من يعمل في الدنيا فإنما يعمل لعاقبة،[8] ولا بد أن تكون[9] عاقبته خيرا أو شرا. فكل من كانت[10] عاقبته الخير فهو زارع للخير ومن كانت عاقبته[11] الشر فهو زارع للشر. *والله أعلم*. وأما معنى المسلك والطريق فلأجل أن الخلق لم يخلقوا في هذه الدنيا لِيَقِرّوا فيها، وإنما خلقوا لأحد أمرين: إما للثواب أو للعقاب.[12] فكل من عمل عملا

---

[1] سورة الشورى، ٤٢/٧.

[2] ر م: لا يخلوا.

[3] ر م: لا يخلوا؛ ث – من عمل وعمله لا يخلو.

[4] ن – فكأنه. فكأنه: أي كأن المباح.

[5] ث – قال والدنيا لها ثلاثة أسماء المتجر والمزرع والمسلك.

[6] ث – وقد وصفنا معنى التجارة.

[7] جميع النسخ: ولأجل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٣ظ.

[8] ر م: العاقبة.

[9] جميع النسخ: أن يكون.

[10] ن: من كان.

[11] ر: عاقبة.

[12] ن: أو العقاب.

يفضي به إلى الثواب والجنة فكأنه يسلك طريق الجنة، وكل من عمل[1] عملا يفضي به[2] إلى النار فكأنه يسلك طريق النار، فلذلك سميت[3] مسلكا وطريقا. *والله أعلم*.[4]

ثم التغابن عندنا يجوز أن يكون معناه أن أهل الكفر يُغْبَنون في أهليهم[5] وأموالهم في الآخرة، لأنهم كانوا يتعاونون بهم في الدنيا فحسبوا أنهم يكونون كذلك في الآخرة. فإذا لم يجدوا وصار[6] بعضهم يلعن بعضا، غُبنوا ما كانوا يأمُلونه[7] / منهم. وقال بعضهم: إن [٨١١ظ] لكل كافر في الجنة قصرا وبيتا وأهلا، فإذا صاروا إلى النار ورث المؤمن أهله وقصره الذي كان له في الجنة فهذا هو التغابن. ولكن هذا غير صحيح عندنا، لأنه لا يحتمل أن يَبْنِيَ الله تعالى للكافر في الجنة بيتا مع علمه أنه لا يأتيه، لأن هذا فعل من لا يعلم العواقب ومن هو عابث في فعله، جل الله تعالى عن مثل هذا الوصف. إلا أن يُحمل على الوعد إن ثبت الخبر[8] أي إن[9] أسلم[10] الكافر كان له ذلك المنزل في الجنة، وإن ارتد المسلم عن الإسلام كان له ذلك المنزل في النار وهو عالمٌ أن عاقبة أمره ماذا: الكفر أو الإسلام وأن مأواه النار أو الجنة[11] وحكمه على ما علم وأراد. ولكن[12] الله تعالى عالم بما كان وما يكون وبما لا يكون أن لو كان كيف يكون فأخبر على[13] ذلك وإلا لم يصحَّ لما ذكرنا من المعنى.[14] *والله الموفق*.

---

[1] ر - عمل.
[2] ن - به.
[3] جميع النسخ: سمي.
[4] ث - والله أعلم.
[5] ر ث م: في أهلهم.
[6] ر ن م: وصاروا؛ ث: وصاروا يحنث. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٤و.
[7] ر م: يأملون.
[8] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما منكم من أحد إلا له منزلان: منزل في الجنة، ومنزل في النار. فإذا مات، فدخل النار ورِثَ أهل الجنة منزلَه» سنن *ابن ماجة*، الزهد ٣٩.
[9] ر: إيمان.
[10] ن + له ذلك.
[11] ر م: والجنة.
[12] ن ث: لكان.
[13] ث + علي.
[14] ن - من المعنى.

ويحتمل أنه إنما سماه يوم التغابن لأن الدنيا جعلت أسواقا والأحوالُ التي تكون[1] لهم رءوسَ الأموال، والأعمال التي يعملون فيها ويكتسبون تجارةً، قال الله تعالى: هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، ثم قال: تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ،[2] الآية، وقال في آية أخرى: إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ،[3] الآية، وقال: اِشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى،[4] وقال: أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ.[5] فإذا كانت الدنيا متجرة، فالآخرة[6] هي التي تقسم[7] فيها الأرباح، وفي ذلك يقع الربح والخسران ويظهر الغبن والفضل والنقصان والزيادة. *والله أعلم.*

أو سماه يوم التغابن لما يظهر لهم في ذلك أنهم خسِروا أو رَبِحوا ولا يظهر لهم[8] ذلك في الدنيا. ثم بيّن العمل الذي يُربَح[9] عليه والعمل الذي يُخسَر به والتجارة التي يوصل بها إلى الأرباح والتي يلحقهم[10] بها الخسرانُ، وهو ما قال: **ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفِّر عنه سيئاته ويُدخله جنات تجري من تحتها الأنهار**، الآية، وقال: وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا،[11] الآية.[12]

ثم قوله عز وجل: **ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا**، يعني ومن يؤمن بالله على ما جاءت به الرسل جملة وأن له الخلق والأمرَ ويؤمن بالرسل والبعث فذلك[13] هو الإيمان بالله تعالى. وقوله: **ويَعْمَلْ صالحا**، أي[14] ومن يؤمن بالله ويعملْ في إيمانه صالحا إلى أن يموت.

[1] جميع النسخ: يكون.
[2] سورة الصف، ٦١/١٠-١١.
[3] سورة التوبة، ٩/١١١.
[4] سورة البقرة، ٢/١٦، ١٧٥.
[5] سورة البقرة، ٢/٨٦.
[6] جميع النسخ: والآخرة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٤و.
[7] جميع النسخ: يقسم.
[8] م – لهم.
[9] ر م: ربح.
[10] جميع النسخ: يلحق. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] الآية التالية.
[12] ث – وقال والذين كفروا وكذبوا بآياتنا الآية.
[13] ن – ذلك.
[14] ر ث م: يعني.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[١٠]

وقوله: **والذين كفروا وكذبوا بآياتنا**، يعني كفروا بوحدانية الله تعالى وبقدرته وكذبوا بآياته أي بحججه أو كذبوا بالبعث، **أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير**.

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله**، قال بعضهم: **بإذن الله**، يعني بأمر الله، وهو قول الحسن،[1] وقال بعضهم: **بإذن الله**، يعني بعلم الله، وقال بعضهم: **بإذن الله**، يعني بمشيئة الله، ولكل من ذلك وجه.

فأما من قال بأمر الله[2] فمعناه وحجته أن هذه المصائب كلها عقوبات. ألا ترى إلى قوله: وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ.[3] ومعلوم أن جزاء[4] ما كسبت يده عقوبة له، والتعذيب والعقوبة إنما يكون[5] بأمر الله فلذلك قال: معنى قوله: **بإذن الله**، أي بأمر الله. لكنْ[6] عندنا هذا يرجع إلى ما يصيبهم من أيدي الخلق، كقوله تعالى: قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ،[7] وقوله: هَلْ تَرَبَّصُونَ -إلى قوله- أَنْ يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا،[8] ونحو ذلك، وهذه المصائب لا تحتمل[9] تأويل[10] الأمر من الله تعالى.

ومن قال بعلم الله فوجه ذلك أن هذه المصائب فيها إهلاك العبيد، وفي الشاهد أنه لا يحب أحد أن يعلم بما فيه هلاك عبيده وخَدَمِه. فأخبر عز وجل أن هذه المصائب -وإن كان فيها[11] هلاك عبيده- فإنما يكون ذلك بعلمه، وأن هلاكهم لا يضره[12] ولا يَنقص ملكه،

---

[1] *النكت والعيون* للماوردي، ٤٥٢/٢؛ و*مفاتيح الغيب* للرازي، ٢٥/٣٠.
[2] ن - بأمر الله.
[3] سورة الشورى، ٣٠/٤٢.
[4] ر ث م: أجزاء.
[5] ن: تكون.
[6] ر م: ولكن.
[7] سورة التوبة، ١٤/٩.
[8] ﴿قل هل تَرَبَّصون بنا إلا إحدى الحُسْنَيَيْنِ ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا﴾ (سورة التوبة، ٥٢/٩).
[9] جميع النسخ: لا يحتمل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٤و.
[10] ر ث م - تأويل.
[11] ر ث م: فيه.
[12] ن م: لا يضر.

لأن الله سبحانه وتعالى أنشأ[1] ما أنشأ من الخلائق لحاجة لهم ولمنفعة ترجع[2] إليهم ومضرة تلحقهم.[3] فحلول ما يحل بهم من المصائب لا يضره ولا ينفعه، لذلك كان على ما ذكر.

ومن قال بمشيئة الله وإرادته فوجه ذلك أن الله تعالى وعد وأوعد، ولا محالةَ يريد من عبيده ما يكون بوعيده عادلا وأن يضع وعده موضعه. وإذا كان كذلك ثبت أنه يريد من كل أحد ما يعلم أنه يكون منه؛ لأنه إذا خلق النار وأوعد عليها، فلو أراد[4] من كل منهم الطاعة لكان إذا أحرق بالنار أحرق من أراد منه الطاعة فدخل في حد الجور، ولو كان يريد من كل منهم المعصية لكان إذا أنجز وعده وأدخله الجنة كان يضع ثوابه غير موضعه، ويخرج به[5] عن حد الحكمة. وإذا كان كذلك ثبت أنه أراد من كل ما علم أنه يختاره ويكون منه ليخرج فعله على الحكمة.[6] *والله الموفق*.

ونحن نقول: قد ذكر[7] الله تعالى الإذن في مواضع مختلفة، ولكل من ذلك وجه غير وجه [٨١٢و] / صاحبه، فالواجب أن يُصرف معناه[8] في كل موضع إلى ما يليق به. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ومن يؤمنْ بالله يهدِ قلبَه**، قال أبو بكر [الأصمّ]: أي من آمن بما شاهد من التدبير يهديه الله تعالى لِيَعْلَم أن من دبر هذا التدبير هو الذي ابتلاه[9] بهذه المصيبة. ويجوز أن يكون تأويله على وجه آخر، وهو أن نقول:[10] من يؤمن بالله أن له الخلق والأمر يهد قلبه ليسكن ويَعلمَ أن الله أولى به فيسترجعَ عند ذلك. وذلك تأويل من قرأ: "يَهْدَأُ قلبُه"[11] أي يسكن، مِن الْهَدْء وهو السكون. *والله أعلم*. والثاني يحتمل أن يكون هذه الهداية، وإن خرجت على لفظ الإحداث، فليس على الإحداث. ولكن معناه إن إيمانه بالله تعالى

---

[1] ر م: إن شاء.

[2] جميع النسخ: يرجع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٤و.

[3] جميع النسخ: يلحقهم. والتصحيح من المرجع السابق.

[4] ن: ولو أراد.

[5] ر م – به.

[6] ر م: عن الحكمة.

[7] ر م: فذكر.

[8] ر ث م – معناه.

[9] ر م: ابتلاء.

[10] جميع النسخ: أن يقول. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٤ظ.

[11] قرأ عكرمة وعمرو بن دينار ومالك بن دينار وأبو بكر الصديق: ﴿يَهْدَأُ قَلْبُه﴾ بهمزة ساكنة من هدأ، أي سكن، و﴿قلبه﴾ مرفوع على الفاعلية. *المحتسب* لابن جني، ٣٧٩/٢؛ ومعجم *القراءات* لعبد اللطيف الخطيب، ٤٩١/٩.

إنما كان[١] بهداية[٢] منه لأنه لا يجوز أن يكون الإيمان متقدما والهداية متأخرة، ولكن حين هداه آمن بما هداه. وهذا على ما قال الله تعالى: اَللّٰهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ.[٣] فهذا خرج في الظاهر على لفظ الإحداث ولكنه في الحقيقة ليس عليه ولكن على معنى أنهم لما آمنوا أخرجهم بالإيمان عن الظلمات[٤] إلى النور بعد الإيمان فكذلك الأول. **والله أعلم**.

ويجوز أن يكون تأويله أن الله يهدي[٥] قلبه أي يتوب على قلبه عن الزلات عند الموت، على ما قال تعالى: وَيَتُوبَ اللّٰهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ.[٦] وقيل: فيه[٧] لغات أربع:[٨] **يَهدِ قلبَه**،[٩] بنصب الياء والباء جميعا، ويُهْدَ[١٠] قلبُه، برفع الياء والباء جميعا،[١١] ويَهد قلبُه بفتح الياء وضم الباء، أي يهتدي، ويَهْدأ[١٢] قلبُه، من السكون.[١٣]

وقوله عز وجل: **والله بكل شيء عليم**، الأصل في الأسماء المشتركة إذا أضيف شيء[١٤] منها إلى الله تعالى فحق التخصيص في الإضافة إليه أن يضاف بحق[١٥] الكليات ليكون فرقا بينه وبين العباد؛ فيقال: **والله بكل شيء عليم**، ويقال في الخلق: فلان عليم بكذا على الخصوص، وليعلم أن العبيد إنما يعملون[١٦] ما يعملون بعلمه، وكذلك هذا في قوله: وَاللّٰهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.[١٧]

---

[١] ن: يكون.
[٢] ر ث م: لهدايته.
[٣] سورة البقرة، ٢٥٧/٢.
[٤] ر م: من الظلمات.
[٥] ر م: يهد.
[٦] سورة الأحزاب، ٧٣/٣٣.
[٧] ر م: منه.
[٨] م: أربع لغات.
[٩] ر م – يهد قلبه.
[١٠] ر م: يهدي.
[١١] ر ث م – جميعا.
[١٢] ن ث: ويهدئ.
[١٣] انظر: معجم *القراءات* لعبد اللطيف الخطيب، ٤٩٠/٩-٤٩١.
[١٤] ر م: إلى شيء.
[١٥] ث – بحق.
[١٦] ث: إنما يعملو.
[١٧] انظر مثلا: سورة البقرة، ٢٨٤/٢؛ وسورة آل عمران، ٢٩/٣، ١٨٩.

وهذا على المعتزلة لأنهم يقولون: إن الله عز وجل ليس بقدير على كثير من الأشياء، فكأنهم أشركوا في اسم القدرة غيره لأنه لا أحد من الخلق إلا وله جزء من القدرة. فلو قلنا: إن الله تعالى يقدر على بعض ولا يقدر على بعض لسوّينا بينه وبين خلقه، وشبهناه بهم، وجل الله سبحانه وتعالى عن مثل هذا الوصف. *والله المستعان*.

﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول**، يعني أطيعوا الله فيما تعبّدكم وأطيعوا الرسول فيما أخبر عنه؛ أو أطيعوا[١] الله فيما أمركم وأطيعوا الرسول فيما دعاكم إليه. وهذا كله واحد إلا التعبد[٢] فإنه لا يجوز أن يضاف إلى الرسول، وما سواه من الألفاظ[٣] من الأمر والدعاء والإخبار فهو جائز أن يضاف إليه سبحانه وتعالى[٤] وإلى الرسول عليه السلام. وقوله عز وجل: **فإن توليتم**، يعني توليتم عن إجابة الرسول إلى ما دعاكم إليه وعن طاعته. وقوله: **فإنما على رسولنا البلاغ المبين**، فيه بيان أن تولّيَهم عن إجابته[٥] وكفرهم به لا يوجب تقصيرا في التبليغ.

﴿اَللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **الله لا إله إلا هو**، يجوز أن يكون هذا صلة ما تقدم من الآيات من قوله: لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،[٦] [وقوله]:[٧] وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ،[٨] [وقوله: وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ].[٩] ثم قال: **الله**، الذي له الأوصاف التي[١٠] تقدمت هو الذي **لا إله إلا هو**، أي لا معبود إلا هو، وأن معبودهم ليس يجوز أن يكون معبودا لتعرّيه عن هذه الأوصاف التي تقدم[١١] ذكرها. *والله أعلم*.

---

[١] ر: وأطيعوا.
[٢] ر ث م: إلا العبيد.
[٣] ث: وما سواه الألفاظ.
[٤] ن: أن يضاف إلى الله تعالى.
[٥] ر م: عن إجابتكم.
[٦] الآية ١ من هذه السورة.
[٧] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٣٤ظ.
[٨] الآية ٤ من هذه السورة.
[٩] جميع النسخ: وعليم. والزيادة من المرجع السابق. الآية ١١ من هذه السورة.
[١٠] ن: الذي.
[١١] جميع النسخ: تقدمت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٥و.

وقوله عز وجل:[١] **وعلى الله فليتوكل المؤمنون**، فيه بيان أن معتمَد المؤمنين على الله تعالى، وإن قلّت أعوانهم وأنصارهم، وأنهم ليسوا كالمنافقين والكفرة حيث تركوا اتباع المؤمنين لما رأوا من قلة الأتباع والأعوان لهم. وأخبر أن المؤمنين بخلاف تلك الصفة، وأن ثقتهم واعتمادهم على الله تعالى ليس على كثرة الأنصار. ***والله أعلم***.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم**، يحتمل أن يكون على تحقيق العداوة، ويحتمل أن يكون على فعل العداوة. فإن كان على تحقيق العداوة.[٢] فهو يحتمل وجهين. أحدهما عداوة ظاهرة وهي عداوة الكفر والشرك، وذلك أنه كان في ذلك الزمان يُسلم الرجل ويبقى ولده وزوجته على الكفر. فعلّمهم الله تعالى صحبة الأولاد[٣] والزوجات أنه إذا دَعَوكم إلى الكفر والشرك فاحذروهم أن تطيعوهم.[٤] **وإن تعفوا**، عن عقوبتهم على ما دعوكم إليه **وتغفروا فإن الله غفور رحيم**.

ثم ذكر الله تعالى في صحبة الأولاد والزوجات، إذا كانوا كفارا، العفو والصفح و لم يذكر ذلك في الوالدَيْن المشركين ولكنه أمره أن يصاحبهما في الدنيا معروفا بقوله: وَصَاحِبْهُمَا / فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا.[٥] فوجه ذلك عندنا -والله أعلم- أنه يجري سلطانه وغلبته وقهره على زوجته [٨١٢ظ] وولده، فأمره هاهنا بالعفو والصفح. وأما في الوالدين فليس يجري له عليهما السلطان والقهر والغلبة فلا معنى للأمر بالعفو والصفح عنهما، لكنه أمر أن يصاحبهما في الدنيا معروفا، وأن لا يطيعهما فيما أمراه من المنكر. ***والله أعلم***.

ويحتمل أن تكون[٦] هذه العداوة عداوة مستورة وهو عداوة النفاق، فكأنه قال: إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم وأنتم لا تشعرون [فاحذروهم أن يخونوكم في السر فيُهلكوكم،

---

[١] ن - وقوله عز وجل.

[٢] ر ث م - ويحتمل أن يكون على فعل العداوة فإن كان على تحقيق العداوة.

[٣] م: أولاده.

[٤] جميع النسخ: أن يطيعوهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٥و.

[٥] ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا﴾ (سورة لقمان، ١٥/٣١).

[٦] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من المرجع السابق.

لأن من أضمر عداوته لم يؤمن عليه في أكله وشربه وفي كل شيء من حالاته أن يُهلكه فقال: احذروا خيانتهم في السر فإنهم يهلكونكم وأنتم لا تشعرون].[1] وإن تعفوا عن جنايتهم ولم تؤذوهم عليها وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم. ألا ترى إلى ما حذر الله المؤمنين من أهل النفاق مع ما بهم[2] من الضعف والفشل، كما أخبر عز وجل عنهم بقوله: يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ،[3] فكذلك الأزواج والأولاد وإن كانوا تحت قهره وغلبته[4] أَمَره بالحذر عنهم. *والله أعلم*.

ويحتمل أن يكون على فعل[5] العداوة ليس أنهم أعداءٌ في الحقيقة. وذلك أنهم في المتعارف والمعتاد يدعون الآباء إلى البخل والمنع عن الإنفاق على غيرهم، ويشتد عليهم صنيع[6] أبيهم من الإحسان والبر في حق الناس ويكرهون ذلك، وهذا[7] في الظاهر فعل العدو. فيجوز أن يكون الله تعالى علّم صحبة[8] هؤلاء إن من أزواجكم وأولادكم من يُظهر فعل العداوة، فاحذروهم أن تمتنعوا[9] عن وجوه الإحسان والتبرع بقوله:[10] **وإن تعفوا**، عن صنيعهم بكم **وتغفروا فإن الله غفور رحيم**.

﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[١٥]

وقوله: **إنما أموالكم وأولادكم فتنة**، المفتون هو المولَع بالشيء العاشقُ له، فكأنه قال: إنما أموالكم وأولادكم معشوقكم، فلا يحملْكم حبهم على أن تتركوا[11] ابتغاء الأجر العظيم عند الله تعالى. ويحتمل أن يكون معناه أن[12] الله تعالى لم يخلق الأزواج والأولاد لكم مَجّانا، بل إنما خلقهم ليبتليكم ويمتحنكم أن كيف تعاملون الله تعالى فيما أمركم به ونهاكم عن حبهم.

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٣٥و.
[2] جميع النسخ: مع أنهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[3] سورة المنافقون، ٦٣/٤.
[4] ر ث م: وغلبة.
[5] ر: على فعلي.
[6] ر م: صنع.
[7] ر م – وهذا.
[8] ر: صحبته.
[9] جميع النسخ: أن يمتنعوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] جميع النسخ: بقولهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] جميع النسخ: أن يتركوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ن – أن.

ثم أخبر أن الله **عنده أجر عظيم**، ليتحملوا المئونة العظيمة في أوامره ونواهيه عند حبهم الأولاد والأموال. وهذا معنى ما قال بعضهم: إن الأزواج والأولاد كانوا يتعلقون بهم ويقولون: نُنْشدك بالله أن تَذَرَنا[1] وتُضيّعَنا، إذا أراد الرجل أن يهاجر إلى المدينة.[2] والأشبه أن لا يكون هذا لأن هذه الآية نزلت بالمدينة وأفعالهم هذه إنما كانت بمكة إلا أن يكونوا كتبوا إليهم بها. ***والله أعلم***.

﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **فاتقوا الله ما استطعتم**، قال بعضهم: نَسَخَت[3] هذه الآيةُ قوله تعالى: اِتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ،[4] حيث أمر هاهنا بالاتقاء على قدر الاستطاعة وثمة[5] خلافَهَ.[6] ولكن هذا لا يستقيم لأن قوله: اِتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ، لا يراد به الاتقاء فيما لا يستطيعون، لا فوقَ الطاقة والاستطاعة، لكنه إن كان فوجهه أن اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ، وإن هَلكتْ فيه طاقتكم، لأنه أمرهم بتقوى تهلك به طاقتهم على ما قال: وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ،[7] ولو كُتب عليهم أن يقتلوا أنفسهم جاز ولكنه تهلك طاقتهم فيه، فكذلك الأول. ثم قال: **فاتقوا الله ما استطعتم**، تخفيفا عليهم وتيسيرا. ***والله أعلم***.

ولكن الكلام في أن كيف قال: **فاتقوا الله ما استطعتم**، ولم نكن نَتَّقِي[8] لو لا هذه الآية إلا ما استطعنا؟ ولكن معناه -والله أعلم- على جهة البِشارة أنكم إذا قصدتم قصد التقوى آتاكم الله الاستطاعة في تقواه، وهو كقوله تعالى: وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا،[9] وقوله عز وجل: فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى.[10]

---

[1] ر م: يذرنا.

[2] قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: قال: لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم الناس بالهجرة إلى المدينة، فمنهم من يتعلق به أهله وولده، يقولون: ننشدك بالله أن لا تضيعنا. فيرق لهم فيقيم عليهم ويدع الهجرة، فأنزل الله عز وجل هذه الآية. (*تفسير البغوي*، ٣٢٤/٤؛ و*أسباب النزول* للواحدي، ٢٤٥).

[3] ن: نسخ.

[4] ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ (سورة آل عمران، ١٠٢/٣).

[5] ر ن م: وثم.

[6] جميع النسخ: بخلافه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٥ظ.

[7] ﴿... ما فعلوه إلا قليل منهم﴾ (سورة النساء، ٦٧/٤).

[8] رث م: و لم يكن يبقي؛ ن: ولم يكن يتقي. والتصحيح من المرجع السابق.

[9] سورة العنكبوت، ٦٩/٢٩.

[10] سورة الليل، ٩٢/٥-٧.

وهذه الآية على المعتزلة لأنهم يقولون: إن الاستطاعة تتقدم[1] الفعل وهي تزول عن الفاعل وتَقْدَم[2] عند الفعل. ولو كان كذلك كان يَحْصُل[3] قوله: **فاتقوا الله ما استطعتم**، استطاعة[4] زالت عنهم وكذلك قوله: فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ،[5] وكذلك قوله: خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ،[6] زالت عنهم، هذا مستحيل. والذي يؤيد قولنا قوله جل ثناؤه: فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا،[7] والحاجة إلى هذه الاستطاعة تقع[8] عند أداء البدل عن الأصل. فأما[9] قبل ذلك إن كان مستطيعا أو غير مستطيع فهو سواء.

قوله تعالى:[10] **واسمعوا وأطيعوا**، أي اسمعوا إلى ما أمركم الله تعالى به ورسوله، أو يكون قوله: **واسمعوا**، بمعنى أجيبوا[11] لما أمركم الله به وإلى ما دعاكم الله ورسوله، كقوله:[12] «سمع الله لمن حمده»،[13] أي أجابه. وقوله: **وأنفقوا خيرا لأنفسكم**، أي وأنفقوا مما رُزقتم [يكن] خيرا لكم من أن تَدَعُوا الإجابة لما أمركم والإنفاقَ مما رزقكم.

وقوله عز وجل: **ومن يُوقَ شُحَّ نفسه**، قال سفيان بن عُيَيْنَة:[14] أي ومن يوق ظلم نفسه، والشح الظلم؛[15] وقال بعضهم: الشح البخل الذي فيه الحرص. {قال:} **ومن يوق شح نفسه**،[16]

---

[1] جميع النسخ: يتقدم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٥ظ.

[2] م: ويتقدم.

[3] جميع النسخ: يجعل. والتصحيح من المرجع السابق.

[4] ن – استطاعة.

[5] سورة الأعراف، ١٤٥/٧.

[6] سورة البقرة، ٦٣/٢، ٩٣؛ وسورة الأعراف، ١٧١/٧.

[7] سورة المجادلة، ٤/٥٨.

[8] ر ن م: يقع.

[9] ن + ما.

[10] ن – قوله تعالى.

[11] ث + إلى.

[12] ن: كقولهم.

[13] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده، فقولوا: اللهم ربنا لك الحمد، فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه» (*صحيح البخاري*، الأذان ٥١؛ وصحيح *مسلم*، الصلاة ٧٧).

[14] سفيان بن عُيَيْنَة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد: محدث الحرم المكي. من الموالي. ولد بالكوفة. وسكن مكة وتوفي بها. كان حافظا ثقة، واسع العلم كبير القدر، توفي سنة، ١٩٨هـ/٨١٤م (*الأعلام* للزركلي، ١٠٥/٣).

[15] *تفسير القرطبي*، ٣٠/١٨؛ *والنكت والعيون* للماوردي، ٥٠٧/٥.

[16] ر ث م – وقال بعضهم الشح البخل الذي فيه الحرص قال ومن يوق شح نفسه.

أضاف[1] الوقاية إلى نفسه[2] ليعلم أن من اتقاه فإنما اتقاه[3] بما وقاه الله بلطفه / وكرمه. ألا ترى [٨١٣و] إلى قوله: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا،[4] كيف علمهم ذلك التقوى بقوله: وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ،[5] أن قولوا: وقنا عذاب النار[6] لِيُعْلَم أن جميع أفعال العباد إنما تقوم[7] وتصح[8] بتدبير الله تعالى وتوفيقه وتسديده وتقديره. **والله أعلم.**

ثم قوله: **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**، فيه أوجه من الدلالة. أحدها أن قوله: **ومن يوق شح نفسه**، لم يبين فاعله، ففيه بيان أن في سلطان الله وملكه ما يقي به شُحَّ عبده وأنه إذا وقاه شح نفسه أفلح، وكذلك في قوله: إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ،[9] إخبارُ أنّ من ينصره الله فلا يُغلَب. وقد نرى[10] في الشاهد من لا يوقَى[11] شحَّ نفسه البتّةَ ومن قد يوقى[12] شح نفسه ولا يفلح.[13] وقد نرى من يجاهد أعداءه فيُغلَب مع ما وعده وأخبر أنه هو الغالب وأنه لا يُغلَب فلا بد ذلك من أحد وجوه:[14] إما أنْ لم يكن لله تعالى النصرةُ في ملكه وسلطانه كما ادعى فهو كاذب فيما ادعى، وإما أن[15] آتاه من القوة ما يَقِي به شحَّ نفسه فلم يُفلح فصار كاذبا في خبره، وإما أن كانت المعتزلة فيما زعموا أن الله تعالى قد آتى عبده جميع ما يقي به شُحَ نفسه حتى لم يبق في خزائنه شيء يؤتيه لِيقيَ به شح نفسه كَذَبةً. وإذا لم يكن بُدٌّ من نسبه الكذب إلى الله تعالى أو إلى المعتزلة[16] كانت المعتزلة أولى

---

[1] ث: أضافه.
[2] ومن يُوقَ، بصيغة المجهول، والفاعل المحذوف هو الله تعالى، أي ومن وقاه الله شح نفسه.
[3] ن: من ابقاه فإنما ابقاه.
[4] سورة التحريم، ٦/٦٦.
[5] سورة البقرة، ٢٠١/٢؛ وسورة آل عمران، ١٦/٣.
[6] ر م - أن قولوا وقنا عذاب النار.
[7] ر ث م: إنما يقوم.
[8] جميع النسخ: ويصح.
[9] سورة آل عمران، ١٦٠/٣.
[10] ر ث م: وقد يرى.
[11] ن: يوق.
[12] ر م: قد يوق.
[13] ث - ولا يفلح.
[14] جميع النسخ: وجهين.
[15] ث - أن.
[16] ر م: وإلى المعتزلة.

أن يُنسَبوا إلى الكذب من رب العالمين فيما أخبروا، وأن[1] الله تعالى فيما أخبر صادق وأن في ملكه وسلطانه ما لم يؤت عبده ليقي به شح نفسه. *والله المستعان*.

و[الثاني] فيه دلالة على إبطال قول من قال: إن على الكفرة أداءَ هذه العبادات والحقوق،[2] وذلك أن الله تعالى وعد[3] في هذه الآية أن من وُقي شحَّ نفسه وأدّى ما وجب عليه من هذه الحقوق فقد أفلح. وقد نرى الكافر في الشاهد يوقّى[4] شحّ نفسه ويؤدي حقوق أمواله ويسخو[5] بماله على الناس ولا يُفلح، ولو كان عليه هذه الحقوق[6] لكان يحصل له الفلاح. ثبت[7] أنه ليس عليه أداؤها وإنما عليه قبولها. *والله أعلم*.

وفيه أن صاحب الكبيرة قد يرجى له الفلاح وإن لم يتب عن الكبيرة[8] حتى مات، لأنا قد نرى صاحب الكبيرة قد يوقّى شحَّ نفسه، وقد وعد الله عز وجل أن من وُقي شح نفسه فهو من المفلحين، فإذا كان صاحب الكبيرة قد يوقى[9] شح نفسه فقد ثبت أنه يرجى له[10] الفلاح. *والله أعلم*.

﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم**، تُوَلِّد من هذه الآيات ظنون فاسدة. أحدها ظنُّ اليهود حيث قَالُوا: إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ،[11] وذلك أنهم لما سمعوا أن الله تعالى يقول: وَأَقْرَضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا،[12] والاستقراض في الشاهد يدل على الحاجة إلى ما يُستقرَض، وكذلك قوله تعالى: إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ،[13]

---

[1] ر ن: أخبر وأن؛ م: أخبروا أن.
[2] جميع النسخ + واجبة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٦و؛ ن: أداء هذه الحقوق والعبادات.
[3] ر م: أوعد.
[4] جميع النسخ: يوق. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ر: وشحوا؛ م: وشخوا.
[6] جميع النسخ: + واجبة. والتصحيح من المرجع السابق. ث: ولو كان هذه الحقوق عليه.
[7] ر م: يثبت.
[8] ر م: على الكبير.
[9] ن: يوق.
[10] ر م – له.
[11] سورة آل عمران، ١٨١/٣.
[12] ﴿إن المصَّدِّقين والمصَّدِّقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يُضاعَفُ لهم ولهم أجر كريم﴾ (سورة الحديد، ١٨/٥٧).
[13] سورة التوبة، ١١١/٩.

والشراء يدل على حاجة في المشتري؛[١] وحيث استعمل عبيدَه في الأعمال ثم قال: لكم أجر عظيم؛ ورأوا أن من يستعمل آخر فإنما يستعمله[٢] في عمل يرجع منفعته إليه[٣] ويحتاج إلى عمله، ظنوا بذلك أن الله فقير وأنه محتاج.

وظنت المعتزلة أن أنفس العبيد وأملاكهم ملك لهم حقيقةً ليس لله في شيء من ذلك مِلك ولا تدبير، قالوا: وذلك أن الله تعالى استقرض من عبيده، والمرء في الشاهد لا يستقرض ملك نفسه، فلما استقرض واستباع دل أن هذه الأشياء[٤] كانت ملكا لهم حقيقة. والذي يدل على أن قول المعتزلة على ما وصفنا أن من قولهم أَنْ ليس لله تعالى أن يُمرض أحدا ولا يُؤلم دابة إلا بِعِوَضٍ، ومن لم يملك فعل شيء إلا بعوض وبدل يُعَوِّض [له][٥] يتبين[٦] أنه لا يملكه. فثبت على أن عندهم أنه لا يملك حقيقته،[٧] وأن حقيقة الملك فيه للعبيد. ويشبه أن يكون ظن اليهود والمعتزلة جميعا إنما تولد من قولهم أَنْ ليس لله تعالى أن يفعل بعبيده[٨] إلا ما هو أصلح لهم في دينهم. فذهبت اليهود إلى أن هذا لما كان حقا على الله تعالى أن يفعله لا محالةَ حتى إذا لم يفعله يكون جائرا.[٩] ومن كان مأخوذا[١٠] بحق أو بشيء يفعله ففيه بيان أن حقيقة ذلك الفعل لغيره حتى أُخذ به[١١] لا محالة. لذلك قلنا: إن ظنونهم تولدت عن القول بالأصلح. *والله المستعان.*

وأما الحكماء وأهل العقل ومن انتفع بعقله حمل هذه الآيات من الله تعالى على نهاية الكرم وغاية الغِنَى،[١٢] لأن الله تعالى أعطى عبيده ثم استقرض منه ذلك الذي أعطاه ليصير ذلك العطاء دائما ببدله[١٣] الدائم وهو النعيم في الآخرة. ومعلوم أن من أراد دوام عطاء[١٤]

---

[١] ر ن م: في المشترا.
[٢] ن: يستعمل.
[٣] جميع النسخ: عليه.
[٤] ر م: الآيات.
[٥] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٣٦و.
[٦] ر م: اثنين؛ ن: ثنتين؛ ث: تبين. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] ر ث م: حقيقة.
[٨] ر: بعبده؛ م: عبيده.
[٩] ر ن: جائزا.
[١٠] ر ث م: مأجورا.
[١١] ن: أخذته.
[١٢] ر ن: الغناء.
[١٣] ر م: العطاء إنما ببدله؛ ث: العطاء وإنما ببذله.
[١٤] ر م: إعطاء.

من أعطاه فهو في غاية الكرم. وكذا اشترى منه حياة فانية ليعطي له حياة دائمة وهذا من غاية الجود، ومن استعمل عبيده في عمل يوصف بأنه جواد / سخيّ ويَشْرُف به ويَكْرُم، ثم وعد له على ما فيه شرفه أجرا دائما دل على غناه. فثبت أنه أراد بهذه الآيات أن يُعْلمنا غاية كرمه وغاية جوده ونهاية غناه وأن جوده وكرمه مما لا يدركه عقولنا. *والله المستعان*. والذي يدل على غاية كرمه وغاية جوده أنْ جَعَلَ ما نتصدق[1] به على فقرائنا وما نَصِل به أرحامنا قرضا[2] على نفسه، ووعد الأجر لعمل[3] يعمله العبيد لنفسه، و[جعل] على عملٍ على العبدِ فعلُه لا محالة أجرا،[4] ولا شك أن ذلك من غاية الجود والكرم. *والله المستعان*.

[٨١٣ظ]

وقوله:[5] **إن تقرضوا الله قرضا حسنا**، قال بعضهم: القرض هو القطع كأنه قال: اقطعوا شيئا من أموالكم لله تعالى قطعا حسنا، وقال بعضهم: وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا [حَسَنًا]،[6] أي اجعلوا ما يتصدقون به مما فَضَل عن حاجتكم على فقرائكم قرضا حسنا[7] على الله تعالى يؤتكم أجره عند حاجتكم إليه. وقوله: **يضاعِفْه لكم**، يعني يضاعفْ ما يعطيكم في الآخرة من الثواب الذي تُكْرَمون به[8] بما شَرُفْتم به[9] وتزينتم في الدنيا بالتصدق.

وقوله: **والله شكور حليم**، يعني **شكور**، حيث شكر لكم على ما أعطيتموه شيئا هو أعطاكم. وقوله: **حليم**، وصف نفسه بالحلم. وعلى قول المعتزلة: لا يتحقق هذا الوصف لأنهم يقولون: إنه[10] إذا وجبت[11] العقوبة فليس لله تعالى أن يؤخرها تفضلا منه، وإنه[12] فيما أخرها كان ذلك حقا عليه حيث رأى الأصلح في تأخيرها. ومعلوم أن من أدى حقا عليه لم يوصف بالحلم،

[1] ر م: يتصدق.
[2] ر م + حسنا.
[3] جميع النسخ: بعمل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٦و.
[4] ر م – أجرا.
[5] ن: ثم قوله؛ ث: ثم قوله عز وجل.
[6] سورة المزمل، ٢٠/٧٣.
[7] ن ث – حسنا.
[8] ر ن م: يكرمون به.
[9] ث – بما شرفتم به.
[10] ث – أنه.
[11] جميع النسخ: إذا أوجبت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٦ظ.
[12] ن + إذا أوجبت العقوبة فليس لله تعالى أن يؤخرها تفضلا منه وإنه.

ولكنه يقال: إنه يتقي[١] الجور. والحليم[٢] من يَحلُم عن عقوبة لزمت فيؤخرها ويتركها ويعفو[٣] صاحبها عنها فيوصف بالحلم عند ذلك، وأما أن يكون عليه تأخيرها فلا يوصف بالحلم في هذا الموضع.[٤]

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **عالم الغيب والشهادة**، يعني عالمٌ ما غاب من أفعال الخلق عن الملائكة وعالم بما شهدوا[٥] من أفعالهم، أو عالم[٦] بما غاب عن العباد وبما شهده العباد. وقوله عز وجل: **العزيز الحكيم**،[٧] **العزيز**، الذي لا يعجزه شيء، **والحكيم**، الذي لا يلحقه الخطأ في تدبيره. ثم المعتاد في القرآن أنه يذكر العزيز الحكيم بعد ذكره خلْق الكفرة ليعلَم أن فسادهم لا يوجب وهنا[٨] في حكمته وتدبيره، ولا يبطل عزه وسلطانه؛ لأن من صنع إلى آخر شيئا يعلم أنه يُفسد[ه] دل ذلك على جهله بالتدبير، وإذا استعمل عبده[٩] بما يُهلكه دل على ذُلّه.[١٠] فأخبر بعد خلق الكفرة أنه عزيز ليعلم أن كفرهم لا يوجب نقصا في عزه، ولا يُدخل ذلا عليه، وأن فسادهم لا يخرجه عن الحكمة والتدبير.[١١] *والله المستعان*.[١٢]

---

[١] ر ن م: يبقى.
[٢] ن: والحلم.
[٣] ر: ويعفوا.
[٤] ن + والله أعلم.
[٥] م: شهدها.
[٦] ر ث م: وعالم.
[٧] ر م – العزيز الحكيم.
[٨] ر م: وهذا.
[٩] ن: عنده.
[١٠] جميع النسخ: على ذلة.
[١١] ر م – والتدبير.
[١٢] ن + والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله الطاهرين.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الطلاق[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾[١]

قوله عز وجل: **يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن**، فإنه يخرج على الإضمار -والله أعلم- كأنه يقول: يا أيها النبي قل لأمتك إذا أردتم أن تطلقوا[2] نساءكم فطلقوهن لعدتهن. والدليل على أنه هكذا فإنه يخرج الخطاب بعده للجماعة حيث قال: **إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن**؛ أو خاطب به النبي، والمراد أمته،[3] وذلك كثير في القرآن. ثم قوله: **فطلقوهن لعدتهن**، أمر بالطلاق للعدة، و لم يبين أن الطلاق للعدة كيف يكون، وذكر في بعض القراءات، فطلقوهن لِقُبُل عدتهن.[4] ثم تركُ بيان ذلك لا يخلو إما أن يكون الرسول عليه السلام قد بين ذلك لهم فعرفوا ذلك فلم يُبيِّن[5] ذلك في الآية، أو جعل بيان معرفة ذلك إليهم ليعرفوا بالاجتهاد. ثم قوله: لقُبُل عدتهن يحتمل أولَ عدتهن، ويحتمل ما يقابل عدتهن وهو الحيض، من المقابلة.

---

[1] ر – سورة الطلاق؛ ن: ذكر أن فيها سورة الطلاق وهي مدنية؛ ث + وهي اثنتا عشرة آيات مدنية؛ م + وهي مدنية.

[2] ن: أن يطلقوا.

[3] ن + غيره.

[4] *تفسير عبد الرزاق*، ٣/٣١٥-٣١٦؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٨/١٩٠.

[5] ن + لهم.

فمن يقول: الاعتداد بالأطهار يجعل القُبل كناية عن أول الطُّهر، ومن يقولها بالحيض يجعل القبُل[1] ما يقابل العدة، وهو الحيض. ثم لنا[2] أن ننظر[3] أيُّ التأويلين أقرب. وقد أجمعوا أنّ له أن يطلقها في آخر الطهر إذا لم يجامعها[4] فيه. دل أن تأويل القُبُل بما يقابل العدة أحق، وهو الحيض، والاعتداد به أولى. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وأحصوا العدة**، يخرج على وجهين.[5] أحدهما احفظوا الحقوق والأحكام التي تجب[6] في العدة فأدُّوها. والثاني احفظوا نفس ما يَعْتدِدْن[7] به وهو عدد الحيض الذي به[8] يعتددن[9] لئلا[10] يزاد ولا يُنقَص. ثم جَعْل الإحصاء إلى الأزواج يحتمل وجهين. أحدهما أنهم هم الذين يلزمهم الحقوق والمُؤَن. والثاني لهم[11] نفع تحصين[12] الأولاد في العدة. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **واتقوا الله ربكم لا تُخرجوهن من بيوتهن ولا يَخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة**، دل قوله: **من بيوتهن**، على صحة مسألة لأصحابنا رحمهم الله فيمن حلف لا يدخل بيت فلان فدخل بيتا هو فيه بإعارة أو إجارة أنه يَحنث. ووجه ذلك أن الله تعالى أضاف البيوت إليهن وإن كان حقيقة الملك[13] للأزواج فيها.[14] ألا ترى إلى قوله: أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ،[15] ثم قال: **لا تخرجوهن / من بيوتهن**، فدل قوله: **من بيوتهن**، أنه أراد به البيوت التي أسكنهن الأزواج فيها. وإذا صحت هذه الإضافة دل على صحة المذهب.[16] [٨١٤و]

---

[1] ر: القبيل.
[2] ن: بنا.
[3] ن: ينظر.
[4] ر م: إذ المرء يجامعها.
[5] ر ث م: على هذين الوجهين.
[6] ر ث: يجب.
[7] ر ث م: تعتدون.
[8] جميع النسخ: بها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٦ظ.
[9] ر م: تعتدون.
[10] ر ن م: لأن لا.
[11] ن: أنهم.
[12] ر م: يحصين.
[13] م – الملك.
[14] ر ث م – فيها.
[15] الآية ٦ من هذه السورة.
[16] ر: المذاهب.

وقال الشافعي فيمن حلف لا يدخل مسكن فلان، فدخل مسكنا [يسكن][1] فيه بإعارة: إنه يحنث، وقال فيمن حلف لا يدخل بيت فلان: إنه لا يحنث، واحتج في المسكن أنه إنما حنث لأنه وجد حقيقة السكنى من المحلوف عليه. فإن كان هذا هو الدليلَ على الحنث فالواجب عليه أن يُحنثه[2] في البيت لوجود البيتوتة على ما حنثه في المسكن لوجود السكنى. وبعد فإن في الحنث أقرب في البيت لأن الله تعالى أضاف البيوت إليهن في كتابه، وإن كن يَبِتْن[3] فيها بإعارة، و لم يوجد في السكنى ذلك. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **إلا أن يأتين بفاحشة مبيَنة**، ومبيِّنة،[4] قرئا جميعا.[5] فمنهم من حمل[6] الاستثناء وهو قوله: **إلا**، على قوله: **لا تخرجوهن من بيوتهن**، وصرفه إليه، ومنهم من صرفه إلى قوله **ولا يخرجن**. ولكل من ذلك وجهان. فأما من حمله[7] على قوله: **لا تخرجوهن**، فإنه جعله استثناء وللاستثناء[8] وجهان. أحدهما **لا تُخرجوهن [من بيوتهن ولا يَخْرُجْن] إلا أن يأتين بفاحشة مبينة**، أي بزنى يَزنين فتخرجوهن[9] لإقامة الحد عليهن. أو لا تخرجوهن[10] إلا أن يظهر منهن بذاءة[11] اللسان[12] على أهل أزواجهن، فتخرجوهن[13] لمكان البذاءة[14] التي في لسانهن.

ومن حمله على قوله: **ولا يَخْرُجْنَ**، فإنه يجعل معنى قوله: **إلا**، على معنى لكن، كما قيل في قوله تعالى: لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا،[15] أي لا يسمعون فيها لغوا ولكن سلاما،

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٣٦ظ.

[2] ر م: أن يحنث.

[3] ر م: يبين.

[4] ر – مبينة؛ م: مبينة.

[5] معجم *القراءات* لعبد اللطيف الخطيب، ٩/٥٠٠.

[6] ن: جعل.

[7] ر: حملة.

[8] ن: والاستثناء.

[9] ر ث م: فيخرجوهن.

[10] جميع النسخ: أو لا يخرجوهن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٧و.

[11] ر ث م: بذاذة؛ ن: بذلك، ن هـ: بذاءة. والتصحيح من المرجع السابق.

[12] ث: لسان.

[13] ر ث م: فيخرجوهن.

[14] جميع النسخ: البذاذة. والتصحيح من المرجع السابق.

[15] سورة مريم، ١٩/٦٢.

إذ لا يحتمل استثناء السلام من اللغو لما ليس في جملة اللغو سلام فيستثنى منه، فكذلك قوله عز وجل: **ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة**، فكأنه قال: لا يخرجن ولكن إذا خرجن فخُرُوجهن فاحشة. ويدل هذا على أن النهي لنفس الخروج لا للانتقال.

ووجه آخر في ذلك وهو أن لا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة فإنهن إذا خرجن يخشى عليهن أن[1] يأتين بفاحشة، كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أيما عبد تزوج بغير إذن مولاه فهو[2] عاهر».[3] وكان المعنى من ذلك أنه إذا تزوج فوَطِئَ فهو عاهر، ولكن نُهي عن النكاح لأنه يخشى عليه في النكاح أن يطأها فيصير عاهرا لا[4] أن يكون نفس التزوج منه زنى. فكذلك **لا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة**، فيكون النهي لا عن نفس الخروج ولكن لكونه سببا للفاحشة في الجملة وطريقا إليه. ثم قال[5] عز وجل: **مبينة**، فمن قرأ مبيِّنَة، بالخفض فمعناه أن نفس الفاحشة إذا تفكر فيها[6] المرء ونظر تبين له أنها فاحشة، ومن قرأ مبيَّنَة بالفتح،[7] عنى به أنها مبينة بالبراهين والحجج.

وقوله عز وجل: **وتلك حدود الله**، الحدود الموانع والنواهي [هي التي] لا يحل مجاوزتها، ومن ذلك سمي الحدّاد حدّادا لأنه يمنع تحديدُه كلَّ أنواع أمتعته أن يجاوز حدها الذي جعل لها. والحد في الحقيقة هو النهاية التي يُنتهَى إليها ولا يجاوَز.[8] وإذا كان كذلك كان الخيار إلى صاحب التأويل؛ فإن شاء حمله على الحد بين الطاعة والمعصية، أو ما بين الحلال والحرام حيث ذكر في هذه الآية أنواعا من النهي، فسَمّى ذلك كله حدودا.

وقوله عز وجل: **ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه**، أي ضر نفسه. ويجوز أن يكون المعنى منه أي إن جاوز هذا الحد الذي جعله الله تعالى فقد وضع نفسه مكانا لم يضعه فيه ربه. والظلم في الحقيقة وضع الشيء في غير موضعه. والتأويل الآخر أن من جاوز موانع الله

---

[1] ر م: وإن.

[2] ث: فهن.

[3] مسند *أحمد بن حنبل*، ٣٧٧/٣؛ وسنن *الترمذي*، النكاح ٢١.

[4] م: إلا.

[5] ن ث: قوله.

[6] ن: فيه.

[7] قرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم وابن محيصن والحسن ﴿مُبَيَّنَة﴾ بفتح الباء (معجم *القراءات* لعبد اللطيف الخطيب، ٥٠٠/٩).

[8] جميع النسخ: فلا يجاوز. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٧و.

ونواهيه فقد ظلم نفسه. دل بهذا على أن منافع هذه النواهي ومضارّها لا ترجع[1] إلى الله بل ترجع[2] إلى نفس[3] الممتحَنين.

وقوله عز وجل: **لعل الله يُحدث بعد ذلك أمرا**، أي لا يُطلِّق فإنه إذا طلق[4] لا يدري لعل الله يحدث بعد ذلك ندامة على ما سبق من فعله أو رغبة فيها، فيكون فيه دلالة النهي عن نفس الطلاق. وقد بينا كراهة نفس الطلاق في الحكمة في أنه ليس من نوع ما يتقرب به فيكون فيه زيادة في القربة، ولا مما يستمتع به فيكونَ فيه زيادة في الاستمتاع، بل المقصود منه التأديب والمَخْلَص، وفي الواحدة كفاية عما زاد عليها. فكأنّ في هذه الآية دلالةَ النهي عن نفس الطلاق وعن الزيادة على الواحدة. *والله أعلم*.

{قال:} فإن كان تأويل قوله عز وجل: **لا تدري لعل الله يُحدث بعد ذلك أمرا**، هو الرغبة فيها أو الندامةَ على ما سبق منه[5] فإنه دلالة على إبطال قول المعتزلة، لأن الرغبة والندامة جميعا من فعل العباد، والله تعالى قد أضاف ذلك إلى نفسه بقوله: **لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا**. وإذا كان كذلك ثبت أن لله تعالى في إحداث أفعال العباد صنعا وتدبيرا. *والله أعلم*.

وقال أصحاب الشافعي: إن قوله **فطلقوهن**، يدل على تعليم الوقت في الطلاق دون العدد فله أن يطلقها في الوقت أيَّ عدد كان. ولا يستقيم ذلك لأن[6] التأويل إنما يستقيم على أحد وجهين: إما على ما جرى به التفاهم / في العادات بين العباد، وإما على ما جرى[7] به التفاهم [٨١٤ظ] في حق الحكمة. وليس يفهم من قوله: **فطلقوهن**، العدد[8] الثلاثُ على واحد من الوجهين اللذين وصفناهما. ألا ترى أن من قال لآخر: طَلِّقْ امرأتي، لم يجز له أن يطلقها ثلاثا إلا أن يكون نوى ثلاثا، فثبت أنه لا يفهم به في عادة[9] اللفظ الثلاث. وأما وجه الحكمة فلِمَا ذكرنا

[1] جميع النسخ: لا يرجع.
[2] ن: بل يرجع.
[3] ر م: بل رجع نفس؛ ث: بل يرجع نفس.
[4] م: إذا أطلق.
[5] ر ث م – منه.
[6] ن: لأنه.
[7] ر م: وإما ما جرى.
[8] ر م: بالعدد.
[9] ر م: في عبارة.

أن الطلاق ليس مما يتقرب به، فيُرَغَبَ[1] في الاستكثار منه[2] زيادةً في القربة، ولا مما يستمتع فيستكثَرَ منه زيادةً في الانتفاع؛ وإنما المراد منه التأديب والمَخْلَص. وما كان مخرجه هذا المخرج كان في حد الرخصة، وما خرج مخرج الرُخَص لم يُتَعَدَّ به[3] عما وقعت به الرخصة. وإذا ثبت ما وصفنا ثبت أنه لا يجوز الفهم من قوله تعالى: **فطلقوهن لعدتهن**، الثلاث، والتعليم[4] في العدد أليق به من الوقت لأنه لا ضرر يلحقه في تعديه عن الوقت المجعولِ له فيه الطلاقُ، ولا شك أنه يلحقه[5] الضرر في تعديه في العدد والزيادة منه. *والله أعلم*. ومما يدل على أن المراد من قوله: **فطلقوهن**، ليس عدد الثلاث قوله: فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ،[6] ولا شك أنه إذا أوقع[7] عليها ثلاثا لم يملك إمساكها. ومعلوم أن قوله: فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ، للطلاق[8] المتقدم من قوله: **فطلقوهن**، ولو كان المراد عدد الثلاث لم يكن لقوله: فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ معنى. *والله أعلم*.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلهِ ذٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾[٢] ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[٣]

وقوله عز وجل: **فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف**، فيه فوائد شتى وأدلة متفرقة من الفقه والأحكام. أحدها أن الله تعالى قال: **فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف**،[9] والمعروف إليها في المتعارف من نوع الفعل أظهرُ من نوع القول لأنه إنما يُحسن إليها استمتاعا وإنفاقا ونحو ذلك، فذلك نوعُه نوعُ الفعل، فثبت أن حقيقة الإمساك بالمعروف في الأفعال، فلذلك قلنا: إنه إذا راجعها بالفعل يكون مراجعا.

[1] جميع النسخ: فرغب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٧ظ.
[2] ر ث م – منه.
[3] ر م: لم يعبد به؛ ن ث: لم يبعد به. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] ر م: في التعليم.
[5] ن – في تعديه عن الوقت المجعول له فيه الطلاق ولا شك أنه يلحقه.
[6] الآية التالية.
[7] ر م: إذا وقع.
[8] جميع النسخ: الطلاق. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ن – أو فارقوهن بمعروف.

فإن قيل: أليس قال الله تعالى **وأَشْهِدوا ذَوَيْ عدلٍ منكم**، والإشهاد على الفعل غير صحيح؟

فجوابه أن يقال: إن الله تعالى قال: **وأشهدوا**، ومعلوم أن هذا لو كان بحضرة الشهود لم يكن[1] للإشهاد معنى، بل إذا سمعوا ذلك صاروا شُهودا أَشْهدوا أو لم يُشهدوا. وإذا كان كذلك ثبت أن المعنى من هذا الإشهاد على الإمساك المتقدم، وذلك في الأفعال مستقيم. ***والله أعلم***.

ووجه آخر، وهو أن كل عقد استقام بغير شهود جرى فيه الأمر بالإشهاد نحو قوله: وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ،[2] وكل ما جُعل الشهود فيه شرطا لقوام العقد جرى الذكر فيه لا يكون[3] إلا بشهود، نحو قوله [صلى الله تعالى عليه وسلم]: «لا نكاح إلا بشهود»[4] فلما جرى الذكر في هذه الآية بالأمر بالإشهاد بقوله[5] تعالى: **وأشهِدوا ذوَيْ عدلٍ منكم**، ثبت أنه يستقيم من غير شهود. ***والله أعلم***.

ثم في قوله: **فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف**، دليل على أن المراد من الأقراء هي الحيض،[6] فإنه ذُكر نوع هذا في كتاب الله في مواضع. قال الله تعالى في موضع: فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ،[7] وقال في آية أخرى: فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ،[8] وقال في هذا الموضع: **فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف**. ومعلوم أن معاني[9] هذه الألفاظ[10] مختلفة وإن اتفقت مخارجها. واختلافها أن يكون المراد ببلوغ الأجل في أحد النوعين على التمام وانقضاء الأجل، والثاني على الإشراف[11] عليه. وأحق ما يكون في حق الإشراف[12] على البلوغ هو ما يرجع إلى الأزواج،[13]

---

[1] ن + بحضرة الشهود لم يكن.

[2] سورة البقرة، ٢/٢٨٢.

[3] ر ث - يكون؛ ن: نكاح.

[4] *سنن الترمذي*، النكاح ١٥.

[5] ر ن م: وبقوله.

[6] ر م: في الحيض.

[7] سورة البقرة، ٢/٢٣٤.

[8] سورة البقرة، ٢/٢٣٢.

[9] ث م: المعاني.

[10] جميع النسخ: بهذه الألفاظ. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٧ظ.

[11] ر ن ث: على الإسراف.

[12] ر ن ث: الإسراف.

[13] ن: على الأزواج.

لأنه قد كان لهم حق الإمساك قبل انقضاء الأجل وهم أحق بهن[1] ما لم يتم بلوغ الأجل لا بَعْده. وإذا ثبت أن المعنى من قوله: **فإذا بلغن أجلهن**، في هذا الموضع هو الإشراف على البلوغ والقربُ من انقضاء الأجل دون التمام ثبت أن الأقراء هي الحيض، لأنه لو كان المراد منه الأطهار[2] لم يُعرَف إشراف[3] الأجل على البلوغ، لأنه لا نهاية لأكثر الطهر. وأما الحيض فإنه له غاية معلومةً لأن أيامها لا تخلو[4] إما أن تكون[5] عشرا أو دون العشر. فإن كانت[6] عشرا فيعرف بالعدّ، وإن كانت[7] دون العشر فإن دمها إذا انقطع راجعها قبل أن تغتسل[8] وذلك وقت إشراف أجلها على البلوغ، والأطهار ليس يتحقق فيها المعنى الذي وصفنا. ***والله أعلم***.

ثم قال هاهنا: **فأمسكوهن بمعروف**، فدل الأمر بالإمساك في الظاهر أنها ما دامت في العدة فهي على ملكه، وقال في موضع آخر: وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ،[9] فدل على أنه قد وقع شيء من الزوال حتى أمره بردها، فيكون حجة للشافعي في[10] أن الطلاق الرجعي يُحرِم الوطء. ولكن المعنى عندنا في هذا –والله أعلم– أنا قد عرفنا بقوله: **أو فارقوهن**، بعد وجود الطلاق المتقدم أنه لم يُرد به الفُرْقة للحال ولكن معناه[11] "اتركوهن حتى تنقضيَ[12] عدتهن فتفارقوهن".[13]

[٨١٥و] فثبت أنه قد وقع شيء من شبهة الفراق / بالطلاق، وهو أن صار الفراق مستحقا لازما حال انقضاء العدة، فيكون له عَرَضُ الوجود للحال فقال: **أمسكوهن**، على إبقائهن على أصل الملك، وقال: وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ،[14] لرفع تلك الشبهة الواقعة بالطلاق.

---

[1] ر م: بهم.
[2] ن: الإظهار.
[3] ن – إشراف، صح هـ.
[4] ر: لا يخلوا؛ ن م: لا يخلو.
[5] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٨و.
[6] جميع النسخ: فإن كان.
[7] جميع النسخ: وإن كان.
[8] جميع النسخ: أن يغتسل. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] سورة البقرة، ٢/٢٢٨.
[10] ث – في.
[11] ن: المعنى.
[12] ن: حتى ينقضي.
[13] جميع النسخ: فيفارقوهن. والتصحيح من المرجع السابق.
[14] سورة البقرة، ٢/٢٢٨.

وهذا على سبيل ما قال تعالى: لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ،[١] وكان الفيء هو الرجوعَ. ومعلوم أنه لم يقع[٢] بالإيلاء شيء[٣] من الفُرقة، ولكن لما كان الإيلاء موجبا للبينونة في العقبى أوجب في الحال شبهة الفرقة، وهو استحقاق الزوال فذكر الفيء لرفع[٤] تلك الشبهة، فكان[٥] تركها منه لا يُفيء إليها عزمٌ منه على الطلاق، فكذلك الأول.[٦]

والمعروف، إذا صنع إليك إنسان صنيعةً فعرفتها واستحسنتها فهو معروف، وما دفعته وأنكرته فليس بمعروف؛ أو هو الذي عرّفنا الله تعالى من المراجعة والمفارقة. ثم المعروف في الحقيقة ما تطمئن إليه القلوب وتسكن[٧] عنده الأنفس.

وقوله عز وجل: **وأشهدوا ذوَىْ عدلٍ منكم**، دل قوله تعالى: **ذوي عدل منكم**، أن قد يكون منا فُسّاق[٨] وأن الفسق لا يخرجه من الإيمان[٩] وكذلك قوله: مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ.[١٠] فثبت أن قد يكون منا من لا يُرضَى وأن خروجه ممن يرضى لا يخرجه من الإيمان.

وقوله عز وجل: **وأقيموا الشهادة لله**، [كأن المعنى في قوله: **وأقيموا الشهادة لله**][١١] حيث[١٢] أضافها إلى نفسه هو أنه لا بد في الشهادة من نفع يقع لأحد الخصمين وضرر يرجع إلى الآخر، فكأنه قال: لا ينظر بعضهم إلى رضاء من تنفعه[١٣] الشهادة وإلى سخط من تضره[١٤] ولكن اجعلوها لله تعالى.

---

[١] سورة البقرة، ٢/٢٢٦-٢٢٧.
[٢] ر ث م + شيء.
[٣] م – شيء.
[٤] ر: الرفع.
[٥] ن: وكان.
[٦] ن ث + والله أعلم.
[٧] ر ث م: ويشكر؛ ن: وتشكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٨و.
[٨] م: فسق.
[٩] ث: عن الإيمان.
[١٠] سورة البقرة، ٢/٢٨٢.
[١١] الزيادة من المرجع السابق.
[١٢] ر – حيث.
[١٣] جميع النسخ: ينفعه. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٤] جميع النسخ: يضره. والتصحيح من المرجع السابق.

وقوله عز وجل: **ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر**، الموعظة وإن كانت لمن يؤمن ولمن لا يؤمن فالمعنى في هذا: ذلكم[1] يتعظ بما يوعظ به[2] من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، كما كان المعنى من قوله تعالى: إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ،[3] أي إنما ينتفع بالإنذار من يتبع الذكر، وكما كان في قوله: يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ،[4] أي ينتفعون بتلاوته، فكذلك الأول. *والله أعلم*. وقوله: **يوعظ به**، أي بما أُمر فيما تقدم من الآيات من الطلاق[5] للعدة والنهي عن إخراجهن من البيوت والإنفاق ونحوه، إنما يوعظ به أي يأخذ بما أمر به،[6] ونُهي عنه في هذه الآيات من كان يؤمن بالله واليوم الآخر. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويَرْزُقْه من حيث لا يحتسب**، قد بينا أن التقوى إذا ذكر مفردا انتظم[7] الأوامر والنواهيَ، وإذا ذكر معه البِرّ والإحسان صُرف التقوى إلى معنًى والبرُّ إلى معنى، وذكر في هذا الموضع مفردا فجاز أن ينتظم الأوامر والنواهيَ. ثم جاز أن يكون المعنى من قوله: **ومن يتق الله**، فيما بُيِّن له من الحدود فلم يضيِّعه **يجعل له مخرجا**، فيما لم يبين له وفيما اشتبه من الحد. [أو يجوز أن يكون المعنى من قوله: **ومن يتق الله**، فيما أمره ونهاه، **يجعلْ له مخرجا**، في أن يعصمه من الشبهات ويُجنّبه من المُحرَّمات.][8] أو يجوز أن يكون المعنى من قوله: **ومن يتق الله**، أي يجاهد[9] فيما أمره ونهاه، **يجعل له مخرجا**، في أن يهديه ويبين[10] له السبيل. ألا ترى إلى قوله: وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا.[11]

{قال:} ويجوز أن ينال من يَلزم التقوى خير الدنيا والآخرة؛ لأن الله تعالى ذكر التقوى وما يليه بألفاظ مختلفة فقال في موضع: **ومن يتق الله يجعل له مخرجا**، وقال في موضع آخر:

---

[1] ن – ذلكم، صح هـ.

[2] ث – به.

[3] سورة يس، ٣٦/١١.

[4] ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به﴾ (سورة البقرة، ٢/١٢١).

[5] ر م – من الطلاق.

[6] ن: بما أمره به.

[7] ن: ينتظم.

[8] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٣٨ظ.

[9] ر ن م: المجاهد.

[10] ر ن م: وتبين.

[11] سورة العنكبوت، ٢٩/٦٩.

وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا،[١] وفي موضع آخر: يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ [وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا]،[٢] وفي موضع آخر:[٣] إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ،[٤] أي إن الله مع الذين اتقوا في النصرة والمعونة والتوفيق[٥] والعصمة. ومن نصره الله[٦] فلا يغلبه أحد، ومن يعصمه الله تعالى فلا يضله أحد، وإذا نال هاتين الخصلتين فقد[٧] نال خير الدنيا والآخرة. أو يجوز أن يكون قوله: **ومن يتق الله**، يعني يتق[٨] عقابه **يجعل له مخرجا**،[٩] من الشدة في الدنيا وعن سكرات الموت وغمراته وعن شدائد الآخرة وأهوالها. ويجوز أن يكون قوله: **ومن يتق الله**، في مكاسبه **يجعل له مخرجا**، من الشبه والحرمات فيسلم منها. أو يجوز أن يكون قوله: **ومن يتق الله**، فيما بَيّن له من الحدود في هذه الآيات المتقدمة فحَفِظَها مِن صحبة النساء على ما أُمر به، **يجعل له مخرجا**، مما أهمه من ناحيتهن.

ويَرْزُقْه من حيث لا يحتسبُ، يجوز أن يكون هذا فيما بَيّن له من الحدود إذا حفظها أن يرزقه ما وصفنا من المرأة والمال. ويجوز أن يكون هذا في جميع الأمور من المكاسب والتجارات، لأن التجار يظنون أنهم إنما يُرزَقون الفضل والربحَ لِما يُدخِلون فيها من الشبه[١٠] والحرمات وأنها إذا نفيت من تجاراتهم[١١] [لا يُرْزَقون مثل ذلك، فاخبر أنهم إذا نَقَوا في تجاراتهم][١٢] تلك الشبه والحرمات رزقهم من حيث لم يحتسبوا. أو يجوز أن يكون[١٣] هذا خطابا للكفرة، وذلك أنهم كانوا يخافون أنهم إذا آمنوا بالرسول[١٤] صلى الله عليه وسلم حُرِموا من الرزق وَابْتُلوا بالضِيق.

---

[١] الآية التالية.
[٢] الآية ٥ من هذه السورة.
[٣] ر ث م – آخر.
[٤] سورة النحل، ١٢٨/١٦.
[٥] ن ث: أو التوفيق.
[٦] ث + تعالى.
[٧] ر: فقال.
[٨] ر ث م: يتقي.
[٩] ن + وفي نسخة من الشبه في الدنيا.
[١٠] ث: فيها الشبه.
[١١] ر م: تجارتهم.
[١٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٣٨ظ.
[١٣] ر م: أن يكونوا.
[١٤] ر: برسول الله.

[٨١٥ظ] ألا ترى[1] إلى قوله: وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا،[2] الآية، / فكأن الله تعالى آمنهم[3] عما يخافون بسبب الإسلام، وأخبرهم أنهم إذا وحّدوا الله تعالى وآمنوا برسوله رزقهم من حيث لم يحتسبوا ووسّع عليهم الرزق. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ومن يتوكل على الله فهو حسبه**، يجوز أن يكون معناه أي من يعتمده في كل نائبة ويفوض إليه كل نازلة. والوكيل هو الموكول إليه الأمور. وقيل: الوكيل هو الحافظ، فكأنه قال: ومن يعتمد على الله فيما نابه كفى به وكيلا موكولا إليه أمره، وكفى به حافظا وناصرا ومعينا.

وقوله عز وجل:[4] **إن الله بالغ أمره**، أي[5] فيما أخبر من حكمه ووعده ووعيده أن يَنزل بهم. ويجوز أن يكون **بالغ أمره**، أي مبَلِّغُ ما أمر رسولَه بتبليغه إلى آخِر عِصابَةٍ تكون من أمته[6] في تسخيرهم ليصيروا كأن الرسول بلّغهم.

وقوله عز وجل: **قد جعل الله لكل شيء قدرا**، قال الحسن: لكل شيء من أعمال العباد قدرا وثوابا في الآخرة. والوجه عندنا قد جعل الله لكل شيء مما كان ويكون إلى يوم القيامة من حَسَن وقبيح في الحكمة قدرا. ألا ترى إلى أفعال العباد أنها كيف تخرج[7] عن تدبيرهم من زمان ومكان ونحو ذلك ليُعلَم أن الله تعالى هو الذي قدر ذلك المكان والزمان والفعل حتى خرج فعل هذا العبد عن تقديره الذي قدره. *والله أعلم*.

وفي قوله تعالى: **ويرزقه من حيث لا يحتسب**، وجه آخر وهو أنه لو جَعَل جميع الرزق من حيث لا يحتسبُ جاز، لأن الرزق في الحقيقة هو الذي يتقوى به الإنسان ويتغذى به، وليس ذلك في عين الأكل والشرب، ولكن فيما يتفرق من قوة الطعام والشراب في الأعضاء وذلك باللطف من الله تعالى. فثبت أن قوة الأكل والشرب إنما يصل إلى الأعضاء من حيث لا يحتسبه الإنسان. *والله أعلم*.

---

[1] ر ث م: ألا يرى.
[2] سورة القصص، ٥٧/٢٨.
[3] ر: أنهم.
[4] ن – وقوله عز وجل.
[5] ث – أي.
[6] ر م: عصيانه يكون أمر منه؛ ث: عصاته يكون أمر منه؛ ن: عصاته يكون أمته. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٨ظ.
[7] جميع النسخ: يخرج. والتصحيح من المرجع السابق.

ثم ليس في قوله تعالى: **ومن يتق الله يجعل له مخرجا،**[١] تخصيصُ أنَّ من لا يتقيه لا يرزقه من حيث لا يحتسب، لأنا قد نرى في الشاهد من يرزقه من حيث لا يحتسب اتقاه أو لم يَتَّقِه، فثبت أن فائدة التخصيص ليست[٢] نفي غير المذكور.[٣] ولكن فائدة تخصيص المتقي بالذكر هو أنه يرزقه من حيث يَطِيب له[٤] ولا يلام عليه، وليس ذلك في غير المتقي. ***والله المستعان.***

ثم ليس في قوله: **ومن يتوكل على الله فهو حسبه،** ما يدل على ترك الأسباب، ولكن لما رأى الناسَ يفزع بعضهم إلى بعض ويستغيث بعضهم ببعض أمرهم أن يجعلوا المقصد والمفزع إلى الله تعالى، وأن يصيّروا هذه الأسباب كلها محنة عليهم، لا أن يروا أرزاقهم معصوبة[٥] متعلقة بها. ألا ترى إلى قوله تعالى: وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ،[٦] كيف أمر بإدراك فضله من تلك التجارة؛ فثبت أن هذه المكاسب كلها أسباب للخلق بها يتوصلون إلى فضل الله تعالى، وأن المقصد والمفزع فيها إلى الله تعالى. ***والله أعلم.***

ثم اختلفوا في العدة فمنهم من قال:[٧] هي استبراء الرَّحِم، ومنهم من قال: هي عبادة تَتْبَع[٨] النكاح الذي استُوفي فيه المقصود بالنكاح. وهذا القول عندنا أصوب لأوجه. أحدها أن الاستبراء واجب في حق السنة والأدب قبل الطلاق؛ فإن من أراد أن يطلق امرأته فالواجب عليه أن يستبرأها بحيضة ثم يطلقها. وأما العدّة فإنها لا تجب إلا بعد الطلاق، فثبت أنها على ما ذكرنا من العبادة التي تتبع[٩] النكاح الذي استوفي فيه المقصود.[١٠] ***والله أعلم.*** ومعنى آخر أن العدة لو كانت استبراء لكانت يُكتفَى بالحيضة الواحدة، فلما قُرنت بالعدد، وفي الواحدة مندوحة عما سواها في حق الاستبراء، ثبت أنها على الوجه الأول. ***والله أعلم.***[١١]

---

[١] ر م + له.

[٢] جميع النسخ: ليس.

[٣] ر ث م: المقصود.

[٤] ن – له.

[٥] ر م: مقصودة؛ ن: مفصوبة؛ ث: مفصوبه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٩و.

[٦] ﴿فإذا قُضِيَت الصلاة فانتشِروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾ (سورة الجمعة، ٦٢/١٠).

[٧] ن: في العدة فقال بعضهم.

[٨] جميع النسخ: يتبع. والتصحيح من المرجع السابق.

[٩] جميع النسخ: يتبع. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٠] ر ث م + أن الاستبراء واجب.

[١١] ث – ومعنى آخر أن العدة لو كانت استبراء لكانت يكتفي بالحيضة الواحدة فلما قرنت بالعدد وفي الواحدة مندوحة عما سواها في حق الاستبراء ثبت أنها على الوجه الأول والله أعلم.

﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾[٤]

وقوله عز وجل: **واللائي يئسن من المحيض من نسائكم**، هذا يدل على أن المراد من الأقراء الحيض؛ وذلك لأن الأصل عندنا في الأصول أن الشيء متى ذكر باسم مشترك ثم جرى البيان له عند ذكر البدل باسم خاص[١] دل على أن المراد[٢] من الاسم المشترك هذا الاسم الخاص المذكور عند البدل. ألا ترى إلى قوله تعالى: فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ،[٣] وكان اسم الغسل مشتركا يتناول الماء وكل مائع، فلما قال عند ذكر البدل، فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً، تبين[٤] أن المراد من ذلك الاسم المشترك هو هذا الاسم الخاص[٥] المذكور عند البدل، فكذلك الأول. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة[٦] أشهر**، اختلفوا في قوله: **إن ارتبتم**، أنه أريد به إن ارتبتم في حيضهن أو في عدتهن. وعندنا الارتياب في عدتهن لأنه لو كان المراد منه الإرتياب في حيضهن لكان من حق الكلام أن يقول: إن ارْتَبْنَ، أو يقول: واللائي ارتبن ليكون منسوقا على قوله: **واللائي يئسن**، فلما قال: **ارتبتم**، ثبت أن المراد إن ارتبتم في عدة[٧] الآيسات والصغائر فهي ثلاثة[٨] أشهر. *والله أعلم*. ولأن المرتابة إذا رأت الحيض ارتفع ريبها وصار عدتها بالحيض وخرجت من العدة بالشهور. وأما الآيسة / والصغيرة فإنه لا يتوهم عليهما[٩] [٨١٦و] ارتفاع الإياس والصِغَرِ[١٠] فيكون عدتهما بالأشهر، فلذلك قلنا: إن هذا الارتياب في عدة الآيسات والصغائر.

---

[١] ر: خواص.
[٢] ن: دل أن المراد.
[٣] سورة المائدة، ٦/٥.
[٤] ر ن م: يبين.
[٥] ر: الخواص.
[٦] ن ث: ثلثة.
[٧] ر م: في هذه.
[٨] ن ث: ثلثة.
[٩] جميع النسخ: عليها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٩و.
[١٠] ر ث م + وإنه لا يتوهم عليها.

ثم من قول أصحابنا: إن الرجل إذا طلق امرأته الآيسة أو الصغيرة[1] أو الحامل للسُّنَّة يطلقها[2] متى شاء وليس[3] له وقت معين في طلاقها للسنة،[4] وإنما كان كذلك لأنا قد وصفنا في قوله: فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ،[5] أن المراد منه لقُبُل عدتهن. ومعلوم أن عدة التي ترى[6] الحيض أحد شيئين: [إما الأطهار وإما الحيض، ومن جعل حيضها هي العدةَ لم يَعتدَّ][7] ولم يعتبر ما يقابلها وهو الطهر من العدة. وكذلك من جعل عدتها بالأطهار[8] لم يعتبر ما يقابلها[9] وهو الحيض من العدة. وإذا كان كذلك لم يكن بُدٌّ من أن يكون هاهنا شيء يقابل عدتها، فثبت فيه معنى قُبُل عدتها، فيُجعَل ذلك الطهرَ.

وأما الآيسة والصغيرة[10] والحامل فجميع أيامها من عدتها، وهو ثلاثة أشهر، وليس في أيامها شيء يقابل[11] عدتها، فلذلك قلنا: إن له أن يطلقها في أي وقت[12] شاء. وكذا له أن يطلق الحامل التي من ذوات الأقراء، وذلك لأنه إنما نهي عندنا عن الطلاق على إثر الجماع في التي تحيض لتوهم أن يكون الجماع أحبلها، فإذا طلقها ثم أراد نفي الحبل في العدة لم يتهيأ له ذلك. وأما الآيسة والصغيرة والحامل فليس فيهن هذا التوهم. **والله أعلم**.

ثم هذه العدة، وإن ذكره في هذه السورة على إثر الطلاق الواحد،[13] فكأنها في التطليقات الثلاث، لأن هذه العدة مكان العدة التي ذكر الله تعالى في سورة البقرة من قوله: وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ،[14] لأنه ذكر هاهنا وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ،[15] على الإجمال وذكرها ثَمّ على التفسير،

---

[1] ر م: والصغيرة؛ ث – ثم من قول أصحابنا إن الرجل إذا طلق امرأته الآيسة أو الصغيرة.
[2] ر ث م: مطلقها.
[3] ن: يطلقها شاء فليس.
[4] ر: السنية؛ م: السفينة
[5] الآية ١ من هذه السورة.
[6] ث: يرى.
[7] ر م: إما الدم؛ ن: أحد شيئين ولم يعتبر إما لعبد. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٣٩و.
[8] ن – ولم يعتبر ما يقابلها وهو الطهر من العدة وكذلك من جعل عدتها بالأطهار.
[9] ث – إما الدم ولم يعتبر ما يقابلها وهو الطهر من العدة وكذلك من جعل عدتها بالأطهار لم يعتبر ما يقابلها.
[10] م: والصغير.
[11] ن: تقابل.
[12] م + وقت.
[13] م: الواحدة.
[14] سورة البقرة، ٢/٢٢٨.
[15] الآية ١ من هذه السورة.

وإذا التحق[1] التفسير بالمجمل يصير في المعنى والحكم كأنه واحد.[2] ومعلوم أن تلك [الآية][3] في الواحدة[4] والثلاث، ألا ترى إلى قوله تعالى: اَلطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ،[5] وقوله: أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ، هي التطليقة الثالثة. وإذا كان الأمر على ما وصفنا ثبت أن للمرء أن يطلق امرأته الحامل للسنة ثلاثا. **والله أعلم**.

{قال رحمه[6] الله:} ثم في قوله: لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ،[7] أوجه من الفقه. أحدها أنه لما قال: مِنْ بُيُوتِهِنَّ، دل أنه ألزمهن السكون في بيوتهن التي كن فيها في حال قيام النكاح، فيكون دليلا في قول[8] أصحابنا: إنه ليس للزوج أن يُسكنها معه في بيته الذي هو فيه بل يتركها في ذلك المسكن وينتقل هو بنفسه إن كان يريد الانتقال. يصحّح هذا قولُه: أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ،[9] فلما أدخل حرف "مِنْ" في[10] هذه الآية دل أن الواجب على الزوج أن يسكنها في بيت من بيوته ولا يدخل عليها في ذلك البيت إلى أن تنقضي[11] العدة. **والله أعلم**.

ثم المعنى عندنا في قوله: لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ، لِيُحْصِنَّ[12] ماءكم ولا يخرجن خوفا من وطئ غير الأزواج واشتباه النسب أن[13] لو حَبِلْن. وإذا كان النهي عن إخراجها وخروجها من البيت لهذا المعنى لم يكن بُدّ من إيجاب النفقة عليه لأنها إنما تكتسب[14] نفقتها بالخروج، فإذا نهيت عن الخروج لتحصين[15] مائه لم يحتمل أن تكون[16] النفقة على غيره. **والله أعلم**.

---

[1] ر: وإذا التحقق.
[2] جميع النسخ: واحدة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٩ظ.
[3] الزيادة من المرجع السابق.
[4] جميع النسخ: في الواحد. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] سورة البقرة، ٢/٢٢٩.
[6] ر: رحمة.
[7] الآية ١ من هذه السورة.
[8] ن: لقول.
[9] الآية ٦ من هذه السورة.
[10] ر م – في.
[11] ر م: إلى أن ينقض؛ ن ث: إلى أن ينقضي.
[12] ن: لتحصن.
[13] ر م – أن.
[14] ث: يكتسب.
[15] ر ث: لتحصن.
[16] ر ن م: أن يكون.

ثم قوله: **وأُولَاتُ الأحمال أَجَلُهن [أن يضعن حملهن]**، روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: من شاء باهَلْتُه أن قوله: **وأولاتُ الأحمال أجلهن**، نزل بعد قوله في سورة البقرة: وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا،[1] وجَعَل عدة الحامل بوضع الحمل ولا يَعتبر أبعدَ الأجلين.[2] لكن إن كان ابن مسعود رضي الله عنه يباهل فعليّ رضي الله عنه لا يباهل ويقول بأن قوله: وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ، لا يجوز أن يَدخل في قوله: **وأولاتُ الأحمال أجلهن**.[3] وذلك لأن قوله: **وأولات الأحمال**،[4] إنما ذكر في عدة الطلاق وعدة الطلاق لا تتضمن[5] عدة الوفاة، إذا كانت بالحيض لم تدخل[6] عدة الطلاق في عدة الوفاة. ألا ترى أن من طلق امرأته وهي حامل ممن تحيض، ثم مات عنها[7] زوجها قبل انقضاء عدتها لم تدخل[8] عدة الوفات في الحيض الثلاث، بل الحيض هي[9] التي تدخل[10] في عدة الوفاة، ويؤمر[11] بأن تعتدَّ[12] بأبعد الأجلين فكذلك أمر الحامل. وإذا اشتبه الحال أمرت فيه بالاحتياط أن تعتد[13] بأبعد الأجلين، ولأن عدة الوفاة لم تلزم لوطئ متقدم. ألا ترى أنها قد تلزم[14] من لم يكن زوجها من أهل الوطئ؟ وأما عدة الحبل والحيض إنما لزمت لوطئ متقدم، وإذا لم[15] تكن[16] عدة الوفاة من جنس العدة بالحبل لم تدخل في عدة الحبل فوجب[17] فيه الاحتياط، وذلك في الاعتداد بأبعد[18] الأجلين.

---

[1] سورة البقرة، ٢/٢٣٤.
[2] *سنن النسائي*، الطلاق ٥٦؛ و*تفسير الطبري*، ٢٨/١٨٢.
[3] *تفسير الطبري*، ٢٨/١٨٣؛ و*تفسير ابن كثير*، ٨/١٧٥.
[4] ن ث + أجلهن.
[5] جميع النسخ: لا يتضمن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٩ظ.
[6] جميع النسخ: لم يدخل. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ث – عنها.
[8] جميع النسخ: لم يدخل.
[9] ر ث م – هي.
[10] جميع النسخ: يدخل. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] جميع النسخ: وتؤمر.
[12] ر ث م: بأن يعتد. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] جميع النسخ: أن يعتد. والتصحيح من المرجع السابق.
[14] جميع النسخ: لم يلزم لوطئ متقدم ألا ترى أنها قد يلزم. والتصحيح من المرجع السابق.
[15] ر م – لم.
[16] جميع النسخ: يكن.
[17] جميع النسخ: لم يدخل في عدة الحبل فلا يوجب. والتصحيح من المرجع السابق.
[18] ن: أبعد.

ثم التخصيص بذكر الإنفاق على الحوامل يحتمل أن يكون بمعنى[1] أنها في الحقيقة لا تدخل[2] في قوله: لَا تُخْرِجُوهُنَّ،[3] لأنا قد وصفنا / أنها إنما نهيت لتحصين[4] ماء الزوج، وإذا مضت تسعة أشهر فقد خرجت عن التحصين، فكان الواجب[5] أن تسقط[6] النفقة بعد التسعة. لكن الله تعالى حثَّ على الإنفاق[7] في جميع المدة لأنها لا محالة إنما بقيت[8] في هذه المدة لوطئه المتقدم. فلذلك حثَّ الله تعالى في الإنفاق على الحوامل فيما يقع عندنا. ***والله أعلم***. [٨١٦ظ]

وأما ابن مسعود رضي الله عنه فإنه يجوز[9] أن يكون قوله: **وأولات الحمل أجلُهن**، عنده مبتدأً خطابٍ ليس بمعطوف على قوله: **واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم**، لأنا نعلم أنه لا يجوز أن يقع الارتياب فيمن تحتمل[10] القَرْءَ؛ وذلك[11] لأن الأشهر في الآيسات إنما أقيمت مقام الأقراء في ذوات[12] الحيض، وإذا كانت الحامل ممن يحتمل القرء لم يجز أن يقع لهم شك في عدتها ليسألوا[13] عن عدتها. وإذا كان كذلك ثبت أنه خطابٌ مبتدأ، وإذا كان خطابا مبتدءًا تناول العدد كلها. ومما يدل على أنه مبتدأ خطاب ما روي في خبر سُبَيعةَ بنت الحارث الأسلمية أنها وضعت بعد وفاة زوجها بخمسةَ عَشْرةَ ليلةً[14] فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوج.[15] فدل إباحته النكاح قبل مضيّ أربعة أشهرٍ وعشرةٍ على أن عدة الحامل تنقضي[16] بوضع الحمل في جميع الأحوال. وقال الحسن: إن الحامل إذا وضعت أحد الولدين[17] انقضت عدتها،

[1] ن: لمعنى.
[2] جميع النسخ: لا يدخل.
[3] الآية ١ من هذه السورة.
[4] ر ث م: لتحصن.
[5] ر ث م: الوجه.
[6] جميع النسخ: أن يسقط.
[7] ر م: عن الإنفاق.
[8] ن: إنما نفيت.
[9] ن: تجوز.
[10] جميع النسخ: يحتمل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٩ظ.
[11] ن: وكذلك.
[12] ن: الأقراء ذوات.
[13] ن: لتسألوا.
[14] جميع النسخ: بخمسة عن ليلة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٠و.
[15] صحيح *البخاري*، المغازي ١٥؛ وصحيح *مسلم*، الطلاق ٥٦.
[16] ر ث م: ينقضي.
[17] ن: الوالدين.

واحتج بقوله: **أن يضعن حملهن**، و لم يقل أحمالهن.[١] ولكن لا يستقيم ما قاله لوجهين. أحدهما أنه قرئ في بعض القراءات أن يضعن أحمالهن.[٢] والثاني أنه قال: **أَجَلُهنّ أن يضعن حملهن**، ولم يقل يَلِدْنَ، بل علق بوضع حملهن والحمل[٣] اسم لجميع ما في بطنهن، ولو كان كما قاله لكانت[٤] عدتهن بوضع بعض حملهن، والله تعالى جعل أجلهن أن يضعن حملهن. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ومن يتق الله يجعلْ له من أمره يُسرا**، فقد وصفنا أن التقوى إذا ذكر مطلقا مفردا تناول الأوامر والنواهي فكأنه قال: **ومن يتق الله**، في أوامره أن يضيّعها[٥] أو في نواهيه أن يرتكبها، **يجعل له من أمره يسرا**. ثم قوله: **يجعل له من أمره يسرا**، له وجهان. أحدهما يجعلْ له من أمره يسرا في نفس التقوى أن يُيَسّره[٦] عليه، كما قال[٧] في قوله: فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى،[٨] يعني نيسر[٩] عليه فعل[١٠] التقوى والطاعة فكذلك الأول. ويحتمل أن يكون في جميع الأمور: في المكاسب والتجارات وغيرها أن من اتقى الله من الحرام يسّر الله عليه الحلال، ومن اتقى الله في الشُّبه يسّر عليه المباح،[١١] ومن يتق الله في تجارته رزقه ما يرجو[١٢] من الربح ويَأمُلُه، وكذلك جميع الأمور على هذا السبيل. ***والله أعلم***.

﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾[٥]

وقوله عز وجل: **ذلك أمر الله أنزله إليكم**، يحتمل وجهين. أحدهما أن يكون معنى قوله: **ذلك أمر الله**، أي ذلك التقوى أمر الله أنزله إليكم. ويحتمل أن يكون أراد[١٣] بقوله: **ذلك**،

---

[١] *بدائع الصنائع* للكاساني، ٤/٤٣٢؛ و*مفاتيح الغيب* للرازي، ٣٠/٣٦؛ وانظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٨/٢٠٦.

[٢] قرأ الضحاك: ﴿أَحْمَالَهُنَّ﴾ جمعا. (*البحر المحيط* لأبي حيان، ٨/٢٨٤؛ و*معجم القراءات* لعبد اللطيف الخطيب، ٩/٥٠٥).

[٣] ن + والحمل بل علق بوضع حملهن.

[٤] جميع النسخ: لمكان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٠و.

[٥] ن: أن يصنعها.

[٦] ر م: أن تيسيره؛ ن ث: تيسره. والتصحيح من المرجع السابق.

[٧] ن - قال.

[٨] سورة الليل، ٩٢/٥-٧.

[٩] ر م: نيسره.

[١٠] ن: فعلي.

[١١] ر ث م: في المباح.

[١٢] ر م: ما يرجوا.

[١٣] ن: المراد.

ما تقدم من الآيات في المراجعة والإشهاد والطلاق والعدة وغير ذلك أنها، وإن خرجت[1] في الظاهر مخرج الخبر، فإنها كلها أمر الله تعالى أنزله إليكم فاتبعوها، وخذوا[2] بأمره فيها. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ومن يتق الله يُكَفِّرْ عنه سيئاته ويُعْظِمْ له أجرا**، هذا يدل على ما وصفنا أن التقوى إذا ذكر مفردا انتظم الأمر والنهيَ جميعا. ألا ترى[3] إلى قوله: إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ،[4] وقال هاهنا: **ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته**، فجعل التقوى مكفرا للسيئات[5] فلولا أن في التقوى أعظمَ الحسنات لم يكن لقوله: **يكفر عنه سيئاته**، معنًى. *والله أعلم*.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾[٦]

وقوله عز وجل **أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم**، وفي قراءة[6] عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أسكنوهن من حيث سكنتم وأنفقوا عليهن مِن وُجْدكم.[7] ويجوز أن يكون قراءة عمر رضي الله عنه هذه أيضا. ألا ترى أنه قال: "لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا بقول امرأة لا ندري[8] أصدقت أم كذبت".[9] فالكتاب هذا؛ والسنة يجوز أن يكون سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، أو يجوز أن يكون عند عمر رضي الله عنه في هذا تلاوة، قد رُفع عينها وبقي حكمها لذلك قال: لا ندع كتاب ربنا. ألا ترى إلى ما قاله[10] عمر رضي الله عنه في أمر الزنى:

---

[1] م + في.
[2] ن: وجدوا.
[3] ر ث م: ألا يرى.
[4] سورة هود، ١١/١١٤.
[5] ن: مكفر السيئات.
[6] ر م: في قراءة.
[7] *روح المعاني* للآلوسي، ٢٨/١٣٩؛ ومعجم *القراءات* لعبد اللطيف الخطيب، ٩/٥٠٧.
[8] ر ث م: لا تدري.
[9] قالت فاطمة بنت قيس: طلقني زوجي ثلاثا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا سُكْنَى لكِ ولا نَفَقة». قال مغيرة: فذَكَرْته لإبراهيم فقال: قال عمر: لا نَدَعُ كتاب الله وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم لقول امرأة، لا ندري أَحَفِظَتْ أم نَسِيَتْ. وكان عمر يجعل لها السكنى والنفقة. سنن *الترمذي*، الطلاق واللعان ٥.
[10] ر م: قال.

«سيأتي على الناس زمان يقولون: لا نجد الرجم في كتاب الله، وإنا كنا نتلو من قبل في سورة الأحزاب: "إن الشيخ والشيخة إذا زَنَيَا فارجموهما نَكالا من الله والله عزيز حكيم"».[١] فقد رفعت التلاوة وبقي حكمها. فكذلك[٢] في أمر النفقة يجوز أن يكون التلاوة مرفوعة، وحكمها باقيا. **والله أعلم.**

ثم [في][٣] قوله: "لا ندع[٤] كتاب ربنا" [إلى آخر] الخبر دلالةُ أن الكتاب قد ينسخ بالسنة[٥] لأن عمر رضي الله عنه إنما احتجّ في امتناعه عن ترك كتاب ربه بقوله لامرأة:[٦] "لا ندري[٧] أصدقت / أم كذبت"، ولو لا أن الكتاب قد[٨] ينسخ بالسنة[٩] وإلا لم يكن لاحتجاجه[١٠] بقوله: [٨١٧و] "لا ندع كتاب ربنا بقول امرأة" معنى بل كان[١١] يقول: "لا ندع[١٢] كتاب ربنا بالسنة." فلما قال: "لا ندع[١٣] كتاب ربنا بقول امرأة لا ندري[١٤] أصدقت أم كذبت" دل أن السنة قد تنسخ[١٥] الكتاب.[١٦] **والله أعلم.**

وروى أبو بكر الأصم أن فاطمة بنت قيسٍ لما أنكر عليها عمر رضي الله عنه حديثها تركت روايتها إلى زمن مروان، فلما استُخلف مروان جعلت تروي[١٧] حديثها، فأُخبر بذلك مروان فدعاها، فروت هذا الحديث، فقال لها مروان على ما كان يقول لها عمر رضي الله عنه.

---

[١] مصنف عبد الرزاق، ٣٢٩/٧-٣٣٠؛ ومسند أحمد بن حنبل، ١٣٢/٥؛ والدر المنثور للسيوطي، ٥٥٨/٦.
[٢] ن: وكذلك.
[٣] الزيادة من الشرح، ورقة ٢٤٠و.
[٤] ر ن ث: لا تدع.
[٥] ر ث م: السنة.
[٦] جميع النسخ: بقول امرأة.
[٧] ر ث م: لم تدر؛ ن: لم يدر. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ن – قد.
[٩] ر: السنة؛ ث + لأن عمر رضي الله عنه.
[١٠] جميع النسخ: احتجاجه. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ث – كان.
[١٢] ر ث: لا تدع.
[١٣] ر ث: لا تدع.
[١٤] ن: لا تدري.
[١٥] ر ث م: قد ينسخ.
[١٦] ر ث م: بالكتاب.
[١٧] ر م: يروي.

فقالت له: أين كتاب ربنا؟ فتلا عليها قوله: **أسكنوهن من حيث سكنتم**، وأنفقوا عليهن من وُجْدكم، فقالت: كيف يحتمل أن يكون هذا في المطلقة ثلاثا؟ والله يقول في هذه: فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ،[1] ومعنى الإمساك في المطلقة ثلاثا معدوم، فأُفحم مروان. ولو فهم مروان ما فهمه غيره لم يُفْحَمْ؛ وذلك أن هذه العدة المذكورة في هذه الآيات إنما هي مكانُ قوله: وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ،[2] ولا فرق هناك[3] بين المطلقة الواحدة والثلاث. وإذا كان المذكور في هذه العدة مكانُ تلك فالمذكور في النفقة في هذه كالمذكورة في تلك، وليس في تلك الآية فرق بين الثلاث والواحدة، فلذلك قلنا: في كتاب الله تعالى دلالة إيجاب النفقة للمبتوتة[4] والمطلقة ثلاثا. **والله أعلم**. فيكون حجة على الشافعي.

ومما يدل عليه وهو أنه لما استُدلّ بذكر الإنفاق في قوله: **فأنفقوا[5] عليهن حتى يضعن حملهن**، على وجوب الإسكان والنهي عن الإخراج مع توهم الإنفاق دون الإسكان فَلَأَنْ يُستَدلّ بذكر الإسكان على الإنفاق -ولا يكون[6] الإسكان إلا بالإنفاق لاتصاله به- أحرى،[7] فصار قوله: **أسكنوهن**، دليلا على وجوب الإنفاق. وإنما قلنا: إن الإنفاق متصل بالإسكان لأنه إذا[8] نُهِي عن إخراجها عن بيته[9] وأُمر بإسكانها فلا يحتمل أن لا يؤمر بالإنفاق لأن في ذلك تضييق [الأمر][10] عليها وتعسيرَه.[11] ألا ترى أنها إنما تكتسب[12] النفقة[13] بالخروج، فإذا نُهي الزوج عن إخراجها ونهيت هي عن الخروج لم تصل إلى نفقتها إلا بالزوج ضرورة. **والله أعلم**.

---

[1] الآية ٢ من هذه السورة.

[2] سورة البقرة، ٢/٢٢٨.

[3] ن – هناك؛ ث: هنالك.

[4] ر ث م: في المبتوتة.

[5] جميع النسخ: وأنفقوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٠ظ.

[6] ن: ولا يكاد؛ ث: وإلا ولا يكاد.

[7] ن ث: أحرى.

[8] ر ث م – إذا.

[9] ث: من بيته.

[10] الزيادة من المرجع السابق.

[11] ر: وتفسيره.

[12] ر م: يكتسب.

[13] ر: المنفعة.

ولأجل أنا نظرنا أن النفقة في الحامل للحمل أو العدة؟ فوجدنا أنها لو كانت واجبة للحمل لم تجب[1] إذا كان حملها بحيث لو وضعته لم يلزم نفقته عليه. وقد وجدنا هذا الحكم نحوَ حُرٍّ يتزوج أَمةَ رجلٍ بإذن سيدها، فولدت ولدا إن نفقة الولد على السيد، وهي تجب[2] عليه مادام في بطن أمه، فلما استقام وجوب النفقة على الزوج مادامت حاملا، وإن كان الحبل[3] بحيث لو وضعته لم يلزمه[4] نفقته،[5] تبيّن[6] أن النفقة في الحامل لمكان العدة لا للحبل؛ والعدة في الحابل[7] والحامل واحدة، فكذلك كان حكمها واحدا. *والله أعلم*. ثم الأصل عندنا ما وصفنا أن النفقة إنما وجبت لاستمتاعه المتقدم. فإذا كانت محبوسة لاستمتاعه السابق أُوجبت النفقة عليه. وإذا[8] كانت محبوسة لا بهذا الحق لم تكن[9] عليه النفقة. *والله أعلم*.

ولأن في قوله: **أسكنوهن من حيث سكنتم من وُجْدكم**، إضمار النفقة، كأنه يقول: أسكنوهن من حيث سكنتم وأنفقوا عليهن من وُجْدكم، لأنه لولا هذا الإضمار لم يكن لقوله: **من وجدكم**، على الظاهر معنى، لأنه لما قال: **أسكنوهن**، عُلم أنه جعل الإسكان عليهم. ومن كان عليه الإسكان فإنما يكون مِن وُجْده فلم يكن في قوله: **من وجدكم**، إلا إعلامَ ما قد عَلِمناه. وإذا كان كذلك[10] ثبت أن في قوله: **من وجدكم**، إضمارًا[11] يستقيم عليه قوله: **مِنْ وُجْدكم**. [وليس ذلك إلا النفقة، وعلى هذه قراءة ابن مسعود أنه كان يقرأ "وأنفقوا عليهن (من) وجدكم"].[12] وليس بين القراءتين اختلاف، ولكن إحداهما[13] خرجت على الإجمال، والثانية على التفسير على ما قرئ في قوله: وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا،[14]

---

[1] ر ث م: لم يجب.
[2] جميع النسخ: وكان يجب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٠ظ.
[3] ر م - الحبل.
[4] ث: لم يلزم.
[5] ث + عليه.
[6] جميع النسخ: يثبت. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ر: في الحائل؛ ن: في الحامل.
[8] ر م: فإذا.
[9] جميع النسخ: لم يكن.
[10] ر ن: لذلك.
[11] جميع النسخ: إضمار.
[12] الزيادة من المرجع السابق.
[13] ر م: أحدهما.
[14] سورة المائدة، ٣٨/٥.

"فاقطعوا أيمانهما"،[1] و لم يحمل ذلك على الاختلاف، بل حملت إحداهما على الإجمال والثانية على التفسير، فكذلك الأول. *والله أعلم*. مع ما إن لم يثبت اللفظ في قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فأقله[2] أن يكون من خبر الآحاد. ومعلوم أن خبر ابن مسعود رضي الله عنه –وإن كان من خبر الآحاد فيما يسنده إلى الرسول صلى الله عليه وسلم– مقبول. أو لمّا وجب قبول خبر أبي هريرة رضي الله عنه مع ما قيل فيه من الضعف[3] فَلَأَنْ يقبل خبر ابن مسعود رضي الله عنه مع فضله وورعه وكثرة صحبته مع النبي صلى الله عليه وسلم وتبحّره[4] في الفقه أولى. ومن هجر قراءة ابن مسعود رضي الله عنه خِيفَ عليه الزلَّةُ. ألا ترى إلى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه[5] أنه سأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما تَعدّون آخِرَ القراءة؟ [٨١٧ظ] / قالوا: قراءةَ زيد بن ثابت رضي الله عنه. فقال: كلا، كان يُعرَض القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم كل عام مرة، وعرض عليه في العام الذي قُبض فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين، وقد شهدهما جميعا ابن مسعود رضي الله عنه.[6] وإذا[7] كان ابنُ مسعود قراءتُه آخرَ القراءات، وهو الذي شهد قراءة القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر مرة، لم ينبغ أن يُعرَض عن قراءته ويُهجَر. *والله أعلم*.

وفي قوله: **أسكنوهن من حيث سكنتم**، دلالة أنه إنما يُسكنها في جزء من أجزاء مسكنه لا في الموضع الذي يَسكنه هو لأن حرف "من" للتجزئة والتبعيض.

وقوله: **ولا تُضارُّوهن لتُضيّقوا عليهن**، يحتمل وجهين من التأويل. أحدهما أي[8] لا تضاروهن في الإنفاق عليهن فتضيقوا عليهن النفقة فيخرجن. أو لا تضاروهن في المسكن فتدخلوا عليهن من غير استئذان فيَضيق[9] عليهن المسكن فيخرجن. *والله أعلم*.

---

[1] ر م: فأيمانهما. وهي قراءة ابن مسعود. *معاني القرآن* للفراء، ٣٠٦/١؛ و*معجم القراءات* لعبد اللطيف الخطيب، ٢٧٠/٢.

[2] ن ث: فأقلة.

[3] ن: فيه الضعف.

[4] ر: وتجره.

[5] ن ث: عنهما.

[6] *مسند أحمد بن حنبل*، ٢٧٥/١؛ و*المستدرك* للحاكم، ٢٥٠/٢.

[7] ر ث م: وإذا.

[8] ن: التي.

[9] ن: فتضيق.

وقوله عز وجل: **وإن كُنّ أُولاتِ حَمْل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن**، دل الأمر بالإنفاق على النهي عن الإخراج، كما دل النهي عن الإخراج[١] على وجوب الإنفاق. ثم التخصيص بذكر الإنفاق على الحوامل[٢] يحتمل أن يكون لمعنى أنها في الحقيقة لم يدخل في قوله: لَا تُخْرِجُوهُنَّ،[٣] لأنا قد وصفنا أنها إنما نهيت لتحصين[٤] ماء الزوج، وإذا مضت تسعة أشهر فقد خرجت عن التحصين،[٥] فكان الواجب أن تَسقط[٦] النفقة بعد التسعة، وقد ذكرنا هذا المعنى فيما تقدم.[٧] ويحتمل أن تكون[٨] الفائدة في تخصيص الحوامل بالإنفاق عندنا -والله أعلم- أنه لو لا هذه الآية لكانت الحوامل يخرجن عن قوله تعالى: لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ، ومن قوله: وَلَا يَخْرُجْنَ،[٩] لأن الأزواج لهم أن يحتجوا عليهن أن حرمة النكاح في ذوات الأحمال ليس لحق الأزواج، ولكن لحق ما في بطنها من الولد. ألا ترى أنه يَحرم عليها النكاح وإن كان[١٠] الولد من غيره. وقد قلنا: إن النفقة إنما أُوجبت في غير الحوامل لأنهن يُحْبَسْن[١١] عن نكاح الأجانب بحق الأزواج، فإذا كان[١٢] الحبس في الحوامل لا لحق الأزواج جاز أن يكون هذا[١٣] حجة لهم في إسقاط النفقة عنهم. وإذا كان[١٤] كذلك حث الله لهم في الإنفاق على الحوامل ما لم يضعن حملهن، لأن ذلك الحمل[١٥] من أثر استمتاعهم المتقدم، ففائدة تخصيص ذكر الحوامل هذا. **والله أعلم.**

---

[١] ن + عن الإخراج.
[٢] ر م: الحامل.
[٣] الآية ١ من هذه السورة.
[٤] ر ث م: لتحصن.
[٥] ر ث م: عن التحصن.
[٦] ن: أن يسقط.
[٧] لكن الله تعالى حث على الإنفاق في جميع مدة الحمل لأنه لا محالة إنما بقيت في هذه المدة لوطئه المتقدم. فلذلك حث الله تعالى في الإنفاق على الحوامل عندنا. والله أعلم. (من *الشرح*، ورقة ٢٤١و).
[٨] جميع النسخ: أن يكون.
[٩] الآية ١ من هذه السورة.
[١٠] ن: ولو كان.
[١١] ر ن ث: تحبسن.
[١٢] ر م: فإذا كانت.
[١٣] ر ث م - هذا.
[١٤] ر م: وإذا كانت.
[١٥] ن - الحمل.

وقوله عز وجل: **فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن**، هذا يتضمن أوجها من أدلة الفقه. أحدها أنه قال: **فآتوهن أجورهن**، ثبت أن الإرضاع كان بإجارة، وأنه[1] إذا استأجرها لتُرضع[2] ولده[3] منها بعد المفارقة جازت الإجارة وحل لها أخذ الأجر، وأنه إذا استأجر امرأته في صُلْب النكاح على إرضاع[4] ولده منها لم يجز ولم يكن لها أخذ الأجر، لأن الله تعالى ذكر بدل الرضاع في صلب النكاح بلفظ الرزق بقوله: وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ،[5] فإذا سمى ما ذكره الله تعالى رزقا أجرا لم يكن أجرا، وكان بحق الرزق والكسوة، فلذلك لم يجز الإجارة في صُلب النكاح. ***والله أعلم.***

ثم قوله: **فآتوهن أجورهن**، دليل على أن اللبن، وإن خلق لمكان الولد، فهو ملك لها، ولو لا ذلك لم يكن لها أن يأخذ الأجر على لبن ليس لها فيه ملك. وفيه دليل على أن حق الإرضاع والنفقة[6] على الأزواج في حق الأولاد، وحق الإمساك والحضانة والكفالة على الزوجات، ولولا ذلك لكان لها بعض الأجر دون الكل. فلما أَمَرَ[7] بإيتاء كل الأجر ثبت أن حق الإرضاع على الأزواج، وعلى الزوجات[8] الكفالة والإمساك. ***والله أعلم.***

ولأَجْلِ أنا لو جعلنا اللبن ملكا للولد مخلوقا له وجعلنا النفقة على الأم من مال نفسها لكانت نفقتها تَفْنَى، ولا يتهيأ لها كسب النفقة لاشتغالها بالإرضاع فتجوع وتهلك[9] ويذهبُ لبنها فيبطل[10] الإرضاع. فإذا كان[11] إيجاب الإرضاع عليها يَسقط من حيث يُراد جَعْل النفقة، فأسقطنا عنها وجعلنا ملك اللبن [لها][12] لتأخذ[13] الأجر عليه. ***والله أعلم.***

---

[1] ث: فإنه.
[2] جميع النسخ: ليرضع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤١و.
[3] ر م: وولده.
[4] ر ث م: على الرضاع.
[5] سورة البقرة، ٢/٢٣٣.
[6] ن: والفقه.
[7] ر م - أمر.
[8] م: وعلى الأزواج.
[9] جميع النسخ: فيجوع ويهلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤١ظ.
[10] ن: فبطل.
[11] ر م: وإذا كانت؛ ن ث: وإذا كان. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] الزيادة من المرجع السابق.
[13] ن: ليأخذ.

وفي هذه الآية دلالة على أن الأجر إنما يجب بعد استيفاء المنافع، فإنه قال: **فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن**، إنما أوجب الإيتاء بعد الإرضاع. وفي قوله: **أُجورَهنّ**، دلالة على أن الإرضاع إنما هو بإجارة[١] قد سبقت، لذلك قال أصحابنا: إن الأجرة إنما تجب[٢] عند استيفاء العمل.

وقوله عز وجل: **وائتمروا بينكم بمعروف**، له وجهان. أحدهما أن يقول: **وائتمروا**، يعني تشاوروا في إرضاعه إذا تعاسرت هي. والثاني **وائتمروا**، أي اعملوا[٣] بأمر من جعل الله تعالى إليه الأمر بالمعروف، وهو [الحاكم][٤] إذا أمركم في أمر الولد بالمعروف.[٥]

وقوله: **وإن تعاسرتم فستُرْضع له أخرى**، يعني إذا تنازعتم في الرضاع وأَبَتِ الأُمّ أن تُرضعه فاطلبوا أخرى ترضعه[٦] عندها.

﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[٧]

وقوله: **لينفق ذو سعة من سعته**، أي من وُسّع عليه في الرزق فلينفق نفقة واسعة، **ومن قدر عليه**، يعني ضُيّق عليه؛ **وقدر**، / هاهنا بمعنى ضيق عليه[٧] وهو كما قال: فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ،[٨] يعني[٩] [٨١٨و] فظن أن لن نضيق عليه، وكذلك قوله:[١٠] يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ،[١١] يعني ويضيّق عليه؛ أي من ضُيّق عليه فلينفق نفقة ضيقة فذلك قوله: **فلينفق مما آتاه الله**. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها**، فهو يدل على أن العباد ما اكتسبوا[١٢] من الأموال فهي كلها مما آتاهم الله تعالى، وأن لله تعالى في أفعال العباد وفيما يكتسبونه من الأموال صنعا وتدبيرا،

---

[١] ن: بإجازة.
[٢] ر ث م: إنما يجب.
[٣] ر م: اعلموا.
[٤] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٤١ظ.
[٥] ر ث م – وهو إذا أمركم في أمر الولد بالمعروف.
[٦] ن ث: يرضعه.
[٧] ن – عليه.
[٨] ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه﴾ (سورة الأنبياء، ٨٧/٢١).
[٩] ر م: أي.
[١٠] ر ث م – قوله.
[١١] سورة العنكبوت، ٦٢/٢٩؛ وسورة سبأ، ٣٩/٣٤.
[١٢] ر م: على أن العبادة اكتسبوا.

لأنه لو لا ذلك لكان يجوز أن يكلفه الله تعالى وإن لم يؤتها لهم إذا كان في قدرته أن يكتسب ما لم يؤته الله تعالى.

وقوله عز وجل: **سيجعل الله بعد عسر يسرا**. هذا دليل على أنه إذا عجز عن نفقة امرأته لم يفَرَّق بينها وبينه لأنه إذا فُرِق بينهما لم تصل إلى زوج ينفق عليها للحال بل تحتاج[1] فيه إلى انقضاء العدة. وقد يُتوهم في خلال ذلك أن يُوسِر الزوجُ، لأن إنجاز وعد الله تعالى في اليسار بعد العسر[2] أقرب من قدرتها على زوج ينفق عليها. وليس هذه كالأَمَة، لأنه إذا باع الأمة دخلت في ملك آخرَ ينفق عليها. ***والله أعلم***.

ثم يجوز أن يكون قوله: **سيجعل الله بعد عسر يسرا**، وعدا لجميع الأمة أن من ابتُلي بالعسر يَتْبَعه اليسر. ويجوز أن يكون خطابا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كانوا في عسر وضِيق عَيش، فوعدهم الله بعد ذلك العسرِ الذي كانوا فيه يسرا. وقد أنجز ذلك[3] الوعد حيث فتح لهم الفتوح ونصرهم على أعدائهم فغَنِموا أموالهم. ***والله أعلم***.

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا﴾ [٨]

وقوله عز وجل: **وكأيِّن من قرية عتت عن أمر ربها ورسله**، وصف الله تعالى القرية بالعتوِ ومعلوم أنها[4] لا تَعْتُو،[5] ولكن المراد منه أي عتا[6] أهلها عن أمر ربهم. وقد يجوز أن يُكنَى بالمكان عن الأهل كما قال في آية أخرى: وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا،[7] يعني واسأل أهل القرية. وفي هذا دلالة أن ما خرج مخرج الكناية في الحقيقة لم يكن كذبا، وإن كان في ظاهره يتراءى[8] أنه كذب. ألا ترى إلى قوله:[9] إِنَّ هٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً،[10]

---

[1] ر ث م: يحتاج.
[2] ر: اليسر.
[3] ر م - ذلك.
[4] ر ث م: أنه.
[5] ن: لا تعتوا.
[6] ر ث: أي عتى.
[7] سورة يوسف، ٨٢/١٢.
[8] جميع النسخ: ترايا. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٢٤١ظ.
[9] ر م: ألا ترى قوله.
[10] سورة ص، ٢٣/٣٨

ومعلوم أنه لم يكن هناك[1] نَعَجاتٌ،[2] ولكنه[3] كناية عن النساء، فخرج على الصدق في الحقيقة كأنه[4] قال: إن هذا أخي لو كان له تسع وتسعون امرأة، فكذلك[5] الأول. *والله أعلم*. والعُتُوّ النهاية في الاستكبار ألا ترى إلى قوله تعالى: لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا.[6]

وقوله عز وجل: **فحاسبناها حسابا شديدا**، له أوجه من التأويل. أحدها يقول: **حاسبناها**، أي بلغوا في الكفر والعتو والاستكبار مبلغا صاروا من أهل الحساب الشديد والعذاب المنكر. أو يُجْعَل ما ذكر الله من نزول النقمة بالأمم الماضية لعتوهم واستكبارهم حسابا شديدا لهذه الأمة ليتذكروا ويتعظوا. أو يكون معناه **فحاسبناها**، أي سنحاسب[7] حسابا شديدا في الآخرة، كما كان معنى قوله تعالى: وإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ،[8] بمعنى وإذ يقول الله، فكذلك الأول. *والله أعلم*.

ووجه نزول هذه الآية[9] أن يكون له معنيان. أحدهما تخويف أمة محمد صلى الله عليه وسلم والكفرةِ من أهل مكة بما نزل بالأمم الخالية حين تركوا اتباع رسلهم والإيمانَ بهم، واستكبروا في أنفسهم وعَتَوا، لكي ينتهيَ أهل قريته[10] عليه السلام[11] عما هم فيه من الكفر والعتو، أو يَحذروا[12] الوقوع فيه في حادث الأوقات. ويحتمل أن يكون هذا[13] تسكينا لقلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتهوينا عليه فيما يَلْقَى من كفر[14] قومه وعصيانهم وعُتوّهم، وليَعلم ما لقيت الرسل المتقدمة من أممهم حتى بلغ كفرهم واستكبارُهم المبلغَ الذي وقع اليأس عن إيمانهم

---

[1] ن – هناك.
[2] جميع النسخ: نعجة.
[3] ر ث م: ولكن.
[4] ر ث م: كناية.
[5] ن: فلذلك.
[6] سورة الفرقان، ٢١/٢٥.
[7] جميع النسخ: سيحاسب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٢و.
[8] سورة المائدة، ١١٦/٥.
[9] ر م: الآيات.
[10] ر ث م: قرية.
[11] ن – عليه السلام.
[12] ر: ويحذروا؛ ث: أو يحذر.
[13] ر ث م – هذا.
[14] ر ث م: من أمر.

حتى أنزل الله تعالى بهم ما أنزل من النقم والعقوبة. ويجوز أن تكون[1] هذه[2] محنة امتحن بها[3] رسولَه ليُعلِّم شفقته على أمته في ترك الدعاء عليهم بالإهلاك. *والله أعلم*.

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾[٩]

وقوله: **فذاقت وبال أمرها**، أي شدة أمرها أو نقمة أمرها[4] وعقوبة كفرها. وقوله: **وكان عاقبة أمرها خسرا**، أي عاقبة عتوها خسارا في الآخرة.

﴿أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾[١٠] ﴿رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللهُ لَهُ رِزْقًا﴾[١١]

وقوله: **أعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا أولي الألباب**، أي فاتقوا الله يا من تدَّعُون[5] أن لكم[6] لُبًّا فاتقوه عن أن تكفروا[7] به وبرسوله. وفيه دلالة أن خطاب الله إنما يتناول العقلاء منهم وأن من لا عقل له فلا خطاب عليه.

وقوله: **قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا**، له وجهان. أحدهما أن يجعل الذكر والرسول كلَه واحدا[8] فيقول: أنزل الله إليكم ذكرا وهو الرسول. وإنما سماه ذكرًا لوجهين. أحدهما أن من اتبعه شَرُف وصار مذكورا. أو سماه ذكرا لأنه يُذكِّرهم المصالح[9] والمضارَّ وما يرجع إلى دينهم وعقباهم. ويجوز أن يكون فيه إضمار وهو أن يقول: أنزل الله إليكم ذكرا وأرسل إليكم[10] رسولا.

---

[1] ر ن م: أن يكون.
[2] ن: هذا.
[3] ن: لها.
[4] ن + أو نقمة أمرها؛ ث – أو نقمة أمرها.
[5] جميع النسخ: يدعون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٢و.
[6] جميع النسخ: أن لهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] جميع النسخ: عن أن يكفروا. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ن: واحد.
[9] ر م: الصالح.
[10] ر م – ذكرا وأرسل إليكم.

وقوله عز وجل: **يتلو عليكم آيات الله مبينات**، بالخفض / والنصب.[١] الآيات الأعلام |٨١٨ظ| والحجج؛[٢] فمن قرأ مبيّنات بالخفض فمعناه أنها تبين[٣] الحلال والحرام والأمر والنهي. ومن قرأ بالنصب[٤] فكأنه يريد به[٥] أن الله تعالى أوضح آياته وبينها حتى إن من تفكر فيها وفي جوهرها علم أنها من عند الله.

وقوله عز وجل: **ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور**، كل من آمن فقد خرج من الظلمات إلى النور،[٦] وإذا كان هذا هكذا فحق هذا الكلام أن يقول: ليخرج الذين كفروا من الظلمات إلى النور. ولكن يحتمل أن يكون معناه: ليخرج الذين يؤمنون، على ما جاز أن يراد من الماضي المستقبل، نحوَ قوله تعالى:[٧] وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ،[٨] أي وإذ يقول الله: يا عيسى بن مريم، جاز أن يراد من الماضي المستقبل،[٩] وهذا سائغ[١٠] في اللغة. ويحتمل أن يقول: ليخرج الذين آمنوا من ظلمات تحدث[١١] لهم بعد إيمانهم إلى النور. *والله أعلم*.

وقيل قوله: **الذين آمنوا**، يعني الذين وحّدوا الله تعالى وعظموه وبجلوه من معاني الشبه، ووصفوه بالتعالي عن العيوب والآفات، وعملوا في إيمانهم صالحا إذا خافوه ورجوه بإيمانهم. وذلك عملهم الصالح في الإيمان، وذلك معنى قوله: أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا،[١٢]

---

[١] قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم وأبو جعفر ويعقوب واليزيدي وابن عباس وابن حيص: ﴿مُبَيَّنَاتٍ﴾ بفتح الياء، وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف والأعمش والحسن وعيسى: ﴿مُبَيِّنَاتٍ﴾ بكسر الياء (*معجم القراءات* لعبد اللطيف الخطيب، ٩/٥١٢).

[٢] ر ث م + فمعناه أنها تبين الحلال والحرام والأمر والنهي.

[٣] ر ن م: يبين.

[٤] ن – الآيات الأعلام والحجج فمن قرأ مبينات بالخفض فمعناه أنها تبين الحلال والحرام والأمر والنهي ومن قرأ بالنصب.

[٥] ن – به.

[٦] ر م – كل من آمن فقد خرج من الظلمات إلى النور؛ ث + ولكن يحتمل أن يكون معناه.

[٧] جميع النسخ: وقوله تعالى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٢و.

[٨] سورة المائدة، ٥/١١٦.

[٩] جميع النسخ: من المستقبل الماضي. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٠] ن: شائع.

[١١] ن ث: يحدث.

[١٢] ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنتْ من قبلُ أو كسبت في إيمانها خيرا﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٥٨).

ومعنى ذلك الكسب ما وصفنا من التعظيم والتبجيل والرجاء والخوف في نفس الإيمان. *والله أعلم*. ويجوز أن يكون معنى قوله: **وعملوا الصالحات**، في أداء الفرائض التي افترض الله عليهم.

وقوله: **قد أحسن الله له رزقا**، أي طاعة في الدنيا وثوابا في الآخرة، وذلك معنى قوله تعالى: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.[1] وفي هذه الآية دلالة أن من نال الإيمان فإنما ناله بفضل الله ورحمته،[2] لأنه لولا هكذا لم يكن لِيَمُنَّ الله تعالى عليه بذلك.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[١٢]

وقوله: **الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن**. اختلفوا في قوله: **ومن الأرض**، منهم من قال: **مِثلَهن**، أي طِباقا مثل السماوات بعضها طَبَقا فوق بعض. ومنهم من قال: **مثلهن**، يعني سبع جزائر على مثل ما قال: سَبْعَةُ أَبْحُرٍ،[3] فكذلك خلق سبع جزائر.[4] ومنهم من قال: خَلَق هذه الأرض التي نشاهدها[5] على حد السماء [الدنيا][6] ومقدارِها، والسِّتُّ من وراء هذه[7] السماء. *والله أعلم*. وليس بنا إلى تعرف مائيتها وكيفيتها وعددها حاجة لأنه ليس في تعرفها حكم يتعلق به. *والله أعلم*.

وقوله: **يتنزل الأمر بينهن**، له تأويلان. أحدهما يتنزل الوحي بينهن، وما يُنْزل الله تعالى من الكتب والرسل بينهن. ومعناه أن الله تعالى ذكر أمة محمد عليه السلام أنهم لم يُخَصُّوا بمحنة[8] الرسل والكتب والوحي، بل كل من في السماوات والأرض ممتحن بذلك.

---

[1] سورة البقرة، ٢/٢٠١.

[2] ر ث م: وبرحمته.

[3] ﴿ولو أن ما في الأرض مِن شجرة أقلامٌ والبحر يمدّه من بعده سبعةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدت كلمات الله﴾ (سورة لقمان، ٣١/٢٧).

[4] ن – سبع جزائر.

[5] ن: يشاهدها.

[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٤٢ظ.

[7] ر م: هذا.

[8] ر م: المحنة.

والثاني **يتنزل الأمر بينهن**، يعني التكوينَ، ووجه ذلك أنه لا يخلو[1] مكان في السماوات والأرض في كل وقت من مكوَّن يكوّنه الله تعالى أو محدَث يُحدثه، وذلك قوله: إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ.[2] فيجوز أن يكون المراد بالأمر[3] في قوله: **يتنزل الأمر**، أمرَ التكوين،[4] ومعناه ما وصفنا. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **لتعلموا أن الله على كل شيء قدير**، أي لكي تعلموا إذا تفكرتم في خلق السماوات[5] والأرض وما جرى من التدبير فيهما أن من بلغت قدرته هذا المبلغ كانت قدرته ذاتية، لا يعجزه شيء عما أراده، أو يدل هذا التدبير أنه خرج عن عالم لا يخفى عليه شيء. ***والله أعلم***.

ثم قوله: **لتعلموا أن الله على كل شيء قدير**، يحتمل أوجها. أحدها أن الله تعالى[6] على خَلْقِ فعلِ كل فاعل[7] من خلائقه قدير. ووجه ذلك أن الله تعالى قد كان أعلمهم بخلق السماوات والأَرضِين[8] بقوله: **الله الذي خلق سبع سماوات**، فلما قال **لتعلموا أن الله على كل شيء قدير**، لم يكن بُدّ[9] من أن يكون هذا في غير[10] خلق السماوات والأرضين. فثبت أن فيه دلالةَ قدرته على خلق فعل كل مخلوق، ولأنه لما بلغ قدرته وتدبيره في السماوات والأرضين مع عظم أمرهما وشأنهما ومع عجز البشر عن تدبير مثلهما، فَلَأَنْ تبلغ[11] قدرته وتدبيره فيما يقع فيه تدبير البشر، وهو أفعالهم، أحقُّ. ***والله المستعان***. ووجه آخر أن يقول: **لتعلموا أن الله على كل شيء قدير**،[12] بما وعد وأوعد قدير،[13] أو على كل شيء من منافع العباد ومضارّهم قدير.

---

[1] ر: لا يخلوا.
[2] سورة النحل، ١٦/٤٠.
[3] ر م - بالأمر.
[4] ر م: تكوين.
[5] ن ث: السماء.
[6] ن + قادر.
[7] ن: عباد.
[8] ن: والأرض.
[9] ر + لا.
[10] ن - غير.
[11] جميع النسخ: يبلغ.
[12] ن - قدير.
[13] م - قدير.

وعلى قول المعتزلة:[١] إن الله تعالى لا يقدر على فعل بَعُوضة فما فوقَها، ولا يقدر على إصلاح أحد من خلقه وإن أنفد[٢] جميع[٣] خزائنه، وإن من صلح فإنما يصلح بنفسه ومن فسد فإنما يفسد[٤] بنفسه. وهذا خلاف ما وصف الله تعالى به نفسه من أنه على كل شيء قدير.

وقوله عز وجل:[٥] **وأنّ الله قد أحاط بكل شيء علما**، يعني أن علمه لا يَشُذُّ عن شيءٍ ولا يخفى عليه شيءٌ من الفعل والأمر وغيره. ***والله تعالى أعلم***.[٦]

---

[١] ر م – المعتزلة.
[٢] ر م: وإن نفد.
[٣] ن – جميع.
[٤] ن: فسد.
[٥] ن: قوله.
[٦] ن: والله أعلم تمت السورة؛ م – والله تعالى أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة التحريم[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١]

قوله عز وجل: **يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك**، هذا في الظاهر فظيع بأن يُحرّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحل الله له، ومن قال بأنه حَرّم ما أحل الله فقد / قال أمرا منكَرا، ولو اعتقد ذلك كان كفرا منه، إذ من حرم ما أحل الله تعالى [٨١٩و] كان كافرا، ومن كان اعتقاده في رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا[2] فهو كافر. وقال أبو بكر الأَصَمّ: دلت هذه الآية على أن ليس لأحد أن يحرم ما أحل الله تعالى لأن الله تعالى منع رسوله عن ذلك. لكن الأمر عندنا ليس على ما ظنه أبو بكر ولا على ما يَسبِق[3] إليه وَهْم بعض الجهّال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم شيئا أحله الله تعالى. ومن توهم هذا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد حكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكفر.

وتأويله عندنا -والله أعلم- على وجهين. أحدهما أن تحريم ما أحل الله تعالى هو أن يعتقد تحريم المحلَّل وتحليل المحرَّم فيما حرَم الله تعالى مطلقا، فمن اعتقد تحريمه حُكم عليه بالكفر.

---

[1] ر – سورة التحريم؛ م + وهي مكية؛ ث: سورة المتحرم وهي اثنتا عشرة آيات مدنية؛ ن: سورة المتحرم وهي مدنية كلها.

[2] ن – هذا.

[3] ر: سبق؛ م – ما يسبق.

ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعتقد تحريم ما أحل الله، إذ لم ير جماعها عليه محرما بل امتنع عن الانتفاع بها باليمين. والحرمة التي تَثبت[1] بسبب اليمين لم تكن[2] من فعل الآدمي وإن ثبتت[3] بمباشرة السبب منه، كالتحريم بالطلاق وبغيره من الأسباب، وإنما[4] تثبت[5] من الله تعالى عقيب مباشرة الأسباب من العباد كسائر[6] الأحكام. كيف وإنه باليمين لا تَثبت[7] حرمة نفس الفعل وإنما المحرَّم ترك[8] تعظيم الله تعالى الواجبِ بسبب اليمين، وهذا لا يعد تحريم الحلال وتحليلَ الحرام. أو أريد بالتحريم منع النفس عن ذلك مع اعتقاده بكونه حلالا لا أن يكون[9] قصد به[10] قصد تحريم عينه. وقد يمتنع المرء عن تناول الحلال لغرض له في ذلك، وهو كقوله تعالى: وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ،[11] ولم يُرَدْ[12] به[13] تحريم عينه ولا التحريم الشرعِيُّ إذ الصبي ليس من أهله، وإنما أريد به امتناعه من الارتضاع إلا من ثدي أمه، فعلى ذلك هاهنا. ***والله أعلم.***

والثاني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نُدب إلى حُسن العِشرة مع أزواجه وإلى الشَّفَقَة[14] عليهن[15] والرحمة[16] بهن، فبلغ في حسن العشرة والصحبة معهن مبلغا امتنع عن الانتفاع بما أحل الله[17] له وأباح له التلذذ به يبتغي به حسن عشرتهن ويطلب به مَرْضاتَهن،

---

[1] ر ن م: يثبت.
[2] جميع النسخ: لم يكن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٢ظ.
[3] جميع النسخ: وإن ثبت. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] ر ث م: فإنما.
[5] جميع النسخ: يثبت. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ر م: وكسائر.
[7] جميع النسخ: لا يثبت. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ر ث م: وإنما المتحرم من ترك.
[9] ر م: حلالا أن يكون.
[10] ن: قصده.
[11] ﴿وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلُّكم على أهل بيت يَكْفُلونه لكم وهم له ناصحون﴾ (سورة القصص، ١٢/٢٨).
[12] ر م: ولم ير.
[13] ر ث م – به.
[14] ن ث: إلى الشفقة.
[15] ر م: عليهم.
[16] ر م: الرحمة.
[17] ر م – الله.

فقال: **يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك**، أي لا يبلغنَّ بك الشفقة عليهن وحسْن العِشرة معهن مبلغا تمتنع[١] عن الانتفاع بما أحل الله لك. فيخرج هذا مخرج تخفيف المئونة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في حسن العشرة معهن لا مخرج النهي والعتاب عن الزلة. وهو كقوله تعالى: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ.[٢] فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان بلغ من شفقته على أولئك الذين تخلفوا عن الإيمان مبلغا كادت نفسه تَهلك[٣] فيها، فكان في قوله: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ، تخفيفُ الأمر عليه. وكذلك قال: وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ،[٤] ليس في الحقيقة نهي عن السخاء على النهاية لكن تخفيفُ الأمر عليه أن ليس عليك الإسراف في السخاء والنهاية في ذلك بحيث لم تبقِ[٥] لنفسك وعيالك شيئا[٦] وتؤثر غيرك. فعلى ذلك قوله: **لِمَ تُحَرِّم ما أحل الله لك**، خارج مخرج تخفيف المئونة عليه في حسن العشرة لا مخرج النهي. ***والله أعلم***.

ثم اختلف في سبب التحريم. فمنهم[٧] من ذكر أن حفصة رضي الله عنها زارت أهلها والنبي[٨] صلى الله عليه وسلم في بيت حفصة، فجاءت أم إبراهيم ماريةُ القبطية حتى دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فواقعها، فجاءت حفصة وهما نائمان فرجعت إلى بيت أهلها فمكثت عامّةَ الليل، القصةَ. وقالت حفصة في آخر هذا الخبر: ما رأيت لي[٩] حرمة وما عرفت لي حقا؟ فقال لها عليه السلام: «اكتمي عليّ وهي عليّ حرام»،[١٠] فنزلت هذه الآية.[١١] ومنهم من يذكر أن ذلك اليوم[١٢] كان يومَ عائشةَ رضي الله عنها، فاطّلعت حفصةُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاريَتِه ماريةَ، فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكتم[١٣] عليه،

---

[١] ر م: يمتنع؛ ث + عم.
[٢] سورة فاطر، ٨/٣٥.
[٣] ر: يهلك.
[٤] سورة الإسراء، ٢٩/١٧.
[٥] جميع النسخ: لم يبق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٣و.
[٦] ن – شيئا.
[٧] ر – فمنهم؛ م: منهم.
[٨] ن ث: ونبي الله عليه السلام.
[٩] ر: إلي.
[١٠] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣٧٦/٣؛ *وتفسير الطبري*، ١٩٩/٢٨-٢٠٠.
[١١] ن + وقال عكرمة نزلت الآية في امرأة يقال لها أم شُرَيك وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبا مرضاة أزواجه فنزلت الآية والله أعلم.
[١٢] ر م – أن ذلك اليوم.
[١٣] ن ث: يكتم.

فأخبرت حفصة بما رأت عائشةَ رضي الله عنها، فغضبت عائشة فلم تزل[1] بنبيّ الله حتى حرمها[2] فنزلت هذه الآية.[3] وقال عكرمة: نزلت الآية في امرأة يقال لها أم شُرَيك وهبت[4] نفسها[5] للنبي صلى الله عليه وسلم،[6] فلم يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبا مَرْضات أزواجه فنزلت الآية.[7] ***والله أعلم.***[8]

ومنهم من قال: إن الذي حرمه النبي صلى الله عليه وسلم كان عسلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شربه عند بعض نسائه،[9] فقالت امرأة من نسائه لصاحبتها: إذا جاءك النبي صلى الله عليه وسلم فقولي له: ما ريح المغافير منك؟ فقالت للنبي صلى الله عليه وسلم فحرمه النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية.[10] وليس لنا إلى تعرف[11] السبب الذي له[12] وقع التحريم ولا إلى تعيين الشيء الذي[13] حرمه النبي صلى الله عليه وسلم حاجةٌ، ولكنا نعلم أن الأمر الذي كان فهو جرى / بينه وبين زوجته. [٨١٩ظ]

وقوله عز وجل: **والله غفور رحيم**، أي غفور لما تقدم من ذنبك وما تأخر لو كان أو يكون، **رحيم**، حيث لم يعاقبك بما اجترأت[14] من الإقدام على اليمين لا بإذن[15] سبق من الله لك فيه؛ أو **غفور رحيم**، عليك وعلى زوجتيك[16] إن تابتا ولم تعودا إلى صنيعهما؛ أو **غفور رحيم**، بما خفّف عليك من مئونة العشرة ولم يحمل عليك ما حملت على نفسك.

---

[1] ن: فلم يزل.

[2] ن + رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[3] *تفسير الطبري*، ٢٨/٢٠٠.

[4] ر ث م: وهب.

[5] ر ث م: بقلبها.

[6] يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى: ﴿وامرأةً مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/٥٠).

[7] *الكشف والبيان* للثعلبي، ٩/٣٤٤.

[8] ن – وقال عكرمة نزلت الآية في امرأة يقال لها أم شريك وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبا مرضات أزواجه فنزلت الآية والله أعلم.

[9] ر م: النساء.

[10] *صحيح البخاري*، الطلاق ٨، الأيمان والنذور ٢٥؛ و*سنن النسائي*، الطلاق ١٧، الأيمان والنذور ٢٠، عشرة النساء، ٤.

[11] وعبارة *الشرح* (ورقة ٢٤٣و) هكذا: "وليس لنا إلى أن نعرف".

[12] ر م – له.

[13] ن – الذي.

[14] ر ث م: بما اجرأت.

[15] ر: لا لانه؛ ث: لا لمان؛ م: لا بلاء. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٣و.

[16] جميع النسخ: وعلى زوجتك. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[٢]

وقوله: **قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم**، فمنهم من يحمل هذا على ابتداء الخطاب ويصرف[١] المراد إلى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلم يكن يحتاج إلى التكفير لإزالة المآثم. ولكن نحن نقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كان هذا مَحلَّه فهو وأمته في أحكام الشرائع مأخوذون.[٢] ويكون على هذا مغفرةُ زلاته[٣] ما تقدم وما تأخر بمباشرة أسبابها من التوبة والكفّارة ونحو ذلك، فيكون قوله تعالى: **قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم**، منصرفا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأمته. ثم يجوز أن يكون رسول الله قصد إلى[٤] التحريم، أعني منع نفسه عن الانتفاع[٥] بها[٦] مع اعتقاد الحل لا إلى اليمين، فجعل الله تعالى ذلك منه يمينا، فيكون فيه دلالة على أن التحريم يمين. ولهذا قال أصحابنا رحمهم الله: إن من قال لامرأته: أنتِ عليّ حرام، ولا نية له فهو يمين. وجائز أن يكون أفصح بالحَلِف[٧] فكنَى عنه باليمين.

ثم قوله: **قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم**، على قراءة[٨] العامة وفي بعض القراءات: قد فرض الله كفّارة أيمانكم.[٩] ووجه الفرض فيه أن الأمم من قبل لم يكن يؤذن[١٠] لهم بالحنث في اليمين ولا أن يَحِلّوا[١١] منها بالكفّارة. ألا ترى إلى قوله تعالى: وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ،[١٢] فلم يأذن له بالحنث[١٣] وأباح له الضرب. ثم أباح لهذه الأمة حَلّ اليمين بالحنث والكفارة فيُنْسَب[١٤] الحل إلى الكفارة [مرة] ومرة إلى انحلالها بنفسها من جهة الحنث.

---

[١] ر ث م: وينصرف.
[٢] ث: مؤاخذون.
[٣] ن: لانه.
[٤] ر – الله قصد إلى.
[٥] ن – رسول الله قصد إلى التحريم أعني منع نفسه عن الانتفاع.
[٦] ر ث م: بهذا.
[٧] ن: الحلف.
[٨] ن ث: القراءة.
[٩] *مفاتيح الغيب* للرازي، ٤٣/٣٠.
[١٠] ر: لم تؤذن؛ م: لم يؤذن.
[١١] ن: تحلوا.
[١٢] سورة ص، ٤٤/٣٨.
[١٣] ث – فلم يأذن له بالحنث.
[١٤] جميع النسخ: فنسب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٣ظ.

ثم قوله: **قد فرض الله لكم**، أي وسّع عليكم وأحل لكم تحلة اليمين. ففي هذا أن كل ما ذَكر فيه: "كَتَب لكم"، أو[1] "فَرَض لكم" فهو في موضع الإباحة والتوسيع[2] وما ذكر فيه "عليكم" فهو على الإيجاب والإلزام. قال الله تعالى: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ،[3] وقال: كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ،[4] وذلك كله في موضع الوجوب؛ وقال الله[5] تعالى: اُدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ،[6] معناه أباح لكم الدخول فيها.

وقوله تعالى: **والله مولاكم**، أي أولى بكم فيما امتحنكم من الكفارة وغيرها، أو أولى بكم في نصركم والدفع عنكم. وقوله عز وجل: **وهو العليم الحكيم**، أي العليم بمصالحكم أو بمقاصدكم[7] أو بما تسرون وما تُعلنون أو بما كان[8] ويكون، **الحكيم**[9] هو الذي لا يلحقه الخطأ في التدبير، أو حكيم بما حكم عليكم من تَحِلَّة الأيمان. ***والله أعلم***. ثم في قوله: **العليم** إلزام المراقبة والمحافظة ودعاء إلى التبصر والتيقظ في كل ما يتعاطاه المرء من الأفعال ويأتي[10] به من الأقوال.[11] وفي قوله: **الحكيم** دعاء إلى التسليم بحكم الله تعالى إذ الحكيم لا يحكم على أحد إلا ما فيه حكمة وفائدة، فلزمه[12] تسليم النفس لحكمه عَلِمَ[13] وجه الحكمة فيه أو جهله.

ثم الأصل بعد هذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيح له نكاح التسع وأُمر بأن يحسن صحبتهن ويبتغيَ مرضاتهن. والمرء يَعْسُر عليه صحبة الأربع بحسن العشرة ويتعذر عليه القيام بمرضاتهن جميعا فكيف إذا امتُحن بصحبة التسع؟ فكانت المحنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر النساء أعسر منه على غيره، وأُمر مع هذا أيضا معاملة الخلق مع اختلاف هممهم

---

[1] ر م: أي.
[2] ر م: والتوسع.
[3] سورة البقرة، ١٨٣/٢.
[4] سورة البقرة، ١٨٠/٢.
[5] ن ث - الله.
[6] سورة المائدة، ٢١/٥.
[7] ر م: أو مقاصدكم.
[8] ن: كانوا.
[9] ر م: الحكم.
[10] ن: وأتى.
[11] ن: من الأقول.
[12] ن: ولزمه.
[13] ر ث م: على بحكمه؛ ن: على بحكمة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٣ظ.

وأطوارهم بأحسن المعاملة. ولكن الله تعالى لَمّا امتحنه[1] بما ذكرنا آتاه من الأخلاق الحميدة[2] والشمائل المرضية ما خَفّ[3] بها عليه هذه المحنة وسَهُل عليه المعاملة مع الجملة، وآتاه من القوة ما مَلَك بها حفظ حقوقهن وإرضاءَ جملتهن حتى بلغ في حسن العشرة وابتغاء المرضاة ما عوتب عليه، وبلغ مِن جَهْده في الإسلام إلى أن قيل [له:][4] عَبَسَ وَتَوَلَّى،[5] وبلغ في الشفَقة والرحمة على الأمة إلى أن قيل له:[6] فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ[7] وقال: وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ.[8] وكان من عظيم خلقه بما جاوز خُلُقه قوةَ نفسه فكادت نفسه تَهلك[9] فيه. ثم في قيامه عليه السلام بوفاء حقوق التسع وإرضائهن دلالة نبوته ورسالته، لأن الناس إنما يَقوَون على الجماع بما يصيبون[10] من فضل[11] الأطعمة والأغذية. ثم هم مع إصابتهم فضول الأطعمة والأشياء اللذيذة يَفتُرون عن إيفاء حقوق الأربع[12] وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آثر الزهد في الدنيا وقلة رغبته في مطاعمها ومشاربها وكان مع ذلك يفي بحقوقهن. فعلم بهذا أنه إنما وصل إلى ما ذكرنا بما قوّاه الله تعالى عليه وأقدره لا بالحيل والأسباب.

ثم أزواج رسول الله / صلى الله عليه وسلم أُمْتُحِنّ بالقيام بوفاء حق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن ينظرن إليه بعين التبجيل والتعظيم، فكانت المحنة عليهن أشد من المحنة على غيرهن من النساء مع أزواجهن؛ لأن المرأة قل ما تَسْلَم[13] عن رفع أصواتها على صوت زوجها إذا لم تكن[14] له امرأة سواها فكيف إذا كانت معها أخرى؟ ثم هن لو رفعن أصواتهن على صوت رسول الله [٨٢٠و]

[1] ن: امتحنهم.
[2] ر ث م – الحميدة.
[3] ن: حف.
[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٤٣ظ.
[5] سورة عبس، ١/٨٠.
[6] ن – له.
[7] سورة فاطر، ٨/٣٥.
[8] سورة القلم، ٤/٦٨.
[9] ر: يهلك.
[10] جميع النسخ: بما يصيبوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ر م – فضل.
[12] ر ث م: حقوقهن.
[13] ن: يسلم.
[14] ن ث: لم يكن.

أوجب ذلك إحباط أعمالهن[1] على ما قال تعالى: وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ،[2] فلا يجوز أن يُمتحنَّ بهذه الكلفة الشديدة والمحنة العظيمة إلا بما يشرح[3] الله تعالى صدورهن ويفسح قلوبهن لاحتمال ذلك.

ثم المحنة علينا بعد هذا أشد من المحنتين اللتين ذكرناهما، لأنا امتُحِنا بمعرفة ما ضَمِنَتْه هذه الآية والاعتقادِ لذلك، وهي قوله: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ.[4] فالذي علينا من المحنة أن نصرف[5] الأمر إلى وجه لا يلحق[6] رسولَ الله[7] صلى الله عليه وسلم [به][8] تنقص فَتَسْلَمَ[9] من المؤاخذة. فجائز أن يُصرف [المعنى] إلى ما ذكرنا من تخفيف الأمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتكونَ[10] الآية في موضع تخفيف الأمر عليه ليس في موضع النهي وإن خرجت مخرج النهي في الظاهر. وجائز أن يكون العتاب لمكان مارية إن كانت قصة التحريم من أجلها، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أُذن له بإمساك مارية ولم يُنْدَب إلى تزويجها لتصل إلى قضاء شهوتها من قِبل الأزواج فإنما تتوصل[11] إلى تسكين شهوتها برسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم هو[12] بتحريمها على نفسه لم يمنع[13] عنها الحقّ -إذ الأَمَة لا حظّ لها في القَسْم- فيلحقه العتاب من هذه الجهة. ولكن لما كان لها فيه مطمع وهو بالتحريم قَطَعَ طمعها فقيل له:[14] لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ،[15] أي لِمَ تمنع[16] نفسك عن قضاء شهوة أباح الله لها قضاء تلك الشهوة،

[1] جميع النسخ: عملهن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٣ظ.
[2] سورة الحجرات: ٢/٤٩.
[3] جميع النسخ: بما شرح. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] الآية السابقة.
[5] ن: أن يصرف.
[6] ر م: لا يلحقه.
[7] ر ث م: برسول الله.
[8] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٤٤و.
[9] ن ث: فيسلم.
[10] جميع النسخ: فيكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] جميع النسخ: يتوصل. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ر م - هو؛ ن: ثم بين هو.
[13] ر ث م: لم يبتغ؛ ن: لم يمتنع. والتصحيح من المرجع السابق.
[14] ر ث م: لها.
[15] الآية السابقة.
[16] جميع النسخ: لم يمنع. والتصحيح من المرجع السابق.

فيكون في العتاب دعاءٌ له إلى أن يعمل بأخير الوجهين. وأخيرهما أن يوصلها إلى ما طَمِعت منه لا أن يقطع طمعها عنه وإن لم يكن لها فيما طمعت حق. *والله أعلم.*

والمحنة الثانية علينا أن لا ننسب إلى أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تكره أنفسُنا نسبةَ مثله إلى الأمهات، لأن لأزواجه علينا حقَّ الأمهات. فإن أمكننا أن نُخَرِّج من أمرهن وجها يسلم[1] عن تنقصهن[2] فعلنا، وإلا أمسكنا عن ذكره خشية التنقص وترك التبجيل والتعظيم. ألا ترى إلى قوله تعالى: لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا.[3] وهكذا الواجب على كل مؤمن أن لا يظن بأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي[4] عنهن إلا خيرا وأن لا ينظر إليهن إلا بعين التعظيم؛ وقال أيضا: سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ.[5] وإذا كان هذا حقَّهن علينا فلا يجب أن نذكر[6] زلتهن كانت كَيْتَ وكيت لما يُتوهم أن تكون[7] زلتهن دون الذي خطر على بالنا فتكون قد أعظمنا القول فيهن فيصيبنا من ذلك عذاب عظيم، كما قال: وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ.[8]

ولقائل أن يقول في قوله: هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ،[9] من أي وجه صار بهتانا عظيما ونساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكنَّ[10] معصومات بل كان يتوهم منهن الصنع الذي رُمِين به؟

فجوابه أن أزواجه كن بالمحل الذي إذا[11] ابتلين بزلة سرا أو جهرا[12] أطلع الله تعالى ذلك لنبيه عليه السلام. ألا ترى أن إحداهن لما أفشت سر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أخرى أطلع الله تعالى نبيه على ذلك؟ فإذا[13] كان لا يَستُر عليهن هذا القدر من الزلة

---

[1] جميع النسخ: نسلم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٤و.

[2] ث: ينقصهن.

[3] ن – خيرا؛ ث + وأن لا تنظر إليهن. سورة النور، ١٢/٢٤.

[4] ر ث م: ويرضى.

[5] ﴿ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم﴾ (سورة النور، ١٦/٢٤).

[6] جميع النسخ: أن يذكر. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من المرجع السابق.

[8] سورة النور، ١٤/٢٤.

[9] سورة النور، ١٦/٢٤.

[10] ر م: لم تكن.

[11] ر: إذ.

[12] م: وجهرا.

[13] ر ث م: وإذا.

فكيف يَستر عليهن فعل الزنا لو وجد[1] منهن؛ فلو وجد من التي رميت فعلُ الزنا لكان يَسبِق الإطلاع من الله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام قبل أن يَجريَ به التحادث على ألسن الخلق. فإذا لم يَسبِق أوجب ذلك المعنى براءة[2] ساحتها عما رُميت به وصار الرامي لها به قائلا بالبهتان والزور.

وفي هذه الآية دلالة جواز العمل بالاجتهاد لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا بإذن سبق من الله تعالى إذ لو كان الإذن سابقا لما عوتب عليه.[3] ثم قد ذكرنا [أنه][4] لم يعاتَب[5] لزلة ارتكبها حتى يكونَ فيه منع عن العمل بالاجتهاد، وإنما عوتب لمكان ما حَمَل على نفسه من فضل المئونة في العِشرة.

ثم الأصل أن الإماء لا حظ لهن في القَسْم وليس لهن من الأيام[6] ما يكون مثله للحرائر حتى كان يَقسم لها فيؤديَ فيه حقها. وقد أُذن له في إمساكها وأن لا يزوّجها فلا يجوز أن لا يؤمر بتزويجها ثم هو لا يُسكّن شهوتها، ثم هو إنما يصل إلى قضاء وطرها وتسكين[7] شهوتها في نوبة[8] ذلك اليوم لزوجة من زوجاته. فجائز أن يكون الله تعالى / أكرمه أن يسكّن [٨٢٠ظ] شهوتها ويأتيَها[9] من حيث لا يعلمها أزواجه بذلك، ثم أطلع بعض نسائه على فعله ليعلمن أن المحنة عليهن بعد العلم وقبل العلم واحدة وأن عليهن أن يعظّمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن لا يحملهن[10] الغيرة[11] على الاستقبال له بالمكروه[12] والنظرِ إليه بالتنقص، إذ لم يكن عليهن فيما يأتي تلك الأَمَةَ في أيامهن تقصيرٌ في حقهن إذ[13] كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أُعطي من القوة في الجماع ما يطوف على جملة نسائه في ليلة واحدة.

---

[1] ر م – لو وجد.
[2] ر: برأة؛ ث: تراه.
[3] ر م: عليهم.
[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٤٤و.
[5] ن: لم نعاتب.
[6] جميع النسخ: من الآثام. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ن: ويسكن.
[8] ن – نوبة؛ ث: نوم.
[9] ر ث: وتأتيها.
[10] ث: وأن لا يحملن.
[11] ر ث م: العنوة.
[12] ث: بالمعروف.
[13] م: إذا.

وأما ما ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان كف نفسه عن شرب العسل فذلك يحتمل أيضا، ولكن ما ذُكر من تحريم مارية أمكنُ؛ لأنه لا يحتمل أن يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم في شرب العسل من الرغبة ما يَدخل على نسائه المكروهُ لأجله. وجائز أن يلحقهن في استمتاعه بأَمَته مكروه فيحملهن ذلك على ما ذكر: فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا.[1]

﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به**. دل قوله: **فلما نبأت به**، أنه قد طلب منها إسرار ذلك الحديث الذي أَسَرّ إليها، وليس بنا حاجة إلى تعرف الحديث الذي أسر إليها. وفيه دلالة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما علم بإفشائها سره إلى صاحبتها بالله تعالى وهو قوله: **وأظهره الله عليه**.

وقوله عز وجل: **عرَّف بعضَه وأعرض عن بعض**، فقوله: **عرف**: قرئ بالتخفيف والتشديد،[2] فمن قرأه[3] بالتشديد فهو على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفها بعض ما أنبأت من القصة التي أسر إليها ولم يعرفها البعض، لأنه لم يكن القصد من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخبرها[4] بذلك النبأ الذي أسر[5] إليها، وإنما كان[6] المقصود منه تنبيهها[7] بما أظهرت من السر وأفشت إلى صاحبتها لتنزجر[8] عن المعاودة[9] إلى مثله، والبعض من ذلك يَعلمه من يعلم[10] الكلَّ فلم يكن إلى إظهار الكل حاجة. وذكر في بعض الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها: «ألم أقل لكِ؟» وسكت عليه. وفي هذا آية رسالته.[11]

---

[1] الآية ٤ من هذه السورة.
[2] *المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٤٠؛ و*النشر في القراءات العشر* لابن جزري، ٢/٢٩٠.
[3] م: فمن قرأ.
[4] ن: تخبرها.
[5] جميع النسخ: أسرت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٤ظ.
[6] ر م: كانت.
[7] ر ث م: تنبيها.
[8] جميع النسخ: لينزجر. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ر م: إلى المعادة؛ ن ث: إلى المعاودة. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] جميع النسخ: يعلمها ما يعلم.
[11] ن: وفي هذه الآية دلالة رسالته.

ومَنْعُهن عن أسرار ما يحتشمن[1] عن إبداء مثله لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهن[2] إن[3] فعلن ذلك أظهر الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ذلك فيعلم ما يُسرِرْن.[4]

ومن قرأ "عَرَفَ" بالتخفيف فهو يحمله على الجزاء فيقول: عرف بعضه، أي[5] جزى[6] عن بعض ما استوجبته بإفشاء السر وأعرض عن بعض الجزاء، يقول الرجل لآخر: عرف حقي فعرفت له حقه، أو عرفتَ حقي فسأعرف حقك، أي أقوم بجزاء ذلك.

وذكر في الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسل طلق حفصة تطليقة ثم نزل جبريل[7] عليه السلام فقال له: راجعها فإنها صوامة قوامة وإنها لزوجتك في الجنة.[8] فجائز أن يكون طلاقه إياها جزاء لبعض صنيعها.

ثم من الناس من يختار إحدى القراءتين على الأخرى فيقرأ إحداهما ويرغب عن الأخرى. وذلك مما لا يحل لأن الأمرين جميعا قد وُجدا وهو الجزاء والتعريف فجمع الله تعالى الأمرين جميعا[9] في آية واحدة وفَصَل بين الأمرين بالإعراب فليس لأحد أن يؤثر إحدى القراءتين على الأخرى. وهذا كقوله تعالى في قصة موسى عليه السلام: قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[10] وقد علم موسى عليه السلام وعلم فرعون فقد كان الأمران جميعا، فجمع الله تعالى بين الأمرين في آية واحدة. فلا يحل لأحد أن يقرأ بأحد[11] الوجهين ويمتنع عن الوجه الآخر. وكذلك هذا في قوله تعالى: رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا،[12] و"ربُنا باعَدَ بين أسفارنا"،[13] فمن قرأ: "بَاعِدْ بين أسفارنا" حمله على الدعاء، ومن قرأ باعَدَ حمله على الإخبار،

---

[1] ن ث: ما يحتسمن.
[2] ن: وإنهن.
[3] م: وإن.
[4] ن ث: تسرون؛ م: يسرون.
[5] ر م: أن.
[6] جميع النسخ: يجزي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٤ظ.
[7] ر: جبرائيل.
[8] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣/٣٧٧؛ و*تفسير الطبري*، ١٦٨/٢٨؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٨٩/٨.
[9] ن - قد وجدا وهو الجزاء والتعريف فجمع الله تعالى الأمرين جميعا.
[10] سورة الإسراء، ١٠٢/١٧.
[11] ر ث م: بإحدى.
[12] سورة سبأ، ١٩/٣٤.
[13] قرأ يعقوب من الأئمة العشرة بذلك. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٤٥٦.

وقد كان الأمران جميعا: الدعاء والإخبارُ فليس لأحد أن يؤثر أحدهما على الآخر، فعلى ذلك الحكم في قوله: **عرَّف بعضه** و"عرَف بعضه".[١] ***والله أعلم.***

وقد وصفنا تأويل قوله: **العليم الخبير**. ثم فيهما ما يدعو الإنسان إلى المراقبة والتيقظ.

﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما**، في هذه الآية دلالة أن الحديث الذي أُفشِي كان بين زوجتين لقوله: **إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما**،[٢] كان أسرّ النبي صلى الله عليه وسلم عند إحداهما ومنعها أن يفشي إلى الأخرى فأفشت. لكنا لا نعلم أن ذلك الحديث كان ماذا؟ لكنه كان منهما ما يجوز أن تعاتبا وتُدْعَيا[٣] إلى التوبة لقوله: **إن تتوبا إلى الله**، وإن خفي ذلك علينا. ثم إذ عرفنا أن الله جعل عقوبتهن وتأديبهن أشد من العقوبة على غيرهن بقوله: [يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ] مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ،[٤] فيجوز أن يُنْدَبْن إلى التوبة بأدنى زلة حقها التجاوز عن غيرهن. ثم قوله: **إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما**، فجائز أن يكون قوله: **إن** زيادة في الكلام وحقه الحذف، فيكون معناه: تُوبَا إلى الله فقد صغت قلوبكما، ويوقَف عليه ثم يبدأ بقوله: **وإن تظاهرا عليه**. وجائز / أن يكون حقه الإثبات [٨٢١و] فلا يكون حرف **إن**، زيادة ويكون معناه: إن تتوبا إلى الله وإلا **فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين**، فيكون الجزاء فيه مضمرا. وجائز أن يكون[٥] جزاء صنيعهن أن يطلقهن فكأنه قال: إن تتوبا إلى الله وإلا طلقكن،[٦] فيكون في هذا أنه حُبِّبَ[٧] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إليهن حتى اشتد عليهن الطلاق وخرج الطلاق مخرج العقوبة لهن على صنيعهن. ***والله أعلم.***

وقوله: **فقد صغت قلوبكما**، أي مالت عن الحق الذي لرسول الله عليكما، وحق الرسول صلى الله عليه وسلم حق عظيم يَرِد فيه العتاب بأدنى تقصير.

---

[١] م: بعض.
[٢] ث – في هذه الآية دلالة أن الحديث الذي أفشي كان بين زوجتين لقوله إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما.
[٣] ر ث م: أن تعاتبان وتدعيان؛ ن: أن يعاتبان وتدعيان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٤ظ.
[٤] سورة الأحزاب، ٣٣/٣٠.
[٥] م + جزاء أن يكون.
[٦] ث: أطلقكن.
[٧] ر: جب؛ ن: حب.

وقوله عز وجل: **وإن تظاهرا عليه**، هذا في الظاهر معاتبة[1] فينبغي أن يذكر على المخاطبة فيقال: "وإن تظاهرتما عليه" كما قال تعالى: **إن تتوبا إلى الله**، قيل جائز أن يكون معنى قوله: **إن تتوبا إلى الله**، تابتا[2] ورجعتا، على إرادة المعاتبة[3] وإن كان اللفظ لفظ المخاطبة. ولكن الصحيح أن قوله: **وإن تظاهرا**، على المخاطبة معناه وإن تتظاهرا.[4] ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **فإن الله هو مولاه**، حق هذا أن يقف عليه ثم يقولَ: **وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير**، حتى لا يوهِم[5] أن غير الله تعالى مولاه. ثم ذكْر هذا إبلاغ[6] في التهويل وإلا فالواحد[7] من هؤلاء المذكورين يكفي لأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في ذكر عقوبتهن إذا وجد منهن الخلاف بقوله: يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ.[8] والأصل أن المبالغة في التأديب مما يعين المؤدَّب على حفظ الحدود، وكذلك المجاوزة في حد العقوبة معونة له في تأديب النفس حتى يملكَ حفظَ نفسه عما تدعو[9] إليه نفسه.[10]

وقوله عز وجل: **وصالح المؤمنين**، قيل صالح المؤمنين أبو بكر وعمر رضي الله عنهما. وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما طلق حفصة دخل عليها عمر رضي الله عنه فقال: لو علم الله تعالى في آل عمر خيرا ما طلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره بمراجعتها وذكَر أنها صوامة قوامة.[11] فجائز أن تكون[12] حفصة رضي الله عنها تصوم النهار وتقوم الليل في غير نوبتها فلا يعلم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطلعه جبريل عليه السلام على ذلك.[13]

---

[1] ر ن م: مغايبة.

[2] ن: تايبا.

[3] ر ن م: المغايبة.

[4] م: وإن تظاهرا.

[5] ر م: لا يتوهم؛ ث: لا توهم.

[6] ر: بلاغ.

[7] ر: قالوا أحد.

[8] سورة الأحزاب، ٣٣/٣٠.

[9] ر: عما يدعوا؛ ن ث م: عما يدعو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٥و.

[10] ث – نفسه.

[11] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣/٣٧٧؛ و*تفسير الطبري*، ٢٨/١٦٨؛ و*مفاتيح الغيب* للرازي، ٣٠/٤١.

[12] ر ن م: أن يكون.

[13] ث – على ذلك.

وروي عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «صالح المؤمنين أبو بكر وعمر رضي الله عنهما»[١] وقيل: هم الأنبياء والرسل عليهم السلام. وذكر عن الحسن[٢] أنه قال: صالح المؤمنين من لم يُسِرَّ[٣] نفاقا ولا أظهر فسقا. ثم خَصّ من المؤمنين الصالحين منهم ولم يَعُمّ جملة المؤمنين فهذا -والله أعلم- لأنه لو ذكر المؤمنين على الإجمال لدخلت فيه الزوجتان[٤] اللتان تظاهرتا، لأن إصغاء القلب لا يخرجهما عن أن يكونا من جملة المؤمنين، ولأنه ذَكَر هذا في موضع المعونة في أمر الدين، وصالح المؤمنين هم الذين يقومون بالمعونات في أمر الدين.

﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾[٥]

وقوله عز وجل: **عسى ربه إن طلقكن أن يُبْدِلَه أزواجًا خيرًا منكن**، وعلى قول المعتزلة: لا يملك أن يبدل خيرا منهن[٥] إذ لا يقدر على أن يجعل في أحد خيرا على قولهم ولا يملك أن يُبدله أزواجا، لأنه لا يقدر على زَعمهم على أن يجعل أحدا من النسوان زوجة[٦] لأحد من الرجال،[٧] وإنما المشيئة والاختيار إلى المتزوج والمتزوجة والفعل منهما. وعلى قولنا يملك أن يجعل الخير لمن شاء فيما[٨] شاء، وله أن يجعل من النسوان زوجة لمن شاء من الرجال. فهذه الآية تشهد[٩] بالصدق لمقالتنا وترد[١٠] على المعتزلة قولهم[١١] لأنه جعل الإبدال إلى نفسه بقوله: **يُبْدله**، وعلى قولهم لا يملك أن يفي بما وعد.

ثم في هذه الآية إباحة الإبدال وإباحة الطلاق لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي قوله: لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ،[١٢] حَظْرُ الإبدال. فجائز أن يكون قوله:

---

[١] *الدر المنثور* للسيوطي، ٢٢٤/٨.
[٢] ر ث م: وذكر الحسن.
[٣] ر م: لم يستر.
[٤] جميع النسخ: الزوجان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٥و.
[٥] ث: منكن.
[٦] ر ن: زوجه.
[٧] ر – الرجال؛ م – من الرجال.
[٨] ر م: فيمن.
[٩] ر ث م: يشهد.
[١٠] جميع النسخ: ويرد. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ن – قولهم.
[١٢] سورة الأحزاب، ٥٢/٣٣.

لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ، مقدما وقوله: **عسى ربه إن طلقكن**، متأخرا فيصير ما تقدم منسوخا بهذه الآية. والذي[1] يدل على صحة هذا ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا حتى أُحلت له النساء؛[2] فثبت أن الحظر كان متقدما ثم وردت الإباحة من بعد فتُحْمَل الآيتان[3] على التناسخ ليرتفع التناقض من بينهما. وجائز أن يكون حُظِر عليه الإبدال إذا قصد بالطلاق قصد الإبدال بما أعجبه من الحُسن كما قال: وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ،[4] الآية، فإذا كان قصده من الطلاق الإبدال كان ذلك محظورا عليه وإذا لم يقصد بالطلاق قصد الإبدال ولكن يقصد به قصد المجازاة[5] للخلاف الذي ظهر[6] أبيح له / ذلك. [٨٢١ظ] ثم الله تعالى يُبدله خيرا من المطلقة وهو ليس يقصد بالطلاق في قوله: **عسى ربه إن طلقكن**، قصد الإبدال، وإذا كان كذلك سلمت الآيتان عن التناقض. وذكر عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه أنه سئل فقيل: أكان يَحِلّ لرسول الله إبدال امرأة بامرأة؟ فقال: بلى، فسئل عن قوله تعالى: لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ،[7] فقال: هذا منصرف إلى مَن هنّ مِن[8] وراء المسمَّيات، وهو كقوله تعالى: وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ -إلى قوله- وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ،[9] فذكر[10] بنات العم وبنات الخال والأجنبيات وحظر عليه مَن سواهن من المحارم، فيكون فيه إبانة[11] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان حُظر عليه تزويج محارمه من ذَوي الرَّحِم كما حُظر على غيره، إذ[12] هو موضع الإشكال أنه لَمّا حَلّ له الزيادة[13] على الأربع يحل له ذوات الأرحام من المحارم، فأزال الإشكالَ به.[14]

---

[1] ر ث م: الذي.
[2] *تفسير الطبري*، ٢٢/٤٠.
[3] ر م: فحمل الإيثار؛ ن: فيحمل الإتيان؛ ث: فيحمل الإيثار. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٥و.
[4] سورة الأحزاب: ٣٣/٥٢.
[5] ر م: المجازات.
[6] ر م: أظهر.
[7] سورة الأحزاب، ٣٣/٥٢.
[8] م – من.
[9] سورة الأحزاب، ٣٣/٥٠.
[10] ن – فذكر.
[11] ن: إنابة.
[12] ن: إن.
[13] جميع النسخ: زيادة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٥ظ.
[14] *مشكل الآثار* للطحاوي، ١/١٥٢.

وقوله عز وجل: **خيرا منكن**، فجائز أن تكون[1] خيرا منهن للرسول عليه السلام لا أن يكنّ[2] خيرا في أنفسهن لأنه قال: **مسلماتٍ مؤمنات قانتات تائبات**، وقد كانت أزواجه على هذا الوجه: **مسلمات مؤمنات قانتات**.[3] ألا ترى إلى ما ذُكر أن جبريل[4] عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: راجع حفصة فإنها صوامة قوامة.[5] والذي يدل على هذا أيضا قوله تعالى في آخر هذه الآية: **ثيّبات وأبكارا**، وقد وجدت هاتان الصفتان في أزواجه، فثبت أن معناه ما ذكرنا. وجائز أن يكن خيرا منهن أيضا في أنفسهن من حيث الجمال والنسب ونحو ذلك، أو يصرن خيرا منهن لما يتركن الخلاف لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يتظاهرن عليه. ولكن[6] هؤلاء دونهن إذا الْتَزمْن الخلاف ودُمْنَ على التظاهر، فأما إذا أمسكن عن الخلاف وتُبْنَ عما سبق من الخلاف فهن وغيرهن بمحل واحد.

وقوله عز وجل: **مسلمات مؤمناتٍ**، قد بينا أن كل مسلم مؤمن في التحصيل[7] لأن معنى الإسلام والإيمان واحد. إذ الإسلام هو أن يجعل[8] الأشياء كلها لله تعالى خالصة سالمة لا يُشرك فيها غيرَه؛ والإيمان التصديق وهو أن تُصدّق[9] أن الله تعالى رب كل شيء، وإذا صدقته أنه رب كل شيء فقد جعلت الأشياء كلها له سالمة، أو تصدق[10] كلا بما يشهد لله تعالى بالربوبية بجوهره. فثبت أن كل واحد منهما يقتضي ما يقتضيه الآخر من المعنى، فإذا ذكر أحدهما بالإنفراد[11] ففي ذكره ذكر الآخر، وإذا جُمعا في الذكر صُرف هذا إلى وجه وهذا إلى وجه. وهذا[12] كما ذكرنا في التقوى أنه يقتضى معنى الإحسان إذا ذكر مفردا، لأن التقوى هو أن يُتقّى من المهالك والاتقاء عن المهالك يقع باكتساب المحاسن.

---

[1] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٥ظ.
[2] جميع النسخ: لا أن يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[3] ر ث م – تائبات وقد كانت أزواجه على هذا الوجه مسلمات مؤمنات قانتات.
[4] ر: جبرائيل.
[5] *تفسير الطبري*، ١٦٨/٢٨؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٨٩/٨.
[6] ر ث: ويكن.
[7] ث: التحصل.
[8] ر ن ث + الله.
[9] جميع النسخ: أن يصدق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٥ظ.
[10] جميع النسخ: أو يصدق. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ر ث م: بالإفراد.
[12] ر م: وهكذا.

وإذا ذكرا معا صرف التقوى إلى اتقاء[1] الكفر والإحسان[2] إلى فعل الخيرات. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لم يؤمن مَن لم يَأْمَن جارُه بَوائقَه»[3] وقال: «المسلم من سلم الناس من لسانه ويده».[4] فصُرف هذا إلى وجه وهذا إلى وجه وهما في التحصيل واحد لأنهم إذا أَمِنُوا بوائقَه فقد سَلِموا من لسانه ويده.

وقوله عز وجل: **قانتاتٍ**، قيل: مطيعات، وقيل: قائماتٍ[5] بالليالي للصلاة. وهذا أشبه لأنه ذَكر السائحات بعد هذا، والسائحات الصائمات فذِكْرُ[6] الصيام بالنهار فيكون تأويل القانتات راجعا إلى قيام الليل ليكون فيه إحياء الليل والنهار بالعبادة،[7] وكذلك[8] قال جبريل صلوات الله عليه في وصف حفصة رضي الله عنها: إنها صوامة قوامة، أي صوامة بالنهار قوامة[9] بالليل. وذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن أفضل الأعمال فقال: «طول القنوت»[10] وهو القيام بالليل.

وقوله عز وجل: **تائباتٍ**، هن[11] اللاتي لا يُصْرِرْن على الذنب بل يفزعن إلى الله تعالى بالتوبة والتضرع إذا ابتُلين بالخطيئة.[12]

وقوله:[13] **عابدات**، ذكر أبو بكر [الأصمّ] أن العابد لا يسمى عابدا حتى يتطوع، فإن كان على هذا ففيه أنهن يقمن بأداء الفرائض ويتطوعن مع ذلك. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كل عبادة في القرآن فهو توحيد.[14] والعابدات الموحدات، فالموحد هو الذي

---

[1] ر م: الاتقاء.

[2] م: فالإحسان.

[3] *مسند أحمد بن حنبل*، ٢/٢٨٨؛ *وصحيح البخاري*، الأدب ٢٩.

[4] *مسند أحمد بن حنبل*، ٢/٣٧٩؛ *وسنن النسائي*، الإيمان وشرائعه ٨.

[5] جميع النسخ: القائمات. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٥ظ.

[6] جميع النسخ: وذكر. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] ن ث: بالعادة.

[8] ر ث م: ولذلك.

[9] جميع النسخ: وقوامة. والتصحيح من المرجع السابق.

[10] *مسند أحمد بن حنبل*، ٣/٣٠٢، ٣١٤؛ *وصحيح مسلم*، صلاة المسافرين ١٦٤-١٦٥.

[11] ر م: هذه؛ ن ث: هذا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٥ظ.

[12] ن: بالخطبة.

[13] ن: قوله.

[14] *بحر العلوم* للسمرقندي، ١/٣٥٣؛ *وتفسير القرطبي*، ١٨/١٩٣.

يصدق أن خالق الخلق كلِّه واحد لا شريك له. فجائز أن يكون العابد موحدا[١] لأنه يعمل لله تعالى خالصا لا يشرك في عبادته أحدا فيكون فيها معنى التوحيد لكن من حيث الفعلُ، فيكون أحد التوحيدين بالقول[٢] والثاني بالمعاملة والفعل. وقيل العابد هو الذي يؤدي الفرائض.

وقوله: **سائحاتٍ**، هو الذي يَسيح في الأرض بغير زاد، فسمي الصائم سائحا لما كف نفسه عن التناول من الزاد. فقوله: **سائحات**، أي صائمات.

وقوله عز وجل: **ثيبات وأبكارا**، لم يُرد بهذا أنه ينشئ نسوة أبكارا وثيبات ولكن معناه أنه يُبْدله مَن كنّ بهذا الوصف. ثم جمع بين الثيبات والأبكار لأن الثيبات ممن يَقِلَ[٣] رغبة[٤] الخلق فيهن وينفر عنهن[٥] الطبع، فجمع بينهما في موضع الامتنان على الرسول صلى الله عليه وسلم لأن لا يصرفوا[٦] كل الرغبة إلى الأبكار بل يتزوجون[٧] / الثيِّبات كما يتزوجون الأبكار. [٨٢٢و] *والله أعلم*.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا**، يحتمل أن يكون معناه قوا أنفسكم مما تدعو[٨] إليه أنفسكم لأن الأنفس تأمرهم[٩] بالسوء وتدعوهم[١٠] إليه، كما قال الله تعالى:[١١] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ.[١٢] وجائز أن يكون قوله تعالى: **قوا أنفسكم**، أي قُوهَا عن الطريق الذي إذا سلكتموه أفضى بكم إلى النار،

---

[١] ن + معنى التوحيد.
[٢] ر ث م: بالقبول.
[٣] جميع النسخ: مما يقل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٦و.
[٤] ر م: رغبته.
[٥] ر ث م: عنه.
[٦] ر ث م: لا تصرفوا.
[٧] ر م: بل تزوجوا؛ ن ث: بل يتزوجوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ر ث م: فيما يدعوا؛ ن: فيما يدعو. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] جميع النسخ: يأمرهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] جميع النسخ: ويدعوهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ن – الله تعالى.
[١٢] سورة التغابن، ٦٤/١٤.

وقوا أهليكم أيضا عن ذلك الطريق؛ وذلك يكون بالعمل، لأن العمل على ضربين: عمل يفضي بصاحبه إلى الجنة، وعمل يُفضي به إلى النار. فيكون التقوى في هذا الوجه راجعا إلى الأعمال وفي الوجه الأول إلى الأنفس. ويحتمل: **قوا أنفسكم**، باكتساب الأسباب التي هي أسباب النجاة عن العَطَب والهلاك، **وأهليكم** في أن تعلّموهم[1] الأسباب[2] التي هي أسباب الخلاص عن النار. وقال مجاهد تأويله: **قوا أنفسكم**، وَلْيَقِ[3] أهلوكم[4] النار. ثم علمنا وجه الاتقاء بقوله: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ،[5] فألزمنا[6] التضرع إليه والفزعَ لديه ليكون هو بفضله يقي عنا النار لما علم أنا لا نَصِل إليه بقوى أنفسنا وحِيَلِنا.

وقوله عز وجل: **وقودها الناس والحجارة**، فهذا على المبالغة في وصف شدة النار وأخبر أن شدتها[7] ينتهي إلى هذا في أن صيّر الناس وَقودا وكذلك الحجارةَ. والناس والحجارة لا يَتَّقِدَان في الدنيا،[8] لأن النار[9] إذا عملت في الإنسان حَرَقته ولم تُبْقِهِ[10] فلا يصير وقُودا، وكذلك إذا أصابت الحجارة رضَّتْها ولَاشَتْها.[11] فيكون فيه تبيين شدتها إبلاغا في الزجر. وجائز أن يكون أريد بالحجارة التي اتخذوها أصناما يعبدونها من دون الله فكانوا يعبدونها لتنصرهم وتدفعَ[12] عنهم العذاب، كما قال تعالى: وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ،[13] وقال: وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا،[14] أي يصير عذابا عليهم وهم رجوا أن يكون سببا لخلاصهم فصارت عليهم ضدا.

---

[1] ر ث م: أن يعلموهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٦و.
[2] ن – النجاة عن العطب والهلاك وأهليكم في أن تعلموهم الأسباب.
[3] ر ث م: وليقي؛ ن: ويتقي. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] ن: أهليكم.
[5] سورة البقرة، ٢/٢٠١.
[6] جميع النسخ: قال منا. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] م: شديها.
[8] جميع النسخ: في النار. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ن – لأن النار.
[10] ر ث م: ولم ينفد؛ ن: ولم يتقه.
[11] ر م: ولشتها.
[12] جميع النسخ: لينصرهم ويدفع. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] سورة يس، ٣٦/٧٤.
[14] سورة مريم، ١٩/٨١-٨٢.

وقوله عز وجل: **عليها ملائكة غلاظ شداد**، فجائز أن يكون هذا وصفهم أنهم خلقوا غلاظا شدادا. وجائز أن يكونوا أشِدّاء على الكفار وأعداء الله تعالى رُحَماء على أوليائه. ألا ترى إلى قوله تعالى: **ويفعلون ما يؤمرون**، فبين أن اشتدادهم بمكان الأمر، وهو كقوله تعالى: وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ،[1] وصفهم بالشدة على الكفرة وبالرحمة على المؤمنين. فجائز أن يكون الملائكة كذلك في الآخرة. وفي هذا[2] دلالة أن الملائكة امتحنوا بالأمر والنهي في الآخرة، لأن[3] ملائكة[4] الرحمة امتُحنوا بإتيان التُّحَف والكرامات إلى أهل الجنة وملائكةَ العذاب امتحنوا بتعذيب أهل النار وبالغلظة عليهم والشدة، وإذا أُمر كل واحد[5] من الفريقين بما ذكرنا فقد نُهي عن تركه.

قال أبو بكر الأصمّ في قوله تعالى: **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا**، وفي قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا،[6] الآية،[7] إلزام الوعيد بأهل الصلاة؛ لأنه ألزمهم الاتقاء من النار وألزمهم التوبة ليكفّر عنهم سيئاتهم ولو لم يكن الوعيد لازما عليهم لم يكونوا يحتاجون إلى الاتقاء.

وهذا منه ومن جملة أهل الاعتزال تحريف الكلام عن مواضعه، لأن الله تعالى ذكر هذا الوعيد في أهل الإيمان بقوله: **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا**، وقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا، ولم يذكر الله تعالى[8] أهل الصلاة ولا ألحق بهم الوعيد.[9] فهم يقطعون الوعيد عمن ألحق الله تعالى بهم الوعيد وهم المؤمنون ويُلزمونه على من لم يجرِ[10] ذكره في القرآن ولا ألحق به الوعيد. وهذا تحريف الكتاب وقلب[11] القصة.

---

[1] سورة الفتح، ٢٩/٤٨.
[2] ر م: وهذا.
[3] ر: أن.
[4] ر م: الملائكة.
[5] ر م – واحد.
[6] الآية ٨ من هذه السورة.
[7] ن – الآية.
[8] ن – الله تعالى.
[9] ن – الوعيد.
[10] ن ر: لم يجر.
[11] ن: وقلت.

ولأنه صار من أهل الصلاة بإيمانه إذ لولا إيمانه لما كان هو من أهل الصلاة. فإذا ألحقوا الوعيد بأهل الصلاة فقد ألحقوه بأهل الإيمان فلم يبق بيننا وبينهم إلا سوء الْخُلُقِ وإلا فلا معنى لقلبه عن أهل الإيمان وإلحاقه بأهل الصلاة وأهل الصلاة هم أهل الإيمان. ثم الوعيد على قولهم إنما يلزم أهل الإيمان في وقت خروجهم من الإيمان،[1] ونحن نقول في الوعيد المذكور في أهل الإيمان: إنه يجوز أن يُلحقهم وقت إيمانهم ويعذبهم الله تعالى بأجرامهم؛ ويحتمل أن يقع لهم الوعيد إذا خرجوا من الإيمان. وهم يقطعون الوعيد عن أحد[2] الوجهين ويجعلونه على الوجه الآخر. ونحن نُلزمهم الوعيد إذا خرجوا من الإيمان ولا يبقى الوعيد عمن لم يخرج بعدُ من إيمانه.[3] فصرنا نحن أشد استعمالا لما يقتضيه ظاهر الآيات منهم فصار العموم حجة عليهم لا علينا. *والله أعلم.*

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم**، ليس في هذا نفي قبول العذر لو كان[4] لهم عذر، ولكنّ اعتذارهم / هو الندم عما كانوا فيه والإنابة إلى الله تعالى والتوبة إليه، [٨٢٢ظ] وليس ذلك وقتَ قبول التوبة[5] لأن ذلك الوقت هو وقت خروج مِلْك أنفسهم عن أنفسهم[6] فلا يُقبل في ذلك الوقت إيمان ولا عمل.

وقوله عز وجل: **إنما تجزون ما كنتم تعملون**، يعني أن عملكم السوء هو الذي ألزمكم العذاب في الحكمة فتجزون بعملكم ولستم تجزون بمنفعة[7] ترجع إلينا أو بما حملتم من أوزار الغير، ولكنْ بأعمالكم الخبيثة التي في الحكمة التعذيب عليها.

وفي هذا دلالة نفي العذاب عن أطفال المشركين لأنه لم يوجد منهم عمل فيجزون بعملهم، ولا يجوز أن يعذَّبوا بذنوب آبائهم لأنه أخبر أن كلا يُجزَى بعمله لا بعمل غيره. *والله أعلم.*

---

[1] ن: عن الإيمان.
[2] ر م: من أحد.
[3] ر م: من إيمانهم.
[4] ث: ولو كان.
[5] ث – إليه وليس ذلك وقت قبول التوبة.
[6] ن – عن أنفسهم.
[7] ر ث م: لمنفعة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٨]

وقوله: **يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا**. ففي هذه الآية إلزام التوبة على بقاء اسم الإيمان لأنه ألزمهم التوبة بعد أن سماهم مؤمنين، وأخبر أنه يكفر عنهم سيئاتهم بالتوبة. ومن مذهب[١] الاعتزال أن الصغائر مغفورة لأربابها إذا اجتنبوا الكبائر فلا يحتاجون إلى التوبة عنها. وإذا كان كذلك[٢] فالآية في الكبائر عندهم، والكبائر تخرج[٣] أهلها على قولهم من الإيمان، والله تعالى قد أبقى[٤] لهم اسم الإيمان. فمن أزال عنهم الاسم فقد خالف نص القرآن. وإن زعموا أن الآية في الصغائر ففيه دلالة على أن لله[٥] تعالى أن يعذب على الصغائر وأنها غير مغفورة حتى وقعت لهم الحاجة إلى التوبة وطلب المغفرة. وقال أيضا في آية أخرى: وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.[٦] فإما أن يكونوا أمروا بالتوبة عن الصغائر فيكون فيه دلالة أنها ليست بمغفورة إذا احتاجوا إلى التوبة، أو عن الكبائر فيكون فيه دلالة[٧] بقائهم على الإيمان. وكذلك قال:[٨] وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ،[٩] وإن كان استغفاره هذا[١٠] عن الصغائر[١١] ففيه دلالة أنها غير مغفورة لحاجته إلى طلب المغفرة. ولو كان الأمر على ما ظنت المعتزلة لكان سؤاله المغفرة يخرج مخرج الاستهزاء برب العالمين لأنه يطلب منه ما لا يملك وذلك في الشاهد هُزْءٌ[١٢] به واستخفاف بالمسئول. وإن كان في الكبائر ففيه دلالة بقائهم وثباتهم على الإيمان لأنه قال: وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ.

---

[١] ر م: ومذهب.
[٢] ن ث: لذلك.
[٣] جميع النسخ: يخرج. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٤٦ظ.
[٤] ر م: والله أعلم قد أبقى؛ ن: قد اتقى.
[٥] ر م: أن الله.
[٦] سورة النور، ٣١/٢٤.
[٧] ر ث م – أنها ليست بمغفورة إذا احتاجوا إلى التوبة أو عن الكبائر فيكون فيه دلالة.
[٨] ن – قال.
[٩] سورة محمد، ١٩/٤٧.
[١٠] ن – هذا.
[١١] ر م: على الصغائر.
[١٢] ن: هزؤا؛ ث: هزؤ.

ثم قوله تعالى: **توبة نصوحا**، قرئ بنصب النون وضمها نُصُوحا.[1] فالضم[2] يخرج مخرج المصدر والنصوح بالفتح يخرج مخرج النعت للتوبة. والفعول من الأفعال هو اسم للمبالغة في الأمر فكأنه يقول: توبوا توبة تناهت[3] في نصحها. والمبالغة في النصح أن يكون صادقا في توبته. وعلامة الصدق أن يكون نادما بقلبه عما فعل عازما على أن لا يرجع إليه، وأن يقلع يديه عما كان فيه من المعاصي، وأن يستغفر الله بلسانه فيستعمل كل جسده في الندم والانقلاع كما[4] استعمل سائره في التلذذ بالمآثم فذلك هو المبالغة في النصح.

وقوله عز وجل: **[عسى ربكم أن]**[5] **يُكَفِّرَ عنكم سيئاتكم**، [أي][6] بالتوبة. ففي هذا إبانة أن من السيئات سيئاتٍ لا تُكفَّر[7] إلا بالتوبة، ومنها ما يكفَّر باجتناب الكبائر، بقوله: إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ،[8] لا أن يكفَّر[9] كلها بالاجتناب عن الكبائر كما زعمت المعتزلة. وقوله عز وجل: **ويُدْخلَكم جنات تجري من تحتها الأنهار**، وقد مر بيان هذا.

وقوله: **يوم لا يُخزي الله النبي والذين آمنوا معه**. وللمعتزلة بهذه الآية تعلق وهو أن قالوا بأن الله تعالى أخبر أنه[10] لا يخزي[11] النبي والمؤمنين، والإخزاء[12] يقع[13] بالعذاب فقد وعد أن لا يعذب الذين آمنوا. ولو كان أصحاب الكبائر مؤمنين لم يُخَفْ عليهم العذاب إذ قد وعد أن لا يُخزيَ[14] المؤمنين، ومن قولكم: إنه يُخاف عليهم العقاب فثبت أنهم ليسوا بمؤمنين.

---

[1] ن – نصوحا. انظر: *لسان العرب*، «نصح».
[2] ر ث م: والضم.
[3] ن: شاهت.
[4] ث: عما.
[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٤٧و.
[6] الزيادة من المرجع السابق.
[7] جميع النسخ: لا يكفر. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] سورة النساء، ٣١/٤.
[9] ن: لا أن نكفر.
[10] ن: بأنه.
[11] ر: لا يجزي.
[12] ر: والإجزاء.
[13] ر م – يقع.
[14] ر: أن لا يجزي.

ولكن نقول: إن هذا[1] السؤال يُلزمهم من الوجه الذي أرادوا إلزام خصومهم، لأن في الآية وعدا بأن لا يُخزيَ الذين آمنوا وهم مقرون أن أهل الكبائر ممن قد آمنوا ولكنهم بعد ارتكابهم الكبائر ليسوا بمؤمنين. والآية لم تنطق[2] بنفي الإخزاء عن المؤمنين[3] لأنه لم يقل: **يوم لا يخزي الله النبي**، والمؤمنين وإنما قال: **والذين آمنوا**، وهم يقطعون القول بإخزاء[4] من قد آمن فصاروا هم المحجوجين بهذه[5] الآية. ثم حق هذه الآية عندنا أن نقف على قوله: **النبي**، أي لا يخزيه الله تعالى في أن يردّ شفاعته أو يعذبه. وقوله: **والذين آمنوا معه**، ابتداء كلام وخبره: **نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم**، وهو كقوله تعالى: وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ.[6] أو لا يخزي[7] الذين آمنوا بعد شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم. ويحتمل أن الإخزاء[8] هو الفضيحة، أي لا يَفْضَحُهم يوم القيامة بين يَدَيِ[9] الكفار. ويجوز أن يعذبهم على وجه لا يقف عليه[10] الكفرة. والخزي[11] هو الفضيحة وهتك الستر ولا يَفعل ذلك بالمؤمنين بفضله. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم**، أي بين أيديهم إذا مشوا، وبأيمانهم عند الحساب، لأنهم يؤتون الكتاب بأيمانهم وفيه نور وخير، أو يسعى النور بين أيديهم في موضع وضع / الأقدام، وبإيمانهم لأن ذلك طريقهم وشمالهم طريق الكفرة. [٨٢٣و]

وقوله عز وجل: **يقولون ربنا أَتْمِمْ لنا نورنا**، فجائز أن يقولوا هذا عند انطفاء نور[12] المنافقين فيخافون انقطاع ذلك النور عنهم أيضا، أو يقولون[13] هذا عند ضعف النور فيسألونه الإتمام.[14] ***والله أعلم.***

---

[1] ر ث م: إن بهذا.
[2] جميع النسخ: لم ينطق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٧و.
[3] ن: عنهم.
[4] ر: بإجزاء.
[5] ن ث: لهذه.
[6] سورة آل عمران، ٧/٣.
[7] ر: أو لا يجزي.
[8] ر: أن الإجزاء.
[9] ر م: أيدي.
[10] جميع النسخ: عليهم.
[11] ر: والجزي.
[12] ر م: لنور.
[13] ر ث م: ويقولون.
[14] ن ث: الإيمان.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين**، قيل: **جاهد الكفار**، بالسيف **والمنافقين**، بإقامة الحدود عليهم. وذلك أن المنافقين هم الذين كانوا يرتكبون المآثم التي أُوجب فيها الحدودُ ففيهم نزلت الحدود، وأما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد عُصموا عن المآثم التي لها الحدود.

وقالت الباطنية في قوله: **جاهد الكفار والمنافقين**، أي جاهد الكفار والمنافقين بالقتال، فكان مأمورا بالقتال مع الفريقين جميعا، ولكنه اشتغل بقتال أهل الكفر ولم يتفرغ لقتال أهل النفاق. فتولى[١] قتالهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وذكر[٢] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه حين رأى عليا رضي الله عنه يَخْصِف نعله: «إن خاصف[٣] نعله يقاتِل على التأويل كما نقاتل[٤] نحن على[٥] التنزيل»[٦] وقتاله على التأويل قتال أهل النفاق.

فإن كان الأمر على ما ذكروا من القتال فأبو بكر رضي الله عنه هو الذي تولى قتال أهل النفاق لا عليّ رضي الله عنه؛ لأنه ذُكر أن العرب ارتدت بعد ما قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلهم أبو بكر رضي الله عنه، وارتدادهم يدل على أنهم[٧] لم يكونوا محققين في إيمانهم إذ لو كانوا كذلك لم يرجعوا، بل كانوا منافقين. وأما الذين قاتلهم علي رضي الله عنه فلم يكونوا منافقين بل كانوا يَدْعُون عليا رضي الله عنه إلى أن يحكم بكتاب الله تعالى. والمنافق هو الذي يُظهر من نفسه أنه يعمل بحكم الله تعالى ثم يُسِر[٨] بخلاف حكمه[٩] لا أن يَدْعُوَ إلى العمل بحكم الله تعالى. وهذه السمة ظهرت في الذين قاتلهم أبو بكر رضي الله عنه[١٠] دون الذين قاتلهم علي رضي الله عنه.

---

[١] ث: فيولى.
[٢] جميع النسخ: وما ذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٧و.
[٣] ر م: إن خاصفه.
[٤] ن: كما يقاتل.
[٥] ن ث: عن.
[٦] *مسند أحمد بن حنبل*، ٣/٣٣، ٨٢؛ *والمستدرك* للحاكم، ٣/١٣٢.
[٧] ث + ليسو.
[٨] ر م: يسره.
[٩] ر: حكم.
[١٠] م: عنهم.

ثم مجاهدته صلى الله عليه وسلم في تقرير[١] الحجة في قلوب الكفرة والمنافقين وإلزامها عليهم، وذلك يكون مرة بالسيف ومرة بإلزامها باللسان. ووجه إلزام الحجة بالسيف ما ذكرنا أن غلبته[٢] على الأعداء مع كثرة شوكتهم وقلة أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم تُظهر[٣] لهم نصر الله إياه وكونه على الحق فيحملهم ذلك على الإيمان بالله تعالى. وإذا كان كذلك فقوله: **جاهد الكفار والمنافقين**، في إلزام الحجة؛ فإن كانوا في موضع أمن فمجاهدتهم في إلزام الحجة عليهم من جهة القول، وإن كانوا في موضع المحاربة والقتال فمجاهدتهم في قتالهم. وقد كان من المنافقين من قد لحق بالكفرة وذبّ عنهم، ألا ترى إلى قوله: فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ؟[٤] فمن لحق بهم قاتلهم مع الكفرة ومن لم يلحق بهم ألزمهم الحجة. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وَاغْلُظْ عليهم**، أي اشْدُدْ عليهم، والتشديد عليهم أن يُسفّه أحلامهم ويَهتِك أستارهم وهو أن يبين[٥] لهم ما هم عليه من النفاق. وقوله عز وجل: **ومأواهم جهنم وبئس المصير**، قد تقدم ذكر هذا.

ثم[٦] في قوله: **يا أيها النبي جاهد الكفار**، دلالة فضيلة نبينا صلى الله عليه وسلم على من تقدمه[٧] من الأنبياء والرسل عليهم السلام، لأنه ذكر موسى عليه السلام في التوراة: يا موسى،[٨] وفي الإنجيل: يا عيسى، وفي مخاطبات آدم: يا آدم، فسمى كل نبي[٩] باسمه سوى نبينا صلى الله عليه وسلم فإنه ذكره وخاطبه بقوله: **يا أيها النبي**،[١٠] يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ،[١١] وبالنبوة والرسالة استحق الفضيلة، فذكره باسم فضله وخاطبه[١٢] به وذكر غيره من الأنبياء عليهم السلام باسم شخصه.

---

[١] ر م: في تقدير.
[٢] ر م: غلبة.
[٣] جميع النسخ: يظهر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٧ظ.
[٤] سورة النساء، ٨٨/٤.
[٥] ن: أن يلين.
[٦] م – ثم.
[٧] ن: يقدمه.
[٨] ث + يا موموسى.
[٩] ن: شيء.
[١٠] تكرر خطاب ﴿يا أيها النبي﴾ كثيرا في القرآن الكريم انظر: *المعجم المفهرس* لمحمد فؤاد عبد الباقي، «النبي».
[١١] سورة المائدة، ٦٧/٥، ٤١.
[١٢] ث: وخاطب.

﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين،** فجائز أن يكون[١] هذا المثل لمكان الكفرة الذين لهم برسول الله صلى الله عليه وسلم اتصال من حرمة القرابة، فكانوا يطمعون منه الشفاعة في الآخرة إن كان الأمر على ما ذكره[٢] محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنهم عرفوه بالشفَقَة والرحمة على الخلق جملة. فكيف يَدَعُ شفقته[٣] ورحمته على قرابته وهو يراهم يترددون في الهلاك. فبين لهم شأن امرأة نوح وامرأة لوط وما كان بينهما وبين نوح ولوط عليهما السلام من الاتصال لأن لا يغترّوا باتصالهم بالنبي صلى الله عليه وسلم. وجائز أن يكون هذا في بدء[٤] الإسلام في الوقت الذي يتفرد الآباء[٥] بالإسلام دون الأبناء والأبناءُ دون الآباء، فيكون المَثَل لمكان أولئك الذين التزموا وداموا[٦] عليه ولم يتبعوا آباءهم وأبناءهم فيقول: لا ينفع من دام على الكفر إسلامُ مَن أسلم منهم وإن كان بينهما قرب من جهة الأبوة والبنوّة، لأن رحمة الإنسان وشفقته على زوجته أكثر من شفقته على من[٧] ذكرنا وكذلك الاتصال، فإذا لم ينفعهما[٨] إسلام / زوجيهما[٩] فكذلك لا ينفع أولئك الذين داموا على الكفر إسلام من أسلم من آباءهم وأبناءهم. وجائز أن يكون هذا المثل لمكان أهل النفاق فيما أظهروا موافقة المؤمنين وأسرّوا الخلاف له، فيخبر[١٠] أنه لا ينفعهم إظهار موافقتهم في الدين إذا كانوا على خلافه في التحقيق كما لم ينفع زوجتَيْ نوحٍ ولوطٍ عليهما السلام إظهار الموافقة[١١] منهما لزوجيهما إذ[١٢] كانتا على خلافهما في السر. *والله أعلم*.

[٨٢٣ظ]

[١] ر ث م – يكون.
[٢] ر م: ذكر.
[٣] ن: بشفقته.
[٤] ن: في يدي.
[٥] ن: ينفرد إلا.
[٦] ر م: وداوموا.
[٧] ر ث م: ما.
[٨] ر م: فإذا لم ينفعها.
[٩] ر: زوجتها؛ ن م: زوجتهما.
[١٠] ر: وأسرو الخلاف له فيخبروا.
[١١] ث: موافقة.
[١٢] ر ث م: لزوجته إذا؛ ن: لزوجتهما إذا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٧ظ.

قال أبو بكر الأصم: في هذه[١] الآية دلالة أن صلاح الصالح لا ينفع للطالح كما لم ينفع صلاح نوح ولوط للزوجتين إذا كانتا في أنفسهما فاسدتين. وأراد بهذا نفي[٢] الشفاعة لأهل الكبائر.

وليس[٣] كما ذكر لأن هذا المَثَل ضُرب للكافرين[٤] لا للعصاة إذ لم يقل:[٥] ضرب الله مثلا للذين عَصَوا، فليس له متعلّق[٦] في هذه الآية. ثم قد نجد[٧] صلاح الصالح في الشاهد ينفع الطالح وإن لم ينفع الكافر، لأن المرء قد تكون[٨] له زوجة طالحة تمتنع[٩] عن كثير من الشرور[١٠] لمكان زوجها إذا كان زوجها[١١] من أهل الصلاح والبر.[١٢] وكذلك الولد ينفعه صلاح والديه في الدنيا إذ بخشيتهما ينتهي عن كثير من المناهي لصلاحهما، فقد نفعه صلاح والديه[١٣] ونفعها صلاح زوجها.[١٤] فجائز أن ينفع الطالح أيضا في الآخرة صلاحُ الصالحين. وأما الكافر فهو لم يمتنع[١٥] عن الخلاف لمكان[١٦] أبويه ولا لمكان[١٧] أحد من الخلق فلم ينفعه إسلام أبويه ولا صلاحهما في الدنيا فكذلك لا ينفعه في الآخرة. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فخانتاهما فلم يُغنِيَا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين**، أي فخانتاهما في الدين.[١٨] ومنهم من يذكر أن خيانة امرأة نوح هو أن أخبرت قومه بجنون[١٩] زوجها،

---

[١] ن: وهذه.
[٢] ر م: النفي.
[٣] ن: وليسوا.
[٤] ر م: للكافر.
[٥] ر: إذا لم يقل.
[٦] ر م: تعلق.
[٧] جميع النسخ: قد يجد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٧ظ.
[٨] جميع النسخ: قد يكون.
[٩] جميع النسخ: يمتنع. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ث: من السرور.
[١١] ر م - إذا كان زوجها.
[١٢] ن ث: والشر.
[١٣] ن: أبويه.
[١٤] ر م: ونفعها صلاح زوجهما؛ ث: ونفعهما صلاح زوجها.
[١٥] ر ث م: لم ينتفع.
[١٦] ر م: بما كان؛ بمكان. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٧] ر: ولا مكان.
[١٨] ن: في الذين.
[١٩] ن: يحبون.

وكانت خيانة امرأة لوط هي أن أخبرت قوم لوط بشأن أضيافه. ولكن إن كان هذا صحيحا فهو يرجع إلى الأول، لأن الذي حمل كل واحدة منهما على الإخبار بما أخبرت موافقتها أولئك القومَ وخلافُها لزوجها في الدين فلا يجب أن يُشهَد بهذا إلا بتواتر[1] جاء [مِن لذي الحجة].[2] وذكر بعضهم أنهما زنتا[3] فخيانتهما زناهما. وهذا غير ثابت لأن الأنبياء عليهم[4] السلام عُصموا عما يرجع العار والشَّيْن[5] إليهم والزوج يُعيَّر بزناء زوجته وقرابته،[6] وفيه توهم التهمة في أولادهم. فدل أن هذا[7] التأويل غير صحيح، وحاجتنا إلى وجود[8] الخيانة منهما دون التفسير. ولا يجب أن يشهد بهذا إلا بتواتر جاء من لذي[9] الحجة.

﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون**، وجه ضرب[10] المثل بها هو أن يعلم المقهور تحت أيدي الكفرة أن لا عذر له في التخلف عن الإيمان بالله تعالى، إذ كانت امرأة فرعون مقهورة تحت يديه وكانت بين ظَهْرَانَي الظلمة، ولم يمنعها ذلك عن الإيمان[11] بالله تعالى وعن التصديق برسوله موسى عليه السلام.[12]

والثاني أنها لم تشاهد[13] من زوجها ومن القوم الذين[14] [هي][15] بين ظَهْرَانَيْهم سوى الكفر بالله تعالى ثم الله تعالى بلطفه ألهمها الإيمان به فآمنت. وكانت امرأة نوح تحت نوح

---

[1] ن ث: لتواتر.
[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٤٨و.
[3] جميع النسخ: زنيا. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] جميع النسخ: عليهما. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ر م: والشئان؛ ث: والشيان.
[6] جميع النسخ: وفراشه. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ر ث م: صلاح.
[8] ر م: وجوب.
[9] جميع النسخ: من يدي.
[10] ر م: صرف.
[11] ر م: من الإيمان.
[12] ن – موسى عليه السلام.
[13] ر م: لم يشاهد.
[14] ر ث م – الذين.
[15] الزيادة من المرجع السابق.

ولم تشاهد منه[1] سوى الطاعة والعبادة لربه جل وعلا[2] ثم لم ينفعها إيمانه وعبادته؛ ليعلم أنه لا ينفع أحدا إسلام أحد ولا يضر أحدا[3] كفر غيره، إنما يصير مؤمنا بفعل نفسه كافرا بفعل نفسه.

وقوله عز وجل: **إذ قالت رَبِّ ابْنِ لِي عندك بيتا في الجنة**، وهي لم تُرد بقولها: **ابن لي عندك بيتا**، بقيام الوجه الذي[4] عَرَفَتْ بناء زوجها وغيره من الخلائق، وإنما أرادت بقوله: **ابن لي**، أي اخلق لي بيتا في الجنة. وكذلك[5] لم يفهم أحد بقوله:[6] فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا،[7] ما فهم الخلق من النفخ في الأشياء، وإنما فهموا به الخلق والإنشاء. فما بال المشبهة فهموا من قوله تعالى: ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ،[8] ومن قوله: اِسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ،[9] ما فهموا من الاستواء المضاف إلى الخلق لو لا ضعف اعتقادهم وجهلُهم بصانعهم في التحقيق.

ثم الأصل أن يَنظر إلى الأسماء التي هي أسماء الأفعال المشتركة فيما بين الخلق إذا أضيف شيء منها إلى الله تعالى فَيَعْرضها على الأسماء التي هي أسماء الأفعال المخصوصة لله تعالى،[10] فما أريد بالاسم المخصوص من ذلك فذلك المعنى هو المراد بالاسم المشترك. فالاسم المخصوص لفعل[11] الله تعالى هو "الخلق" -إذ لا أحد يسمِّي أحدا من الخلائق خالقا- فيَفهم بقوله: **ابن لي عندك بيتا**،[12] أي اخلق لي، ويفهم من قوله: فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا،[13] الخلق والإنشاءَ. والذي يبين[14] أن الأسماء المشتركة تجب عرضها على الأسماء[15] المخصوصة ويُفهم[16] بها[17] ما يفهم بالأخرى

---

[1] ن – منه.

[2] ن – جل وعلا.

[3] م: أحد.

[4] وعبارة *الشرح* هكذا «﴿اِبْنِ لي عندك بيتا﴾ من الوجه الذي» (ورقة ٢٤٨و).

[5] ر م: وذلك؛ ن ث: ولذلك. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٤٨و.

[6] ن – بقوله.

[7] الآية التالية.

[8] سورة البقرة، ٢/٢٩؛ وسورة فصلت، ٤١/١١.

[9] سورة الأعراف، ٧/٥٤؛ وسورة يونس، ١٠/٣؛ وسورة الرعد، ١٣/٢.

[10] ن – فيعرضها على الأسماء التي هي أسماء الأفعال المخصوصة لله تعالى.

[11] ر م: بفعل.

[12] ن – بيتا.

[13] الآية التالية.

[14] ن: بين؛ ث: تبين.

[15] ر ث م – المشتركة تجب عرضها على الأسماء.

[16] ر: يفهم.

[17] ن: من فيها.

قوله تعالى:هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ،[1] ومعناه هو الذي خلق سَيْرَكم في البر والبحر. وقال: هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ،[2] أي يخلق الموت والحياة.[3] وقال:[4] يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ،[5] أي يخلق الضلال، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ،[6] أي يخلق هدايته. ومن حمل الأمر على ما ذكرنا سلم من الشُبه كلها ووسواس الشيطان وسلم من التشبيه. **والله الموفق.**

وفي هذا دلالة إيمانها بالبعث والحساب. ثم من الجائز أن تكون[7] وصلت إلى علم البعث والحساب بالتلقين أو بنظرها[8] وتفكرها / في الحجج والبراهين. [٨٢٤و] وذكر أهل التفسير أنها قالت ذلك عند ما عذبها فرعون. واختلفوا في صفة العذاب من أوجه، وحق مثله الإمساك عنه وأن لا نشتغل[9] بتفسيرها لما[10] يتوهم من وقوع زيادة فيها أو نقصان على القدر الذي بُيّن في الكتب المتقدمة. وهذه الأنباء جعلت حججا لرسالة نبينا عليه السلام على أهل الكتاب[11] لما وجدوها موافقة للأنباء التي ذكرت في كتبهم، وإذا وقع فيها زيادة أو نقصان وجدوا فيه[12] موضع الطعن في رسالته فلهذا المعنى ما يجب ترك الخوض[13] فيها والإعراضُ عن ذكرها.

وذكر عن الحسن وغيره أنه ما من مؤمن ولا كافر إلا ويُبنَى له بيت في الجنة، فإن مات على الإسلام سكن البيت وإن قُبض كافرا ورثه[14] غيره.[15] وهذا لا يحتمل لأن الله تعالى

---

[1] سورة يونس، ٢٢/١٠.
[2] سورة المؤمنون، ٨٠/٢٣؛ وسورة المؤمن، ٦٨/٤٠.
[3] ن – الحياة.
[4] جميع النسخ: قال.
[5] سورة الرعد، ٢٧/١٣؛ وسورة النحل، ٩٣/١٦؛ وسورة فاطر، ٨/٣٥.
[6] انظر مثلا: سورة يونس، ٢٥/١٠؛ وسورة إبراهيم.
[7] ن ث: أن يكون.
[8] ن: أو ينظرها.
[9] ر ث م: ولا يشتغل.
[10] ن: كما.
[11] ر م + والإعراض عن ذكرها.
[12] م – فيه.
[13] ن: الحوض.
[14] ن: ورث.
[15] *سنن ابن ماجة*، الزهد ٣٩.

إذا علم أنه يموت على الكفر فهو يبنى له ذلك لكيلا[١] يسكنه.[٢] ومن بنى لنفسه في الشاهد وهو يعلم أنه لا يَسكنه صار عابثا في فعله، وجل الله تعالى عن أن يوصف بالعبث.

وقوله[٣] عز وجل: **ونَجِّني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين،** أي نجني من شر فرعون وجوره ومن عمله أي من كفره، فيكون قولها: **نجني من فرعون،** راجعا إلى نفسه والآخر راجعا إلى عمله، **ونجني من القوم،** راجعا إلى قومه. فسألت النجاة عنهم جملة لما كانوا يمنعونها[٤] عن عبادة الله تعالى، فكانت تخاف[٥] ناحيتهم ولا تأمن[٦] وتخاف منهم فسألت النجاة منهم لتصل إلى عبادة ربها.

﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها،** فأخبر عنها بإحصانها فرجها وذلك بالأسباب، وهي ما اتخذت بين نفسها وبين الناس حجابا لئلا يقع بصر الناس عليها ولا يقع بصرها عليهم فتصل[٧] به إلى تحصين فرجها. قال الله تعالى: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ.[٨] وهم إذا غضوا الأبصار وصلوا إلى حفظ الفروج، ففي الحجاب غض البصر وفي غض البصر وصول إلى حفظ الفرج وإحصانه. وقال في آية أخرى: يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ [عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ].[٩] وتطهيره[١٠] إياها في أن طهرها من الفواحش والزنا، فأضاف الإحصان إليها في الآية[١١] الأولى وأضاف التطهير هاهنا إلى نفسه. فوجه إضافة الإحصان إليها ما ذكرنا أنها تكلفت الأسباب التي هي أسباب الموانع للزنا الدواعي إلى الإحصان.

---

[١] جميع النسخ: كيلا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٨ظ.
[٢] م: يسكن.
[٣] ر: قوله.
[٤] ر م: يمنعون بها.
[٥] ن: يخاف.
[٦] ن: ولا يأمن.
[٧] جميع النسخ: فيصل.
[٨] سورة النور، ٣٠/٢٤.
[٩] سورة آل عمران، ٤٢/٣.
[١٠] ر م: وتطهيرك.
[١١] ر م: آية.

وأضاف إلى نفسه التطهير لأن وقوع ذلك وحصوله[1] كان به. ففيه دلالة أن كل فعل من أفعال العباد لا يخلو من أن يكون لله تعالى فيه صنع وتدبير.

وقوله: **فنفخنا فيه من روحنا**، أي خلقنا فيه ما به تحيى[2] الصوَر والأبدان. وقوله: **فيه**، أي في عيسى، وقال في آية أخرى: فَنَفَخْنَا فِيهَا،[3] أي في نفس عيسى عليه السلام والنفس مؤنث.[4] ثم تشبيهه[5] بالنفخ أن الروح إذا خُلق فيه انتشر في الجسد كالريح إذا نفخت في شيء انتشرت فيها، أو التشبيه بالنفخ لسرعة دخوله فيما نَفخ فيه كالريح. ***والله أعلم***.

وقوله: **وصدّقت بكلمات ربها**، فجائز أن يكون الكلمات هي التي بُشّرت[6] بها مريم من قوله: إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ،[7] وقوله تعالى: يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ،[8] وقوله: يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ،[9] وقوله: وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ،[10] فصدقت بحملتها أنها[11] من عند الله لا شيءٌ ألقى إليها الشيطان. أو **صدقت**[12] **بكلمات ربها**، أي بحجج ربها وبراهينه، كقوله:[13] وَيُحِقُّ اللهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ،[14] أي بحججه وأدلته. ثم تكون[15] الحجج حجج[16] البعث أو حجج الرسالة أو الوحدانية، أو يكون[17] قوله: **وصدقت بكلمات ربها**، أي بالكلمات التي يستعاذ بها من الشرور[18] فصدّقت أنها تُعيذ مَن تعوّذ بها. ***والله أعلم***.

---

[1] ر م: حصولة.

[2] ر ث م: يحيى؛ ن: يحيى.

[3] سورة الأنبياء، ٩١/٢١.

[4] النفس مؤنث إن أريد بها الروح ومذكر إن أريد بها الشخص (انظر: *لسان العرب*، «نفس»؛ *والمنجد*، «نفس»).

[5] ن: بشبهه.

[6] ن: نشرت.

[7] سورة آل عمران، ٤٥/٣.

[8] سورة آل عمران، ٤٣/٣.

[9] سورة آل عمران، ٤٢/٣.

[10] سورة مريم، ٢٥/١٩.

[11] ر ث م - أنها.

[12] ن: وصدقت.

[13] ر م - كقوله.

[14] سورة يونس، ٨٢/١٠.

[15] جميع النسخ: ثم يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٨ظ.

[16] ن: الحجج حجج.

[17] ر ث م: أي ويكون.

[18] ن: من السرور.

وقوله: **وكتبه،**[1] وقرئ وكتابه.[2] وفي تصديقها بالكتاب تصديق منها بالكتب لأن من آمن بكتاب من كتب الله تعالى فقد آمن بسائر كتبه لأنها يوافق بعضها بعضا، ومن آمن بكتبه فقد آمن بكل كتاب له على الإشارة إليه، فثبت أن في الإيمان بكتاب إيمانا[3] بسائر الكتب. فكل واحدة من القراءتين تقتضي[4] معنى القراءة الأخرى، فإن قوله: بكتابه أي بالإنجيل، وقوله: **وكتبه،**[5] أي بالإنجيل وسائر الكتب المتقدمة المنزلة من عند الله تعالى.

وقوله عز وجل: **وكانت من القانتين،** قيل: من المصلين، لأنه قال في آية أخرى: يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ،[6] وذا[7] وَصْفُ الصلاة،[8] فالتزمت هذا الأمر فصارت من القانتين، وقيل: أي من المطيعين لربها. ***والله أعلم.***[9]

[1] جميع النسخ: وكتابه. والتصحيح من *الشرح*، نسخة مدينة، ورقة ٩٣٢ظ.
[2] قرأ أبو عمرو وحفص عن عاصم ويعقوب: ﴿وصدّقت بكلمات ربها وكُتُبِه﴾ بغير ألف وضم الكاف على الجمع. وقرأ الباقون: ﴿وكِتَابِه﴾ بالألف وكسر الكاف على واحدة. (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٤٠؛ *والنشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٩٠).
[3] جميع النسخ: إيمان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٨ظ.
[4] جميع النسخ: يقتضي. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] جميع النسخ: بكتبه. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] سورة آل عمران، ٣/٤٣.
[7] ر: وإذا أوصف؛ ث: وإذا؛ م: وإذا وصف. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ن: وإذا وصف به لصلاة.
[9] ر + بالصواب وصلى الله على رسولنا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ ث: والله سبحانه أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الملك[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١]

قوله عز وجل: **تبارك الذي بيده الملك**، قيل: تعالى وتعاظم. وتبارك: تَفَاعَلَ من البركة. والبركة كناية عن نفي كل عيب، قال الله[2] عز وجل: وَنَزَّلْنَا[3] مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا،[4] أي ماءً لا كُدُورة فيه ولا قَذَرَ بل هو ماء مطهَّر من كل آفة وعيب.[5] فمعنى قوله:[6] **تبارك**، أي تعالى من أن يكون له شبيه وعديل، وتعاظم عما قالت فيه الملحدة ومن أن يلحقه المعايب والآفات.

وقوله: **بيده الملك**، أي الذي له مِلك المُلك، لأنه قال في موضع آخر: قُلِ اللّٰهُمَّ / مَالِكَ [٨٢٤ظ] الْمُلْكِ،[7] أي الذي له الملك.[8] فذكر اليدَ هاهنا مكان المالك هناك فامتدح جل وعلا بمِلْك المُلْك وكونه مالكا له. والمعتزلة يقولون: بأن مِلك مُلك[9] الكفرة ليس له وأنه لا يؤتى[10] الملك للكافر،

---

[1] ر ن – سورة الملك؛ ث + وهي ثلاثون آيات مكية.

[2] ر م – الله.

[3] جميع النسخ: وأنزلنا.

[4] سورة ق، ٥٠/٩.

[5] جميع النسخ: وغير.

[6] جميع النسخ: قولنا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٩و.

[7] سورة آل عمران، ٣/٢٦.

[8] ن – أي الذي له الملك.

[9] ر: الملك.

[10] ن: لا يولى؛ ث: لا تولى.

ويقولون في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾:[1] إن الذي آتاه الله الملك هو إبراهيم عليه السلام والهاء ينصرف إليه لا إلى الذي حاجّه. وإذا لم يجعلوا مُلْك مِلك الكافر[2] في يده لم يصر ممتدحًا بما ذكرنا، لأنه يكون في يده بعض الملك لا كله. وقال في آية أخرى: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾،[3] وعلى قولهم يصير الملك في يد من لا يشاء لأنه لا يشاء[4] الملك للكافر، ومع ذلك يوجد فيهم الملك. ثم ما ينبغي لهم أن يقطعوا القول بأن الله تعالى[5] لا يؤتي الملك للكافر بل عليهم أن يقولوا:[6] إن كان إيتاء الملك أصلح لهم آتاهم، وإن كان شرًا لهم[7] لم يؤتهم؛ إذ من مذهبهم أن الله تعالى[8] لا يفعل بعبده[9] إلا ما هو أصلح له في الدين والدنيا في حقه. فهذا جملة اعتقادهم. ثم هم لا يعرفون الوجه الذي له صار[10] أصلح في كل شيء على الإشارة إليه، لأنهم يقولون: في إبقاء إبليسَ اللعينِ إلى اليوم[11] المعلوم[12] صلاح وإن كنا لا نعرف الوجه الذي له صار أصلح، وإفناءُ الأنبياء والرسل[13] عليهم السلام كان أصلح وإن لم نعرف من أي وجه صار أصلح. فليقولوا هاهنا [أيضا][14] بأن إيتاء الملك إن كان أصلح لهم لم يكن له أن لا يؤتيهم وإن كان شرا فعليه أن لا يؤتيهم لا أن يُحَصّلوا[15] الأمر على النفي.

---

[1] سورة البقرة، ٢/٢٥٨.
[2] ر م: الكفرة.
[3] سورة آل عمران، ٣/٢٦.
[4] ن – لأنه لا يشاء.
[5] ث + لا يعطى.
[6] ر ث م – أن يقولوا.
[7] م – لهم.
[8] ر ث م – الله تعالى؛ ر ث م + الملك أصلح لهم.
[9] ر ث م: لعبده.
[10] ن + لهم.
[11] م: إلى يوم.
[12] يشير الإمام الماتريدي رحمه الله إلى قوله تعالى: ﴿قال ربّ فأنظرني إلى يوم يُبْعَثون قال فإنك من المُنْظَرين إلى يوم الوقت المعلوم﴾ (سورة الحجر، ١٥/٣٦-٣٨). وانظر أيضا: سورة ص، ٣٨/٧٧-٨١.
[13] ث: الرسل والأنبياء.
[14] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٤٩و.
[15] جميع النسخ: أن يجعلوا. والتصحيح من المرجع السابق.

ثم المِلْك اسم عامّ وهو عبارة عن نفاذ التدبير والسلطان والولاية، والمُلْك هو أن يكون للمالك خاصة في الشيء لا يُتناول من ذلك الشيء إلا بأذنه. وقد يكون المرء مالكا وليس بمَلِك وقد يكون مَلِكا ليس بمالك. فكل واحد من الوجهين يقتضي معنى غير ما يقتضيه الآخر. وجائز أن يكون تأويل قوله: **بيده الملك**، أي مُلْك كل مَلِك من أهل الأرض بيده، لأنه إن شاء أبقى له المُلْك وإن شاء نزعه. فما من مَلِك في دار الدنيا إلا ومُلكه في الحقيقة لله تعالى.

وقوله عز وجل: **وهو على كل شيء قدير**، فامتدح نفسه تعالى بأنه على ما يشاء قدير وذلك من أوصاف ربوبيته أيضًا. ومن قول المعتزلة أنه على أكثر الأشياء غير قدير لأنهم يجعلون المعدوم شيئا فشيئية الأشياء كانت بأنفسها[1] لا بإنشاء الله تعالى ويجعلون ظهورها بالله تعالى فقط. وإذا كان كذلك فهو لم يصر قادرا على شيئية الأشياء؛ وكذلك ينفون الخلق والقدرة عن أفعال العباد. ومن قولهم أيضا: إن إقدار العبد بيد الله وإذا أقدر عبدًا من عبيده على الهداية خرجت القدرة من يده فتصير[2] هذه القدرة مستفادة لا ذاتية. وإذا كان كذلك فقد نفوا عنه القدرة عن أكثر الأشياء فلا يصير هو قادرًا على كل شيء وإنما هو قادر على البعض. تعالى الله عما يقول الظالمون فيه[3] علوًّا كبيرًا.

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا**، قال أبو بكر الأصمّ: **الذي خلق الموت**، أي خلقكم أمواتا: نطفة وعَلَقة ومُضْغة ثم أحياكم ليبلوكم. وقال غيره: **الذي خلق الموت**، ليجزيكم بعده، **والحياة**، ليبتليكم بها، واستدل بقوله تعالى: إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً،[4] فصرف المحنة إلى الحالة التي أنشأهم على وجه الأرض وهي حالة الحياة، ثم أخبر بعد ذلك أنه يجعلهم صعيدًا جرزًا بعد الابتلاء بقوله: وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا.[5]

---

[1] ر ث م - كانت بأنفسها.

[2] جميع النسخ: فيصير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٩و.

[3] ر ث م - فيه.

[4] سورة الكهف، ٧/١٨.

[5] سورة الكهف، ٨/١٨.

وعندنا أنه خلقهما جميعًا للابتلاء، لأن الله تعالى خلق الموت على غاية ما تكرهه[1] الأنفس وتنفر[2] عنه، وخلق الحياة على غاية ما تتلذذ به[3] الأنفس وترغب[4] فيها، والمحنةُ[5] في الترغيب والترهيب. فثبت أن [في][6] خلق[7] الموت محنةً [كما في خلق الحياة محنة].[8] فيكون قوله تعالى: **خلق الموت والحياة**، كأنه يقول: خلق الموت مُرَهِبا وخلق الحياة مُرغِّبة، **ليبلوكم أيكم أحسن عملاً**، أي ليبلوكم أيكم أرهب[9] من الشر وأرغبُ في الخير.[10] ثم الموت[11] مما لا مهرب منه لأحد ولا مَخْلَصَ لمخلوق، وكذلك الحياة وإن كانت من أرغب الأشياء إلي الأنفس فليست هي بحيث يتهيأ للمرء أن يزيد فيها[12] بالطلب ولا مما يوجَد بالكّدّ والسعي، فصارت هي مرغِّبة في الحياة الدائمة[13] وهي نعيم الآخرة وصار[14] الموت مرهِبًا عن الموت الدائم. والموت الدائم هو العذاب الدائم الذي لا ينقطع كما قال تعالى: وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ،[15] أي لا ينقضي عنه الآلام والأوجاع بل يبقى فيها أبدًا. وإذا ثبت أن الموت صار مُرهِبا عن العذاب الدائم والحياة صارت مرغِّبة في مثلها فيقوم بطلبها.[16] ووجب القول بالبعث أيضا؛ إذ الراغب[17] إنما يصل إلى ما يرغب[18] فيه بالبعث والآخر إنما يصير إلى العذاب الدائم بالبعث.

---

[1] ن: يكرهه.

[2] جميع النسخ: وينفر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٩و.

[3] ر ن م: ما يتلذذ به؛ ث: ما يتلذذ به به. والتصحيح من المرجع السابق.

[4] جميع النسخ: ويرغب. والتصحيح من المرجع السابق.

[5] ر م: المحنة.

[6] الزيادة من المرجع السابق.

[7] ر ث م: أن خلق.

[8] الزيادة من المرجع السابق.

[9] ر م: أرغب.

[10] م: في الخير.

[11] ن + ثم الموت.

[12] جميع النسخ: منها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٩ظ.

[13] جميع النسخ: الدائم. والتصحيح من المرجع السابق.

[14] ر م: وصارت.

[15] سورة إبراهيم، ١٧/١٤.

[16] جميع النسخ: بطلبه.

[17] ر: إذا الراغب.

[18] ر ث م: يصل ما يرغب.

وفيه إيجاب القول بالرسالة، لأنه إذا ثبت الرغبة في الموعود من الثواب والرهبة عن العذاب وهما جميعًا غائبان فاحتيج إلى من يظهرهما[1] ويخبر عنهما، فلم يكن بُدّ من رسول / يخبرهم [٨٢٥و] ويحضر علمه لهم.

ثم الأصل في قوله تعالى: **ليبلوكم أيكم أحسن عملا**، أنه إنما يَحْسُن عمله بحسن رغبته [ورهبته][2] ويسوء عمله بسوء رغبته ورهبته، فخلق الحياة والموت ليتفكر[3] فيهما المرء ويعتبرَ بهما. فمن حسنت رغبته ورهبته حسن عمله، ومن لم يتفكر فيهما و لم يعتبر بهما ساء عمله. فالموت والحياة أُنشئا مرغِّبين ومرهبين، وكذلك الدنيا وما فيها[4] أنشئت دالة على طريق الآخرة. فالسمع يدل على السمع والبصر[5] على البصر، وآلامها تدل على آلام الآخرة ونعيمها[6] دليل على نعيم الآخرة. *والله أعلم*. ثم قوله: **لِيبلوَكم أيُكم أحسنُ عملا**، فيه دليل على إضمار قوله: "وأيّكم[7] أسوء عملا" على مقابلة الأول، إلا أنه اكتُفيَ بذكر أحد المتقابلين عن الآخر.[8] *والله أعلم*.

فإن قال قائل: كيف أضاف الابتلاء إلى نفسه بقوله: **ليبلوكم**، والابتلاء في الشاهد لاستظهار ما خفي ولاستحضار ما غاب، والله تعالى لا يغيب عنه شيء ولا يخفى عليه أمر فكيف أضيف إليه الابتلاء؟

فجوابه أن نقول:[9] إن الابتلاء في الحقيقة كناية عما به ظهور الشيء وبروزه، فاستُعمل الابتلاء[10] في كل ما فيه[11] ظهور الأمر وإن كان الذي ظهر من الأمر عند المبتلِي ظاهرا. وهذا كما أضيف الاستدراج والمكر إلى الله تعالى لوجود معنى المكر والاستدراج فيه

---

[1] ن ث + ويحضرهما.
[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٤٩ظ.
[3] ر ث م: ليبلوكم.
[4] ر م: ومما.
[5] ث + يدل.
[6] ر م: على آلام الآخر ونعمها.
[7] جميع النسخ: وأنكم. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ن ث: على الآخر.
[9] جميع النسخ: أن يقول. والتصحيح مستفاد من المرجع السابق.
[10] ن – كناية عن ما به ظهور الشيء وبروزه فاستعمل الابتلاء؛ ث – فجوابه أن يقول إن الابتلاء في الحقيقة كناية عما به ظهور الشيء وبروزه فاستعمل الابتلاء.
[11] ر م – فيه.

وإن لم يكن[1] المقصود من ذلك المكر والاستدراج. وفي الشاهد المكر أن تحسن إلى عدوك[2] ليقع عنده أنك تركت عداوته فيغترَ[3] بإحسانك إليه، ثم تأخذه[4] من وجه أمنه ومن حيث لا يَشعُر به. هذا هو معنى المكر في الشاهد. وقد وُجد الإحسان من الله تعالى إلى أعدائه ووجد منهم الاغترار[5] بالنعم ووقع عندهم أنهم من جملة أوليائه ثم أتاهم العذاب من حيث لا يشعرون. فوُجد معنى المكر وإن لم يَقصد بإحسانه إليهم المكر بهم.

والثاني أن[6] من أمرَ [آخر][7] في الشاهد فإنما يأمره[8] لمنفعة تصل[9] إليه، وإذا نهاه[10] عن شيء فإنما ينهى لنفي مضرة تصل[11] إليه. والله تعالى لم يأمر الخلق ولم يَنْهَهم لمنفعة يجتلب[12] بها إلى نفسه أو لمضرة يدفعها عن نفسه، وإنما أمرهم ونهاهم لمنافع يرجع إليهم ومضارَّ يلحقهم، ثم أضيف إليه الأمر[13] والنهي وإن كان لا منفعة له ولا مضرة عليه. فكذلك[14] ابتلى خلقه ليَظهر للمبتلَى عداوته ووَلايتُه[15] وأضاف الابتلاء إلى نفسه وإن كان هو مستغنيا عن الابتلاء. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وهو العزيز الغفور**، ففيه إبانة أنه لم يَبْتَلِنا[16] لمنفعة أو أمر يرجع إليه أو لذل[17] يدفع عنه، ولكن لِعِزّ[18] يُحرزه الممتحَن إذا أحسن العمل وذنوبٍ تغفر له وتستر[19] عليه

---

[1] ر م – لم يكن.

[2] جميع النسخ: أن يحسن إلى عدوك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٤٩ظ.

[3] ر م: فيعتبر.

[4] جميع النسخ: ثم يأخذه. والتصحيح من المرجع السابق.

[5] ر: الاعتذار.

[6] ر م – أن.

[7] الزيادة من المرجع السابق.

[8] م: يأمر.

[9] جميع النسخ: يصل. والتصحيح من المرجع السابق.

[10] ر م: وإذا نها.

[11] ن: يصل.

[12] ر م يجب؛ ن ث: يجلب. والتصحيح من المرجع السابق.

[13] ر ث م – الأمر.

[14] ر م: فلذلك.

[15] ن: للمبتلا عداوته وولايته لا ليظهر له وأضاف.

[16] جميع النسخ: لم يبتليا. والتصحيح من المرجع السابق.

[17] ر: الذل؛ ن: لدل.

[18] ر م: لفن؛ ث: لغني.

[19] جميع النسخ: يغفر له ويستر. والتصحيح من المرجع السابق.

وهو عزيز بذاته. وجائز أن يكون معنى[١] قوله: **وهو العزيز**، أي القوي على الانتقام ممن ساء عمله واختار[٢] عداوته؛ **الغفور**، الستور على من حسن عمله[٣] يستر عليه ذنبه ويجزيه بحسن[٤] عمله. ***والله أعلم.***

﴿اَلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾[٣] ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **الذي خلق سبع سماوات طباقا**،[٥] ففي ذكر السماوات السبع[٦] إيجاب القول بتصديق ما يأتي به الرسل، لأن كون السماوات سبعا لا يعرف إلا من طريق الخبر. فالآية الأولى أثبتت[٧] القول بالرسالة وهذه الآية أثبتت[٨] تصديق ما يأتي به الرسل[٩] من الخبر. وقد ثبت وجود هذا القول على ألسن الرسل فلزمنا القول في السماوات: إنها سبع وإن لم نشاهد.[١٠] ثم يحتمل قوله: **الذي خلق سبع سماوات طباقا**، لِيَبلوَ أهلَها أيُّهم[١١] أحسن عملا لأنه بين أنه لم يخلق السماوات والأرضين باطلا.[١٢] ثم السماوات بأنفسها لا تُمتحن[١٣] وإنما يمتحن أهلها، لكنه اقتضى ذكر السماوات ذكر أهلها، واقتضى ذكر الأرضين[١٤] ذكر أهلها. فأخبر[١٥] بذكر الأرض عن ذكر أهلها وبذكر السماوات عن ذكر أهلها. ***والله أعلم.***

---

[١] ر م – معنى.
[٢] ر ن م: واختيار.
[٣] ن – واختيار عداوته الغفور الستور على من حسن عمله.
[٤] ر: يحسن.
[٥] ر م – طباقا.
[٦] ر م – ففي ذكر السماوات السبع.
[٧] جميع النسخ: أثبت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٠و.
[٨] ن: أثبت.
[٩] ر ث م – لأن كون السماوات سبعا لا يعرف إلا من طريق الخبر فالآية الأولى أثبتت القول بالرسالة وهذه الآية أثبتت تصديق ما يأتي به الرسل.
[١٠] ر ث م: وإن لم يشاهد.
[١١] ر م: أنهم.
[١٢] يشير المؤلف إلى مثل قوله تعالى: ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا﴾ (سورة ص، ٣٨/٢٧).
[١٣] جميع النسخ: لا يمتحن. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٤] ر م: الأرضون.
[١٥] ن: فاجترا.

وقوله عز وجل: **ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت**، أي انظر في خلق الرحمن هل ترى فيه من تفاوت أو فطور؟[1] فإنك إن رأيت فيه فطورًا ظننت في مدبّره[2] عددًا وإن رأيت فيه تفاوتا ظننت في مُنْشِئه سفهها. فإنك إذا رأيت فيه فطورًا وشقوقا رأيت فيه تمانعا وتدافعا، وفي حصول التمانع والتدافع حصول العدد؛ لأن التدافع والتناقض إنما يقع عند ثبات العدد، لأن ما يَبني هذا يَهدمه الآخر، وما يهدمه الآخر[3] وينقضه يبني الآخر فعند ذلك يقع التدافع. وإذا لم تر فيه فطورًا وشقوقا بل تراه[4] مُتّسقا مجتمعا دل [ذلك][5] على وحدانيته[6] وقدرته وسلطانه. وكذلك[7] التفاوت يدل على السفه ونفي الحكمة وارتفاعُ التفاوت يدل على حكمته وعجيب تدبيره. فيكون في ارتفاع الفطور والتفاوت إثباتُ القول بالوحدانية وإيجاب القول بالبعث من حيث تثبت[8] حكمته، وفي نفي القول بالبعث زوال الحكمة. وفيه إيجاب المحنة والابتلاء لأن العدد إذا ثبت كان للممتحَن أن لا يعمل حتى يتبين له الغالب من المغلوب فلا يَضيع عملُه، أو يشتغل كل بإقامة سلطانه ونفاذ تدبيره فلا يتفرغ للأمر بالمحنة. ألا ترى إلى قوله: وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلٰهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلٰهٍ بِمَا خَلَقَ،[9] قيل: يَذهب كل واحد منهم بالجزء الذي خلقه فيظهر عند ذلك فطور[10] وشقوق لأن ما خلق هذا يمتاز من الذي خلقه الآخر.[11] فارتفاع الفطور يدل على وحدانية الصانع / جل جلاله. وقيل في قوله:[12] **في خلق الرحمن من تفاوت**، [٨٢٥ظ] أي من حيث الدلالةُ على وحدانية الرب تعالى أو من حيث الحكمة والمصلحة، فالخلائق كلها في المعاني التي ذكرناها غير متفاوتة، لا أن تكون[13] الأشياء المحدثة غير متفاوتة في أنفسها،

[1] م: وفطور.
[2] جميع النسخ: في مدبر به. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٠و.
[3] ر م – وما يهدمه الآخر.
[4] جميع النسخ: بل رآه.
[5] الزيادة من المرجع السابق.
[6] م: على وحدانية.
[7] جميع النسخ: ولذلك. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] جميع النسخ: يثبت. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون﴾ (سورة المؤمنون، ٩١/٢٣).
[10] ر م – عند ذلك فطور.
[11] ن – فيظهر عند ذلك فطور وشقوق لأن ما خلق هذا يمتاز من الذي خلقه الآخر.
[12] ن – في قوله.
[13] جميع النسخ: لا أن يكون.

لأن بين السماوات والأرضين تفاوت وكذلك بين الحياة والموت تفاوت. ولكنّ منافع السماء متصلة بمنافع الأرض ومنافع أهل الأرض متصلة بالأرض، وقوامهم ومعاشهم بما يخرج منها، وكل ذلك يدل على وحدانيته[١] وعلى حكمته ولطائف تدبيره.

وقوله[٢] عز وجل: **فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب [إليك البصر خاسئًا وهو حسير]**، فجائز أن يكون هذا على رجوع بصر[٣] الوجه، وجائز أن يكون على رجوع بصر[٤] القلب، أو يكون أحدهما على بصر الوجه والثاني على بصر القلب. والأشبه أن يكون على بصر القلب، لأنه قد سبق منه النظر إلى السماوات والأرضين ببصر الوجه وسبق منه العلم من حيث النظرُ أنه لا تَفاوتَ فيها[٥] ولا فطور. فدعاه إلى أن ينظر ببصر القلب ليدله ذلك على المعاني التي ذكرناها، وهو كقوله تعالى: قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ،[٦] وقال: أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ،[٧] ولم يَرد به السير بالأقدام إذ قد سبق منهم السير فيها ولكنّ معناه: أو لم يتفكروا في عواقبِ من تقدمهم من مكذِّبي الرسلِ أنهم بأي سبب أُهلكوا ولأي معنى عوقبوا واستؤصلوا.

ثم قوله: **فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين**، الآية، منهم من قال: إن الكرتين هاهنا كناية عن مرة بعد مرة وليس[٨] على تثبيت العدد، فكأنه أمره[٩] أن يكون أبدا معتبرا ناظرا في خلق الرحمن. وإلى هذا يذهب الحسن[١٠] والأصم. وجائز أن يكون قوله: **كرتين**، مرتين ولكن على اختلاف الوقتين فيكون إحدى النظرتين[١١] بالليل وثانيتهما[١٢] بالنهار؛

---

[١] م: وحدانية.
[٢] ر: قوله.
[٣] ر ث م: البصر.
[٤] ر م: البصر.
[٥] ث - فيها.
[٦] سورة الأنعام، ٦/١١.
[٧] ن - انظروا كيف كان عاقبة المكذبين وقال أو لم يسيروا في الأرض. سورة الروم، ٣٠/٩؛ وسورة فاطر، ٣٥/٤٤؛ وسورة المؤمن، ٤٠/٢١.
[٨] جميع النسخ: ليس. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٠و.
[٩] ر ث م + أمره.
[١٠] *روح البيان* لإسماعيل حقي، ١٠/٧٩.
[١١] ر م: النظرين؛ ن: النظر بين.
[١٢] جميع النسخ: وثانيتها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٠و.

لأنه يرى[1] بالليل آيات وبالنهار آيات سواها وثبوت كل ذلك[2] يدل على وحدانيته وعجيب حكمته ونفاذ قدرته وسلطانه. أو أن تكون[3] النظرة الأولى ببصر الوجه والنظرة الثانية ببصر القلب، لأنه إذا نظر النظرة[4] الأولى ببصر وجهه فرأى ما فيه من العجائب أشعر قلبه ما رأى فينظر فيه مرة أخرى ببصر القلب ليتأكد ذلك ويتقرر. ويجوز أن تكون[5] النظرتان[6] جميعًا ببصر الوجه لأنه لا يستوعب النظر بالجملة في المرة الأولى فينظر مرة أخرى ليدرك ما غاب عنه في المرة الأولى.

وقوله عز وجل: **خاسئا**، أي صاغرا مستسلِمًا معترفًا بالقصور عن درك كنه سلطانه والإحاطة بعظمته وجلاله. **وهو حسير**، أي منقطع عن درك بلوغ حكمته ونفاذ[7] أمره.

ثم الأشبه أن يكون المراد بهذا الخطاب المكذبين بالبعث؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كان الخطاب متوجها إليه في الظاهر لأنه إنما أراد بالنظر في خلق الله تعالى ليتقرر[8] عنده عظمة الله تعالى وسلطانه وعجيب حكمته ونفاذ تدبيره، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان تقرر عنده علم ذلك كلِّه فلم يكن يحتاج إلى النظر فيما ذكر ليتقرر. فثبت[9] أنه انصرف[10] إلى المكذبين بالبعث فأُمروا بالنظر فيما ذكر ليتقرر عندهم سلطانه ونفاذ تدبيره وأنه ليس بالذي يعجزه أمر وأن قدرته ليست بمقدَّرة بقوى البشر، وهم كانوا ينكرون البعث والإحياء على تقدير[11] الأمور بقوى أنفسهم. فإذا نظروا في هذه الأشياء وعرفوا فيها لطائف وحِكَما لا تدركها[12] عقولهم وقوةً لا يبلغها حِيَلُهم أدّى ذلك إلى رفع الإشكال عنهم وإزاحة الريب[13] الذي اعتراهم في أمر البعث فيحملهم على الإيمان [به].[14]

---

[1] ر م: لا يرى.
[2] ر ث م: شيء.
[3] جميع النسخ: أو أن يكون.
[4] ر م: نظرة.
[5] ر ن م: أو أن يكون.
[6] ر: النظريان؛ م: النظر بأن.
[7] ر ث م: وبفساد.
[8] ر م: لتقرر.
[9] جميع النسخ: فصرف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٠ظ.
[10] ر م – أنه انصرف.
[11] م: تقرير.
[12] ر ث م: لا يدركها.
[13] ث: الرتب.
[14] الزيادة من المرجع السابق.

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح،** سماها سماء الدنيا لدونها إلى المخاطبين الممتحَنين لا أن تكون[١] السماء الثانية سماء الآخرة. والذي يدل على صحة ما ذكرنا أن مقابل الدنيا ليست هي الآخرةَ بل مقابلها الأولى ومقابل الدنيا القصوى، فثبت[٢] أنْ ليس فيها تثبيتُ[٣] أن السماء الثانية هي سماء الآخرة، والمصابيح هي النجوم. فذكر عباده عظيم ما أودع من النعيم في النجوم عليهم. فجعل فيها ثلاثة أوجه من النعيم. أحدها[٤] أنه جعلها زينة للناظرين، كما قال تعالى: وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ.[٥] ثم هذه الزينة إنما تظهر[٦] عند ما يخفى على الناظرين زينة الأرض وذلك في ظُلَم الليالي، فأبدل الله لهم زينة في السماء مكان الزينة التي أنشأها في الأرض وفضّل هذه الزينة على سائرها لأن سائرها لا يظهر إلا بالدنو إليها والقرب منها، ثم جعل هذه الزينة بحيث تظهر وتُرَى[٧] من البعد، فثبت أن لها فضلا وشرفا على زينة الأرض.

والنعمة الثانية ما ذكر في قوله: وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ،[٨] فجعلها هدى عن ظلمات[٩] أحوال تقع[١٠] فيسلم بها المرء عن الوقوع[١١] في المهالك.

والنعمة الثالثة ما ذكر من قوله تعالى: **وجعلناها رجوما للشياطين،** وفي جَعْلها[١٢] رجوما للشياطين[١٣] رفع الاشتباه عن الخلق وإخراجهم من ظلمات الأفعال إلى النور. / وذلك أن الشياطين [٨٢٦و] كانوا يصعدون إلى السماء فيستمعون إلى الأخبار التي يتحادث بها أهل السماء فيما بينهم

---

[١] جميع النسخ: لا أن يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٠ظ.
[٢] ر ث م: فيثبت.
[٣] ن: تثبت.
[٤] جميع النسخ: إحداها. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين﴾ (سورة الحجر، ١٥/١٦).
[٦] ر ث م: إنما يظهر.
[٧] جميع النسخ: يظهر فيرى. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] سورة الأنعام، ٦/٩٧.
[٩] جميع النسخ: من ظلمات. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ر ن م: يقع.
[١١] ر: عن وقوع.
[١٢] جميع النسخ: ومن جعلها. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] ن – ومن جعلها رجوما للشياطين.

مما يراد بأهل[1] الأرض فيَسْتَرِقُون السمع منهم فيأتون بها أهل الأرض ويُلقونها إلى أهل الأرض بعد ما يَخلطونها بأكاذيب من عند أنفسهم، فيشتبهون[2] على الخلائق ويضلونهم[3] بذلك عن سبيل الله تعالى. فملأ الله تعالى[4] السماء بالحَرَس والشُّهُب[5] ليدفعوا الشياطين عن استراق السمع[6] ليكون تبليغ الأخبار إلى أهل[7] الأرض بمن يؤمَن عليه الكَذِب وهو الرسول صلى الله عليه وسلم فيَسلَمَ تلك الأخبار عن التخاليط والشُّبه فيسلم الناس عن الوقوع في الظلمات. ثم يكون في جعل النجوم زينة للسماء[8] الدنيا[9] أن أهل السماء[10] [امتُحنوا][11] وابتلوا أيُّهم أحسن عملا كما ابتُلي به أهل[12] الأرض. ألا ترى إلى ما ذكر في أهل الأرض من قوله:[13] إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً،[14] فأخبر أن الزينة للامتحان.

وقوله عز وجل: **وأعتدنا لهم عذاب السعير**. ففيه أنهم -وإن عذبوا بالنيران التي جعلت في النجوم- الرجومُ لا تدفع[15] عنهم ما استوجبوا من العذاب الدائم بل قد أعد لهم عذاب السعير كما أعد لغيرهم من الشياطين وأهل الكفر.

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **وبئس المصير**، فالمصير هو الطريق أي فبئس الطريق طريق من سلكه أفضى به إلى عذاب السعير.

---

[1] ن: أهل.
[2] ث: فيشتبهون.
[3] ث: وتضلونهم.
[4] ر ث م - الله تعالى.
[5] ر م: والشهيب.
[6] ث - عن استراق السمع.
[7] م - أهل.
[8] جميع النسخ: السماء. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٠ظ.
[9] ر ث م - الدنيا.
[10] ن + الدنيا.
[11] الزيادة من المرجع السابق.
[12] ث - أهل.
[13] ر ث م: في قوله.
[14] سورة الكهف، ٧/١٨.
[15] جميع النسخ: لا يدفع.

﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ﴾[٧]

وقوله: **إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا**، فالشهيق هو الصوت[١] المنكر. ثم[٢] من الناس من يقول: **سمعوا لها**، أي لجهنم، ومنهم من جعل الشهيق من أهلها. وقد يجوز أن يذكر المكان والمراد منه الأهل كما قال: وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا،[٣] وكلا الأمرين يحتمل عندنا. ولا يُحتاج[٤] إلى معرفة ذلك لأن الصوت المنكر أمر ظاهر ممن لا يعقل الصوتَ كهو من الذي يعقل فليس الذي يعقل الصوتَ أولى أن يُجْعَل الفعل له من الذي لا يعقل. وقوله عز وجل: **وهي تفور**،[٥] أي تغلي.[٦] ثم النار بنفسها لا تغلي، وإنما تغلي بالذي يُجعَل فيها ففيه أن طعامهم وشرابهم في النار فتغلي[٧] النار بطعامهم وشرابهم.

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾[٨] ﴿قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾[٩]

وقوله: **تكاد تميز من الغيظ**، فجائز أن يكون هذا كناية عن الخزنة، وجائز أن يكون هذا وصف النار. ولله تعالى أن يجعل في جهنم وفيما شاء من الأموات ما يُعرف به عظمته وجلاله فتغضب[٨] له على أعدائه غضبا تكاد[٩] أن تنقطع في نفسها وتَسْلَمَ لأوليائه.[١٠] ثم في ذكر غضبها تذكير أنّ مِن حق الله تعالى على أوليائه أن يغضبوا له[١١] على أعدائه غضبَ جهنم عليهم بل جهنم أبعد عن أن تُمتحَن[١٢] بذلك منا. ثم هي[١٣] بلغت من الغضب على أعداء الله تعالى

---

[١] جميع النسخ: والشهيق الصوت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٠ظ.
[٢] ر م - ثم.
[٣] سورة الطلاق، ٨/٦٥.
[٤] جميع النسخ: ولا تحتاج. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥١و.
[٥] جميع النسخ + تكاد تميز من الغيظ.
[٦] ر ث م: أي تغاظي.
[٧] ر ث م: فيغلي.
[٨] جميع النسخ: فيغضب. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ر ث م: يكاد.
[١٠] ر ث م: أن ينقطع في نفسه ويسلم من لأوليائه؛ ن: أن ينقطع في نفسه ويسلم من أوليائه. والتصحيح مستفاد من المرجع السابق.
[١١] ث - له.
[١٢] جميع النسخ: أن يمتحن. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] ن: منا.

مبلغًا كادت تنقطع[1] بنفسها. فالأولياء أحق أن يوجد فيهم[2] هذا الوصف. وقد مدح الله تعالى الذين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لِمَا وُجد فيهم من الشدة على الأعداء وذلك قوله تعالى: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ،[3] وقال: أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ [أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ]،[4] وهكذا الحق على كل مؤمن أن يكون على هذا الوصف. وفيه حكمة أخرى وهو أنه ذَكَر شدة النار على أهلها لئلا[5] يقولوا يوم القيامة: إنا كنا عن هذا غافلين.[6]

وقوله: **كلما أُلقي فيها فَوْجٌ سألهم خَزَنَتُها ألم يأتكم نذير**، ينذركم لقاء يومكم هذا. **قالوا بلى قد جاءنا نذير**، وهذا هو الإخبار[7] عن نهاية أمرهم وآخر شأنهم. وذلك أنهم فَزِعوا في الآخرة إلى اليمين بالكذب فقالوا: وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ،[8] رجاءَ أن ينفعهم ذلك في الآخرة كما كانت تنفعهم في الدنيا. فلما أُلْقُوا فيها أيقنوا أن أيمانهم لا تدفع[9] عنهم العذاب [و]فزعوا إلى الاعتراف والصدق رجاءَ[10] أن يتخلصوا من العذاب فقالوا: **بلى قد جاءنا نذير**، ينذرنا عن لقاء هذا اليوم، **فكذّبْنا**، بالذي كان ينذرنا النُّذُر، **وقلنا ما نزل الله من شيء**، مما تنذروننا به. وقوله عز وجل: **إن أنتم إلا في ضلال كبير**، فجائز أن يكون القائل لهم بهذا هم الخزنة أو هذا خطاب لهم[11] في الدنيا: **إن أنتم إلا في ضلال كبير**.

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[١٠]

وقوله: **وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل**، ففي قوله: بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ،[12] اعتراف منهم بأنهم قد سمعوا وعقَلوا، فقوله: **لو كنا نسمع أو نعقل**، ليس هو على نفي السمع والعقل،

---

[1] ن: ينقطع.

[2] جميع النسخ: منهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥١و.

[3] سورة الفتح، ٢٩/٤٨.

[4] سورة المائدة، ٥٤/٥.

[5] ر ن م: لأن لا.

[6] فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾ (سورة الأعراف، ١٧٢/٧).

[7] جميع النسخ: هو إخبار. والتصحيح من المرجع السابق.

[8] سورة الأنعام، ٢٣/٦.

[9] جميع النسخ: لا يدفع. والتصحيح من المرجع السابق.

[10] ر: وجاء.

[11] ر م – لهم.

[12] الآية السابقة.

إذ قد أقروا أنهم سمعوا وعقلوا، وإنما هو على نفي الانتفاع بما سمعوا وعقلوا؛ لأن الانتفاع بالمسموع هو الإجابة لما سمع،[١] والانتفاع بالعقل أن يقوم بوفاء ما عقل. وهم لم يجيبوا لما سمعوا[٢] ولم يقوموا بوفاء ما عقلوا. وقال بعضهم: **لو كنا نسمع**، في الدنيا كما نسمع الآن أو كنا نعقل كما نعقل الآن **ما كنا في أصحاب السعير**، وهذا غير مستقيم لأن تلك الدار ليست بدار إسماع وإفهام وإنما المعنى ما ذكرنا. ***والله أعلم.***

﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **فسحقا لأصحاب السعير**، أي بعدًا، على معنى الدعاء عليهم، وقيل: السحق واد في جهنم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **إن الذين يخشون ربهم بالغيب**، يحتمل إن الذين يخشون عذاب ربهم والعذاب عنهم غائب، فأهل الإسلام يخشون عذاب الله وهو غائب عنهم، والكفرة / لا يخشونه [٨٢٦ظ] إلا أن يعاينوه.[٣] وجائز أن يكون قوله عز وجل: **يخشون ربهم بالغيب**، أي يخشون الله تعالى أن يعذبهم، أو أن يخشوه فيما أوعدهم. ثم الأصل أن ما من مؤمن يؤمن[٤] بالبعث، سوى المعتزلة، إلا وهو يخشى الله تعالى لكنهم يتفاوتون في الخشية.

ثم الخشية تقتضي[٥] الرجاء والخوف ليس كالأمن[٦] والإياس الذي لا يقتضي كل واحد منهما إلا وجها واحدًا. وإذا كانت الخشية تقتضي[٧] ما ذكرنا فكل مؤمن يخاف عذاب الله تعالى لما رأى من كثرة نعم الله تعالى وغفلته عن حقوق تلك النعم، لأن من حقها أن يشكر الله تعالى عليها. وقد عرف كل مؤمن تقصيره في أداء الشكر وتفريطَه في قضاء الحقوق فيرجو[٨] رحمته لما عرف من سعة رحمته وعَرَفه مُفْضِلا عفوًّا غفورًا. لكن فيهم تفاوت في الخشية والرهبة.

---

[١] ن: بما سمع.
[٢] ن: بما سمعوا.
[٣] ر م: إلا أن يعاينوا.
[٤] ن ث − يؤمن.
[٥] جميع النسخ: يقتضي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥١و.
[٦] ر م: كالأمر.
[٧] جميع النسخ: يقتضي.
[٨] ر م: فيرجعوا.

فمن كان أذكرَ[1] لغفلته فهو لعقوبته أكثر[2] خشيةً، ومن كان أقلّ ذكرًا لغفلته[3] فهو أقل خشية، فيتفاوتون على تفاوتهم في الذكر. وهو كالموت الذي يرهبه الناس جميعًا[4] ويتيقنون بحلوله لكنهم يتفاوتون في ذلك. فمن كان له أكثر ذكرا كان أبلغ في التيقظ وأكثر رهبة،[5] ومن كان أغفل عن ذكره فهو له[6] أقلُّ رهبةً.

ولقائل أن يقول: كيف جعلتم[7] كل مؤمن خائفًا راجيًا، والراجي هو الذي يطلب والخائف هو الذي يهرب. فكل من رجا[8] شيئًا يعلم أنه لا وصول إليه إلا بأعمال وأسباب فهو يقوم بتلك الأعمال بغاية[9] ما يحتمله[10] وسعه ليصل إلى مأموله، وإذا لم يقم بها لم يكن راجيًا في الحقيقة بل كان متمنيًا. وكذلك من خاف حقيقة الخوف وعلم أن المخوف نازل به إن لم يهرب فهو يهرب[11] مما يخافه أشد الهرب. ثم كثير من المؤمنين تراهم مقصّرين في الأعمال التي يتوصل بها إلى بلوغ الآمال ولا يهربون مما يُخاف عنه[12] أشد الهرب وغايةَ الخوف، فكيف وصفتم كل مؤمن بالخوف والرجاء وكثير منهم لا يتحقق فيهم هذا الوصف. واستدل على صحة ما ذكر بقوله: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ،[13] فالراجي[14] لرحمة الله مَن دَأَب في طاعته؛ وقال تعالى: وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ،[15] فقيل: يا رسول الله، أهم الذين يزنون ويسرقون؟

[1] ر م: كان إذا ذكر؛ ن ث: كان إذ أذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥١و.
[2] ث: الرشد.
[3] ر م: ذكر الغفلة.
[4] ث – جميعا.
[5] ر م: رهبته.
[6] ر م – له.
[7] ر م: جعلتهم.
[8] جميع النسخ: من رجى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥١ظ.
[9] ن: بغاير.
[10] ر ث م: تحتمله.
[11] ر ث م – فهو يهرب.
[12] ن – عنه.
[13] سورة البقرة، ٢/٢١٨.
[14] ن: والراجي.
[15] سورة المؤمنون، ٢٣/٦٠.

فقال: «بل هم الذين يصومون ويصلون وقلوبهم وجلة».[١] وقال تعالى: إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ.[٢]

فجوابه أن المؤمن ليس يرى كل خلاصه من العذاب وأَمْنَه من العقاب بعمله حتى إذا وُجد [منه][٣] التقصير في العمل أظهر ذلك المعنى فسادَ الرجاء والخوف، وإنما يتوقع خلاصه بعفو الله تعالى ويرجو[٤] رحمته بكرمه وجُودِه، لذلك لم يوجِب التقصير في العمل إبطال الرجاء والخوف. وهذا إذا كان غير معتزليّ المذهب ولم يكن من الخوارج. فأما إذا كان الراجي والخائف أحد هذين فتقصيره[٥] في العمل يدل على فساد الرجاء والخوف، لأن كل واحد منهما ليس يرى لنفسه شفيعا إلا عَمَلَه به ينجو[٦] وبه[٧] يَهلك. فإذا[٨] لم يبالغ في الطلب من جهة العمل ولم يبالغ في الهرب من الخوف بالعمل ظهر أنه ليس براجٍ ولكنه مُتمنٍ،[٩] وتبين أنه غير خائف في الحقيقة.

ثم المعتزلة لا يخافون الله تعالى ولا يرجون رحمته في الحقيقة، لأنهم يزعمون أن العبد إذا ارتكب الكبيرة فليس لله تعالى أن لا يعذبه عليها وأن يغفرها له، وإذا اجتنب الكبيرة استوجب المغفرة وإن ارتكب الصغائر، وليس لله تعالى أن يعذبه عليها.

والقائل بهذا غير راجٍ[١٠] رحمةَ الله تعالى ولا خائفُ من عذابه وإنما يقع الخوف والرجاء من عند نفسه؛ لأن الزلة التي استوجب بها العذاب فهو الذي اكتسبها ولو لم يعملها[١١] لم يعذَّب وفاز بالنجاة. فصار رَجاؤه وخلاصه بعمله لا برحمة الله تعالى وفضله. ولا بذلك وصف الله تعالى

---

[١] عن عائشة قالت: قلت يا رسول الله: ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة﴾ أهو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر؟ قال: «لا يا بنت أبي بكر (أو يا بنت الصديق) ولكنه الرجل يصوم ويتصدَّق ويصلي، وهو يخاف أن لا يتقبل منه». *مسند أحمد بن حنبل*، ١٥٩/٦، ٢٠٥؛ و*سنن ابن ماجة*، الزهد ٢٠؛ و*سنن الترمذي*، التفسير ٢٣.

[٢] ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾ (سورة الأنبياء، ٢٨/٢١).

[٣] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٥١ظ.

[٤] ن: ويرجوا.

[٥] ث: فيقصره.

[٦] جميع النسخ: ينجوا. والتصحيح من المرجع السابق.

[٧] ث – به.

[٨] ن: وإذا.

[٩] جميع النسخ: براجي ولكنه متمني.

[١٠] جميع النسخ: راجي.

[١١] م: ولو لم يعلمها.

المؤمنين في كتابه ولأن الله تعالى أثنى على الذين يدعونه خوفا وطمعا ورغبا ورهبًا.[1] وعلى قول أهل الاعتزال لا يدعو أحد ربه على الرغبة والرهبة والخوف والطمع، لأن الداعي إن كان صاحب كبيرة فهو فيما يدعو الله تعالى ليغفر له إنما يدعو[2] ليجور[3] عليه، إذ لا يسعه أن يغفر له ولا يعذب عليه، فدعاؤه[4] بالمغفرة معناه يقتضي أَنْ جُرْ عليّ وذلك عظيم. وإن كان صاحب صغيرة فهو فيما يطلب المغفرة منه تعالى يسأله أن لا يجور[5] عليه، لأنه ليس له أن يعذب على الصغائر على مذهبه ولو عذب صار به جائرا. فإذا خاف عَدْلَه[6] حتى[7] فزع[8] إلى الدعاء فقد[9] خاف جوره. ومن لم يأمن من ربه الجورَ بل خاف ذلك منه فهو لم يعرف ربه حقيقة المعرفة. وكذلك من دعا الله تعالى ليجور عليه فقد دعا إلى أن يَسْفَهَ والسفيه لا يَصلُح أن يكون إلها. فثبت أن الداعيَ على الرغبة والرهبة غير ممدوح عندهم ولا هو ممن يستحق الثناء عليه.

[٨٢٧و] وقوله عز وجل: **لهم مغفرة وأجر كبير**، أي من يرجو / الله[10] تعالى ويخافه فله مغفرة لذنوبه[11] وأجر كبير وهو الجنة.

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور**، فهذه الآية كأنها في إلزام الوعيد. يقول: إنه عالم بالأنفس التي فيها الصدور بما يضمرون فيها ويودعون ويكتمون، وبما يخبرون عما أودعوا فيها ويظهرون. والصدر هو ساحة[12] القلب سمي صدرا

---

[1] يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون﴾ (سورة السجدة، ٣٢/١٦)، وإلى قوله: ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/٩٠).

[2] ن: إنما يدعوا.

[3] رم: ليجوز؛ ث: لتجوز.

[4] ث: فدعاه.

[5] ر م: أن لا يجوز.

[6] جميع النسخ: عذابه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥١ظ.

[7] جميع النسخ: إذا. والتصحيح من المرجع السابق.

[8] ر ث: فرغ؛ ن: فرع.

[9] ر ث م - فقد.

[10] ر م: يرجوا الله.

[11] ن - لذنوبه.

[12] ر م: حاسة.

لأن الآراء تَصدر[1] عنها، فهو عالم بالأنفس التي لها الصدور بما يَصدُر عن آرائهم وعالم بما يُضمَر فيها من الأسرار.

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[١٤]

وقوله[2] عز وجل: **ألا يعلم من خلق**، تأويله عند أهل الإسلام ألا يعلم من خلق مما أسروا وجَهَروا؟[3] و"**مَن**" راجع إلى الله تعالى دون الخلق، كأنه يقول: ألا يعلم الخالق. **وهو اللطيف الخبير**. وفيه إثبات خلق الأفعال والأقوال وخلقِ الشر، فيكون حجة لنا على المعتزلة في خلق أفعال[4] العباد.

وقال جعفر بن حرب وأبو بكر الأصم: إن حرف **من**، لا يرجع إلى الله تعالى وإنما يرجع إلى الخلق، فكأنه يقول: ألا يعلم الله مَن خلق، على إضمار اسم الله تعالى. فاحتالا بهذه الحيلة لنفي الخلق عن الأفعال، لأن حرف **من** يرجع إلى الأنفس دون الأفعال والأقوال.

وذلك فاسد لأن الآية في موضع الوعيد، ولو كان قوله: **مَن خلق**، راجعًا إلى الأنفس لزال موضع الوعيد، إذ ليس في خلق الأنفس وعلمُ الله بها إثبات العلم بأفعال وُجدت منهم، ولا في خلق الأنفس إيجاب الوعيد بالأفعال. ولأنه لو لم يكن الله تعالى خالقا لما يَجهر به العبد ولما يُخفيه لم يكن ليحتجَ به على عمله، إذ قد يجوز جواز الجهل من غير[5] الذي يفعله فلا يجوز أن يحتج عليهم بفعل غيره. ولأنه ليس في إثبات العلم بخلق الأنفس إثباتُ العلم بما أسرّوا وجهروا كما لم يكن عند المعتزلة في إيجاب الخلق لنفس الإنسان إيجابُ الخلق لأفعالهم. ومعلوم بأن الآية في تحقيق العلم بما أسروا وجهروا، لأن قوله: **ألا يعلم من خلق**، مذكور على إثر قوله: وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ، وقولِه:[6] إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ،[7] أي عليم بما تُسرون وما تَجهرون،[8] فثبت أن الخلق راجع إلى ما أسروا وجهروا.

---

[1] جميع النسخ: يصدر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥١ظ.
[2] ر: قوله.
[3] ث + به.
[4] ر: الأفعال.
[5] ن: من يخبر.
[6] ن: قوله.
[7] الآية السابقة.
[8] ن: وما يجهرون.

ثم إن الناس على اختلافهم اتفقوا أن كل واقع بالطبع والضرورة مخلوق الله تعالى وإنما اختلفوا في الفعل[1] الواقع بكسب العبد؛ فمنهم من أثبت فيه الخلق وهو قول أهل الهدى، ومنهم من أبَى القول بخلقه. ثم المرء لا يتهيأ له استعمال اليد إلا في العمل الذي جُعل في طبع اليد احتمال ذلك العمل، ولا يتهيأ[2] له أن يستعمله في الوجه الذي لم يجعل في طبعها[3] احتمال ذلك، لأنه لو أراد أن يرى بيديه أو يسمع[4] بهما لم يملك ذلك. فثبت أنه مَلَّك استعمالهما في القبض والأخذ والتسليم بما جُعل في طبعهما[5] احتمال ذلك، وإذا كان كذلك فقد ثبت الخلق فيما يعمل بيديه وفيما يرى بعينيه ويسمع بأذنيه. ***والله الموفق.***

وقوله: **وهو اللطيف الخبير**، [اللطيف][6] في تدبيره إذ دبر لسانَ الإنسان على ما إذا[7] استعمله يخرج منه الكلام، ولو أراد أحد أن يتعرف المعنى الذي به صَلَح للنطق لم يقف عليه. ودبر قلبَه على أن يصوّر ما يقع[8] فيه من الخيال فيؤديه بلسانه، ودبره على وجه يصلح أن يُوعيَ[9] الأسرار والودائع من وجه لو أراد الخلائق أن يتعرفوا الوجه الذي صلح القلب أن يكون مصوِّرا وحافظا ومَعدِنا للأسرار لم يقفوا عليه. وقيل: **اللطيف**، هو الذي لا يَعْزُب عنه علم ما جلّ ودَق، وقيل: **اللطيف**، بعباده في الإحسان إليهم والإنعام عليهم، **الخبير**، بما فيه[10] مصالحهم.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها**، الآية،[11] [ليس في قوله: **فامشوا في مناكبها**، حقُّ الأمر أَنِ امْشُوا وإن كان في الظاهر الأمرُ، ولكن تأويله -والله أعلم-

[1] ر م - الفعل.
[2] ر م: لا يتهيأ.
[3] ن: طبعهما.
[4] ر م: أو تسمع.
[5] ر م: في طبعها.
[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٥٢و.
[7] ر م: على ماذا.
[8] ر ث م: ما وقع.
[9] ر م: أن يوعا؛ ن ث: أن يودعا. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ث + من.
[11] جميع النسخ + وإذا.

هو الذي][1] ذَلَّلَ لكم الأرض لتمشوا[2] في مناكبها وتأكلوا[3] من رزقه، فلا يجوز أن يكون خلقها[4] عبثًا باطلاً، فلا بد من الرجوع إليه ليسألكم عما له خَلَقَ أوَفَيْتم بالذي خلق[5] أو لم تَفُوا وذلك أن المرء في الشاهد إذا أعطى إنسانا مالا ليستعمله[6] في جهة[7] من الجهات فلا بد من أن يرجع إليه فيسأله هل استعمله في الذي أذن له فيه أم لا؟ وإذا ثبت أنه لم يخلقها[8] عبثا باطلا وإنما خُلقت للمحنة[9] فلا بد من أن يُنشَروا[10] إليه ليخبروه عما بَلاهم به وامتحنهم.

ثم احتمل أن يكون هذا صلة قوله:[11] ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ، وقوله تعالى: ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا.[12] فخلق[13] ذلك كلها ليمتحن أهلها بها، فعلى ذلك خلق الأرض ذلولا[14] ليبلوهم[15] بها. ويحتمل أن يكون هذا صلة قوله: مَا تَرَى فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ.[16] فأمر هناك بالنظر مرة بعد مرة هل ترى فيه تفاوتا أو فطورًا ليتبين عنده إذا لم ير فيه تفاوتا ولا فطورا[17] وحدانية الرب وقدرته وسلطانه وحكمتُه. فأمرهم أيضا بالمسير في الأرض والمشي في مناكبها وهي أطرافها هل يرون / فيها فطورا أو تفاوتا.[18] فإذا لم يروا فيها شيئا من ذلك تقرر [٨٢٧ظ] عندهم بجميع ما ذكرنا من الحكمة هناك، فهو في قوله: **هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا،** موجود. ولأنه ذكّرهم لطيف تدبيره في خلق الأرض وما له على الخلق من عظيم النعمة في حقه،

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٥٢و.
[2] ن: ليمشوا.
[3] ن: ويأكلوا.
[4] جميع النسخ: خلقا. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ر م: أو فيهم خلق.
[6] جميع النسخ: استعمله. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ر: جهته.
[8] ن: يخلقهما.
[9] ر: المحنة.
[10] ر ن م: يبشروا.
[11] جميع النسخ + هو. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] الآية ٢ والآية ٣ من هذه السورة.
[13] ن: فجعل.
[14] ن: ذلالا.
[15] جميع النسخ: ليبلوكم. والتصحيح من المرجع السابق.
[16] من الآية ٣ من هذه السورة.
[17] ر م: فلا فطورا.
[18] ر م: وتفاوتا.

وهو أنه قدر لهم فيها أرزاقهم إلى حيث يمشون فيها وهيأ لهم الرزق هنالك.[1] ولا يحتمل أن يذلل لهم الأرض فيضربون فيها حيث شاءوا ويستخرجون منها أقواتها أينما تصرفوا عبثا باطلا. بل لا بد أن يستأديهم شكر ما أنعم عليهم.[2]

﴿أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور**، هذه الآية في موضع المحاجة على منكري البعث، فكأنه يقول -والله أعلم-: إذ أنكرتم[3] البعث -وقد عرفتم الفرق بين العدو والولي وبين المطيع والعاصي- فكيف أمنتم عذابه في الدنيا أن ينزل بكم من فوق رءوسكم أو من تحت أرجلكم؟ أو قد عصيتموه وعاديتموه بتكذيبكم رسوله واختيارِكم عبادةَ غيره فكيف أمنتم نزول عذابه عليكم في حالتكم هذه وأنتم لا تقرون[4] بالآخرة[5] ليتأخر عنكم العذاب؟ ثم قوله: **أأمنتم**، أي قد أمنتم.

والثاني أنكم كيف أمنتم عذاب الله تعالى وأنتم تنكرون البعث لتكون[6] المحنة في الدنيا للجزاء في الآخرة؟ وهم يرون المحنة في الدنيا لأنهم كانوا يزعمون أن من وُسّع عليه النعم[7] في الدنيا فإنما وسع جزاءً لعمله،[8] ومن ضُيّق عليه العَيش فإنما ضيق عقوبة له بما أساء من عمله، كما قال الله تعالى: فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ،[9] فكانوا يعدون التضييق والتوسيع في الدنيا جزاء لصنيعهم وكانوا يقرون بالمحنة في الدنيا. والمحنة تكون[10] من الرجاء والخوف. وقد رجوتم إنزال الرزق عليكم من السماء ورجوتم أن يُخرج لكم من الأرض ما تتعيشون به وتُرزَقون منه.

---

[1] ر ث م: هناك.

[2] ر ن م: أن يستأذنكم شكر ما أنعم عليكم؛ ث: أن يستأذيكم شكر ما أنعم عليكم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٢ظ.

[3] ر ث م: إذا أنكرتم.

[4] ن: لا يقرون.

[5] ن – بالآخرة.

[6] جميع النسخ: ليكون. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] ر ث م: النعيم؛ ن – لأنهم كانوا يزعمون أن من وسع عليه النعم. والتصحيح من المرجع السابق.

[8] ر: لعامه.

[9] سورة الفجر، ٨٩/١٥-١٦.

[10] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من المرجع السابق.

فكيف لا تَحذرون[1] نزول العذاب عليكم من السماء أو إتيانَه من الأرض كما رجوتم النفع منهما جميعًا.

والثالث أنكم إذا أنكرتم الرسول وجحدتموه وقد انتهى إليكم حال من سبقكم من مكذبي الرسل كيف عذِبوا واستُؤصلوا؛ فمنهم من أهلك بإمطار الحجارة عليه من السماء، ومنهم من أُهلك بالخَسْف بالأرض؛ فكيف أمنتم أنتم[2] أن يَنزل عليكم ما نزل بهم وقد أوجدتم أنتم وتعاطيتم ما تعاطاه[3] الذين أهلكوا من التكذيب؟

ثم قوله: **من في السماء**، أراد [به] نفسه تعالى[4] أخبر أنه[5] إله السماء، لا على تثبيت أنه في الأرض سواه وعلى النفي أن يكون هو[6] إلهَ الأرض، بل هو في السماء إله وفي الأرض. وهذا كقوله تعالى: مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ،[7] ليس فيه أن النجوى إذا كان بين اثنين فهو لا يكون ثالثهم. وجائز أن يكون قوله: **أأمنتم من في السماء**، أي أأمنتم من في السماء ملكه وسلطانَه ولم تروا[8] أحدا انتهى ملكه إلى السماء، فكيف تأمنون[9] ممن بلغ ملكه السماء في معاداتكم إياه وأنتم لا تجترءون[10] على معاداة مَلِك من ملوك الأرض الذي لا يجاوز ملكه الأرض هيبة[11] وخوفا من سلطانه. فكيف تأمنون[12] عذاب من بلغ ملكه ما ذكرنا؟

وقوله عز وجل: **فإذا هي تمور**، قيل تَهوِي[13] من الأرض[14] أبدا إلى أسفل السافلين. وقيل: تمور بأهلها في قعرها على ما كانت من قبلُ تمور على ظهرها قبل أن تُوتَدَ[15] بالجبال.

---

[1] جميع النسخ: ما يتعيشون به ويرزقون منه فكيف لا يحذرون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٢ظ.
[2] ن – أنتم.
[3] ر م: ما يعاطاه.
[4] ر ث م: بعلى نفسه..
[5] ر: أنه أخبر.
[6] ر ث م – هو.
[7] سورة المجادلة، ٥٨/٧.
[8] جميع النسخ: ولم يروا. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] جميع النسخ: يأمنون. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ر ن م: لا تجيزون.
[11] جميع النسخ: تنبيه منه. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] جميع النسخ: يأمنون. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ن: يهوي.
[14] جميع النسخ: في الأرض. والتصحيح من المرجع السابق.
[15] جميع النسخ: أن يوتد. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾[١٧]

[وقوله تعالى: **أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا**]، والحاصب الحجارة.

وقوله عز وجل: **فستعلمون كيف نذير**، أي ستعلمون[١] نُذُري[٢] الذين أنذروكم بالعذاب أنهم كانوا محقّين فيه و لم يكونوا كاذبين كما زعمتم، أو ستعلمون ما أنذرتكم به[٣] إذا وقع العذاب.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾[١٨]

وقوله: **ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير**، يذكّرهم حال من تقدمهم[٤] من المكذبين وما حلّ بهم من النكير[٥] ليرتدعوا عن التكذيب فلا يحلّ بهم[٦] ما حل بأولئك. ثم قوله: **فكيف كان نكير**، أي كيف كان إنكاري عليهم أليس وجدوه شديدًا أو حقًا؟

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن**، قيل: صافات بأجنحتها لا يتحرك منها شيء، ويقبضن فما يمسكهن إلا الله تعالى في الحالين جميعًا أعني القبض والبسط. وقال في آية أخرى: أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ،[٧] والجوّ هو الهواء. ثم قوله: لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ،[٨] أي لآيات للمؤمنين على الكفرة. وهكذا شأن الآيات: إنها جعلت آيات للمؤمنين والأولياء على الكفرة والأعداء، لأن الكفرة إنما[٩] تصل[١٠] إليهم الآيات على ألسن الرسل والأنبياء والأولياء، فجعلت الآيات آياتٍ للمؤمنين ليحتجوا بها على أهل الكفر.

---

[١] جميع النسخ + حال. والترجيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٢ظ.
[٢] ن: نذري.
[٣] ر م: ما أريدكم به؛ ن: أنذركم به؛ ث: ما أنذروكم به.
[٤] ن: يقدمهم.
[٥] ر ث م – من النكير.
[٦] ن: لهم.
[٧] سورة النحل، ٧٩/١٦.
[٨] ر ث م – والجو هو الهواء ثم قوله لآيات لقوم يؤمنون.
[٩] جميع النسخ: أنهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ن: يصل.

ثم الهواء ليس بمكان يُمسِك ما عليه من الأشياء مثل السماء والأرض فيما أنشئتا على حد يمسكان الأشياء ويَقِرّ عليهما الخلائق. وإذا كان كذلك فإن الله[١] تعالى بلطفه أمسك / الطير وقت طيرانها ووقت قبضها في الهواء. ومن قدر على إمساك الطير مع ثِقَله[٢] وتقريره في مكان لا يَقر فيه الأشياء لَقادر على ما يشاء. [٨٢٨و]

ثم في هذه الآية إنباء[٣] أن لله تعالى في أفعال الطير صنعًا وتدبيرا على ما يشاء، لأن الفعل الذي يوجد من الطائر الطيرانُ إذا طار والوقوفُ إذا قَبض، ثم أضاف فعل الإمساك وكل ذلك إلى نفسه.

وذكر عن جعفر بن حرب في قوله: ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾[٤] أن الإمساك كناية عن التعليم وعبارة عنه،[٥] لأنه قد يعبَّر بالإمساك عن التعليم، يقول الرجل لآخر فيما يُعلّم الرماية: أمسكت على يده حتى رمى، فيريد به أي توليت تعليمه الرماية؛ فقوله: ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾، أي ما يُعلّم إمساكهن[٦] وقت الطيران إلا الله تعالى[٧] وكذلك وقت القبض.

والجواب عن هذا أن القائل يقول: أمسكت على يده حتى رمى، إنما يستجيز[٨] إطلاقَ هذا[٩] اللفظ من نفسه إذا وُجد منه فعل الإمساك في وقتِ ما يَهُمّ[١٠] الرامي بالرمي[١١] وأما إذا لم يوجَد منه[١٢] في ذلك الوقت فعلُ الإمساك لم يستقم أن يقول: أمسكت على يده وإن كان هو[١٣] الذي علّمه[١٤] الرمي. ألا ترى أن من علّم آخر الخِياطة حتى اهتدى الخياطة إذا خاط ثوبا لم يَستجز[١٥]

---

[١] ن: فالله.
[٢] ر ث م: مع وقفه؛ ن – مع ثقله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٢ظ.
[٣] ر م – إنباء.
[٤] ﴿ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله﴾ (سورة النحل، ١٦/٧٩).
[٥] ن: أن الإمساك عبارة عن التعليم وكناية عنه.
[٦] ث + إلا الله.
[٧] ث – إلا الله.
[٨] جميع النسخ: إنما يستخبر. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ر م – هذا.
[١٠] ر ث م: فألهم.
[١١] ر ث م: بالرامي.
[١٢] ث + ذلك.
[١٣] ن: فهو.
[١٤] ث: عمله.
[١٥] ر ث م: لم يستجر.

أستاذُه [من نفسه][1] أن يقول: أنا[2] الذي خِطتُه وإن كان هو الذي علّمه الخياطة؛ وكذلك من بنى[3] بناء لم يستقم من أستاذه[4] أن يُضِيف فعل البناء إلى نفسه فيقولَ: أنا الذي بنيته، ويريد به أنا الذي علّمته. وإذا لم يستقم هذا بطل أن يضاف فعل[5] الإمساك إلى الله تعالى ولا فعل له في ذلك سوى التعليم. فلو كانت الإضافة إليه من حيث التعليمُ لجاز أن ينسب إليه فعل الخياطة وفعل البناء والحِياكة فيقالَ: حائط[6] وبانٍ وحائكٌ لأنه هو الذي علّم. فإذا بطل أن ينسب إليه ما ذكرنا من الأفعال وإن كان هو الذي علم الخلق بطل أن ينسب إليه فعل الإمساك من حيث التعليم. **والله الموفق**.

واحتج جعفر بن حرب أيضا في نفي الفعل عن الله تعالى فقال: إن الله تعالى لم يقل: ما خلق طَيَرانهن إلا اللهُ، ولا خلق القبضَ إلا الله، وإنما قال: مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللهُ، فثبت أنه لا صنع له في الإمساك، وبانَ أن الذي أضيف إليه من الإمساك هو على الوجه الذي ذكرنا.

فالجواب عن هذا أن الأمة فهمت من قوله: مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللهُ، ما يفهم من قوله ما خلق طيرانهن وقبضهن إلا الله، إذ هو يقتضي ما يقتضيه ذكر الخلق، وإذا كان كذلك فلا فرق بين أن يضيف الخلق نفسه وبين أن يضيف فعل الإمساك. ثم لو ذكر الخلقَ مكان الإمساك أمكن جعفر[7] أن يتأول[8] في الخلق ما تأول في الإمساك فيقولَ: معنى قوله: خلَق[9] طيرانهن، أي علّم طيرانهن وقوّاهن على الأسباب التي بها[10] يطرن[11] فلا[12] يتهيأ لله تعالى على قوله أن يُثبت لخلقه[13] ويقرر[14] عندهم خلقَ شيء من الأشياء.

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٥٣و.
[2] ر: أن.
[3] ر: من نبأ؛ م: من بنا.
[4] ن: من أستاده.
[5] جميع النسخ: قبل. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ث: خائط.
[7] ر ن م: جعفرا.
[8] ن: ما تأول.
[9] ث – خلق.
[10] ر م – بها.
[11] ر ن م: يطير.
[12] جميع النسخ: فلان. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ن: لخلقهن.
[14] ر ن م: وتقرر.

ثم الأصل أن الآيات المذكورة في القرآن إنما ذكرت لإثبات أوجه خمسة. **أحدها** في تثبيت القدرة على البعث. وهي لا تُثبت[١] القدرة ولا توجب[٢] القول بالبعث على قول المعتزلة. وذلك أن الله تعالى احتج في تثبيت القدرة على البعث بقدرته على ابتداء الخلق فقال: أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ،[٣] وقال: وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ،[٤] فاحتج بأمر الابتداء[٥] على تثبيت القدرة على الإعادة. وليس فيه ما يثبت القدرة[٦] على الإعادة عندهم لأنهم نَفَوا خلق الأفعال عن الله تعالى مع إقرارهم أن الله تعالى هو الذي ابتدأ الخلائق وهو الذي أنشأهم.[٧] ولم يكن في إثبات القدرة على خلق الأعيان إثبات قدرة منه على خلق الأفعال وإن كان خلق الأفعال دون خلق الأنفس، فكيف ذكر قدرته على ابتداء الخلق على تثبيت القدرة على الإعادة وإن كان أمر الإعادة أيسر من الابتداء؟ مع أن آثار الخلق في أفعال العباد وإثباتَ التدبير فيها أوجد منه في أمر البعث. وذلك أنك تجد من الأفعال أفعالا هي مؤذية لأهلها متعبة[٨] مؤلمة، ومعلوم بأن قصد أربابها أن يتلذذوا بها ويتمتعوا بها. فثبت أن لغيرهم فيها[٩] تدبيرًا وصنعًا حتى صارت كذلك. ولأنه يوجد في أفعالهم أحوال لا يبلغها أوهامهم ولا يقدّرها عقولهم، لأن الفعل يأخذ من الجو والمكان والوقت مالا يقدّره الأوهام ولا يبلغها العقول. فثبت أن لغيره فيه صنعًا وتدبيرًا. ولأن فعله يخرج على قبيح وحسن لا يبلغ[١٠] علم فاعله أنه يبلغ في الحسن والقبح ذلك المبلغ وينتهي في الحسن مبلغا، لو أراد أن يخرج على ذلك الحد في المرة الثانية لم يخرج كذلك. فكل ما ذكرنا يبيّن[١١] أن جميع أفعالهم على ما هي عليها ليست لهم. ثم مع ذلك أنكروا أن تكون[١٢] الأفعال من جهة الخلق لله تعالى و لم يظهر شيء من أمارات البعث ولا وُجد فيه التدبير.

---

[١] ن: لا يثبت.
[٢] ن: ولا يوجب.
[٣] سورة يس، ٣٦/٧٧.
[٤] سورة الروم، ٣٠/٢٧.
[٥] ر م: فاحتج بالابتداء.
[٦] ر ث م - على تثبيت القدرة على الإعادة وليس فيه ما يثبت القدرة.
[٧] م: أنشأكم.
[٨] م: متبعة.
[٩] ر م - فيها.
[١٠] ن: لا يعلم.
[١١] ر ن م: تبين.
[١٢] جميع النسخ: أن يكون.

فصارت الكفرة في إنكارهم أمر البعث أعذرَ من المعتزلة في إنكارهم خلقَ الأفعال. و لم يوجب القول بالقدرة على ابتداء الخلق قولا بالقدرة / على إنشاء البعث والإعادة بعد الإفناء، فثبت أن ليس في الآيات التي جعلها الله تعالى دلالةُ إثباتِ البعث على قولهم. [٨٢٨ظ]

والوجه الثاني في تثبيت[1] الوحدانية وجَعْلِ دليل وحدانيته[2] تُوحّده بخلق الأشياء وتفرّده بإنشائها. ألا ترى إلى قوله تعالى: أَمْ جَعَلُوا لِلّٰهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ،[3] وقال: وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلٰهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلٰهٍ بِمَا خَلَقَ.[4] وعلى قول المعتزلة هو غير متوحد بخلق الأشياء بل أكثر خلق الأشياء كان بالعباد لا بالله تعالى. وإذا لم يوجد منه التوحد والتفرد بخلق الأشياء ارتفع وجه الاستدلال من هذا الوجه على معرفة الصانع ووحدانية الرب، وإذا كان كذلك لم تثبت[5] وحدانية الله تعالى على قولهم من الوجه الذي[6] جَعَله دليلَ الإثبات.

والوجه الثالث[7] وهو أن الآيات ذُكرت في إثبات حكمة الله تعالى وجَعْلِ دليلِ حكمته خلقَ السماوات والأرضين[8] وغيرهما[9] من الأشياء. ونحن إنما عرفنا خلق السماوات والأرضين بما شاهدناهما مجتمعَين، والاجتماع حادث فيهما وما لا ينفك عن الحادث فهو حادث، والحادث لابد له من محدِث ولو لا ذلك لم نعرفه ولا يثبت لنا خلقهما. وعلى قول المعتزلة: الجمع والتفريق لا يدل على الخلق لأن كل[10] من له القوة يقدر على جمع الأشياء وتفريقها. والاجتماع والتفريق فعل الجامع والمفرق لقولهم بالمتولّدات،[11] فمن استحكمت قوته أمكنه جمع الأشياء القوية[12] ومن ضعفت قوته جمع على قدر ما تنتهي[13] إليه قوته. وإذا كان كذلك

[1] ر ث م: والوجه الثاني تثبيت.
[2] ر م: وحدانية
[3] ﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم﴾ (سورة الرعد، ١٣/١٦).
[4] ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٩١).
[5] جميع النسخ: لم يثبت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٣ظ.
[6] ث + ذكرنا.
[7] ن + جعله دليل الإثبات.
[8] ر ن م + بما شاهدنا.
[9] ن: وغيرها.
[10] ن – كل.
[11] ر م: بالمتوالدات.
[12] ر م: لقوته.
[13] جميع النسخ: ما ينتهي. والتصحيح من المرجع السابق.

لم يتبين عند الخلائق على قولهم أن الله تعالى هو الذي خلق السماوات والأرضين، إذ خَلْقهما لا يعرف إلا من الوجه الذي ذكرنا وذلك مما يجوز تحققه[١] لا بالله تعالى. وجائز أن يكون الله تعالى أقدر ملكا من ملائكته وقوّاه على خلق السماوات والأرض، وإذا كان كذلك لم يظهر بما ذكرنا أن الله تعالى هو الخالق لهما. فبطل أن يكون في خلق السماوات والأرضين وفي خلق سائر الأشياء دلالةُ حكمته وقدرته ووحدانيته، وقد جعل الله تعالى خلقهما دلالة لهذه الأوجه التي ذكرناها. والثاني أنه جعل إتقان الأشياء وإحكامها عَلَما لحكمته، وقد يقع الإتقان والإحكام للأشياء لا به؛ ثم لم يجعل الله لشيء مما أتقن وأحكم عَلَما يتميز من بين ما أتقنه غيره وأحكمه، فصار الإتقان والإحكام غير دال على حكمته، بل صار دليلا على عجزه وضعفه حيث لم يتهيأ له تمييز[٢] ما صار به متقِنا وما بغيره صار كذلك. ولأن الحكمة هي وضع الشيء في موضعه وتبيين[٣] ما له[٤] مما ليس له. ومن قولهم: إن الله تعالى أعطى الكافر قوة الإيمان ولم يُبق في خزائنه ما جُعل سببًا يُتوصَّل به إلى الإيمان إلا وقد أعطاه مع علمه أنه لا يؤمن به. وهذا من أعظم الجهل وأبيَنِ السفه في الشاهد؛ لأن المرء إذا قام بسقي أرض وعمارتها بالكِراب والثَّنايا[٥] وألقى البذَرَ فيها مع علمه أنها لا تُنبت[٦] شيئًا عُدّ ذلك منه سفها وجهلا، والسفيه لا يصلح أن يكون إلهًا حكيمًا. وقال تعالى: هو الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً؛[٧] وعلى قول المعتزلة قد[٨] خلق غيرُه الحياة والموت جميعًا؛ لأن القتيل[٩] ميّت بالاتفاق، ثم لا يجعل أهل الاعتزال لله تعالى في موته صنعا ويزعمون أنه مات قبل أجله. فإذا قدر غيره على الإماتة ويقدر غيره[١٠] أيضًا على الإحياء بالأسباب

---

[١] ر ث م – تحققه.

[٢] ر م: تميز.

[٣] ن ث: ويتبين.

[٤] ن – ما له.

[٥] ر ث م: والثنيا؛ ن: والبنيان. الكِراب: مجاري الماء في الوادي. والثَّنِية: طريق العقبة، الطريقة في الجبل. وقيل: هي العقبة أو الجبل نفسه. والجمع: الثَّنايا (*لسان العرب*، «كرب»، «ثني»).

[٦] ر ن م: لا ينبت.

[٧] الآية ٢ من هذه السورة.

[٨] ر ث م: فقد.

[٩] ر م: القتال.

[١٠] ر ث م – غيره.

-لأنه يسقي الأرض والزرع ويكون في سقيه إحياؤها- فلم يتفرد هو بخلق الموت ولا بالحياة على قولهم بل يَشْرَكُه غيره في خلق الأشياء، فيبطل امتداحه على قولهم نفسَه بأنه خالق الأشياء.

والوجه الرابع أنه احتج بعلمه بأفعال الخلق بخلقه تلك الأفعالَ وذلك قوله: أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ،[1] وهم قد نفوا الخلق عن الأفعال. وإذا انتفى لم يقع له بها علم فصارت الآيات التي فيها[2] إثبات العلم لا تَثبت على قولهم ويكون فيه كذبٌ[3] في الخبر. تعالى الله عن ذلك.

والوجه الخامس أنه سمى نفسه محسنا منعما وأثبت إحسانه وإنعامه بآيات احتج بها على خلقه. وما من نعمة أنعم بها العباد إلا وقد كانوا لها مستوجِبين على الله تعالى [على قول المعتزلة]، فيصير الله تعالى[4] بإعطائهم ذلك قاضيًا ما عليه من الحق بالنعمة. ومن قضى آخر حقا[5] كان عليه لم يصر به منعما مفضلا وإنما صار قاضي حق، فصارت الآيات التي فيها إثبات النعم غير مثبتة[6] على قولهم. تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

وقوله عز وجل: **إنه بكل شيء بصير**، أي بكل شيء لَطُف أو جلّ أو استتر أو ظهر أو اختلط بغيره أو تميّز فهو بصير يُبلغه إلى أجله الذي ضرب له ويأتيه بالرزق الذي قدَّر له؛ أو بصير بأفعال الخلق ما كان وما يكون لأنه ذكر [هذا][7] على إثر ذكر الأفعال وهو قوله: وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ: أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ.[8] ثم في قوله: **إنه بكل شيء بصير**، ترهيب وترغيب وإلزام المراقبة والتيقظ والتبصر. وكذلك في قوله: إنه على كل[9] شيء حفيظ[10] وبكل شيء عليم،[11] لأن مَن علم أن عليه حافظا ورقيبا[12] يعلم بكل شيء يتعاطاه فهو لا يتعاطى إلا المحمود من الفعال والمرضيَّ منها.

---

[1] الآية ١٤ من هذه السورة.
[2] ن: بها.
[3] جميع النسخ: لا يثبت علما على قولهم ويكون فيه كذبا. والترجيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٣ظ.
[4] م - فيصير الله تعالى.
[5] ر م: ومن قضا آخر ما كان؛ ث: ومن قضا آخر كان.
[6] ر ث م: مبينة.
[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٥٤و.
[8] الآية ١٣-١٤ من هذه السورة.
[9] ر م: وكذلك إنه بكل؛ ن ث: إنه بكل. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ﴿إن ربي على كل شيء حفيظ﴾ (سورة هود، ٥٧/١١. وانظر: سورة سبأ، ٢١/٣٤؛ وسورة الشورى، ٦/٤٢).
[11] انظر مثلا: سورة البقرة، ٢٩/٢، ٢٣١، ٢٨٢.
[12] م: رقيبا وحافظا.

﴿أَمَّنْ هٰذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمٰنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ [٢٠]

وقوله عز وجل: **أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن**، / فهذا صلة قوله: [٨٢٩و] أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ، وقوله: أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا،[١] ثم قال: **أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن**، إذا خسف بكم الأرض وأرسل عليكم حاصبًا من السماء؟ وجائز أن يكون على التقديم والتأخير فيكون معناه: أمن هذا الذي هو جند لكم من دون الرحمن ينصركم من عذاب الله إن حل بكم؟ أو يكون قوله: **أمن هذا الذي هو جند لكم**، يدفع عنكم العذاب من دون الله إذا حل بكم؟ وجائز أن يكون أريد بالجند آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله فكانوا يعبدونها لتنصرهم[٢] ويَعِزّوا بها. قال الله تعالى: وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا،[٣] وقال: وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ.[٤]

ثم هم قد علموا أنها لا تقوم بنصرهم ولا يدفع الذل عنهم فيَعِزّوا بها، لأنهم كانوا يفزعون إلى الله تعالى عندما يحل بهم الشدائد والذل، كما قال الله تعالى: وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ،[٥] ويتركون الفزع إلى آلهتهم لعلمهم أنها لا تُعزهم[٦] ولا ينصرهم. فذكّرهم في حالة الأمن ما قد عرفوا وقوعه في حالة الخوف لينقلعوا عن عبادة الأصنام ويُقبلوا على عبادة رب الأنام ليدفع عنهم الشدائد والأهوال والآلام[٧] إذا حلّتا[٨] بهم[٩] من خاص أو عام ويقوم بعزهم إذا لحقهم الذل.

وقوله عز وجل: **إنِ الكافرون إلا في غُرور**، أي اغتروا في عبادتهم آلهتهم لتقوم[١٠] بنصرهم وعزهم مع ما علموا أنها لا تدفع[١١] عنهم شدة ولا تُحصّل[١٢] لهم عزا.

---

[١] الآية ١٦ و ١٧ من هذه السورة.

[٢] جميع النسخ: لينصرهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٤و.

[٣] سورة مريم، ٨١/١٩.

[٤] سورة يس، ٧٤/٣٦.

[٥] سورة الزمر، ٨/٣٩.

[٦] جميع النسخ: لا يعزهم. والتصحيح من المرجع السابق.

[٧] ر م: والآم؛ ث – والآلام.

[٨] جميع النسخ: إذا حلت. والتصحيح من المرجع السابق.

[٩] ن: لهم.

[١٠] ر م: ليتقوم؛ ن: ليقوم.

[١١] جميع النسخ: لا يدفع. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٢] ن: ولا يحصل.

﴿أَمَّنْ هٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **إن أمسك رزقه**، هم كانوا يرجون رزقهم من السماء والأرض، فيقول: من الذي يرزقكم إن لم يرسل عليكم من السماء مطرا ولا ذَلّل لكم الأرض للنبات؟ وقد علموا أيضا أن لا رازق لهم غير الله تعالى لأنهم كانوا[١] يفزعون إليه بالسؤال للرزق عندما يُبتَلَوْن بالقحط والجُدوبَةِ، فذكّرهم في حال السعة ما له عليهم من عظيم النعمة في توسيع الرزق عليهم ليشكروه ولا يَكفروه. ثم قوله عز وجل: **بل لَجّوا في عتو ونفور**، فالعاتي هو المارد الشديدُ السفهِ. فكأنه يقول: **لَجّوا** وعتَوا في قبول الحق وتمادَوا[٢] في طغيانهم ولم يتذكروا ولم يراقبوا الله تعالى ولم يشكروا له، بل نَفَروا[٣] عن قبول[٤] ذلك كله.

فقوله: أَمَّنْ هٰذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ،[٥] وقوله: **أمن هذا الذي يرزقكم**، يخرج على أوجه ثلاثة. أحدها على التخويف والتهويل، والثاني على التنبيه والتذكير وتسفيه أحلامهم، والثالث على البِشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصر له وبإجابة دعوته على أهل الكفر. فوجه التنبيه والتذكير وتسفيه الأحلام ما ذكرنا أنهم قوم[٦] كانوا يعبدون الأصنام لتنصرهم وتُعزّهم في الدنيا وليبتغوا بها[٧] الرزق من عندها، إذ هم كانوا لا يؤمنون بالبعث ليطلبوا بعبادتها عزَّ الآخرة والنصرَ فيها وإنما كانوا يطمعون ذلك منها في الدنيا. ثم هم في الدنيا كانوا إذا نزلت بهم الشدة والفزع تضرعوا إلى الله تعالى كما قال:[٨] وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ،[٩] ولم يكونوا يفزعون إلى أصنامهم، فكيف اتخذوها جندًا ينصرهم عند النوائب وقد أحاط علمهم أنها لا تنصرهم ولا تغني[١٠] عنهم من عذاب الله شيئا؟ فيكون فيه تسفيهُ أحلامهم وتنبيه[١١] ليمنعهم ذلك عن عبادة غير الله تعالى ويدعَوهم إلى عبادة من يملك دفع الشدائد عنهم إذا حلت بهم.

---

[١] ر ث م – كانوا.
[٢] م: وتماردوا.
[٣] جميع النسخ: بعدوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٤و.
[٤] ر م + الحق.
[٥] الآية السابقة.
[٦] ث – قوم.
[٧] جميع النسخ: لينصرهم ويعزهم في الدنيا وليبتغوا به. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ر ث م – كانوا إذا نزلت بهم الشدة والفزع تضرعوا إلى الله تعالى كما قال.
[٩] سورة الإسراء، ٦٧/١٧.
[١٠] جميع النسخ: لا ينصرهم ولا يغني. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] جميع النسخ + من عذاب الله. والترجيح من المرجع السابق.

وأما وجه التخويف فهو أنه يجوز أن يكون قيل لهم هذا عندما ابتُلوا بالشدائد وضِيق العَيش فيقول لهم: استنصروا من آلهتكم واسألوا الرزق من عندها، هل يملكون لكم رزقا أو يدفعون عنكم ذلا وهل يقوون على نصركم؟

وجائز أن يكون فيه بِشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصر له وبإجابة دعوته. وقد وُجد النصر[١] له[٢] لأنه غلب عليهم يوم فتح مكة ولم يتهيأ لأهلها أن ينتصروا، بل غُلبوا وقُهروا وفازَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغلبة والقهر؛ وابتُلوا أيضا بالقحط والسِّنِينَ بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استكانوا ولانوا وتضرعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فدعا لهم بالسعة[٣] حتى رفع الله عنهم القحط.

﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم**، ففي هذه الآية تذكير وتنبيه وتخويف وتهويلٌ وتعريفُ حالٍ هي على خلاف ما هم عليها في الحال. ثم ذكر الصراط في الذي يمشي سويا ولم يذكر الصراط في الذي يمشي[٤] مكبا فهو على الإضمار، كأنه يقول: أفمن يمشي مكبا على غير الصراط أهدى أم من يمشي سويا على صراط مستقيم،[٥] فيكون [في][٦] هذا تذكير وتنبيه وتسفيه لأحلامهم؛ لأن الذين[٧] آثروا الإيمان وسلكوا طريقه فإنما سلكوا بالحجج والبراهين، والذين آثروا الكفر آثروه من غير حجة بل حيرتهم وسفههم هما[٨] اللذان دَعَواهم إلى التزام الكفر والتدين[٩] به، ومن آثر الحياة والعمى على الهدى والرشاد فهو سفيه. وجائز أن يكون قوله: **أفمن يمش مكبا على وجهه أهدى**،

[١] ن: النصرة.

[٢] ر ث م – له.

[٣] جميع النسخ: حتى استكانوا ولانوا وتضرعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك حتى دعا لهم وابتلوا أيضا بالقحط والسنين بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسعة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٤ظ.

[٤] ر ث م – سويا ولم يذكر الصراط في الذي يمشي.

[٥] ن: الصراط المستقيم.

[٦] الزيادة من المرجع السابق.

[٧] م: لأن الذي.

[٨] ر ث م: هاهنا.

[٩] ر ث م: والتدبر.

[٨٢٩ظ] / أي أهدى طريقا أم الذي يمشي سويا على صراط مستقيم. وحق هذا الكلام أن يقال: بل الذي يمشي[1] على صراط مستقيم هو الأهدى من الذي يختار الطريق المعوجَ الزائغ عن الرشاد. فيكون في الوجه الأول معنى التخويف والتذكير[2] والتنبيه جميعًا، وفي الوجه الثاني تذكير وتنبيه. وقولنا بأن فيه تعريفَ حال خلافِ الحال التي هم عليها أن كل واحد من الفريقين، أعني به أهل الإسلام وأهل الكفر، يزعم أنهم على الهدى والفريق الآخر على الضلال. وإذا اتفقت الدعاوَى على تضليل أحد الفريقين ثم لابد أن يكون جزاء الضال[3] غير جزاء المهتدي وجزاءُ الولي غيرَ جزاء العدو، ثم الدنيا تمر[4] على الفريقين على جهة واحدة فلا بد من تثبيت دار أخرى والقولِ بها للجزاء. فيكون فيما ذكروا إيجابُ القول بالبعث والإقرار به. فهذا الذي ذكرنا هو[5] يعرِّفهما خلافَ الحالة التي هم عليها. ولأن الذي يمشي مكبا على غير الطريق هو[6] الأعمى الذي لا يُبصر [و]المُقْعَد الذي لا يَقْوَى على المشي، والذي يمشي سويا على صراط مستقيم هو الذي ليست به زَمانةٌ ولا به[7] عَمًى يمنعه عن الصراط. فيكون قوله: **يمشي مكبا على وجهه**، هو الأعمى والذي **يمشي سويا على صراط مستقيم**، هو السميع البصير. فيكون معناه ما قال في سورة هود: مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا.[8]

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون**، فهذه الآية صلة قوله: الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ، وصلة قوله: الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا،[9] وقوله: هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا.[10] ثم في ذكر الإنشاء وجَعْل السمع

---

[1] ر ث م: مشى.
[2] ر ث م - والتذكير.
[3] ر م: الضلال.
[4] ر م: ثم.
[5] ن - هو.
[6] ن: وهو.
[7] ث + هو.
[8] سورة هود، ٢٤/١١.
[9] الآية ٢ والآية ٣ من هذه السورة.
[10] الآية ١٥ من هذه السورة.

والأبصار والأفئدةِ تذكيرُ قوته وسلطانه وعلمه وحكمته والآئه[1] وتعاليه عن الأشباه والأمثال. فوجه تذكير[2] القوة والسلطان والعلم والحكمة ما يوصف بعد هذا ويذكر في سورة "المرسلات" وفي سورة "والسماء والطارق".[3] وسنذكر طرفا من ذلك[4] هاهنا بعون الله تعالى وتوفيقه.

فنقول بأن الله تعالى أنشأنا في أظلم مكان وأضيق موضع بحيث لا ينتهي إليه تدبير البشر وعلومهم وحكمتهم وقواهم، لأن علم الخلق لا يجد نَفاذا في الظلمات وكذلك حكمتهم. ثم إن الله تعالى أنشأه في تلك الظلمات كيف شاء وأجرى سلطانه وتدبيره على ذلك الشيء ليُعلَم به أن علْمه بالخفيّات من الأمور كعِلمه بما ظهر منها ويَعرِفَ الخلائق أنه[5] لا يخفى عليه شيء فيدعَوهم ذلك إلى المراقبة في كل ما يُسِرّون وما يعلنون. ويوجب ما ذكرنا نفي[6] تقدير قوته وعلمه وسلطانه بقوى البشر وعلومهم وسلطانهم، فيكون فيه انفتاح عن الشُّبه التي اعترتْ منكري البعث في أمر البعث و[التي] تحملهم[7] على الإيمان به إذا أمعنوا النظر فيه؛ وليعلموا أن من بلغت حكمته ما ذكرنا لا يجوز أن يخلقهم سُدًى لا يخاطبهم ولا ينهاهم بل يتركهم[8] هَمَلا.

وأما وجه تعاليه عن الأشباه والأشكال [ف]هو أنه [حيث][9] أنشأ الخلق في أظلم مكان وأضيقه كان فيه إبانة أنه لا يوصف[10] بالكون[11] في ذلك المكان الذي ظهر فيه آثار فعله؛ لأنه في وقت ما خلق عَمْرًا[12] في بطن أمه[13] فقد خلق زيدًا في ذلك الوقت[14] في بطن أمه،

---

[1] ن ث م: والاية.

[2] ن: تذكيره.

[3] انظر قوله تعالى: ﴿ألم نخلقكم من ماء مَهين فجعلناه في قرار مكين إلى قَدَر معلوم فَقَدَرنا فنعم القادرون﴾ (سورة المرسلات، ٧٧/٢٠-٢٣)؛ وقوله: ﴿فلينظر الإنسان مِمَّ خُلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب﴾ سورة الطارق، ٨٦/٥-٧).

[4] ث + هذا.

[5] ن: أعر.

[6] ر ث م: في.

[7] جميع النسخ: في أمر البعث ويحملهم.

[8] جميع النسخ: بل يزكهم.

[9] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٥٥و.

[10] ن: لا يوجب.

[11] ر ث م: ما يكون.

[12] ر م: عمروا.

[13] ن – أمه.

[14] ر م: البطن.

وخَلَق[1] خلائقَ في بطون الأنعام والسباع[2] وبطونِ بنات آدم وأنشأ البنات في الأرضين في ذلك الوقت. ولو كان يوصف بالكون في مكان الفعل لكان إذا أخذ في خلق هذا لا يخلق في ذلك الوقت في أقطار الأرض أمثالَه من الخلائق. فدل أن الفعل ليس يتحصّل[3] منه بشهوده المكانَ الذي ظهر فيه فعله، وإنما يكون بما ذكر من قوله:[4] إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ.[5] وأما سائر الفَعَلة فهم لا يتمكنون من الفعل إلا بشهودهم مكان الفعل. فهذا الذي ذكرناه ينفي[6] عنه شَبَه الخلق ويوجب[7] تعاليَه عن الأشكال.

وفيه تذكير نعمه ومننه على خلقه. ألا ترى أنه قال على إثر هذا: **قليلا ما تشكرون**، ولو لم يكن منعما مُفْضلا لم يكن يستأدي منهم الشكر. ووجه النعمة وهو[8] أنه قدّره في تلك الظلمات وصانه عن الآفات وعن كل أنواع الأذى، وغَذّاه في ذلك الموضع بما شاء من الأغذية، وستره عن أبصار[9] الناظرين وغيّبه[10] عن أعينهم، لأنه في تلك الحال بالمحل الذي يُستعاف ويستقذر منه ولا يمكن أن يُدفع عنه المعنى الذي وقعت به الاستعافة[11] والاستقذار بالتطهير. وأنشأ له السمع والبصر والفؤاد ليصل بها إلى أنواع العلوم والمصالح فلزمهم أن يقوموا بشكر ذلك.

وفيما ذكرنا نقض قول المعتزلة لأنهم يزعمون أن الله تعالى لو خلقهم[12] على غير الوجه الذي ظهر لكان جائرا،[13] لأن مِن مذهبهم أنه لا يفعل بهم[14] إلا ما هو أصلح لهم.

---

[1] ر م – خلق.
[2] ث: السباع والأنعام.
[3] ر م: بتحصيل.
[4] ن: قولنا.
[5] سورة النحل، ١٦/٤٠.
[6] ر: سقي؛ ن: ينتفي.
[7] ر م: وتوجب.
[8] ث – وهو.
[9] جميع النسخ: على أبصار. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٥و.
[10] ر م: وغيبته؛ ن ث: وغيبة. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ر م: الاستعانة.
[12] ر م: لو جعلهم.
[13] ر م: جائزا.
[14] ر ث م – بهم؛ ن: لهم. والتصحيح من المرجع السابق.

وإذا كان خلْقهم هو الأصلح،[١] -ومن شرطه فعل الأصلح- فإذًا صار هو[٢] قاضِيَ حق[٣] وليس لقاضي الحق على المقضيّ موضعُ منةٍ، ولا منةَ بمكانه[٤] ولا نعمةَ يَلزمه[٥] شكرها له.

ثم قوله عز وجل: **وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة**، أي جعل لكم السمع لتسمعوا[٦] ما غاب عنكم ونَأَى / فتعرفونه بالسمع، وأنشأ لكم الأبصار لتُبصروا بها[٧] ما حضر[٨] من الأشياء [٨٣٠و] وتعرفوا بها ما ينفعكم وما يضركم وما خَبُث منها وما طاب، وأنشأ لكم أفئدة تدركون[٩] بها حقائق الأشياء ومبادئ الأمور ومآلها وما حل منها وما حَرُم. ثم خص هذه الأشياء الثلاثة بالذكر لما بها يتوصل إلى العلوم ومعرفة الأشياء. قال الله تعالى: وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ،[١٠] ومعناه أنه أنشأ لكم هذه الأشياء لتهتدوا بها وتصِلوا بها إلى أنواع العلوم. فثبت أن هذه الأشياء هي التي يتوصل بها إلى العلم[١١] والحكمة وإلى ما به المصلحة والمنفعة، ولذلك قال: إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا،[١٢] فلو[١٣] لم يقع بها الوصول إلى علم الأشياء لكانت لا تُخَصّ[١٤] بالسؤال عنها.

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **قل هو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون**، جمع في هذه الآية بين خبرين. أحدهما مما قد نوزع فيه وهو قوله: **وإليه تحشرون**، فإن بعض الكفرة ينكرون الحشر والبعث.

---

[١] وفي الشرح «وإذا كان هذا هو الأصلح» ورقة ٢٥٥و.
[٢] جميع النسخ: هو صار. والتصحيح من المرجع السابق.
[٣] ن: الحق.
[٤] ن ث: بمكانة. أي بمكان الإنسان.
[٥] جميع النسخ: يلزمها. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] ر ن م: ليسمعوا.
[٧] جميع النسخ: لتبصروا به. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ن – ما حضر.
[٩] ر ن م: تدركوا.
[١٠] سورة النحل، ١٦/٧٨.
[١١] م: العلوم.
[١٢] سورة الإسراء، ١٧/٣٦.
[١٣] ر م – فلو.
[١٤] جميع النسخ: لكن لا يخص. والتصحيح من المرجع السابق.

والثاني مما لم يقع فيه التنازع وهو قوله: **هو الذي ذرأكم في الأرض.** ثم إن الله تعالى جعل ابتداء الخلق دلالة القدرة على الإعادة بقوله: قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ،؟[1] وقال: وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ.[2] وإذا جعل الابتداء دليل الإعادة لزمهم أن يستدلوا به. فهو وإنْ ذكره على وجه الجمع لا على[3] وجه الاحتجاج ففيه موضع الاحتجاج عليهم.

وقوله عز وجل: **في الأرض،** فيه إخبار أنه خلقهم في الأرض ليشاهد بعضهم خلق بعض في الابتداء فيعلموا أنهم لم يكونوا على الحالة التي هم عليها للحال، بل كانوا نُطَفا وعَلَقا وأطفالا إلى أن انتهوا إلى الحالة[4] التي هم[5] عليها. فإذا تقرر عندهم أمر الابتداء أوجب لهم ذلك علما بالقدرة على الإعادة. أو يكون[6] قوله: **في الأرض،** أي أنشأكم وجعل لكم مساكن في الأرض وبسطها لكم لتنتفعوا بها وجعلها لكم كِفاتا، فيكون فيه تذكيره[7] النعمة والقدرة والسلطان.

وقوله عز وجل: **ذرأكم،** أي كَثَّرَكم من أصل واحد، كما قال تعالى: خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً.[8] ومعلوم بأن الخلق على كثرتهم لم يكونوا في نفس واحدة، ومن قدر على خلق[9] الأنفس من نفس واحدة لقادر على إعادة ما قد سبق كونه.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين،** فقولهم هذا خارج مخرج الاستهزاء والاستخفاف برسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمر الله سبحانه وتعالى نبيه عليه السلام أن يجيبهم بالجواب الذي يليق من الحكماء و لم يأذن له أن يجازيهم باستخفافهم إياه باستخفاف[10] مثله فقال:

[1] سورة يس، ٣٦/٧٨-٧٩.
[2] سورة الروم، ٣٠/٢٧.
[3] ر م - وجه الجمع لا على.
[4] ر ث م: على الحالة.
[5] ر م - هم.
[6] ن: ويكون.
[7] ن: تذكره.
[8] سورة النساء، ٤/١.
[9] ر م - خلق.
[10] جميع النسخ: استخفاف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٥ظ.

﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[٢٦]

قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين، يبين[١] لهم أنه لا ينذرهم إلا بالذي أمره به ولا يبلّغ إليهم إلا ما قد أنزل إليه وأمر بتبليغه. وفي هذه الآية دلالة نبوته وآية رسالته، لأنه لو لم يكن رسولا كما زعموا وكان مختلِقا من تلقاء نفسه لكان يمكنه أن يُحيل ذلك إلى وقت لا يظهر غلطه فيه ولا كَذِبُه[٢] لديهم وهو أن يحيله إلى وقت لا يعيش إلى مثل ذلك الوقت، فإذ لم يفعل بل قال: **إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين،** دلهم ذلك على رسالته وأنه إذا كان رسولا لم يكن له أن يزيد في الرسالة ولا أن يتكلف من عنده فيها زيادة، كما ذكر في قوله تعالى: عَبَسَ وَتَوَلَّى،[٣] أن فيه ما يقرّر[٤] رسالته عندهم من الوجه الذي نذكر[٥] في تلك السورة إن شاء الله تعالى. وقوله[٦] عز وجل: **وإنما أنا نذير مبين،** أي لا أَزيد في الإنذار على القدر الذي أُمرتُ به.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ﴾[٢٧]

وقوله: **فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا،** جائز أن يكون قوله تعالى: **رأوه،**[٧] أي رأوا الذي وُعدوا. وقوله:[٨] **زلفة،** أي قريبة. ثم أنَّثَ الزلفة لما أريد بها الأحوال التي تكون[٩] في ذلك اليوم من الأهوال والشدائد، ويكون قوله: **رأوه،** كناية عن ذلك اليوم، فَذَكَّر لأن اليوم مذكر وجعل الزلفة بلفظ التأنيث لأنها كناية عن الأهوال التي تكون[١٠] في[١١] ذلك اليوم. وجائز أن يكون قوله: **زلفة،** أي[١٢] رأوا تلك الأهوال والشدائد قريبة عن الأوقات التي وُعدوا فيها فعلموا أنها كانت قريبة منهم وإن كانوا يستبعدونها في هذا اليوم.

---

[١] ن: تبين.
[٢] ن: ولا كذبة.
[٣] سورة عبس، ١/٨٠.
[٤] ر م: ما تقدر؛ ن ث: ما يقدر.
[٥] جميع النسخ: يذكر. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٥٥ظ.
[٦] ن: قوله.
[٧] ر ث م + زلفة.
[٨] ن: قوله.
[٩] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ر ن م: يكون.
[١١] ن – في.
[١٢] ر م – أي.

وهو كقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾،[1] وقال: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾.[2] وكذلك إذا رأوا شدائد ذلك اليوم وأهواله علموا أن الوقت الذي كان يوعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قريبًا منهم. وقوله عز وجل: **سيئت وجوه الذين كفروا**، فسيئت من ساءت، أي ساءت وجوههم، أي قبحت[3] وجوههم[4] بتغير ألوانها.

وقوله عز وجل: **وقيل هذا الذي كنتم به تَدَّعون**، قال أبو بكر الأصم: معناه تمنعون[5] وتدفعون،[6] / كقوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾،[7] وقوله: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾،[8] أي دفعا. وليس الأمر كما ذكره لأنه لو كان من الدفع والمنع لكان حقه أن تُشدَّد[9] العين لا الدال كما شُدّت في قوله: ﴿يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾، فإذا شددت الدال دون العين ثبت أن اشتقاقه ليس من الدَّعّ ولكنه من الإدّعاء إذ الدال هي المشددة. فتأويله -والله أعلم- **هذا الذي كنتم به تدعون**، أي هذا الوقتُ الذي كنتم تكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم وتدَّعون[10] عليه أنه كاذب في الإخبار. وجائز أن يكون قوله: **تدعون**، أي تَدْعُون،[11] وقد يستعمل الادعاء مكان الدعوة كما[12] يقال: ذَكَر واذَّكَر وخَبَر واختَبَر.

[٨٣٠ظ]

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **قل أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي أو رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم**. ففي هذه الآية دلالة أن في حكمة الله مشيئةَ المغفرة والعقاب لمن ارتكب غير الكفر من الزلات وإيجاب العقاب على من اعتقد الكفر والتزمه وأن ليس في الحكمة عفوُ مثله من العقوبة،

---

[1] سورة النازعات، ٧٩/٤٦.
[2] سورة البقرة، ٢/١٦٥.
[3] ن: أو قبحت.
[4] ث: أي ساءت وجوههم وقبحت.
[5] جميع النسخ: يمنعون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٥ظ.
[6] ر ن م: ويدفعون.
[7] سورة الماعون، ١٠٧/٢.
[8] سورة الطور، ٥٢/١٣.
[9] جميع النسخ: أن يشدد.
[10] ن - أي هذا الوقت الذي كنتم تكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم وتدعون.
[11] ن: أي يدعون. *المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٤٢؛ و*النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٩١.
[12] ن: الدعوى فكما.

لأنه قال: **أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي أو رحمنا**، فأثبت[١] فيه خيار الإهلاك ومشيئة الرحمة والمغفرة. ومعلوم بأنه يُهلك ومن معه أو يرحم عند ما يُبتلَى بالزلات، وكذلك قال: إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ،[٢] فجعل لنفسه مشيئة المغفرة لمن تَوقَّى[٣] الكفرَ وحَكم بإيجاب العقاب على من أشرك به. والذي يدل على أن الحكمة توجب[٤] ما ذكرنا أن الكفر لنفسه قبيح لا يحتمل الإطلاق ولا رفع الحرمة لما فيه من السفه، لأن من رضي بشتم[٥] نفسه فهو سفيه. فعلى ذلك عقوبته لا يحتمل في الحكمة رفعها والعفو عنها؛ أو لما كان الكفر لا يحتمل الإباحة ورفع العقوبة، والإفضال بالمغفرة يخرج مخرج الإباحة لذلك[٦] لم يجز القول فيه بالمغفرة والعفو، وسائر المآثم جائزٌ رفع الحرمة عنها. ولأن الكافر اختار عداوة الله تعالى وكفران نعمه والذي اعتقد الإسلام اختار ولايته. والحكمة توجب[٧] التفرقة[٨] بين العدو والولي وفي العفو[٩] عنه وإكرامِه بالإحسان تسويةٌ بين الولي والعدو، وفي ذلك تضييع الحكمة. ولأن الكافر عند نفسه[١٠] أنه[١١] على الحق والصواب وغيره على الباطل والضلال وأنه غير مستوجِب للعذاب،[١٢] يدلك[١٣] على ذلك [قوله][١٤] حكايةً عن أهل الكفر: وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ.[١٥] فالله تعالى إذا أنعم عليه بالعفو وتَطوّل عليه بالإحسان لم يقع ذلك عنده موقع التجاوز والغفران بل يقع عنده أنه إنما أحسن إليه لاستيجابه[١٦] الإحسانَ وعفى عنه

[١] ن: وأثبت.
[٢] سورة النساء، ٤/٤٨، ١١٦.
[٣] جميع النسخ: لمن يوقى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٥ظ.
[٤] جميع النسخ: يوجب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٦و.
[٥] ر م: بشيم.
[٦] ر ث م: كذلك.
[٧] جميع النسخ: يوجب. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] م: التفريق.
[٩] ن: والعفو.
[١٠] ر ث م: في نفسه.
[١١] ر ث م + يظن.
[١٢] ن + بذلك.
[١٣] ر م: يدل؛ ن: بذلك.
[١٤] الزيادة من المرجع السابق.
[١٥] سورة سبأ، ٣٤/٣٥.
[١٦] جميع النسخ: لاستجابة. والتصحيح من المرجع السابق.

لما يسبق منه ما يستوجب به العفوَ.[1] وإذا كان كذلك أدى ذلك إلى تضييع الإحسان وتضييع العفو وإبطال النعمة، فثبت أن الحكمة لا توجب[2] العفو عن الكافر إذ يحصل العفو في غير موضعه. وأما أهل الإسلام الذين سبقت منهم الأجرام فقد علموا أن الذي سبق منهم زلّاتٌ ومآثمُ وأن العذاب قد لزمهم وأنهم مستوجِبون للعقاب. فإذا[3] عفا عنهم علموا أنهم إنما نالوا العفو بفضل الله تعالى فيقع الإحسان موقعه. ولأن من أحسن إلى عدوه في الشاهد و لم يقصد بإحسانه[4] إليه قصدَ استدراجه والمكرِ به فهو إنما يُحسن إليه لما يخاف ناحيته ويخرج فعله ذلك مخرج التذلل له. فلو لم يؤاخذ الله الكافر[5] بما تعاطى[6] من الكفر بل أحسن إليه من غير تَبِعَة عليه خرج عفوه وإحسانه إليه مخرج الخوف وإظهار التذلل، والله تعالى يَجِلّ عن هذين الوصفين.[7] فثبت أن الحكمة توجب[8] القول بالتخليد وتمنع[9] القول بالعفو. *والله أعلم*.

وفي قوله: **قل أرأيتم إن أهلكنِيَ اللهُ ومَن مَعِيَ أو رَحِمَنا**، دلالة أن لله تعالى أن يعذب على الصغائر، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع من سبقه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد عُصموا عن ارتكاب الكبائر فلا يجوز أن يرتكبوا الكبائر فيُهلَكوا لأجلها، فثبت أنهم لو أهلكوا لأهلكوا بالصغائر. فلو لم يكن لله[10] تعالى أن يعذب أهل الصغائر لصار هو بإهلاكه إياه [و]بمن معه جائرًا ظالمًا، وجلَّ الله تعالى عن الوصف بالجور. وقال[11] تعالى: لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ،[12] ولو لم يكن لله تعالى أن يعذب على الصغائر[13] أحدا لم يكن له على رسوله عليه السلام موضعُ الامتنان بما غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

---

[1] جميع النسخ: العقاب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٦و.
[2] ر ن م: لا يوجب.
[3] ن: وإذا.
[4] ر م: إحسانه.
[5] ر م: لكافر.
[6] ر م: تعاطا.
[7] ر م: الوجهين.
[8] جميع النسخ: يوجب. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] جميع النسخ: ويمنع. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ر: الله.
[11] ن + الله.
[12] سورة الفتح، ٢/٤٨.
[13] ر م: عن الصغائر.

ثم الحق أن يقال: إن جميع الخوارج[1] والمعتزلة لا يجوز أن يغفر الله تعالى لهم بارتكابهم الكبائر وإنما هذا الرجاء الذي[2] ذكرنا لغيرهم من منتحلي الإسلام؛ لأنهم يقولون: لا يجوز أن يغفر الله تعالى لأهل الكبائر ولا أن يتطول عليهم بالعفو، بل حق أمثالهم أن يَخلُدوا في النار أبد الآبدين. وإذا كان هذا هو الحكم فيهم فالله[3] تعالى إن غفر لهم ومنَ عليهم بالعفو وقع عندهم أنه إنما عفا[4] عنهم لأن الذين ارتكبوا من المآثم[5] لم تكن كبائر[6] بل كانت صغائر، إذ لا يجوز المغفرة عن الكبائر فيحصل العفو في غير موضعه والإحسان في غير موقعه. وأما غيرهم / من منتحلي الإسلام فهم يرجون عفوه وسعة رحمته في كل أيامهم، فإذا تفضل عليهم [٨٣١و] بالمغفرة وقع العفو عندهم موقعه فلا يكون فيه تضييع الإحسان. تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

ثم قوله عز وجل: **قل أرأيتم إن أهلكنِيَ اللهُ ومَن مَعِيَ**، أي قل: إن أهلكني الله ومن معي بما سبق من الأجرام والزلات **أو رحمنا**، بما سبق منا من الإيمان به[7] والانقياد لأمره والخضوع لطاعته، **فمن يجير الكافرين**، أي[8] أيَ شيء يجير الكافرين من عذابه ولم يَسبق منهم إلى ربهم حسنة يُرحَمون لأجلها ولا طاعة يستوجبون الغفران بها. أو فمن يجيرهم من عذاب الله تعالى إن حل بهم، فكأنه قيل له: قل[9] لهم هذا لأنهم كانوا يعبدون الأصنام رجاء أن تنصرهم[10] من العذاب الأليم.[11] فيقول لا تجيرهم[12] تلك الأصنام من العذاب الأليم. *والله أعلم*.

---

[1] ر: الجوارح.
[2] ر ث م – وإنما هذا الرجاء الذي.
[3] ر ث م: والله.
[4] جميع النسخ: إنما عفى.
[5] ن + ثم.
[6] جميع النسخ: لم يكن كبائرا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٦و.
[7] ث – به.
[8] ن – أي.
[9] ن: كل.
[10] جميع النسخ: أن ينصرهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ن – الأليم.
[12] جميع النسخ: لا يجيرهم.

﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **قل هو الرحمن آمنا به**، فجائز أن يكون معناه إن الذي خلق الموت والحياة وخلق سبع سماوات طباقا وجعل الأرض ذلولا ويعلم السر والجهر هو الرحمن. فيكون فيه إنباء[1] أن خالق السماوات والأرض وخالق الموت والحياة وخالق أفعال العباد وأفعال الطير هو الرحمن جل جلاله. وقوله عز وجل: **آمنا به**، أي آمنا أنه خالق ما ذكرنا وأنه المتعالي عن الأشباه والأمثال والبريء من كل العيوب.[2] وجائز أن يكون **هو**، اسما[3] من أسماء الله تعالى على ما نذكر[4] في سورة الإخلاص، فيكون **هو والرحمن**، اسمين من أسمائه.

وقوله عز وجل: **وعليه توكلنا**، فجائز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم خوّفه المشركون بأنواع من[5] المخاوف، فقيل له قل: **عليه توكلنا**، أي اعتمدنا هو الذي يدفع عنا شركم وينصرنا عليكم.

وقوله عز وجل: **فستعلمون من هو في ضلال مبين**، فجائز أن يكونوا نسبوه أيضا إلى الضلال وادّعوا أنهم على الهدى ولم ينظروا في آيات الله تعالى ليتيقنوا بها مَن المهتدي منهم ومَن الضالّ، فقال: **فستعلمون من هو في ضلال مبين**، إذا جاءكم[6] بأس الله تعالى، وذلك عند الموت أو في الآخرة.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورًا [فمن يأتيكم بماء معين]**،[7] فهذا صلة قوله: أَمَّنْ هٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ،[8] فيقول أيضا: من الذي يأتيكم بماء معين، إذا أصبح ماؤكم غورًا. والمعين هو الماء الذي يقع عليه العين ويراه[9] البصر. ***والله أعلم***.[10]

---

[1] ن: إثبات.

[2] ر م: من كل عيوب؛ ث: من كل عيب.

[3] ر ن م: اسم.

[4] ر م: على ما ذكر؛ ن ث: على ما يذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٦ظ.

[5] ث – من.

[6] ر: إذا جاؤكم.

[7] الزيادة من المرجع السابق.

[8] الآية ٢١ من هذه السورة.

[9] ن ث: وتراه.

[10] ر + وصلى الله على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام؛ ث: والله سبحانه أعلم؛ م – والله أعلم.

الفهارس

- فهرس الآيات المستشهد بها
- فهرس الأحاديث والآثار
- فهرس الأعلام
- فهرس الشعوب والقبائل والأماكن
- فهرس الأديان والفرق والمذاهب والجماعات
- فهرس الكتب
- فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية

فهرس الآيات المستشهد بها

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأعلام

فهرس الشعوب والقبائل والأماكن

فهرس الأديان والفرق والمذاهب والجماعات

فهرس الكتب

فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- **_أحكام القرآن؛_**

تأليف أبي بكر أحمد بن علي بن الرازي الجصاص، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، بيروت ١٤١٢هـ.

- **_أسباب النزول؛_**

تصنف أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد النيسابوري المعروف بالواحدي، بيروت بدون تاريخ (عالم الكتب).

- **_الاستيعاب_**

في معرفة الأصحاب؛ تأليف أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي، تحقيق عادل مرشد، عمان ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

- **_الإصابة_**

في تمييز الصحابة؛ تأليف أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود – علي محمد معوض، بيروت ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

- **_الأعلام_**

قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين؛ تأليف خير الدين الزركلي، بيروت ١٩٨٠م.

- **_بحر العلوم؛_**

تأليف أبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود – زكريا عبد المجيد النوتي، بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

- **_البحر المحيط؛_**

تأليف أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، الرياض بدون تاريخ (مكتبة ومطابع النصر الحديثة).

- **_بدائع الصنائع_**

في ترتيب الشرائع؛ تأليف علاء الدين أبي بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني، تحقيق علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

- **_تأويل مشكل القرآن؛_**

تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

- ***تفسير ابن كثير***
... المسمى *تفسير القرآن العظيم*، تأليف الحافظ أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، إستانبول ١٩٨٤م.
- ***تفسير البغوي***
... المسمى *معالم التنزيل*؛ تأليف أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي، الرياض ١٤٠٩هـ.
- ***تفسير روح البيان؛***
تأليف إسماعيل حقي البروسوي، إستانبول ١٣٨٩هـ.
- ***تفسير الطبري***
... المسمى *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*؛ تأليف أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، بيروت ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- ***تفسير عبد الرزاق؛***
تصنيف عبد الرزاق بن هَمّام بن نافع الصنعاني، تحقيق دكتور محمود محمد عبده، بيروت ١٩٩٩م.
- ***تفسير غريب القرآن؛***
تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- ***تفسير القرطبي***
... المسمى *الجامع لأحكام القرآن*؛ تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي، بيروت بدون تاريخ (دار إحياء التراث العربي).
- ***تفسير مقاتل بن سليمان؛***
تأليف أبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني، تحقيق أحمد فريد، بيروت ٢٠٠٣م.
- ***تنوير المقباس***
من تفسير ابن عباس؛ بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- ***تهذيب الأسماء واللغات؛***
تأليف أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مُرَي النووي، بيروت بدون تاريخ (دار الكتب العلمية).
- ***حجة القراءات؛***
تأليف الإمام أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني، بيروت ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- ***الدر المنثور***
في التفسير بالمأثور؛ تأليف أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، بيروت ١٩٨٣م.
- ***روح المعاني***
في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني؛ تأليف أبي الثناء شهاب الدين محمود شكري بن عبد الله بن محمود الآلوسي، بيروت بدون تاريخ (دار إحياء التراث العربي).

- *سنن ابن ماجة*؛
تصنيف أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- *سنن أبي داود*؛
تصنيف أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي؛ نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .
- *سنن الترمذي*؛
تصنيف أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- *سنن الدارقطني*؛
تصنيف أبي الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني، تحقيق عبد الله هاشم يماني المدني، المدينة المنورة ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.
- *السنن الكبرى*؛
تصنيف أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- *سنن النسائي*؛
تصنيف أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- *سير أعلام النبلاء*؛
تأليف أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق شعيب الأرنئوط، بيروت ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- *شرح التأويلات*؛
تأليف أبي بكر علاء الدين محمد بن أحمد بن أبي أحمد السمرقندي، نسخة مخطوطة بمكتبة سليمانية، قسم حميدية، رقم ١٧٦ [Süleymaniye ktp., Hamidiye nr. 176]؛ ومكتبة بايزيد، قسم ولي الدين، رقم ٤٢٦ [Beyazıt ktp., Veliyyüddin nr. 426].
- *شرح معاني الآثار*؛
تأليف أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، تحقيق محمد زهري النجار - محمد سيد جاد الحق، بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- *صحيح البخاري*؛
الجامع الصحيح؛ تصنيف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- *صحيح مسلم*؛
الجامع الصحيح؛ تصنيف أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، نسخة مصورة ضمن - موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- ***الفهرست***؛
تأليف أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق بن محمد الوراق المعروف بابن النديم؛ بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

- ***الكامل***
في ضعفاء الرجال؛ تأليف أبي أحمد عبد الله بن عدي بن عبد الله الجرجاني المعروف بابن عدي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، بيروت ١٩٩٧م.

- ***كشف الظنون***
عن أسامي الكتب والفنون؛ تأليف كاتب جلبي مصطفى بن عبد الله القسطنطيني المعروف بحاجي خليفة، بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- ***الكشف والبيان***؛
تأليف أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، تحقيق أبي محمد بن عاشور، بيروت ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

- ***لسان العرب***؛
تأليف أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، بيروت ١٤١٤هـ.

- ***المبسوط في القراءات العشر***؛
تأليف أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني، تحقيق سبيع حمزة حاكمي، بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م.

- ***المحتسب***
في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها؛ تأليف أبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد عبد القادر عطا، بيروت ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

- ***المستدرك***
على الصحيحين؛ تصنيف أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

- ***مسند أحمد بن حنبل***؛
تصنيف أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- ***مشكل الآثار***؛
تأليف أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، تحقيق محمد عبد السلام شاهين، بيروت ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

- ***مصنف عبد الرزاق***؛
تصنيف أبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- *معاني القرآن*؛
تأليف أبي إسحاق الزجاج إبراهيم بن السّري بن سهل، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

- *معاني القرآن*؛
تأليف أبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء؛ تحقيق أحمد يوسف نجاتي وآخرين، بيروت ١٩٥٥م.

- *معجم القراءات*؛
تأليف عبد اللطيف الخطيب، دمشق ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

- *المعجم الكبير*؛
تصنيف أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، الموصل ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

- *المعجم المفهرس*
لألفاظ القرآن الكريم؛ إعداد محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م.

- *مفاتيح الغيب*؛
تأليف أبي عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، طهران بدون تاريخ (دار الكتب العلمية).

- *المفردات*
... المسمى *مفردات ألفاظ القرآن*؛ تأليف أبي القاسم الراغب الحسين بن محمد بن المفضل الإصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داودي، دمشق ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

- *المنجد*
في اللغة والآداب والعلوم، تأليف لويس معلوف، بيروت ١٩٦٦م.

- *النشر في القراءات العشر*؛
تأليف أبي الخير ابن الجزري شمس الدين محمد بن محمد الجزري، تحقيق علي محمد الضباع، بيروت بدون تاريخ (دار الكتب العلمية).

- *النكت والعيون*؛
تأليف أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

- *الوافي بالوفيات*؛
تأليف أبي الصفاء صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق أحمد الأرنئوط - تركي مصطفى، بيروت ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

دار الميزان
MİZAN YAYINEVİ